نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية
مشروع المائة كتاب

المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية

١٥٧٠ ق.م - ١٠٨٧ ق.م

تأليف
الدكتور أحمد قدرى



ترجمة: مختار السويفى محمد العزب موسى
مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين مختار

وزارة الثقافة

هيئة الآثار المصرية

تصميم وتنفيذ : آمال محمد صفوت الألفى

مطبعــة هيئــة الآثــــار المصريـــة

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية

١٥٧٠ ق.م-١٠٨٧ ق.م

تأليف
الدكتور أحمد قدرى

ترجمة: مختار السويفى محمد العزب موسى
مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين مختار

ترجمة كتاب

AHMED KADRY

OFFICERS AND OFFICIALS IN THE NEW KINGDOM

STUDIA AEGYPTIACA VIII 34

BUDAPEST 1982

سقوط الحيتيين فى معركة قادش – الصرح
الثانى لمعبد الرمسيوم – البر الغربى بالأقصر



تصدر وزارة الثقافة – هيئة الآثار المصرية – أولى مطبوعاتها فى اطار مشروع ثقافى متكامل ، لاخراج مائة كتاب فى السنوات العشر القادمة ، هى ثمار الفكر المصرى والعالمى الأثرى والتأريخى ، عن تراثنا القومى فى عصوره الحضارية التى انبثقت من أرض مصر الخالدة .

والسلسلة التى بدأت بواكيرها بهذا الكتاب تستهدف قضية تراثية بالغة الخطر فى حياتنا المعاصرة ، هى قضية رفع الوعى التأريخى لشبابنا ومواطنينا خاصة ، ولقراء العربية بصفة عامة ، وهى بالمثل تخدم هدفا علميا للدارسين والباحثين فى جنبات هذا التراث .

و الله ولى التوفيق

محمد عبد الحميد رضوان

وزير الثقافة

مقدمة المؤلف

الوعى التأريخى والانسان المصرى المعاصر

انقشعت فى سماء الأزمة الاقتصادية التى تفاقمت اعراضها فى الثلاثينات من هذا القرن ، الآمال التى عقدها الغرب الأوربى على معطيات الحرب الكونية الأولى ، وأطلت برؤوسها مدارس فكر تأريخى نعت التأريخ للبشر ودفقت موجة من التشاؤم فى الحياة الثقافية والسياسية على حد سواء ، ولقد مثلت فرضيات شبنجلر عن موت الحضارات فى اوروبا والمدرسة الاداتيه عن عبثية التأريخ فى الولايات المتحدة اقتم فلسفات عرفتها مدارس الفكر التأريخى ربما منذ عصر الاغريق،افرغت تاريخ البشر من جدواه — لكن سرعان ما كشفت هذه الاتجاهات عن وجهها الحقيقى بتحولها الى مجرد دعوة سافرة لاسوأ النزعات العنصرية فى الغرب وعلى الرغم من محاولتها أن تحتل موقعا أكاديميا إلا أنها ما انداحت لكى تخلى مكانها مرة أخرى للتفاؤل التقليدى لمدارس التأريخ التى خرجت من تحت عباءة الفلسفة الهيجلية منذ القرن الماضى مدشنة كرة أخرى فى رؤية مجددة مفاهيم وحدة وجدوى التأريخ والارتقاء المطرد للمقومات المادية والفكرية للانسان عبر مسيرته التاريخية المتطاولة .

أخذت المدارس الهيجلية الحديثة — خاصة بعد انحسار الموجه العدمية المنوه عنها ، فى تبنى مناهج تتراوح بين المثالية والمادية فى تفسيرها لمغزى التأريخ ، وان اتفقت أو كادت فى النهاية — خاصة عند توينبى وسوروكين وكولنجوود وادوارد كار وجوردون شايلد — بكل ما يمثلونه من أجنحة فى الهيجلية المعاصرة ، على تأكيد دور الانسان ووعية بالتاريخ فى تحقيق مستقبل واعد للشعوب . وعلى الرغم من تظاهرات الازمة والصراعات الدولية فى عالم اليوم فقد اخذت هذه المناهج التى أثرت المعرفة التاريخية على نحو لم يستبق فى تأريخ الدراسات التأريخية ، مكانا راسخا فى المراكز الاكاديمية والدوائر الثقافية المحلية أو العالمية على حد سواء وتبنت منظمة اليونسكو هذه الرؤية فى مؤتمر السياسات الثقافية الذى عقد فى المكسيك عام ١٩٨٢ وصدرت التوصيات بأهمية الحفاظ على القوام والهوية القوميه لشعوب العالم الثالث والوعى بحركة التأريخ كضرورة لمواجهة تحديات العصر وانجاح خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الشعوب باثراء وجدان وفكر ذلك الانسان العاكف على تحقيق كرامته المادية والمعنوية من خلال هذه الخطط .

وقد تحققت نهضة الغرب الأوربى بعد ظلام دامس فى عصوره الوسطى بالعود الى الينابيع الكلاسيكية للاغريق والرومان باعتبارها البنية الحضارية التقليدية للقارة الاوربية ، وعاود الوعى أو العقل الارتقاء عبر التأريخ وخرجت منها عطاءات المدنية الغربية الحديثة فى الفن والفلسفة والمنطق والقانون والعلوم السياسية والتاريخ والرياضة بمثل ما خرجت الالهة الاولمبية اثينا من رأس ابيها زيوس . وبالمثل تفجرت ما يسمى بالثورة الاركيولوجية فى علوم الآثار منذ بدايات القرن التاسع عشر عندما الهبت كتابات المؤرخين الكلاسيك عن حضارات الشرق الادنى القديم ــ خاصة فى مصر وبابل ــ خيال الرواد الأول فى حقل المعرفة الاثرية الوليد ، وكانت البدايات الحقيقية فك طلاسم اللغة المصرية القديمة بواسطة شامبليون ، ثم اللغتين البابلية والسومرية فى العراق القديم ، وتتابعت منذئذ فى تكثيف بالغ البحوث الفيلولوجية والحفائر العلمية المنظمة لكى تقدم لنا فى النهاية كماً هائلاً من الوثائق الأثرية تشكل سجلا أثريا واضحا للبشر فى بعديه الزمنى والجغرافى .

ومجمل الامر اننا نستطيع تتبع مظاهر الارتقاء المطرد فى التأريخ بصورة أكثر وضوحا فى هذا السجل الاثرى للبشر بفرز الجانب المادى البحت لهذا التطور بدءا بتقنية الادوات الحجرية فى عصور ما قبل التأريخ ، ثم تقنية المعادن خاصة البرونز فى مراحل الثورة المدنية والحضارات العليا حتى القرن الحادى عشر ق.م ، عندما نجح الانسان فى استخدام الحديد ، ثم مدنية الماكينة منذ عصر الثورة الصناعية فى حضارة الغرب الاوروبى ، فالمدينة العالمية المعاصرة التى نحياها اليوم ما هى إلا جماع تراكمات جهود الانسان وكدّه عبر تاريخه الطويل . وقد تعترى مسار هذا التقدم اعراض من التفاضل أو الانتكاس لكن العين المدققة سرعان ما ترى فيها سرابا من اشباح الحقائق التأريخية الناقصة وآية ذلك أن هناك جماعات بدائية معاصرة تجمدت عند حدود الثورة الزراعية لم تتجاوزها ، كسكان استراليا الأصليين أو بعض جماعات هنود امريكا الجنوبية ، كما أن حضارة عليا هى حضارة حوض نهر الانديز بشمال الهند توهجت لوهلة قرابة منتصف الألف الثالث ق.م قبل أن تختفى تماما من مسرح التاريخ لكى يكتشفها الحفارون المحدثون فى عشرينات هذا القرن ، وعلى الرغم من ذلك فإننا نكاد نجزم بأن الانسان لم يفقد الى الأبد اختراعا هاما أو انجازا مميزا لحضارة ما ، كما اننا بالمثل لانكاد نتعرف على اية حضارة أصلية كانت أم تابعة ، لم تتأثر باشعاعات الحضارات الاخرى سواء تعاصرت معها أو تفارقت عنها زمنيا . ولقد رفدت حضارتا مصر وبابل المدنية الاوربية عبر

الاغريق ثم الرومان بالعديد من عطاءاتها ، فمن مصر خرج التقويم الشمسى والتأثيرات المعمارية والفنية ومعالم من الممارسات الروحية ، وقدمت بابل تقسيم اليوم الى أربع وعشرين ساعة وبعض المعادلات الرياضية والانجازات الفلكية ، ومن أرض كنعان بالحروف الهجائية ، بمثل ما قدمت الحضارة الاسلامية فى القرون الوسيطة عبر الاندلس خاصة الى الحضارة الغربية بعضا من تأثيراتها .

ونستطيع أن نخلص من ذلك كله بمفاهيم محددة عن دور الوعى التأريخى وبانه لا محيص عنه اذا اردنا أن ندفق حركة التأريخ أو بالأحرى التقدم بايقاعات اكثر ايجابية ، وفيه وحده سنتمكن من التعرف على وجه اكثر دقة على ذاتنا ، وبالتالى على قدراتنا الكامنة والمحملة فى حنايا وجداننا كأمة من صناع الحضارة . والحق أن التوازن الثقافى هو النتاج المباشر للوعى التأريخى الذى سيحقق تكاملا وجدانيا وفكريا بين الماضى والحاضر ويرفع عن كاهلنا تراكمات المفاهيم الخاطئة التى تؤرق وجداننا والتى قد تدفعنا احيانا الى المبالغة أو ربما افتقاد الثقة فى بعض معطيات واقعنا التأريخى . ويحضرنى فى هذا الصدد بعضا من هذه النماذج من واقع الحضارة المصرية القديمة والاسلامية تحولت الى آراء ثابتة وقرت فى نفوسنا ، أولاها العزلة التى تعانيها الحضارة المصرية عن شقيقاتها من الحضارات العربية القديمة والحديثة بافتراض فروق حادة فى طابعها الحضارى العام ، فمنذ البحوث الفيلولوجية المقارنة لادوارد ماير منذ بواكير هذا القرن والتى تدعمت بادلة لبحوث لاحقة تأكد الطابع السامى أو العربى القديم للغة المصرية القديمة سواء فى مفرداتها أو قواعدها ، فهى مثل اللغات السامية تحمل خصائص مشتركة كالجملة الفعلية والمثنى وتاء التأنيث وصيغة النسبة والجذر الثلاثى للفعل واهمال كتابة الحروف المتحركة وكما ألمحنا فان الوعى التأريخى وحده سوف يؤكد تدفق عطاءات حضارتنا واستمراريتها عبر الحقب التاريخية المتتابعة . وتتناول ثانى هذه النماذج المفهوم الشائع عن الفرعون فى مصر القديمة وربما استقر هذا المفهوم بسبب تفسير خاطىء فى الماضى على الرغم أن التكليف بالرسالة الذى فرضته شريعتنا الاسلامية السمحاء لاينطبق على الارجح الا على فرعون الخروج دون سواه . وواقع الامر أن مفهوم الالوهية الملكية لم تحل دون أن تقيد سلطات الفرعون الاوتوقراطية قواعد صارمة للعدالة متجذرة فى اعماق التقاليد الدينية والسياسية والاخلاقية على نحو شكلت فيه هذه القواعد الضابطة نفحة رئيسية فى ايقاعات ممارسات الملك ورجال الدولة والافراد على حد سواء ، وقد اطلق على هذه القواعد التى شكلت نظاما شاملا لمفاهيم العدالة باسم «ماعت» التى مثلتها الهة هى ابنة اله الشمس رع وتعنى فى عالم

الدولة والمجتمع العدالة والنظام والصدق بينما تعنى فى عالم الكون والطبيعة الاتساق والانسجام فماعت هى العدالة على الارض والترابط فى مظاهر السماء وهما وجهان لعملة واحدة يعمل قانونها المقدس فى تكامل لا انفصام فيه – ولايكاد يخلو نص ملكى من معنى يعكس التمسك بمفهوم ماعت كقيمة علمية وروحية . وصور الفراعنة فى مقابرهم أو على جدران المعابد يقدمون رمز ماعت للآلهة أو يتلقونها منهم على نحو لم تحد عنه التقاليد المصرية طوال عصور ازدهارها .

ولقد كانت العدالة الصفة الأكثر تحديدا التى تصحب الفرعون الى العرش ووظيفته كملك تهدف الى تحقيق الرفاهية العامة للمصريين وفرض العدالة على ارض مصر — وفى بردية وستكار تشير البردية الى فراعنة الاسرة الخامسة بانهم سيحملون اعباء ملوكيتهم المقدسة والخيرة الى كل ما تحيط به الارض ، فالحب سلاح الفرعون والرقة هى شمائله كما تذكر احدى النصوص وهو الاله الطيب كما يلقب وعندما ينتقى موظفيه وكبار رجال دولته فانهم دائما الانقياء لطهرة أيديهم والمضمخة بعبيق ماعت أو العدالة .

وفى تاريخنا الوسيط فى مصر الاسلامية كانت سلطة فرسان المماليك ظاهرة عمت بلدان الشرق منذ عصر المعتصم العباسى وهى ظاهرة كانت متسقة مع الظروف السياسية والاجتماعية السائدة على ذلك العهد – ولقد ربى هؤلاء المماليك بعد جلبهم اطفالا على آداب الاسلام وعلى اصرم التقاليد الحربية وأنفصمت كل صلة لهم باصولهم البعيده خارج الحدود الاسلامية وارتبطوا بمصر بوشائج اللغة والثقافة وقدموا خاصة – منذ تسنموا السلطة فى عصر دولتى المماليك البحرية والبرجية منذ قرابة منتصف القرن الثالث عشر حتى بداية السادس عشر الميلادى – عطاءات بالغة الخطر حالت بكل المقاييس دون تحولات ثقافية وعقائدية عميقة محتملة ربما لمصر والشرق الادنى الاسلامى بدحرهم جحافل المغول فى عين جالوت تحت قيادة قطز بعد اندفاعهم المدمر وتقويضهم لبغداد ، وقد قاد السلاطين المصريين جيوشهم فى صراعات لم تخف اوارها طوال عهود المماليك المصرية وقد قضى الأشرف خليل بن قلاوون على الخطر الصليبى الاستيطانى بعد تهديد للعالم الاسلامى والبقاع المقدسة اربى على القرنين – وقد مثلت هذه النخبة العسكرية التى تمصرت وأسلمت اصدق اسلام أرفع فضائل الجندية والفروسية فى القرون الوسيطة ستظل هى والانجازات الحربية الجليلة التى قدموها من أعظم ملامح تأريخنا الحربى المصرى والاسلامى على حد سواء – ولقد بلغت عطاءات الروح

المصرية الاسلامية فى العمارة والفن فى مصر والقاهرة التأريخية الذروة فى العبقرية فى عصورهم التى ازدهرت بعبقرية هذه الروح – وعلى الرغم من كل هذه الحقائق نجد مؤرخين محدثين بل نصوصا كاملة فى برامج التعليم تتناولهم باعتبارهم غزاة اجانب اذلوا المجتمعات الاسلامية التى حكموها – وليس هناك ماهو ابعد – فى تقديرى – عن روح العصر من ازجاء مثل هذه الاحكام على هذه الطبقة التى لعبت دورا بالغ التأثير فى الحياة السياسية والاجتماعية لمصر والعالم الاسلامى أربت على قرون عديدة – فضلا عما قد يترتب على مثل هذه الاحكام من اجتراح لوجدان وفكر شبابنا المعاصر ..

ولقد عزى المؤرخ التربوى على مبارك – أحد أعمدة حياتنا الفكرية والادارية فى القرن الماضى – فى عمله الشهير باسم الخطط التوفيقية ضعف المسلمين والامم الشرقية الى اهمالهم للعلوم التاريخية ، وهى رؤية مازالت بعد نيف ومائة عام تتعثر على استحياء على الرغم من ضرورات التخطيط القومى الشامل فى اطار جهد تربوى وتعليمى وثقافى مكثف لرفع الوعى التأريخى لشبابنا ومواطنينا وعبور برازخ الأغتراب – الذى مازلنا نعانى منه – مع تراثنا القومى باعتبار ذلك – فى تقديرى – أخطر وأجل قضية ثقافية قومية فى عصرنا الحديث .

وانطلاقا من هذه الرؤية لمفهوم ودور التأريخ فى وعى الانسان المعاصر جاءت هذه السلسلة لمشروع المائة كتاب التى اقرتها اللجان العلمية بهيئة الآثار تستهدف ترجمة ونشر مائة كتاب فى علوم الآثار والتاريخ القديم اسهاما فى رفع الوعى التأريخى العام للانسان المصرى المعاصر بكل ما يمثله ذلك من اهمية بالغة و مستقبل وطننا الثقافى والحضارى بوجه عام .

لقد حان الوقت لكى نبادر نحن المصريين من موقع رؤية فكرية ووجدانية مرتبطة بجذور هذا الوطن فى كتابة تاريخه الحضارى فى استقلالية علمية عن المصادر التقليدية الاجنبية التى تصدت لتقديم العديد من المناظر التأريخية عن حضارتنا ليتعين علينا مراجعتها اما بالاقرار أو التعديل أو الاضافة .

وتراودنا جميعا فى هيئة الآثار المصرية الآمال العريضة فى ان يكون لهذا المشروع الى جانب الجهود التى بذلت من قبل فى هذا الحقل من قبل الاثريين والمؤرخين المصريين من الرعيل الأول آثاره فى رفع الوعى التأريخى والأثرى لجماهير شبابنا ومواطنينا .

ولا يسعنى إلا ان اتقدم بصادق الشكر للاساتذه الزملاء الذين اسهموا فى اخراج هذا العمل الى النور.

وعلى الله قصد السبيل .

د. احمد قدرى

مقدمة الترجمة

شاء الحظ الحسن أن يهدينى الدكتور أحمد قدرى نسخة من هذا الكتاب ، الذى يتضمن رسالته للدكتوراه ، التى قدمها إلى جامعة بودابست بالمجر ، مكتوبة باللغة الانجليزية .

وكنت موشكا على القيام برحلة إلى أمريكا ، فاصطحبت الكتاب معى ، ربما من قبيل الرغبة فى استمرار قراءاتى فى التاريخ المصرى ، ولو فى بلاد الغربة .

وهكذا أتيحت لى الفرصة لكى أعايش النقيضين ، فبالنهار كنت أرى أحدث ما وصلت إليه الحضارة والتقدم والمدنية ، وحين أهجع بالليل لاستريح ، أعايش هذا الكتاب الممتع الذى يجعل النفس تفيض بعظمة الحضارة المصرية القديمة ، باعتبارها أقدم وأعظم حضارة ومدنية فى تاريخ الانسان على الارض .

ومن المعروف المسلم به لدى كثير من المؤرخين العالميين وعلماء المصريات ، أن مصر هى أم الحضارات ، ومن مصر بدأ كل شيء . ولقد وضع المصريون القدماء أسس الكتابة بالحروف الابجدية ووضعوا أيضا أسس العلوم الطبيعية ، وأسس الفن والأدب والدين ، ومبادىء الأخلاق والسلوك الانسانى والتنظيم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للدولة .

ومما أدهشنى وجعلنى أشعر بالفخر كمصرى ، ذلك البحث المستفيض الذى اجراه الدكتور أحمد قدرى لاثبات أن المصريين القدماء هم الذين ابتدعوا أيضا المبادىء والأسس التى قام عليها علم الاستراتيجية وعلم التكتيك وفنون الحرب وتنظيم الجيوش الكبرى ، ووضع خطط المعارك الحربية التى مازالت حتى الآن محل دراسة بأكاديميات الحرب الحديثة فى كل مكان ، بل والتى أعاد تطبيقها – أو استرشدوا بها واستوحوها – عتاة القادة العسكريين فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م) . مثل الخطط العسكرية المصرية القديمة التى استوحاها الفيلد مارشال اللورد اللنبى والفيلد مارشال مونتجومرى .

ويعلم القراء الأجلاء أن هناك عدة آلاف من الكتب والمؤلفات والبحوث الأجنبية والمصرية التى تتناول التاريخ المصرى القديم بالدراسة . ولا يخفى أن الأغلبية العظمى من هذه الكتب تتناول هذا التاريخ على أساس السرد والتقرير ، ومع ذلك فهناك من بينها بعض الدرر النادرة التي تتناول هذا التاريخ بالتحليل والتفسير .

وبطبيعة الحال فإن معظم – إن لم يكن كل – هذه المراجع النادرة فى تحليل التاريخ المصرى القديم وتفسيره ، من تأليف أئمة المؤرخين وعلماء المصريات الأجانب أمثال : بريستيد وجاردنر وويلسون وكثيرين غيرهم من أعظم المحللين الذين كانت لهم رؤياهم العلمية الخاصة فى تفسير الأحداث واستخلاص النتائج من واقع مئات الآلاف من النصوص المنقوشة على جدران المعابد وسراديب المقابر وعلى واجهات النصب التذكارية والمسلات والنصوص المدونة بالبرديات .

وفى تقديرى أن كتاب الدكتور أحمد قدرى يعتبر من هذه الزاوية ، إضافة مصرية صميمة لتلك الدرر النادرة التى كتبها كبار علماء المصريات فى شرح وتحليل وتفسير معالم التاريخ المصرى القديم ، كما أن موضوعه على جانب كبير من الخطورة والاهمية العلمية . فهو يتناول طبقة الضباط العسكريين المصريين ، والدور الذى قامت به المؤسسة العسكرية فى تكوين أول أكبر امبراطورية فى تاريخ العالم القديم .. امبراطورية تمتد من الفرات وحدود آسيا الصغرى فى الشمال ، وحتى الجندل الرابع على نهر النيل فى الجنوب .

وفى مدينة سان فرنسيسكو ، وهى أبعد ما تكون عن مصر تجاه الغرب ، جعلنى هذا الكتاب أقرب ما اكون إلى مصر ساكنة القلب ، وهناك لاح لى خاطر الاستئذان من الدكتور أحمد قدرى فى ترجمة هذا الكتاب إلى قراء العربية .

ولعل الذى دفع هذا الخاطر إلى نفسى ، الاحساس المؤلم بأننا – نحن المصريين – أكثر الشعوب المتنورة إهمالاً لتاريخها القديم التليد ، فمعظم شعوب العالم فى مشارق الأرض ومغاربها تتمتع بقراءة ذلك السيل المنهمر من الكتب والمراجع والمؤلفات التى تتناول التاريخ المصرى القديم والحضارة المصرية القديمة بمختلف لغات العالم الحية مثل الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والايطالية واليابانية وغيرها من اللغات الأخرى ..

ومع ذلك فإن من المؤسف ان مثل هذه الكتب الواسعة الانتشار والمطبوعة على أفخر أنواع الورق المصقول وبأعلى مستويات الطباعة وتنسيق الألوان ، لاتتاح عادة لقراء العربية – وخصوصاً المصريين – وهم اولى الناس بقراءتها .

أليس من المدهش إذن ألايعرف المتعلمون المصريون عن تاريخ بلادهم القديم إلا شذرات لاتغنى شيئا ، بل وقد يكون أغلبها مغلوطاً ومخلوطاً بالخرافة .. وفى نفس الوقت يدرك المتعلمون ومحبو الثقافة فى جميع أنحاء العالم أبعاد الحضارة المصرية القديمة بمعظم تفاصيلها التاريخية ويقبلون بنهم على قراءة التاريخ المصرى باعتباره موضوعاً مفضلاً محبباً إلى النفوس ..

وأليس الأغرب من ذلك ، أن بعض الدراسات المقارنة فى علوم التربية ، أكدت أن المعلومات التى يتلقاها الصبى الفرنسى فى المرحلة التعليمية الأولى عن التاريخ المصرى القديم ، تفوق فى قدرها كل المعلومات التى يحصلها خريج الجامعة فى مصر ..

أليس من المحتم إذن أن يعيد مثقفونا النظر فى هذا الموقف الغريب من تاريخنا القومى القديم ، وأن تكون هناك خطة لنشر الوعى الحضارى والتاريخى بين المصريين .. من المؤكد أن ذلك واجب مقدس يجب أن تتولاه جهة أو جهات ما ، تعمل على وضع تلك الكنوز الهائلة من كتب التاريخ المصرى أمام أعين المصريين وخصوصاً جيل الشباب المتعلم الذى اختلط عليه الأمر وظن أغلبهم أن تاريخ مصر يبدأ فى العقد الأول من النصف الثانى للقرن العشرين .. وكأن لم تكن هناك آلاف السنين الأخرى التى وقفت فيها مصر تاجاً على قمة رأس تاريخ الانسان وتاريخ الشعوب فى كل أرجاء الأرض .

وبمجرد أن قرأ صديقى الاستاذ محمد العزب موسى هذا الكتاب بلغته الانجليزية حتى تحمس له الحماس كله ، وشجعنى وشد ازرى حتى اشرع فى ترجمة الكتاب فوراً وعلى أن أتفرغ له حتى انتهى منه فى أقرب فرصة ممكنة .

والصديق الاستاذ محمد العزب موسى معروف بحبه وولعه الشديد بالتاريخ المصرى ومعالم الحضارة المصرية ، وانتاجه الغزير المتميز الذى كرسه لتمجيد هذا الحب ، والمتمثل فى كتبه العديدة المؤلفة والمترجمة وعشرات من مقالاته التى تتناول ذلك التاريخ وتلك الحضارة

تناولاً علمياً هو مزيج من دقة البحث والاحساس العظيم بالفخر . ولم لا وقد بدأ هذا الحب للتاريخ المصرى والحضارة المصرية يغزو قلوبنا منذ أن كنا معاً متزاملين فى كل مراحل التعليم من ابتدائية وثانوية وجامعية وعليا ، ومازال هذا الحب للتاريخ يملأ قلوبنا حتى الآن ،نرويه دائما بالقراءة والأطلاع على أحدث ما تصدره المكتبات العالمية من كتب المصريات ، وبزياراتنا المتكررة والمستمرة لجميع المناطق الأثرية المصرية فى طول البلاد وعرضها .

وشاء الحظ الحسن مرة اخرى ، أن يشترك معى الاستاذ محمد العزب موسى فى ترجمة هذا الكتاب ، إلى اللغة العربية ، ووضعنا خطة العمل على أساس أن أقوم بترجمة الجزئين الأول والثانى ، وأن يقوم هو بترجمة الجزء الثالث ، كما يقوم بمراجعة ما ترجمته وأقوم بمراجعة ما ترجمه ، ولهذا فنحن على يقين من مطابقة الترجمة للأصل تماماً ، وعلى يقين بوحدة الاسلوب والصياغة فى الكتاب المترجم كله من أول كلمة فيه حتى آخر كلمة .

كذلك فقد قمنا بتحديد أكثر من مئتى موضع فى مختلف صفحات الكتاب مما كان يلزم لها إضافة هامش مختصر يتضمن المعلومات اللازمة لتحقيق المزيد من الايضاح والأضاءة العلمية والتاريخية أمام القارىء غير المتخصص ، وقد كتبنا بعض هذه الهوامش الاضافية مما اسعفتنا به سرعة البحث ، أما القدر الأعظم والغالبية العظمى من هذه الهوامش والتى احتاجت إلى بحث متأن وتخصص علمى لا ندعيه ، فقد تولاها الاستاذ الدكتور جودت جبرة بما عرف عنه من الدقة الفائقة فى البحث وتكثيف المعلومات .

وعشمنا أن نكون عند حسن ظن القارىء مع كل تمنياتنا الطيبة فى وقت ممتع مع الكتاب .. ومع التاريخ العظيم .

وبارك الله فى كل من يضىء الطريق أمام المصريين .

مختار السويفى

أول مايو ١٩٨٥

مقدمة المراجع

تاريخ مصر الفرعونية من أجل تواريخ الامم وأعظمها وأرفعها شأنا ، ومجدها العريق قد ملأ أسماع الدنيا وسيظل يملؤها ما جرى ماء النيل ، وبقيت أرض مصر ، وتراثها التاريخى والحضارى تراث ضخم عريق مجيد ، قل ان يتوفر مثله لشعب من شعوب الأرض أو تضمه أرض أمة من أمم الدنيا .

والحديث عن تاريخ مصر وحضارتها وتراثها يطول ، فقد تناولته أحاديث العلماء فى قاعات الدرس وأبحاث الباحثين فى مراكز البحث ، ولكن لا يزال أكثر المصريين يجهلون ذلك التاريخ ، بل ان معظم خاصتهم وعامتهم لا يهتمون به أو يحفلون بحوادثه ، بل أن البعض قد ينفر منه أو يحاول الابتعاد عنه .

ولقد أدركت هيئة الآثار من خلال مزاولتها لأعمالها وممارستها لمسئوليتها هذه الحقائق التى تدور حول عظمة أجدادنا من ناحية وتشير إلى تباعدنا عنهم من ناحية أخرى ، كما آمنت بمفاهيم وقيم أساسية فى بناء الشعوب نذكر منها على سبيل المثال :

– ان التاريخ والآثار من أهم الوسائل التى تعمق الشعور بالانتماء القومى إلى مصر وإلى الاعتزاز بكل ما هو مصرى وإلى الارتباط بأرض هذا الوطن .

– ان من المستحيل ان نفهم أنفسنا ونُقدر قدراتنا إلا إذا الممنا بماضينا الذى نحن من صنعه ونسيجه ، بل ان فهمنا لماضينا ما هو إلا فهم لذواتنا .

– ان تتبع مسيرة تاريخنا وحضارتنا ، بسلبياتها وإيجابياتها ، بطفراتها وخبواتها على مدى آلاف السنين لجدير بان يزرع الثقة فى نفوسنا ويساعدنا على تخطى النكسات والكوارث التى تبدو فى ضوء استمرارية الوجود المصرى ظواهر وقتية وطارئة .

ان أية نهضة حضارية أو طفرة ثقافية لابد أن تبدأ بالبحث عن الجذور والاعماق وأن بلورة

الانسان المصرى لمستقبل مشرق لابد أن تمتد إلى الماضى وأن يعتمد على تعميق الوعى بالتاريخ والتراث والحضارة المصرية فى مختلف عصورها .

– ان الوعى التاريخى والأثرى يُكمل الثقافة القومية ويُبرز الشخصية الوطنية ويُحدث التكامل بين الماضى والحاضر والمستقبل .

– ان معرفة تاريخنا واجبٌ مقدس يمليه علينا صوت الحق والعدل ويدفعنا إليه ما تنطوى عليه أنفسنا من حب لمصر ، فهؤلاء الاسلاف قد بنوا لنا هذا الوطن الكريم وحضَّروه ورفعوا فى العالمين ذكره ، فمن ثم فانه لواجب على كل مصرى يفرضه العدل ويحتمه الوفاء ، ان يجلى حقائق ذلك التاريخ ويكشف عن عظمته واصالته ، ويسجل روعه وبهاء حضارته ويصفّيه من شوائب الباطل واراجيف الحاقدين .

ومن هذا المنطلق قررت الهيئة العامة للآثار المصرية اخراج سلسلة كتب ثقافية ، تاريخية ، أثرية ، اسمتها «نحو وعى حضارى معاصر» سوف تضم فى مرحلة انتاجها الأولى مائة كتاب تتناول سواء بالتأليف أو بالترجمة موضوعات تاريخية وأثرية وحضارية من مختلف عصور مصر ، راجية أن تجلو بذلك نواح هامة فى حضارات مصر الخالدة ، وان تحول تاريخ البلاد إلى قصة حية ، يلعب جيلنا أحد فصولها ، كما تنظر فى أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والفنية والأدبية ، وتتناول بالبحث والدراسة حالة البلاد السياسية والحربية وكذا مبادئها الروحية ومثُلها الأخلاقية .

وقد عهدت هيئة الآثار إلىَّ مشاورة أمر مراجعة ترجمة كتاب ممتاز من كتب تلك السلسلة هو كتاب (المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية : ١٥٧٠ق.م – ١٠٧٠ق.م) الذى قام بتأليفه الدكتور أحمد قدرى وترجمة الاستاذان : مختار السويفى ومحمد العزب موسى ، وهو كتاب علمى جاد ، كما انه مشوق وممتع فى نفس الوقت .

يتناول هذا الكتاب موضوعا تاريخيا بالغ الأهمية ، الا وهو «دور المؤسسة العسكرية المصرية فى عهد الدولة الحديثة» تلك المؤسسة التى بدأت تلعب دورا رئيسيا فى حكم مصر بعد طرد الهكسوس منها ، فلقد اكتسب المصريون موعظة هامة بعد أول احتلال

لبلادهم فبدأوا فى تكوين جيش عامل ، كبير ، منظم ، زودوه بالعجلات الحربية التى تجرها الخيول ، وبهذا الجيش العظيم تكونت امبراطورية ضخمة من أوائل الامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، ضمت إلى مصر أرض السودان وفلسطين وسورية وبعض بلاد النهرين أى امتدت على حد تعبير المصريين القدماء «من قرن الأرض حتى أطراف المياه المعكوسة» أى من وراء الجندل الرابع فى السودان إلى منعرج نهر الفرات فى أطراف سورية الشمالية الشرقية .

هكذا أصبح لمصر جيش قائم دؤوب مستعد للزحف والقتال كل وقت ، لا يُسرَّح جنوده بعد انتهاء الحرب ، بل يظلون فى معسكراتهم طوال فترة السلم ، يؤلفون فى البلاد طبقة قائمة بذاتها ، على رأسها تلك المؤسسة العسكرية التى يتناولها بالبحث والدراسة كتابنا هذا .

ومما لاشك فيه أن هذا الكتاب قد ألم بأعضاء تلك المؤسسة العسكرية ، شارحا ما قاموا به من أعمال وما أدوه من أدوار فى فترة من أعز فترات التاريخ المصرى على قلوبنا ، ومن ألمعها وأروعها لاصالتها وقدمها وقوة تأثيرها على عالم ذلك الوقت . كذلك نجح المؤلف وكذا المترجم فى عرض الموضوع عرضا صادقا واضحا ، لا ابهام فيه ولا تهويل ، كما وفق كاتبه فى ازالة الجمود والغموض الذى يكتنف ناحية من أبرز النواحى لعصر مصر الذهبى ، الذى استمر قرابة خمسمائة عام ، ناهجين فى نفس الوقت نهجا أكاديميا وعلميا سليما .

وقد خرجت بعد دراستى لهذا الكتاب بأفكار وآراء جديرة بالتسجيل ، أذكر منها :

– ان ذلك الزعم أو الرأى القائل بان شعب مصر القديمة كان عزوفا عن القتال كارها له ، وانه كان ينفر من الحرب ويبعد عنها نتيجة لعجزه عن ممارستها وعدم ميله للاقدام عليها ، لزعم كاذب ورأى باطل . انه لواضح من ثنايا هذا الكتاب أن المصريين القدماء كانوا بالفعل شعبا مسالما طالما كان ينعم بالاستقرار والسلام . ولكن نظرا لتغير الأمور بعد غزو الهكسوس وتصميم الشعب المصرى على طردهم بالقوة المسلحة ، فقد دعا عندئذ داعى الحرب فهب الشعب المصرى عن بكرة أبيه يحمل السلاح ، وكون جيوشا نفرت للزحف والنزال وكافحت فى جرأة واستبسال ، تقودها تلك المؤسسة العسكرية الحاذقة ، التى سيطرت على مقاليد البلاد بكفاءة

وأمانة واضحتين . لقد أمّنت تلك المؤسسة الجبهة الداخلية تأمينا تاما ، كما سلحت الجيش بأحدث ما عرف وقتئذ من الأسلحة والعدة والعتاد ، وعملت فى ولاء تام تحت قيادة فرعون العليا فرفعت اسم الوطن فى الداخل والخارج ، وأفردت له فى تاريخ الأوطان صفحة من ذهب .

— ان المعركة فى الدولة الحديثة لم تكن مجرد تلاقى رجال فى ساحة القتال ، لكنها كانت عملا يلعب فيه التدبير والتحضير دورا كبيرا . لقد كان على تلك المؤسسة العسكرية أن تختار الميادين الصالحة للقتال ، وكان عليها أن توزع الجيش بنظام وتقسم القوات إلى قلب وجناحين ، كما تستخدم الخدع الحربية وتقوم بحركات الالتفاف والمباغتة وكانت تُتم ذلك فى مهارة حربية فائقة ووفق تدبير عسكرى دقيق .

— ان قصص البطولة وأخبار النصر قد الهبت الشباب فى عهد الدولة الحديثة فآمن بالحياة العسكرية وانخرط فى صفوف الجيش وقد أكثرت الحكومة من ترغيب الشعب واغرائه بالخدمة فى الجيش وذلك بكثرة ما أعطت أبطاله من الأرض وحلقات الذهب وشارات الشجاعة وألقاب التشريف والتعظيم ، فزاد الاقبال على الجيش اقبالا ازعج بعض المسئولين خوفا من النقص فى اعداد الموظفين الذى استلزمه اتساع أعمال الدولة فى الداخل والخارج ، حتى اضطروا إلى الشكوى ، كما نرى آثار ذلك واضحة فى نفثات أقلامهم .

— ان تربية القادة والضباط من أفراد تلك المؤسسة العسكرية كانت تتطلب كثيرا من التربية العسكرية والثقافة السياسية مما اقتضى المصريين أن ينشئوا مدرسة حربية فى منف يتلقى فيها الشباب ، فنون الحرب والرياضة العسكرية وغير ذلك من المعلومات والثقافات اللازمة لهم ، وكان فى مقدمتهم ولى عهد فرعون وبقية أبنائه .

ان مصر استطاعت بقيادة رجال تلك المؤسسة أن تصد تلك القوى الحاقدة أو الطامعة كالميتانين والحيثيين وشعوب جزر البحر المتوسط وأن تثبت أمام تحديات الزمن .

وقد أضافت الطبعة العربية إلى متن الكتاب فقرات تتعلق باشخاص وأماكن أو أحداث ، قد لايفهم كنهها إلا من له المام كبير بالتاريخ أو الآثار لمصر القديمة أو قد تبدو غامضة تحتاج إلى شرح وايضاح ، كما حفل الكتاب بما يزيد على خمسين صورة وشكلا ، وزود بالمراجع والمصادر الرئيسية .

وأخيرا لعل القارىء أن يجد فى هذا الكتاب مايُغذّى العقل ويُثرى الفكر ويُرهف الحس ويُرضى النفس .

والله ولى التوفيق

د. محمد جمال الدين مختار
٢٤ / ٥ / ١٩٨٥

الجزء الأول

مصر خلال عصر الامبراطورية

ويتضمن الفصول التالية :

مقدمــة

ظهور الطبقة العسكرية الجديدة
وزوال نفوذ طبقة الموظفين المدنيين فى طيبة

كانت مصر لا تهتم كثيراً بجاراتها من الدول والشعوب ، خصوصاًبالنسبة للشعوب التى كانت تقطن فيما وراء حدودها الشمالية الشرقية . وظلت هذه اللامبالاة قائمة خلال عصر «الدولة القديمة» (١) و «الدولة الوسطى» . (٢)

ولكن هذا الوضع تغير كثيراً فى عصر «الدولة الحديثة» (٣) خلال النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد .

وكانت تجربة إحتلال الهكسوس (٤) لأرض مصر واذلال شعبها ، تجربة مؤلمة وقاسية جداً على المصريين ، فقد علمتهم درساً لم ينسوه خلال تاريخهم التالى ، بعد أن حرروا بلادهم من هؤلاء الغزاة .

كان المصريون يشعرون بالخطر الكامن فى تلك القبائل الرعوية التى نظمت نفسها واستوطنت فى بعض مناطق سوريا وفلسطين ، والتى كانت تهدد الحدود الشرقية لمصر بين حين وآخر .

وكان هذا الخطر وحده كافياً لاجبار فراعنة طيبة من ملوك الأسرة الثامنة عشر، (٥) على اعادة النظر فى جميع النظم الحربيةوالادارية التى كانت سائدة بمصر حتى ذاك الزمن . وظهرت بالتالى أفكار جديدة متحررة ، وضع على أساسها نظام الحكم فى تلك الفترة .

لقد اعتنق سادة الحرب الجدد من أبناء وأحفاد الأمراء المحاربين العظام الذين قادوا حرب التحرير ، مبدأ جديداً تبلور فى هدف رئيسى واحد ، هو توجيه معظم موارد الدولة لانشاء وتنظيم جيش قوى اعتبر بكافة المعايير ، أقوى الجيوش العسكرية التى ظهرت فى تاريخ العالم القديم كله .

وكان هذا الجيش خاضعاً لسلطة مركزية تتمثل فى سلطة الفرعون وارادته ، وهى سلطة منبثقة من «الحق الالهى» للملك ، طبقا لنظام الحكم الذى كان سائداً بمصر فى تلك الفترة .

وكان من أهم الأهداف الاستراتيجية لهذا الجيش ، اعادة السيطرة المصرية على أرض كوش «النوبة» التى تقع وراء حدود مصر الجنوبية .

ويقول احد المؤرخين فى دراسة له عن حرب التحرير التى شنها المصريون لتحرير بلادهم من الهكسوس : «حتى يتم القضاء نهائيا على الهكسوس الذين قدموا من آسيا بأساليب وفنون حربية جديدة ، كان لابد أن يتمسك المصريون بعمقهم الاستراتيجى فى أفريقيا ، لدرجة يمكن أن يقال معها ، أن الحرب التحريرية التى شنها المصريون ضد الهكسوس ، كانت بالفعل حرباً بين أفريقيا وآسيا» .

وبالتالى فقد أصبحت تلك الفكرة الاستراتيجية ضرورة حتمية اعتنقتها مصر حتى أواخر تاريخها الفرعونى القديم .



ومن نتائج تلك الفترة أيضا أن تغيرت بعض المفاهيم الدينية التى كانت راسخة من قبل ، فقد اكتسبت طبقة النبلاء الذين كانوا يعيشون فى عصر الأسرة الثامنة عشر حقوقا دينية جديدة ، تظهر جلية فى المناظر المنقوشة «بمقابر النبلاء» [٦] بغرب طيبة .

كذلك فقد حدث تطور مماثل بالنسبة للحقوق التى اكتسبتها طبقة العسكريين الجدد التى نشأت حديثا .

لقد توحدت البلاد فى دولة واحدة ، ولم يعد هناك أى تسامح ازاء النزعات الاقطاعية كتلك التى كانت سائدة من قبل فى فترتى الاضمحلال الأولى والثانية .

وكانت مصر قد عانت كثيرا خلال فترتى الاضمحلال اللتين سادتا نظام الحكم فى مصر بعد سقوط «الدولة القديمة» فى المرة الأولى ، وبعد سقوط «الدولة الوسطى» فى المرة الثانية [٧] . بل أن ظلال الاقطاع ظلت سائدة لدرجة ما فى عهد ملوك الدولة الوسطى أنفسهم .

ولكن الحال تغير تماماً فى عصر الدولة الحديثة ، ابتداءً من ملوك الأسرة الثامنة عشر ، الذين اختطوا للحكم نظاماً شموليا مركزيا ، يخدم الهدف الاستراتيجى المتمثل فى إنشاء المؤسسة العسكرية الكبرى ، ذات القوة الهائلة التى تهدف الى توفير الأمن الاستراتيجى لمصر .

وكان التصاعد المستمر فى طبع المجتمع المصرى بالطابع الحربى ، ضرورة حتمية لمواجهة الأخطار التى تهدد مصر من جهة الشرق .

وبصفة عامة فإن هؤلاء الضباط الذين ظهروا فى بداية عصر الأسره الثامنة عشر ، كونوا طبقة اجتماعية اقتصادية جديدة ، تستمد أهميتها ونفوذها من المهام الكبرى التى كانت ملقاة على عاتقهم فى كل من المجالين العسكرى والمدنى .

وفى رأيى أن الأسباب المتراكمة التى أدت فى النهاية إلى حدوث «أزمة العمارنة» أيام «أخناتون» [٨] يمكن إرجاعها الى تلك التغييرات الهائلة ذات الطبيعة الاجتماعية ، والتى طرأت على نظام الحكم فى مصر فى تلك الفترة ، والتى كانت نتيجة مباشرة لظهور الطموحات العسكرية الجديدة .

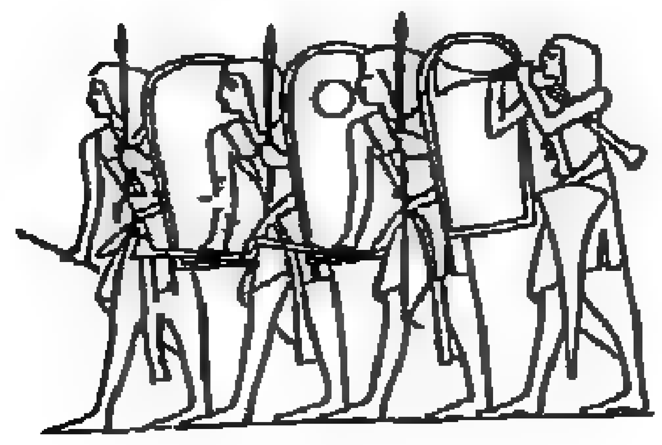
وبطبيعة الحال ، فقد بدأ صراع مرير بين هذه الطبقة الجديدة ، وطبقة الكهنة التى كانت تتحكم فى طيبة ، بكل ما فى جعبتها من أفكار وعقائد «طيبية» الأصل والمنشأ . وقد ظهرت معالم هذا الصراع بين الطبقة العسكرية الجديدة وطبقة النبلاء القديمة ، وتركت آثارها على مؤسسات نظام الحكم ، سواء فى الادارة أو فى الاقتصاد ، بل وفى العقيدة أيضا .

لقد كان هؤلاء الضباط مسلحين بالعلم والثقافة الرفيعة طبقا للنظم التعليمية التقليدية التى كانت سائدة بمصر ، الى جانب ما تزودوا به من علوم وفنون عسكرية تناسب طبيعة العصر الجديد .

ولذلك فقد كانت نتيجة الصراع بين هاتين الطبقتين فى صالح طبقة الضباط العسكريين ، على حساب طبقة نبلاء طيبة القدامى الذين كان قد استبد بهم الضعف ، وأوشكت شمسهم على المغيب .

ولا شك فى أن هذه التغييرات الإقتصادية والإجتماعية التى طرأت فى بنية نظام المجتمع المصرى ، أدت فى خلال النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، إلى ظهور الدلائل والمؤشرات التى تساعدنا كثيراً فى فهم أسباب حدوث أزمة «العمارنة» .

وفى تقديرى أن المعلومات والآراء العلمية الشائعة بين بعض المؤرخين ، عن طبيعة الصراع الذى قام بين فراعنة النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشر وكهنة طيبة ، هى آراء مبالغ فيها إلى حد بعيد ، فالحقيقة أن الصراع الفعلى كان قائما ومحتدماً بين طبقة الضباط العسكريين التى نشأت حديثاً ، وبين طبقة النبلاء المتمثلة فى العائلات الكبيرة القديمة فى منطقة طيبة .



ولعل أفضل وأوضح الأمثلة على حدوث مثل هذا الصراع ، قصة حياة «سننموت SENENMUT»[٩] ، ذلك المهندس الشهير الذى كان أقرب المقربين فى بلاط الملكة «حتشبسوت HATSHEPSOWE»[١٠]. فمن خلال تلك القصة التى حاول فيها أحد المصريين العاديين أن يسلك طريق الجندية ، لكى يصل إلى تلك المنزلة الرفيعة فى البلاط الملكى ، فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، نستطيع أن نصل إلى نتائج ومعالم ملحوظة .

لقد حصل «سننموت» على إذن وتصريح خاص من سيدته الملكية ، بأن يقوم بشعائره الدينية الخاصة .

ولعل هذا كان وراء السبب الذى دفعه إلى استغلال مهارته ومواهبه الهندسية فى نقش صورته على جدران بعض المحاريب الداخلية بمعبد الدير البحرى[١١] الذى كان يتولى الإشراف على بنائه بأمر صادر من الملكة [صورة ١]. وقد وضعت صوره هذه فى زوايا مظلمة ، وفى مناطق تصعب فيها رؤيتها واكتشافها .

وبالإضافة إلى ذلك ، وبعد أن قام «سننموت» ببناء مقبرة فخمة له فى منطقة «الشيخ عبد القرنه»[١٢] فى أثناء بداية تألقه فى المناصب الرسمية بالدولة ، رأى «سننموت» أن يضع خطة أكثر حرصاً على نفسه وعلى جثمانه بعد دفنه ، فشيد لنفسه مقبرة سرية تقع قرب الطرف الشمالى لفناء المعبد الجنائزى للملكة «حتشبسوت» بالدير البحرى . (ويمكن الوصول إلى غرفة الدفن هذه عن طريق منحدر مدرج يصل طوله إلى نحو تسعين متراً) .

وهذا يدل على أن «سننموت» كان خائفاً من إنتقام أعدائه من طبقة نبلاء طيبة ، وليس من المعقول أنه كان خائفاً من الصبى الصغير الذى أصبح فيمابعد «الإمبراطور تحوتمس الثالث» كما يرى بعض المؤرخين .

ويقول «ر. فيركوف R.VIRCHOV» فى ملاحظاته على مومياء «تحوتمس الثالث»[١٣] التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى[١٤] : «انه كان بالضرورة صبياً صغيراً

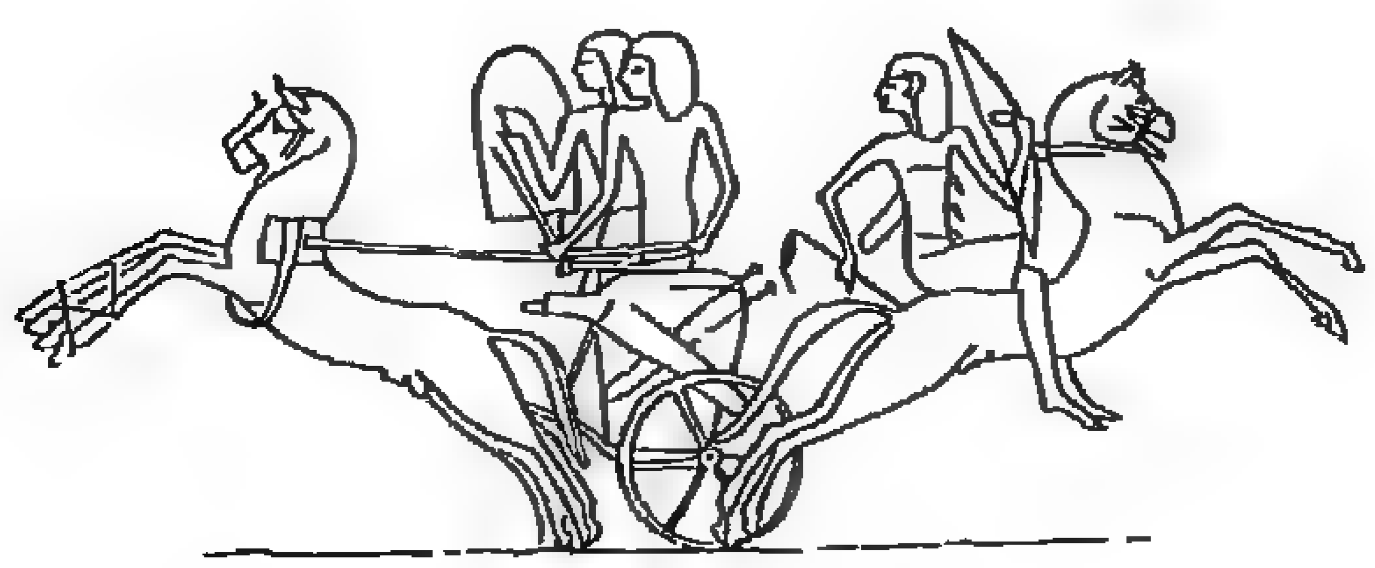
حين اشركته «حتشبسوت» معها فى حكم البلاد وادارة شئون الدولة ، وأنه مات وهو في الرابعة والخمسين» .

ولقد اختفى ذكر «سننموت» تماماً ونهائيا فى خلال العام السادس عشر من حكم الملكة «حتشبسوت» فى حين انها ماتت بعده بنحو خمس أو ست سنوات .

ومن السهل تبرير مخاوف سننموت فى ضوء التقاليد الاجتماعية التقليدية التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى فى طيبة ، حيث استكثرت طبقة نبلاء طيبة عليه أن يصل إلى تلك المنزلة الوظيفية الرفيعة فى الدولة ، رغم أصله المتواضع ، أو بالأحرى لأنه لا ينتمى إلى الطبقة العليا منذ البداية .

وقد تم اكتشاف مقبرة «سننموت» بواسطة «هـ.ونلوك H.WINLOCK» فى سنة ١٩٢٧ . وقد وجدت صور «سننموت» المنقوشة على الجدران مشوهة تماماً ، رغم أن إسم الملكة «حتشبسوت» الذى كان منقوشا على نفس الجدران وجد سليما لم يمس .

ومن الواضح أن «سننموت» الذى بدأ طريقه فى السلك العسكرى إلى أن وصل إلى تلك المكانة الرفيعة فى الدولة ، كان يعرف تماماً مدى قوة أعدائه وطبيعة الأخطار التى كانت تحيط به نتيجة لذلك . وكان طموح ذلك الجندى الشاب الذى عاش فى فترة حكم الملوك الأوائل فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، طموحاً تحيط به الأخطار من كل جانب . كما كان سقوطه المفاجىء حين فقد مساندة الملكة أمراً شديد الاحتمال إذا ما تفهمناه فى ضوء تلك الظروف التى سبق شرحها .



ولا شك فى أن الظروف التى سادت الامبراطورية المصرية خلال فترة حكم ملوك الأسرة الثامنة عشر ، قد تركت بصماتها الحربية على كل مناحى الحياة المصرية .

وكان من الضرورى أن تستمر حالة التأهب العسكرى والاستعداد الفورى التام ، لتجهيز وتوجيه الحملات الحربية للقضاء على أية قلاقل أو إضطرابات أو ثورات تحدث فى بلاد النوبة أو فى البلاد السورية .

كما كان من الضرورى أيضا ، أن تستمر الدولة فى اعداد الجيوش التى يتولى قيادتها الفراعنة بأنفسهم ، وتجهيز هذه الجيوش بكل ما يلزمها من عدة وسلاح وتموين ، الأمر الذى كان يتطلب حتما وضع كل موارد الدولة فى حالة شبيهة بحالة التعبئة والاستنفار المستمرة .

وتتضح آثار هذه الظروف كلها ، فيما تركته هذه الأسرة من نقوش وكتابات على جدران المعابد والمقابر ، وفى التقارير المدونة عن نشاط دبلوماسى بلغ حد الذروة ، لدرجة يمكن القول معها بأن « الطابع الحربى» العام ، كان أبرز المعالم فى تاريخ الأسرة الثامنة عشر .

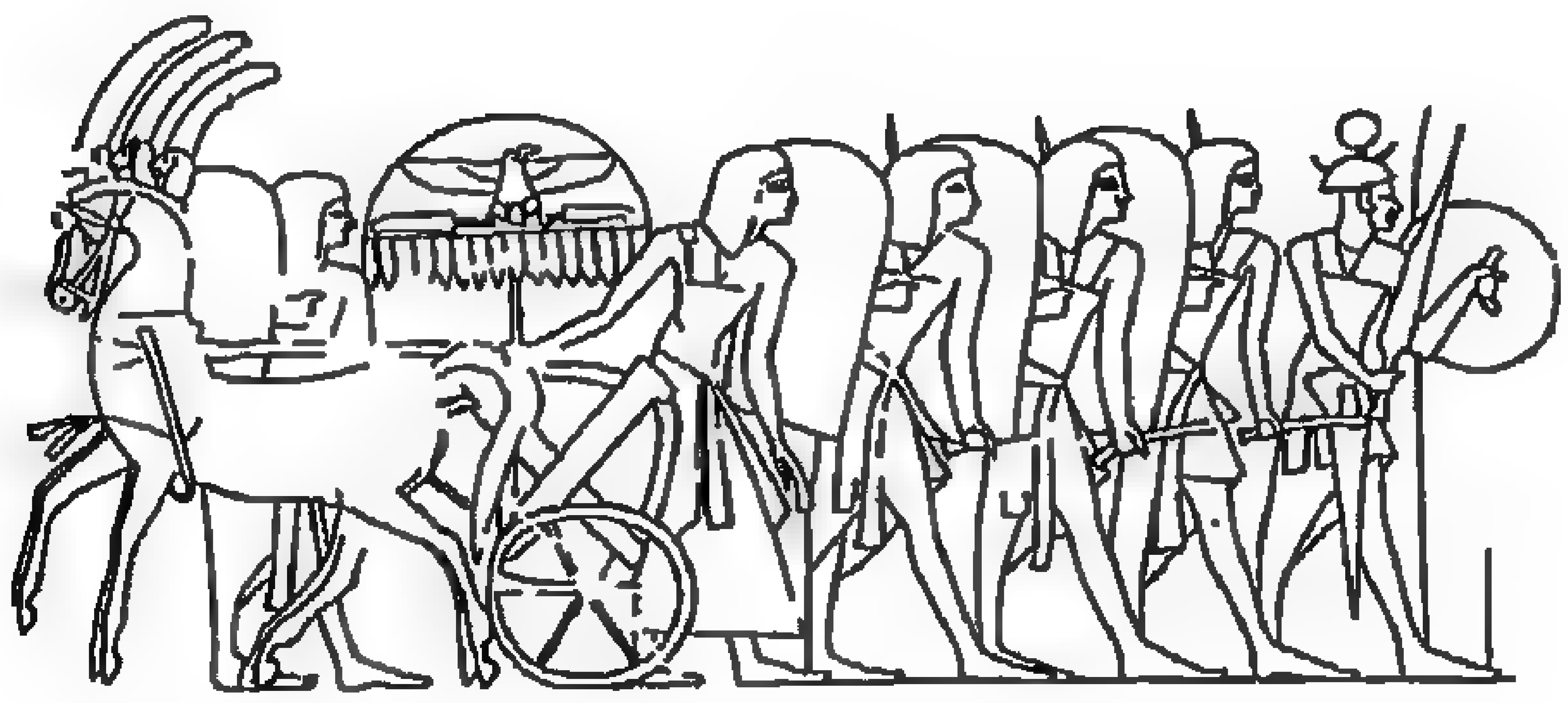
بل لقد ظهرت صيغ مبتكرة جديدة ، استخدمت فى المدونات والنصوص الحربية ، وتدل هذه الصيغ على مدى قدرة الكتاب المصريين على تطويع لغتهم لتتناسب مع الرغبة فى التعبير عن تلك الظروف والأحوال الجديدة .

وعلى سبيل المثال ، فقد ظهرت صيغة تعبيرية عرفت باسم صيغة «إو – تو iw - tw» كما استخدم الكتاب المصريون أساليب جديدة للتعبير باختصار عن وصف المعارك الحربية التى خاضها الملوك ضد الأعداء ، بكل ما فى تلك المعارك من أوصاف ومعلومات وأخبار ، مع مراعاة الإيجاز الشديد ، لكى تتناسب الكتابة مع حجم ومساحة النصب الحجرى التذكارى أو الجدار الذى ستدون عليه .

وقد ظلت هذه الصيغ والأساليب الجديدة مستخدمة فى هذا الغرض طوال فترة الامبراطورية المصرية ، بل واستمر استخدامها حتى عصر الأسرة السادسة والعشرين (١٥) .

وهناك العديد من الآثار التى يرجع تاريخها إلى فترة «الدولة الحديثة» بأسرها ، تمثل بدقة هذا الطابع الحربى الذى ساد فى كتابات ومدونات تلك الفترة ، فهناك النصب التذكارية التى تحكى تاريخ حياة الملوك وعملياتهم الحربية ضد الأعداء ، وهناك النصوص الكتابية والتقارير المصورة عن أخبار المعارك منقوشة أو منحوتة بالنحت الغائر أو البارز على جدران المعابد . وهناك نصوص لمراسيم تعيين واختيار الضباط وقادة الجيوش أوالحملات العسكرية ، إلى غير ذلك من الكتابات والمدونات التى تأخذ الطابع الحربى والعسكرى .

حتى أثناء فترة «السلام» التى سادت خلال حكم الملكة «حتشبسوت» فإن المصطلحات والتعبيرات الحربية ظلت مستعملة ، حتى فى وصف أخبار «البعثة» «مشع mšᶜ» التى أرسلتها الملكة على السفن البحرية للمتاجرة السلمية مع بلاد «بونت PUNT»[١٦] جنوب البحر الأحمر . بل أن لفظ «مشع» الذى أطلق على تلك البعثة ، يعتبر من الألفاظ التى يقتصر استخدامها على المدونات والتقارير الحربية . ومعنى هذا اللفظ ببساطة ، هو «الحملة» أو «الجيش» .



الفصل الأول

الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الجيش الامبراطورى فى عصر الأسرة الثامنة عشر .
المبحث الثانى : السياسة الامبراطورية فى النوبة ، ووظيفة «نائب الملك فى كوش» .
المبحث الثالث : بعض الملاحظات على تنظيم الجيش .
المبحث الرابع : استخدام الجنود الأجانب فى الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر .
المبحث الخامس : المؤثرات الثقافية الأجنبية .
المبحث السادس : الضباط المقاتلون .
المبحث السابع : الدور التثقيفى للضباط المعلمين .
المبحث الثامن : الكتاب العسكريون .
المبحث التاسع : دور الطبقة العسكرية الجديدة فى المجتمع المصرى .
المبحث العاشر : الخلفية التعليمية للضباط .

المبحث الأول

الجيش الامبراطورى فى عصر الأسرة الثامنة عشر

على أرض مصر ، ظهرت لأول مرة فى تاريخ العالم القديم بأسره ، فكرة الاستخدام الاستراتيجى للقوات المسلحة ، على أساس تقسيم الجيوش المحاربة إلى ألوية وأجنحة مستقلة فى حد ذاتها ، ولكنها فى النهاية تعمل تحت قيادة مركزية موحدة .

وقد تم هذا التطور الحربى الهائل على أيدى الفراعنة الأوائل من ملوك الأسرة الثامنة عشر .

ولاشك فى أن هذا التطور كان منطقيا، نتيجة للقدرة الادارية الفذة التى كان يتصف بها نظام الحكم بمصر ، والتى اكتسبها من تراكم خبرات تاريخ طويل فى تنظيم وادارة دفة الحياة على أرض وادى النيل .

كذلك فقد كان هذا التطور نتيجة للأثر النفسى الذى تركته تجربة مصر المريرة مع الغزاة الهكسوس ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى ظهور وتأسيس أول مؤسسة عسكرية فى تاريخ العالم ، تتمتع بأعظم قدر من القوة الاستراتيجية .

لقد بدأت مصر فى استخدام «الخيل» كأداة من أدوات الحرب ، كما بدأت فى استخدام «المركبات الحربية» التى تجرها الخيول ، وذلك منذ عهد «كاموسى KAMŌSE»[1] وعهد «أحمس AMOSIS»[2] محرر مصر من الهكسوس . بل ويمكن القول بأن بداية استخدام هاتين الوسيلتين فى الحرب ، ترجع إلى فترة احتلال الهكسوس لمصر ، حين أخذ المصريون يتدربون لمحاربة المحتلين وطردهم من البلاد .

وفى رأيى أن العبرة ليست فى بداية استخدام المركبات أو العربات الحربية ، وانما فى الطريقة الجديدة الفذة التى ابتكرها المصريون فى تطويع تلك الأداة لمقتضيات المعارك الحربية . وتعتبر هذه الطريقة المصرية الجديدة ، ثورة حقيقية فى تاريخ الفكر والأداء العسكرى ، وتدل بشكل قاطع على أن المصريين هم أصحاب هذا التطوير الفذ فى استخدام المركبات فى المعارك الحربية . ولم يكن المصريون قادرين على مثل هذا التطوير ، لولا مواهبهم المتأصلة فى عمليات التنظيم والادارة .

كذلك فقد بدأ المصريون فى تطبيق الأفكار الحربية الاستراتيجية . وقد لعبت «المناورات» الاستراتيجية التى كانت تجريها الفرق والجيوش المصرية دوراً حاسماً فى كسب المعارك فى ميادين الحرب والقتال ، وذلك بفضل التدريب المستمر والمناورات العملية التى كان يشترك فيها «المشاة» متعاونين مع راكبى الخيول من الفرسان ، وراكبى المركبات الحربية من الرماة ، مع التدريب على جميع الحركات التكتيكية بين كل هذه الوحدات وبعضها ، بشكل يجعلها فى النهاية قادرة على احراز النصر بصفة مؤكدة فى أية معركة تدخلها مع العدو ، مهما كان شكلها .

وبكل المعايير تعتبر الحملات الحربية التى قام بها «تحوتمس الثالث» والنصر الذى حققه فى موقعة «مجدو MEGIDO»[٣] وعبور نهر «الفرات» ليفتح بلاد «ميتانى MITANNI»[٤] ، قمة للاستراتيجية الحربية تحدث لأول مرة فى تاريخ العالم القديم .

أما قيام «تحوتمس الثالث» بوضع خطة التعاون والتنسيق بين تحركات سفن الاسطول المصرى ، والجيوش البرية المصرية المتجهة بقيادته نحو الشمال ونحو الشرق ، فيعتبر من الأدلة القاطعة على العبقرية الحربية المتفردة لهذا الفرعون العظيم ، وعلى مدى قدرته الفائقة على تنظيم وادارة الجيوش المصرية بطريقة تحدث لأول مرة فى تاريخ مصر العتيد [خريطة ١].

واذا وضعنا فى الاعتبار معايير ومبادىء الحرب التى مازالت مطبقة حتى الآن – من الناحية الأكاديمية – فى الجيوش الحديثة ، فإن الخطط الحربية التى نفذها «تحوتمس

الثالث» والمناورات التى كان يجريها لجيوشه ، تعتبر امثلة رائعة لتطبيق مبادىء وأسس «الاستراتيجية» على أعلى مستوى .



هذا الاستخدام المصرى الجديد للعجلات الحربية ، أعطى لجيش الأسرة الثامنة عشر قدرة هائلة على الهجوم والسيطرة فى جميع المعارك التى خاضها .

وكان سلاح « المركبات الحربية» قادراًعلى العمل وحده فى خوض المعركة ، بالاضافة إلى قدرته على التعاون الوثيق مع سلاح المشاة ليخوض معه المعارك جنبا إلى جنب .

ولأول مرة فى تاريخ العالم ، يستخدم سلاح المركبات الحربية بكثافة وبأعداد كبيرة ، بحيث يستطيع سحق مقاومة العدو بقوة ضاربة هائلة . وبذلك تمكن الجيش المصرى من فتح بلاد شاسعة الارجاء .

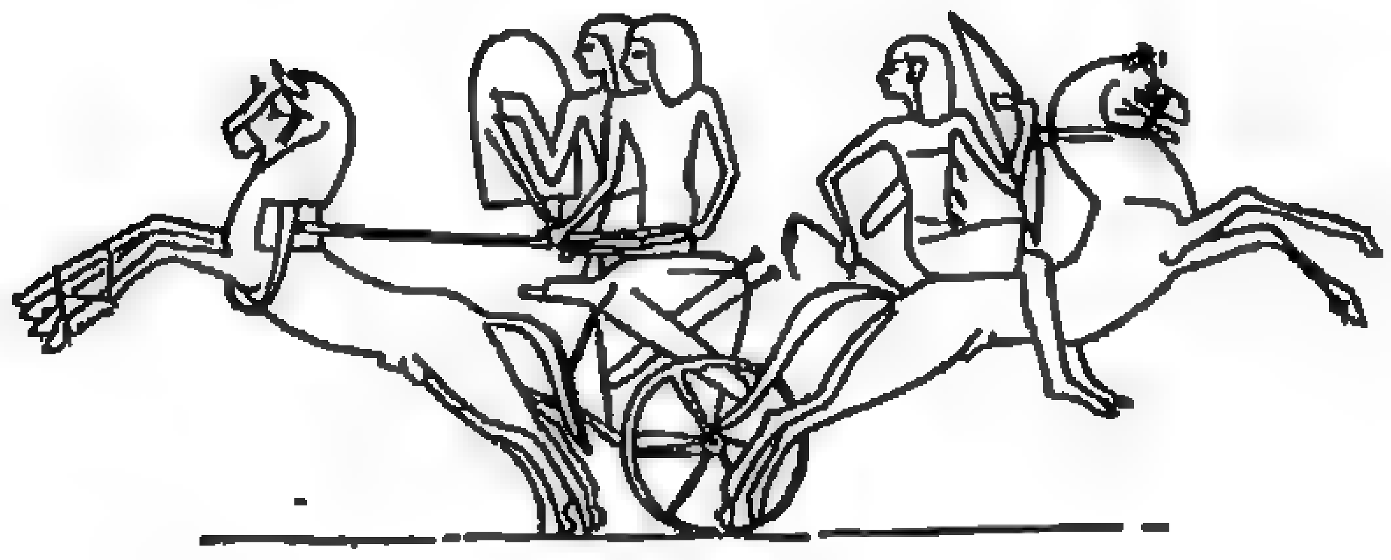
وكانت وظيفة سلاح المركبات الحربية مماثلة تماماً لوظيفة «سلاح الفرسان» أو «سلاح الدبابات» فى الجيوش الحديثة .

وقد قام عالم المصريات «ج.هـ.برستد J. H. BREASTED» بدراسة وتحليل الخطة الحربية التى وضعها «تحوتمس الثالث» للهجوم على «مجدو» ، والمناورة الجريبية التى درب عليها جيشه فى اليوم السابق على المعركة ، وقال عنها أنها خطة متقنة ومناورة ناجحة ليس لها أية سوابق فى تاريخ الدول الأخرى ، وتدل على عبقرية «تحوتمس الثالث» كقائد حربى عظيم .

ويقول «برستد» فى هذا الشأن : «... وفى أوائل أكتوبر، عاد «تحوتمس الثالث» إلى مصر ، ووصل موكبه إلى العاصمة طيبة . وكان قد غاب عنها نحو ستة شهور ، منذ أن غادر حدود مصر متجهاً إلى فلسطين . وقد قام تحوتمس بكل عملياته الحربية خلال «فصل الجفاف» بتلك البلاد ، وهى فكرة صائبة فى اختيار الوقت المناسب . وحتى نعرف الصعوبات التى تكتنف عمليات الهجوم من مصر على فلسطين ، يمكن أن نقارن النجاح الذى احرزه تحوتمس فى فتح تلك البلاد وانتصاره فى موقعة «مجدو» ، بالفشل الذى لحق بنابليون حين خرج بجيشه من مصر متجهاً إلى فلسطين عبر نفس الطريق ، محاولاً فتح عكا»[٥].

هذا ويمكن بمقارنة خطة «تحوتمس الثالث» بالخطة الحربية التى نفذها «الفيلد مارشال اللنبى ALLENBY» لفتح فلسطين وسوريا فى خلال الحرب العالمية الأولى .

ولولا التنظيم الدقيق والصرامة المتناهية فى أقرار النظام ، لما استطاع الجيش المصرى أن يقوم بإنجاز العمليات المطلوبة .



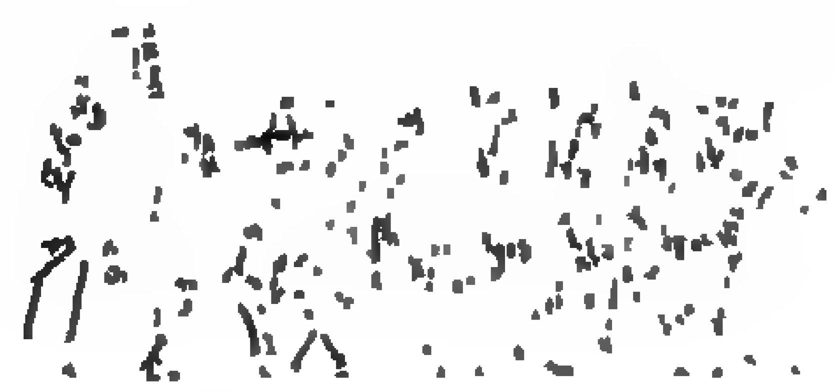
ولقد تحقق التفوق فى «آلة الحرب» المصرية ، والتفوق الهائل للجيش المصرى ، منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر قبل الميلاد ، واستمر بلا انقطاع لمدة تصل إلى نحو مائتى سنة متصلة .

واذا قمنا بمقارنة المستوى الحربى للجيش المصرى فى عصر «الدولة الحديثة» بمستوييه الآخرين فى «الدولة القديمة» و «الدولة الوسطى» للمسنا على الفور مدى التفوق الذى بلغه الجيش فى عصر «الدولة الحديثة» .

وتقول «موسوعة كمبردج فى التاريخ القديم» عن هذا الجيش : «كان جيشاً وطنيا هائل الحجم ، يتألف معظمه من جنود محترفين ، سواء من الجنود العاملين فى الخدمة العسكرية أو جنود الاحتياط ، ويقوم على قيادته ضباط محترفون مدربون على أعلى مستوى ، ويؤدون وظائفهم وواجباتهم الحربية فى ادارة الفرق والاسلحة المنوطة بهم قيادتها ، بشكل منظم ومنسق ودقيق ، كما لو كانوا حلقات مترابطة فى سلسلة القيادة العامة ...» .

ومن هذا النص يظهر بوضوح أن المصريين هم أُول من كون «هيئة الضباط» أو «هيئة أركان حرب» التى تؤدى وظيفة العقل الادارى والتنظيمى والحربى فى الجيوش الحديثة حتى الآن .

وفى عصر الأسرة الثامنة عشر ، بدأ تزويد الجيش المصرى بأسلحة جديدة . كما بدأ استخدام هذه الأسلحة بطريقة تعتبر ثورة غير مسبوقة فى التكتيك الحربى ، حتى أصبحت جميع وحدات هذا الجيش تتمتع بقوة ضاربة هائلة ، الأمر الذى نتج عنه فى النهاية تغييرات عميقة فى مفاهيم التكتيك والاستراتيجية . كما أدى أيضا إلى ضرورة اقامة المنشآت الصناعية المتخصصة فى صناعة أنواع الأسلحة المختلفة التى تتطلبها ألوية الجيش وفرقه ، بالاضافة إلى الرصيد الهائل المتمثل فى احتياطى القوى البشرية بداخل البلاد المصرية .



ولاشك فى أن هذا الإحساس الذاتى بالقوة الحربية كان له أثر كبير فى الفكر الدينى والدنيوى فى مصر .وعلى سبيل المثال فقد أعلن «تحوتمس الثالث» بوضوح أن الهدف من قيامه بحملته الأولى فى البلاد الآسيوية ، هو توسيع ومد الحدود المصرية تنفيذاً لوصية ورغبة أبيه «الإله آمون رع» [٦] [صورة ٢] .

كذلك فقد أعلن «أمنحتب الثانى» أن الإله «آمون» قد ظهر له فى الحلم وبشره بالنصر المؤكد فى معاركه ضد البلاد الآسيوية [صورة ٣] .

وقد وهب «تحوتمس الثالث» جميع انتصاراته الحربية فى الشمال وفى الجنوب إلى الإله آمون رع .

كذلك فقد ظهرت الكثير من التراتيل الدينية ذات الصبغة العسكرية ، كما نسبت أقوال إلهية نطق بها الآلهة المصريون تمجيد وتعظيم الإنتصارات التى كان يحققها الفراعنة المحاربون .

بل ويمكن القول بأن المعابد الدينية التى أنشئت فى عصر الأسرة الثامنة عشر قد تأثرت بعمق بالروح الحربية التى سادت ذلك العصر ، سواء فى تصميماتها المعمارية أو فى زخارفها أو فى مظهرها العام . وعلى سبيل المثال ، نلاحظ أن «القاعة الكبرى» المشيدة على شرق معبد آمون بالكرنك [٧] قد صممت على شكل خيمة حربية،فضلاً عن اقامته الدائمة بقدس أقداس المعبد .

وبطبيعة الحال ، قد أدت هذه الروح الحربية إلى ظهور نعرة التفاخر والزهو بشرف الإنتماء إلى الخدمة العسكرية وإلى السلك العسكرى بصفة عامة . وقد منحت الألقاب والأنواط والميداليات إلى الضباط وإلى الجنود على حد سواء ، وذلك تمجيداً لشجاعتهم وتفانيهم فى أداء الخدمة وواجباتهم العسكرية . فهناك لقب « شجعان الملك» و «النوط الذهبى للمجد» و «النوط الذهبى للشجاعة» .

ولم يقتصر منح هذه الأنواط على رجال السلك العسكرى فحسب ، بل منحت أيضا لبعض رجال الخدمة المدنية . ويقول «ف.هلك W. HELCK» فى ذلك : «ان ألقاب الشرف والميداليات والأنواط لم تمنح للضباط والقادة العسكريين فحسب ، بل منحت ايضا لبعض (المدنيين) الذين كانوا يصحبون الملك فى خلال غزواته وحملاته العسكرية» .. وأورد «هلك» بعض أسماء كبار الموظفين الذين منحوا الأنواط وألقاب الشرف مثل :

- «امنحتب نائب الملك وحاكم كوش – النوبة» فى عهد تحوتمس الرابع .
- «سنوفر SENNOFER» وزير الخزانة فى عهد تحوتمس الثالث .
- كما منح لقب «مر – بر – ور mr-pr-wr» (ومعناه المشرف على ادارة ممتلكات

الخاصة الملكية)لكل من «وسر WESSER» و «باكى BAKI» وهما من كبار الموظفين فى عهد تحوتمس الأول . والملاحظ أن لقب «قن kn» وهو لقب عسكرى معناه «القوى» والذى كان يسبق اسم كل من هذين الموظفين ، يشير إلى احتمال انهما كانا من رجال السلك العسكرى قبل تقلد الوظيفة المدنية .

ولاشك أن منح ألقاب الشرف العسكرية سواء للعاملين فى السلك العسكرى أو للعاملين فى السلك المدنى والادارى ، يعتبر خير دليل على سيادة الروح الامبراطورية التى سادت ذلك العصر .

أما «القائد الأعلى» للجيش الامبراطورى المصرى ، فكان منصبا قاصراً على الملك وحده ، كما أن «ولى العهد» كان يتولى عادة منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» وكان يقيم فى مقر «القيادة العامة» للقوات المسلحة بمدينة «منف» (٨) .

وقد أدى استخدام ألقاب الشرف ومنح الأنواط والميداليات سواء لرجال السلك العسكرى العاملين بالخدمة ، أو الذين أنيط بهم تولى المناصب الادارية المدنية بعد ترك الخدمة ، أو لكبار الموظفين المدنيين العموميين إلى ظهور «تعبيرات مجازية» غيرت فى طابع واسلوب «اللغة» المصرية بشكل غير مسبوق من قبل .

فقد دخلت على اللغة تركيبات واوصاف وتشبيهات جديدة لم تكن مستخدمة من قبل فى وصف وتمجيد شجاعة الجيش وحسن ادائه . وقد ظلت هذه الأساليب مستخدمة حتى عهد «رمسيس الثالث» الذى كتب على جدران «مدينة هابو MEDINET HABU» (٩) يصف شجاعة جنوده بأنهم «.. كانوا يزأرون كالأسود فى الجبال» .

كما وصفت إحدى الوحدات العسكرية فى عهد «تحوتمس الثالث» بأن جنودها هم «شجعان الملك» .

ولا جدال فى أن تمجيد وتكريم الجنود العاديين والاشادة بشجاعتهم على هذا النحو ، يعتبر بوضوح منهجاً جديداً فى المفاهيم التقليدية المصرية التى كانت توعز الانجازات والانتصارات الحربية إلى الملك وآبائه من الآلهة .

كذلك فقد ظهرت تعبيرات عسكرية أخرى مثل : «جيش صاحب الجلالة» وتعبير «جيشنا» .



المبحث الثانى

السياسة الامبراطورية فى النوبة
ووظيفة «نائب الملك فى كوش»

تجددت فكرة ضم بلاد النوبة نهائيا إلى الأراضى المصرية فى عهد «أحمس» الذى تم على يديه تحرير البلاد من الغزاة الهكسوس . فقد أدرك «أحمس» مدى الأهمية الاستراتيجية للنوبة ، باعتبارها مصدراً للذهب ، ومورداً للقوى البشرية .

وكان حكام طيبة قد ادركوا خلال حروبهم من أجل تحرير البلاد من الهكسوس ، مدى ضرورة إجراء تغيير منطقى معقول لمفهوم « الدولة» فى مصر . وتوصلوا بوضوح إلى أن السياسة التى تؤدى إلى تكوين « امبراطورية» مصرية هى البديل الوحيد . وهذه السياسة هى التى أدت إلى التعجيل باحتلال النوبة فى أسرع وقت ممكن .

وحتى فى خلال تقلص السيادة المصرية على مستعمراتها فى آسيا ، أثناء أزمة «العمارنة» فإن النوبة ظلت مرتبطة بمصر ، ولم تحدث بها أية قلاقل أو اضطرابات ، ولم يؤدى هذا التقلص إلى أى رد فعل فى هذه البلاد .

وهذه العلاقة الخاصة بالنوبة ، كانت بفضل الحنكة السياسية والعسكرية «لنواب الملك» الذين كانوا يحكمون النوبة VICEROYS OF CUSH . والذين كانوا يحملون عادة لقب «ابن الملك وحاكم كوش» . وقد ظهر هذا اللقب بهذا المضمون الرفيع لأول مرة فى عهد «امنحتب الأول » (الأسرة الثامنة عشر) واستمر قائما ومستخدماً حتى الاسرة الحادية والعشرين . وبالتحديد فى عهد«بى عنخ PAY ONKH» [1] نائب الملك وحاكم كوش ، والذى تولى العرش بعد أبيه «الملك حريحور HERIHOR» [2] .

ومنذ بداية حكم الأسرة الثامنة عشر ، صدر قرار بضم الولايات الثلاث الاخيرة فى الوجه القبلى إلى بلاد النوبة فى «وحدة» ادارية واحدة ، تخضع لحكم «نائب الملك وحاكم النوبة» . ونتيجة لهذا القرار ، فقد أصبح من السهل على الدولة المصرية أن تسيطر تماماً على مناجم الذهب ، سواء مايقع منها فى «وادى علاق – WADI ALLAKI» بالنوبة ، [٣] أو ما يقع منها فى وديان الصحراء الشرقية الممتدة من «الراديسية RADESIA» قرب مدينة إدفو الحالية حتى سواحل البحر الأحمر .

ويمكن القول بأن الثروات الأسطورية التي ظهرت بمصر خلال فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، والتى مكنت هذه الأسرة من إنشاء عمائرهم الدينية الرائعة فى طيبة وفى غيرها من الجهات المصرية ، انما ترجع بصفة أساسية إلى عائدات مصر من تلك المناجم .

ولقد شاعت تسمية مصر بأنها «أرض الذهب» بين دول العالم القديم ، كما ظهرت هذه التسمية أيضا فى «رسائل تل العمارنه» .

وهذا الاستخدام التقليدى لمنصب ولقب «نائب الملك وحاكم كوش» ظل قائماً حتى الأسرة الحادية والعشرين ، ثم استخدم فيما بعد كلقب من ألقاب التشريف والتبجيل حتى أواخر التاريخ الفرعونى المصرى [صورة ٤].

وانى أميل إلى الاقتناع بأن المسئوليات التى كان يباشرها «نائب الملك وحاكم النوبة» كانت تغلب عليها الصفة العسكرية ، بحيث أصبح من المستحيل تماماً أن يتولى هذا المنصب أحد كبار الموظفين المدنيين الذين ينتمون إلى العائلات العريقة فى طيبة .

وكان «تورى TURI» [٤] هو أول المعروفين الذين تولوا منصب «نائب الملك وحاكم النوبة» . وقد أطلق عليه أيضا لقب «ابن الملك وحاكم كوش» . وكان «تورى» هذا يشغل منصب «قائد منطقة بوهن – BUHEN» [٥] [صورة ٥] .

١٤

وطبقا لنص عثر عليه فى «سمنه SEMNA» بالنوبة [٦] ، كتب تورى : «انه فى السنة السابعة من حكم الملك ‹ امنحتب الأول › منح وظيفة ‹ نائب الملك وحاكم كوش › . وأطلق عليه لقب ‹ابن الملك فى الأراضى الجنوبية» .

وعثر على نص آخر فى جزيرة «يوروناريتى URONARTY» يقول عن «تورى» : «أنه فى السنة الثامنة من حكم الملك ‹امنحتب الأول› أصبح يوصف بأنه : «الأمير بالوراثة ، الحاكم ، حامل أختام ملك مصر . ‹ سمر smr › أى الياور أو السمير المحبوب من الملك فى الأراضى الجنوبية . ابن الملك ...»

وفى بداية حكم الملك «تحوتمس الأول» [صورة ٦] ظل «تورى» يحمل لقب «ابن الملك» ولقب «حاكم الأراضى الجنوبية» .

ويتضح لنا من قصة «تورى» أنه نموذج للموظف الإمبراطورى التقليدى ، الذى أنيط به تنفيذ مهام وواجبات ذات طبيعة عسكرية وسياسية فى نفس الوقت . وتذكرنا الألقاب التى حملها «تورى» بتلك الالقاب التى منحت فيما بعد ، إلى بعض الضباط المصريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، الذين تولوا نفس المنصب ، وأنيطت بهم مسئوليات عسكرية سياسية مماثلة ، وإن كانت أعلى مستوى من الناحية الإستراتيجية .

ويرى «ف . هلك» أن «تورى» لم يحرص على ذكر ألقاب وظيفته العسكرية السابقة ، التى كان يتولاها أثناء الخدمة العسكرية ، وذلك لأن معظم الموظفين الكبار الذين تولوا مناصب مدنية عليا ، وكانوا فى الأصل من السلك العسكرى ، كانوا لايحرصون على ذكر رتبهم أو ألقابهم العسكرية السابقة .

أما لقب «ابن الملك» فلايجب أن يؤخذ بترجمته الحرفية ، فقد ثبت أن كثيرين ممن حملوا هذا اللقب ، كانوا من «أصل متواضع» ولاينتمون إلى الاسرة المالكة من قريب أو بعيد .

وعلى سبيل المثال ، فإن «تتيكى TETIKY» الذى حمل هذا اللقب فى عهد «أحمس» كان قد سجل على جدران مقبرته حرفة أبيه الذى كان يعمل «مشرفا على الحديقة» كما ذكر أن أمه امرأة عادية كانت تسمى «سنسونب SENSONEB» .

ويقول «ى.فون بكرات J.VON BECKERATH» ان لقب «ابن الملك» قد يوحى فى ظاهره بأن الذى يحمله هو ابن الملك بالفعل ، أو ينتمى إلى الاسرة المالكة على الأقل ، ولكن ليس هناك أى دليل يؤيد هذا الافتراض . ولا يوجد بين من تولوا منصب «نائب الملك وحاكم النوبة» والذين كانوا يحملون لقب «ابن الملك» غير شخص واحد كان ابنا للملك بالفعل ، وهو «بى عنخ PAY ONKH» ابن «حريحور» القائد الحربى الشهير ، والذى شغل أيضا وظيفة كبير الكهنة إلى أن تولى العرش وقام بتأسيس الأسرة الحادية والعشرين المعروفة بأسرة كهنة طيبة .

وكما قلنا من قبل ، أن الذين تولوا منصب «نائب الملك» كانوا يحجمون فى أغلب الأحوال عن ذكر ألقابهم العسكرية التى منحت لهم أثناء توليهم الخدمة العسكرية وقبل تعيينهم فى منصب نائب الملك ، وذلك فيما عدا بعض الحالات النادرة .

وعلى سبيل المثال أيضا ، فإن «سنى SENI» الذى شغل منصب نائب الملك فى عهد «تحوتمس الأول» قد تم تعيينه على أساس انه «نائب الملك وحاكم النوبة» و «المشرف على الأراضى الجنوبية» .

وقد استمر «سنى» فى هذا المنصب حتى عهد «تحوتمس الثانى» الذى منحه لقب المشرف على صوامع غلال آمون» .ولقب «حاكم المدينة الجنوبية – طيبة» .ولقب «ابن الملك وحاكم كوش» . وذلك بالاضافة إلى لقب «المشرف على الاراضى الجنوبية» .

وفى مقبرة كل من «نيهى NEHI» و «وسر – ساتت WOSER - SATET» وقد توليا منصب نائب الملك واحدا بعد الأخر فى عهد «تحوتمس الثالث» ثم «امنحتب الثانى» [صورة ٧ ، ٨]وهما الملكان اللذان يعتبران من سادة الحرب بين ملوك الاسرة الثامنة

عشر ، لا نعثر على أية إشارة إلى الألقاب العسكرية التى كان يحملها كل من هذين النائبين أثناء خدمتهما العسكرية . وهذا يؤيد وجهة نظر «ف . هلك» حول احجام كبار الموظفين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، عن ذكر ألقابهم ورتبهم العسكرية السابقة على توليهم منصب نائب الملك . هذا بالرغم من أن المنصب الذى تولاه «نيهى» نائب الملك فى عهد «تحوتمس الثالث» كان من صلاحياته أن يحكم مناطق شاسعة تمتد جنوبا من «كاراج KARAJ» قرب مدينة «نباتا NAPATA» (٧) عند الشلال الرابع ، وتصل شمالا حتى مدينة «نخب NEKHEB» – الكاب حاليا (٨) – بالأراضى المصرية . وهذه المسئولية الخطيرة كان يتولاها الضباط بصفة عامة .

وفى عهد «امنحتب الثالث» (٩) الذى يتصف بأنه الملك المسالم ، نجد ظاهرة جديرة بالتسجيل ، فقد قام بتعيين أحد كبار الضباط فى منصب «نائب الملك وحاكم النوبة» وكان اسمه أيضا «امنحتب» . وهوأول ضابط مصرى يتولى هذا المنصب ويذكر بعضاً من ألقابه العسكرية . فقد ذكر ضمن ألقابه الأخرى ، لقب «المشرف على اصطبلات الخيول الملكية» وهو لقب عسكرى صريح ، كما ذكر لقب «فارس الملك» وهو يدل على أنه كان ضابطا بسلاح الفرسان أو بسلاح المركبات الحربية . كذلك نلاحظ أن «امنحتب» نائب الملك ، كان أول ضابط يضيف إلى ألقابه لقب «ابن الملك وحاكم كوش» . ولعل ذلك كان وسيلة لتمييزه عن ابن الملك الحقيقى وولى عهده الأمير «امنحتب الرابع» الذى أصبح فيما بعد «اخناتون» .



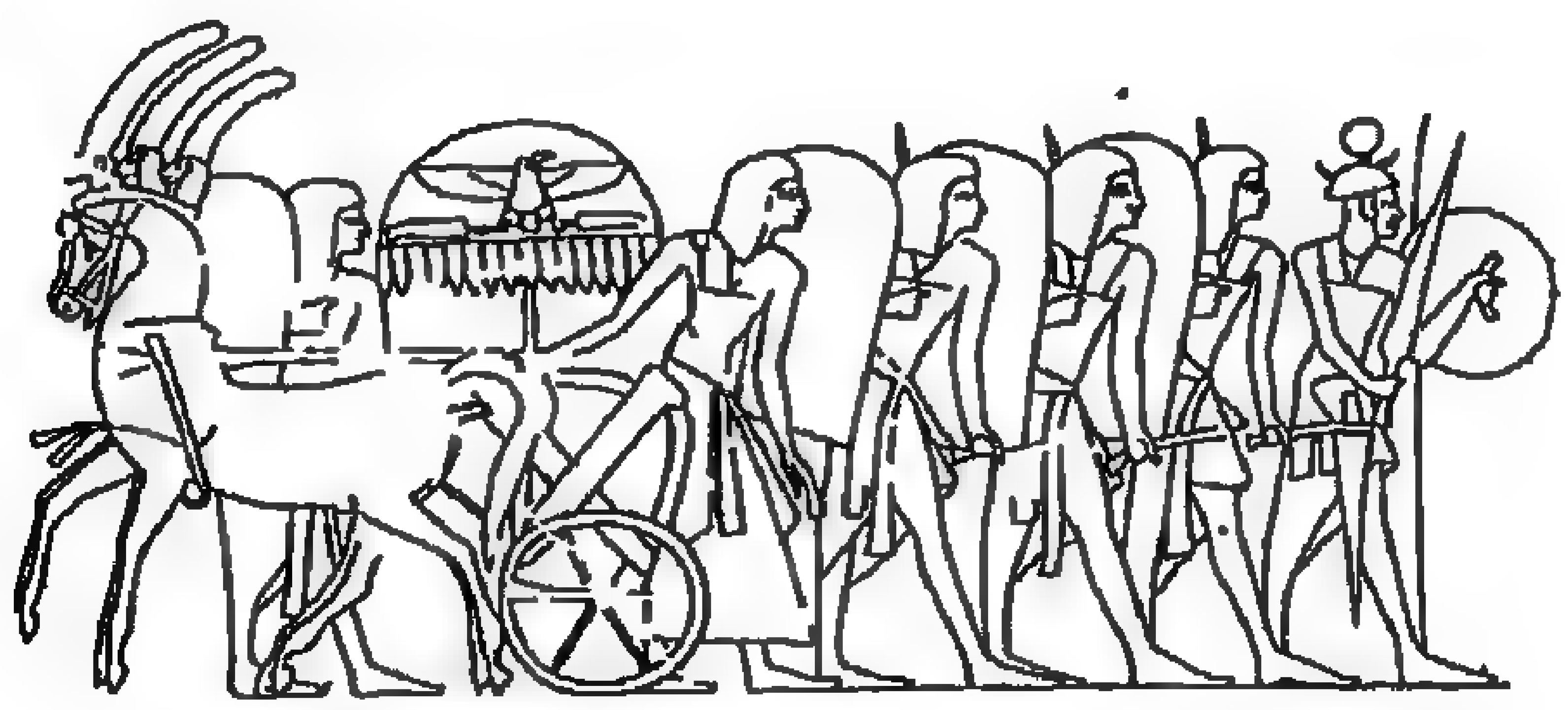
ونخلص من هذا بأن وظيفة «نائب الملك» كانت تعتبر من الوظائف الامبراطورية العليا ، وأن من يشغلها كان يمثل سلطة الحكم ويمثل الملك نفسه .

وفى عهد «امنحتب الثالث» تولى هذه الوظيفة ضابط كبير اسمه «مرمس MERMES» وكان يحمل لقب «حامل المروحة على يمين الملك» وهو لقب لم يكن يمنح إلا لأصحاب المقام الرفيع ، من أقرب المقربين إلى الملك ، وقد منح هذا اللقب لكل من «آى AY» (١٠) و «حورمحب HAREMHAB» (١١) وهما ضابطان كبيران كانا يتمتعان بسلطات

عليا ونفوذ قوى فى بلاط كل من «أخناتون» و «توت عنخ آمون» على التوالى . كما منح هذا اللقب أيضا للكاهن الأول لديانة «آتون» [٢٢] التى قامت فى العمارنة . كما أن هذا اللقب كان يمنح أيضا لبعض امراء الأسرة التاسعة عشر باعتباره من الألقاب العسكرية العليا فى الجيش المصرى .

أما الألقاب التى منحت لنواب الملك ، وتبرز مدى الأهمية الاقتصادية للنوبة بالنسبة للدولة المصرية ، فمن ضمنها لقب «المشرف على أرض الذهب الخاصةبالاله» وقد منح هذا اللقب «لحورمس HORMES» الذى تولى منصب نائب الملك . كما منح لقب «المشرف على أرض الذهب الخاصة بآمون» «لسنوفر SENNOFER» الذى تولى منصب نائب الملك فى عهد «تحوتمس الثالث» . وهذا يدل على أن هذه الوظيفة الرسمية العليا كانت ضمن الممتلكات الخاصة بالاله آمون .

وهذا كله يبين لنا بوضوح ، أننا بصدد فئة جديدة من الضباط المصريين الذين باشروا مسئوليات على أعلى مستوى من الأهمية الاستراتيجية ، ويختلفون تماماً عن غيرهم من الضباط المصريين الذين تولوا مناصب القيادة فى الجيش المصرى فى عصور سابقة على عصر الأسرة الثامنة عشر .



المبحث الثالث

بعض الملاحظات على تنظيم الجيش

استمرت سيادة مصر وسيطرتها على الأقاليم الآسيوية وبلاد النوبة لمدة قاربت القرنين فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، أو بالأحرى منذ عهد «أحمس» حتى وفاة «امنحتب الثالث» .

ولاشك أن انجاز هذه السيادة والسيطرة ، كان يستند الى «آلة الحرب» المصرية الهائلة ، والتى كانت تديرها هيئة من الضباط المهرة العظام يرأسها الفرعون بنفسه .

وقد وصلت مصر إلى تلك القوة الحربية الهائلة ، نتيجة لخوضها الحرب التحريرية ضد الهكسوس الذين استمر احتلالهم نحو ١٠٨ سنوات . وكان هذا الاحتلال يعتبر تحدياً للمصريين ، أدى إلى قيامهم فى النهاية بتحرير بلادهم ، ثم أعتناقهم هذه الأفكار الإستراتيجية الجديدة .

وقد قام «ا.ر. شولمان A.R. SCHULMAN» بعمل حصر لعدد الألقاب والرتب العسكرية التى أستخدمت فى الجيش المصرى ، وقام بتحديد نحو ٦٣ لقبا .

وهذه الألقاب تمثل التسلسل الهرمى للمناصب والرتب العسكرية فى كل من سلاح المشاة ، وسلاح الفرسان والمركبات الحربية ، والاسطول الحربى .

ومعظم هذه الألقاب كان يعتبر أعلى درجة ومقاماً من الألقاب التى كانت تمنح للكهنة ، أو الألقاب التى كانت تمنح للكاهنات «زوجات الإله آمون» وحريمه [١] .

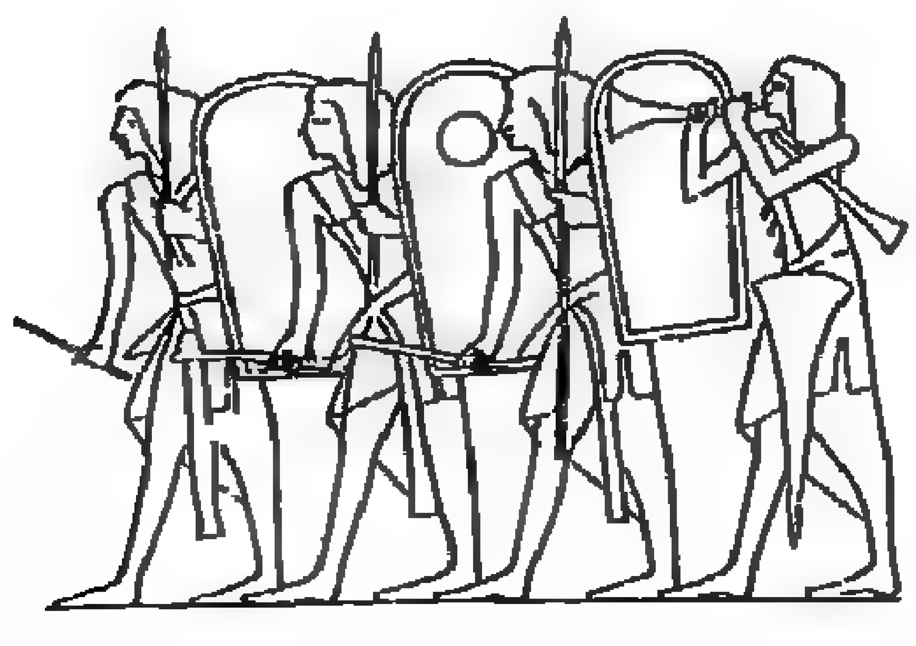
وكان تنظيم الجيش بفروعه المختلفة قابلاً للتطور . وقد حدث فصل تام بين سلاح المركبات الحربية باعتباره سلاحاً متميزاً ، وبين بقية فروع وأسلحة الجيش الأخرى . وأغلب الظن أن هذا الفصل والاستقلال حدث فى عهد «امنحتب الثالث» .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن المصريين قد عرفوا الاستخدام الفنى والاستراتيجى للمركبات الحربية منذ فترة طويلة قبل عهد «امنحتب الثالث» . ومعنى هذا أن الفصل بين سلاح المشاة وسلاح المركبات الحربية قد استغرق بعض الوقت ليصبح كل منهما على حدة فرعاً رئيسيا من فروع الجيش المصرى .

وقد أشرنا من قبل إلى أن تحديد مهمة المركبات الحربية ، من حيث تركيز القوة الضاربة ، واستغلال سرعتها فى الحركة والانتقال ، وقدرتها الهائلة على اجراء المناورات الاستراتيجية والتحركات التكتيكية ، قد تم على يد «تحوتمس الثالث» الذى استخدم المركبات الحربية على هذا النحو فى موقعة «مجدو» .

أما ظهور طبقة ضباط الفرسان والمركبات الحربية كطبقة متميزة ذات طابع ارستقراطى ، فلم يتم إلا فى «عصر الرعامسة» [٢] حيث أصبحت هذه الطبقة تتبوأ مكانة أعلى ، حتى بمقارنتها ببقية رجال السلك العسكرى فى فروع الجيش الأخرى .

وقد حصلت هذه الطبقة على حق بقاء أفرادها فى مدنهم الاقليمية ، مع تخزين المركبات والأسلحة فى الترسانات والمخازن الحربية ، إلى أن يحين وقت الحرب طبقا لأوامر الملك



المبحث الرابع

استخدام الجنود الأجانب فى الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر

قامت مصر بعمليات تجنيد وتسخير الجنود النوبيين منذ أيام «الدولة القديمة» . واستخدمتهم بصفة عامة فى العمليات شبه العسكرية الخاصة بالأمن الداخلى .

وقد ازدادت عمليات تجنيد النوبيين وأصبحت على نطاق واسع فى عهد «امراء» الاسرة السابعةعشر [1] ، حيث لعب الجنود النوبيون دوراً فى غاية الأهمية فى الجيش الذى قاده «كاموسى KAMOSE» أثناء حروب التحرير .

ولما كان الجيش الامبراطورى الذى تكون فى عصر الأسرة الثامنة عشر فى حاجة إلى المزيد من القوى البشرية ، فقد اعتمد هذا الجيش – تدريجيا – على تجنيد وتسخير الجنود النوبيين والجنود الآسيويين أيضاً .

وفى مقبرة «نب – آمون NEB - AMUN» [صورة ٩] الذى عمل تحت قيادة «امنحتب الثانى» نرى أن الجنود النوبيين كانوا مزودين بنفس الاسلحة التى زود بها الجنود المصريون . كما أنهم كانوا يرتدون نفس الملابس التى كان يرتديها الجنود المصريون .

وفى بعض مقابر تل العمارنة ، نرى نقوشا تدل على استمرار تجنيد واستخدام الجنود النوبيين فى الجيش المصرى .

كما ان الكثير من المعابد المصرية قد انشئت فى سوريا ، وفى النوبة (سمنه وقمه SEMNA AND KOMMA) بقصد تحقيق الحماية الالهية للجيش ، وليتمكن الجنود أيضا من إقامة الصلوات وشعائر العبادة وطقوسها .

وفى رأيى أن هذه العلاقة الخاصة بين الحاميات العسكرية والمعابد الدينية التى أقيمت فى النوبة وفى المناطق السورية ، تعطينا احساساً بأن الضباط كانوا يقومون أيضا بأداء الطقوس والمراسم الدينية فى تلك المعابد ، حيث لم يتم العثور حتى الآن على أى دليل يؤكد ان الكهنة المصريين قد عينوا لإقامة الشعائر الدينية ، أو أنهم أقاموا لمدد طويلة بالمعابد المصرية التى أنشئت فى البلاد الأجنبية .

وفى خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان الجيش المصرى يتكون بصفة أساسية من الجنود المصريين ، بالإضافة إلى قلة من النوبيين الذين كانوا مجندين فى الجيش المصرى من قبل .

وبالتدريج أخذ الجيش المصرى يعتمد على تجنيد واستخدام الجنود والضباط الآسيويين ، وهو وضع لم يكن من الممكن تلافيه فى ضوء الفكر الإمبراطورى الذى ساد القوات المسلحة المصرية .

وقد بدأ استخدام الأجانب فى الجيش على شكل تسخيرهم وألزامهم بالخدمة فى الوحدات العسكرية . وسوف نرى فيما بعد كيف أن استخدام أسرى الحرب من الأجانب على نطاق واسع لسد حاجة الجيش إلى المزيد من القوى البشرية ، خاصة بعد أزمة العمارنة ، قد أدى فى النهاية إلى نتائج غاية فى الخطورة ، أثرت فى مجرى الأحداث .

وعلى أية حال فإن ما عثر عليه من محررات ومدونات عسكرية يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر ، يدل على أنه لم يكن هناك أى فارق بين القوائم الخاصة بالمجندين الذين يؤدون الخدمة العسكرية فى المليشيات أو فى الوحدات العاملة ، وبين القوائم الخاصة بأسرى الحرب الأجانب الذين ضموا إلى الخدمة العسكرية ، فقد كانت هذه القوائم تحرر وتراجع بمعرفة سلطة عسكرية واحدة .

المبحث الخامس

المؤثرات الثقافية الأجنبية

ازداد تأثر مصر بالثقافات الأجنبية بشكل واضح منذ أيام الهكسوس الذين انشأوا المعابد للإله «بعل BAAL» [1] فى مناطق الدلتا اثناء احتلالهم لمصر . كما انشئت معابد أخرى لإله آسيوى آخر هو الاله «حورون HARON» الذى كان يأخذ شكل «أبى الهول» .

ومن المعروف أن «امنحتب الثانى» و «تحوتمس الرابع» كانا يبجلان آلهة والإهات الحرب السورية ، مثل «رشب RESHEP»و «عشتار ASHTART» [2] وأفسحا لهما مكانا فى المعابد المصرية . أى أن عبادة الآلهة الآسيوية قد دخلت إلى ساحات المعابد المصرية بكثرة ، فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

من الواضح إذن أن الامبراطورية المصرية قد سمحت بتسلل الآلهة والإلاهات الآسيوية إلى مصر . ويمكن القول أنه منذ بداية عصر «الدولة الحديثة» والآلهة الآسيوية تعبد فى مصر ، وكان لها كهنتها المختصون ، ككهنة الاله «بعل» وكهنة الإلهة «عشتار» . وقد أشيع عن هؤلاء الكهنة الأخيرين ، انهم كانوا قادرين على التطبيب وشفاء الأمراض . وكان مقرهم بمدينة «منف» .

وقد أنشئت المعابد لكثير من الالهة الآسيويين حتى فى «طيبة الغربية» [3] حيث أصبحت تلك الآلهة تعبد جنبا إلى جنب مع الآلهة المصريين .

ولا شك فى أن فراعنة «الدولة الحديثة» قد سمحوا بعبادة الآلهة الآسيوية فى مصر ، على أمل أن ذلك يسهل لهم الأمر فى السيطرة على شعوب المناطق الآسيوية التى خضعت للحكم المصرى .

ويقول «ر. شتادلمان R. STADELMANN» أن الفرعون كان يعتبر الممثل الوحيد على الأرض لجميع الآلهة المصريين وجميع الآلهة الأجانب . كما يرى « إ. ماير E. MEYER » أن الفرعون كان يعتبر الملك الوحيد لجميع القوى الالهية .

ويمكن القول أيضا بأن الجيش الامبراطورى المصرى قد لعب دوراً حاسماً فى عمليات تبادل المؤثرات الدينية بين مصر من ناحية ، وبين مناطق امبراطوريتها فى الشرق . ومن المحتمل أن عبادة وتقديس الآلهة الآسيويين قد بدأت خلال حملات الجيش المصرى فى المناطق الآسيوية .

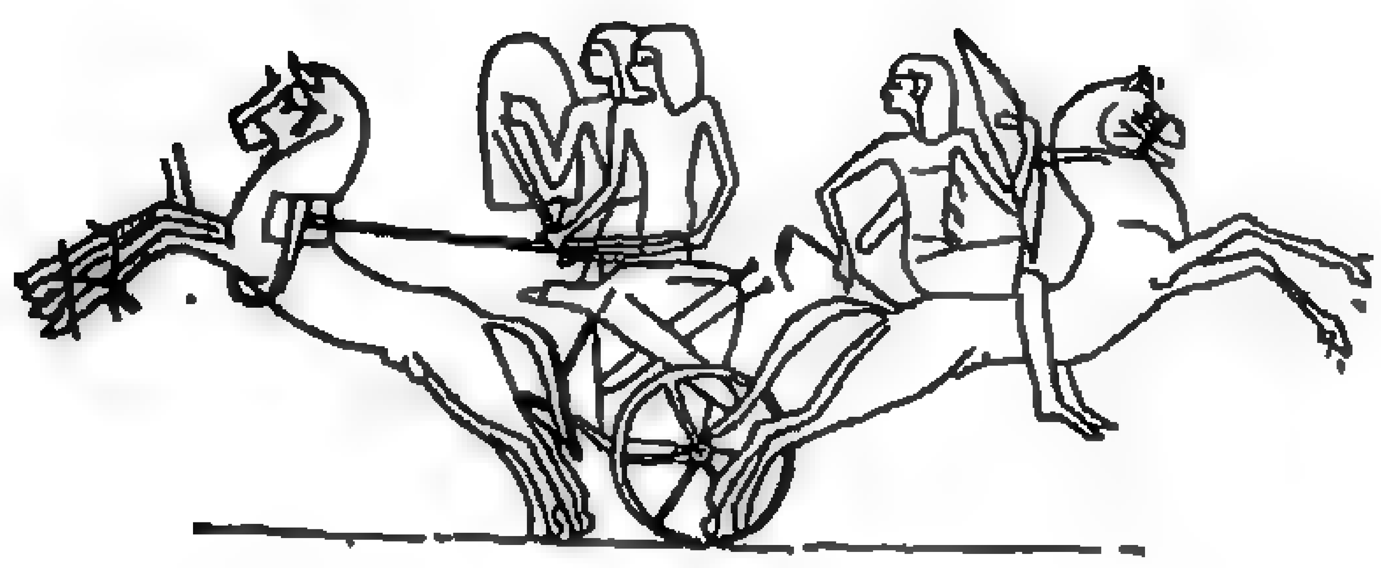
ومما لاشك فيه أن احتلال الهكسوس لمصر ، قد خلق بين المصريين نوعاً من الكراهية أو الرفض ضد الآلهة الآسيويين . وهناك نص شهير سجلته الملكة «حتشبسوت» على جدران واجهة معبدها الإقليمى فى «سبيوس ارتميدوس SPEOS ARTEMIDOS» (٤) تنتقد وتسخر فيه بشدة من المعتقدات الدينية للهكسوس . كما عثر على نص مماثل مدون فى «بردية ساليبه الأولى» (٥) التى يرجع تاريخ تدوينها إلى عصر الرعامسة .

ويلاحظ «شتادلمان» أن ذلك يتعارض مع الحقيقة الشائعة عن أن ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر أثناء فترة الاحتلال ، كانوا يعتبرون «ابناء شرعيين للإله رع» . وهو من أجل ذلك يوعز هذا الهجوم والانتقاد على الآلهة الآسيوية إلى كهنة آمون فى طيبة الذين كانوا يعارضون الآلهة الآسيويين بصفة عامة .

ويرى «ب. جردسلوف B. GRDSELOFF» ان فراعنة الأسرة الثامنة عشر ، عظموا الآلهة الآسيويين وسمحوا بعبادتهم على أساس أنهم يمثلون القيم والمثل العليا للروح الرياضية ومبادىء الفروسية ، وعلى الأخص بالنسبة إلى الآلهة السورية «عنات» و «رشب» . كما يرى أيضا أن «الميثولوجيا الكنعانية» قد بدأت أيضا فى التأثير على المصريين فى تلك الفترة .

غير ان «شتادلمان» يتحفظ كثيراً فى قبول هذه الأفكار ، ويميل إلى التفسير الذى قال به «ماير» ومفاده ان مركز الآلهة الآسيويين قد تعزز وتدعم بمصر ، بسبب المقاومة المستمرة للآسيويين ضد الحكم المصرى ، بالرغم من الخسائر الكبيرة التى كانت تلحق بهم نتيجة لحملات التأديب التى كانت تشنها عليهم مصر بين حين وآخر .

ونخلص من هذا كله ، بأن الامبراطورية قد سهلت كثيراً دخول المؤثرات الدينية والثقافية الأجنبية إلى مصر ، كما سهلت تصدير المؤثرات الدينية والثقافية المصرية إلى البلاد الأجنبية .



المبحث السادس

الضباط المقاتلون

كان الضباط العاملون بالخدمة العسكرية يؤدون دوراً سياسياً قد لا يقل عن دورهم الحربى . ويلاحظ ذلك بوضوح بالنسبة للضباط الذين كانوا يحملون رتبة «قائد COMMANDER» أو «OBERST» كما ترجمها «هلك» إلى اللغة الألمانية (وهى رتبة تعادل رتبة كولونيل أو عقيد) .

وبطبيعة الحال فإن الضباط الذين كانوا يصلون إلى تلك الرتبة ، كانوا على درجة كبيرة من الدراية والخبرة الحربية التى تمكنهم من أداء ادوارهم القيادية فى قلب الوحدات المحاربة فى الفروع الثلاثة الرئيسية للجيش المصرى .

وعندما كان يعهد إلى هؤلاء الضباط قيادة الحملات العسكرية ، أوقيادة القلاع الحربية أو نقاط التحصينات العسكرية فى كل من سوريا والنوبة ، كانت تعهد اليهم أيضا بعض الصلاحيات ذات الطابع السياسى إلى جانب اختصاصاتهم العسكرية الأصلية .

وفى بلاد النوبة كانوا يقومون بأدوارهم تلك تحت الاشراف المباشر «لنائب الملك» . أما فى سوريا فلم يكن هناك «نائب ملك» كما هو الحال فى النوبة ، ولذلك فقد كان الدور السياسى لهؤلاء الضباط يتسع على نحو ملحوظ ، حيث كانوا يتولون حكم الشعوب التى كانت تعيش فى تلك المناطق إلى جانب تعاونهم فى ذلك مع الامراء المحليين بمختلف المدن والمناطق السورية التى كانت تخضع للحكم المصرى .

وكانت للألقاب التى تمنح لهؤلاء القادة دلالة على طبيعة الأعمال والاختصاصات السياسية والحربية التى كانوا يمارسونها بحكم مناصبهم . وعلى سبيل المثال ، فقد كان أحد

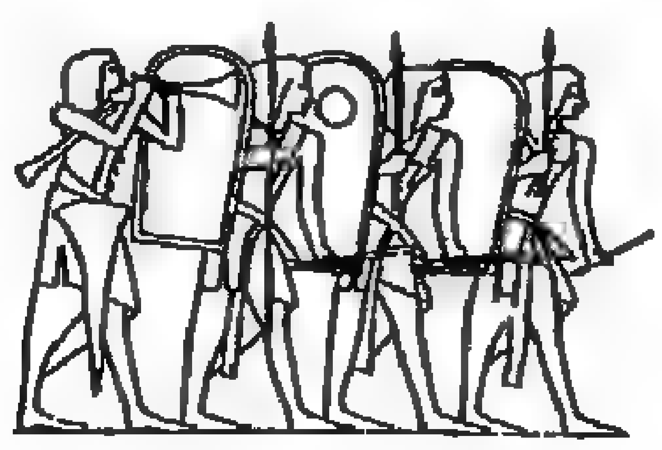
هؤلاء القادة يحمل لقب «اذن صاحب الجلالة فى سوريا» – مخابرات – بينما يحمل «جنرال» أو «لواء» آخر اسمه «جحوتى D̲HOUTI» لقب « المشرف على الأراضى الأجنبية الشمالية» ، وكان هذا الجنرال الأخير معينا فى هذا المنصب من قبل «تحوتمس الثالث» .

ومما لاشك فيه أن الأقاليم الأجنبية التى احتلتها القوات المسلحة المصرية ، كانت أرضا طيبة للضباط المصريين لاكتساب المزيد من الخبرات السياسية إلى جانب الخبرات الحربية .

وثمة نظرية يقول بها «ا.ر.شولمان A.R. SCHULMAN» عن حالة وجود بعض السفن والوحدات البحرية الخاصة ، المدربة على عمليات نقل المهمات الحربية وعمليات النقل البرمائية . ولاحظ أن أفراد «المشاة» وافراد سلاح الفرسان والمركبات الحربية ، الذين كانوا مدربين تدريبا خاصاً على العمليات البرمائية كانوا يشتركون فى هذه المهمات .

ويميل «ت. سيف – سودربرج T. SÄVE- SÖDERBERG» الى الاعتقاد بان بعض الرتب والألقاب العسكرية للعاملين فى هذا الميدان تبين مدى تأثرها بالرتب والألقاب الخاصة بالعاملين بالاسطول البحرى .

ويقول «شولمان» أن الرسوم والنقوش التى سجلها «رمسيس الثالث» على جدران «مدينة هابو» تبين الكثير من المناظر والصور التى تعطى انطباعاً يثبت وجود مثل هذه الوحدات العسكرية الخاصة التى كانت تسهم وتشارك فى المعارك الحربية .



وكان اشتراك امراء البيت المالك فى السلك العسكرى من الملامح المميزة للجيش الامبراطورى المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر . ولم يكن اشتراكهم رمزيا أوشرفيا وانما كانوا يعملون بالفعل فى الخدمة العسكرية . وكانوا يحملون رتباً عسكرية باعتبارهم من الضباط المقاتلين ، وخاصة الامراء الملكيون من الدرجة الثانية فى الأسرة المالكة .

وهناك حالتان – على الأقل – نلاحظ فيهما أن امراء الأسرة المالكة كانوا يحملون لقب «قائد» فالأمير فى الحالة الأولى كان برتبة «القائد العام للوحدات العسكرية المصرية فى الأقاليم السورية وبلاد النوبة» . وفى الحالة الثانية كان الأمير يحمل لقب «القائد العام للوحدات المرابطة على الحدود المصرية وفى القلاع ونقاط التحصينات الحربية» .

وكان المصدر البشرى الرئيسى للضباط الجدد الذين يندرجون فى السلك العسكرى المصرى هو «الشباب» ، حيث كان يتم اختيار النابهين من الشبان أبناء الشعب ، ثم يجرى تعليمهم وتنشئتهم فى البلاط الملكى جنباً إلى جنب مع الامراء الملكيين الذين كانوا يشتركون معهم فى جميع مراحل نظم التعليم والتدريب الصارمة .

ولاشك فى أن هذه المعايشة بين الشباب والامراء المصريين ، والامتثال لهذا التدريب الموحد ، كان يضمن «اخلاص» هؤلاء الشبان للجيش الامبراطورى المصرى ، عندما يتم تعيينهم فى المناصب العسكرية ، كما كان يقوى الروابط بين هؤلاء الضباط وبين الملوك أنفسهم بالاضافة إلى امراء البيت المالك .

وكان لقب «حرد – ن – كاب HRD - N - KEP» ومعناه «اطفال الكاب» يمنح عادة لهؤلاء الشبان ، حيث كانوا يتفاخرون به بين قرنائهم من الشبان الآخرين ، لما كان يتيحه لهم من مكانة مرموقة . وتعكس الصبغة العسكرية لهذا اللقب الروح الامبراطورية التى سادت المجتمع المصرى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر .

وكان هؤلاء النخبة الممتازة من الشبان ينحدرون عادة من أصول متواضعة ، حيث كانوا ينتمون إلى طبقة «الكتاب» أو الطبقة الوسطى من رجال الدين . وعلى سبيل المثال فقد كان الأخ الأصغر «لسننموت» يحمل لقب «حرد – ن – كاب» . وسننموت كما هو معروف ، كان المهندس الأشهر وأقرب المقربين إلى الملكة «حتشبسوت» [صورة ١٠].

وقد قام «هلك» بتتبع تاريخ حياة بعض الشبان الذين كانوا يحملون لقب «أطفال الكاب» فتبين أن أحد شبان هذه النخبة واسمه «وسر – ساتت» قد عمل

تحت قيادة «امنحتب الثانى» وشغل منصب «نائب الملك وحاكم كوش» كما منح لقب «ابن الملك» لزيادة تشريفه وتبجيله .

كذلك فقد تبين أن بعض هؤلاء الشبان الذين كانوا يحملون اللقب قد تولوا مناصب عليا بالجيش ومنحوا ألقابا عسكرية ، كلقب «حامل الراية» ولقب «قائد» . كما أن بعضهم كان يشغل الوظائف العليا فى البلاط الملكى ، ويحمل ألقابا مثل «حامل المروحة» أو لقب «المشرف على المبانى والمنشآت الملكية» أو لقب «المشرف على صناعة بناء السفن» .



المبحث السابع

الدور التثقيفى للضباط المعلمين

تميز بلاط جميع ملوك الأسرة الثامنة عشر بوجود مجموعة من الضباط «المعلمين» الموثوق بهم ، والذين كانوا يقومون بتربية وتعليم أمراء وأميرات الأسرة المالكة .

وكانت هذه الظاهرة على درجة كبيرة من الأهمية ، فهؤلاء الضباط المعلمون كانوا على أعلى مستوى من الثقافة والمعرفة والمثل الأخلاقية العليا التى يجدر أن ينقلوها إلى تلاميذهم من الأمراء والأميرات .

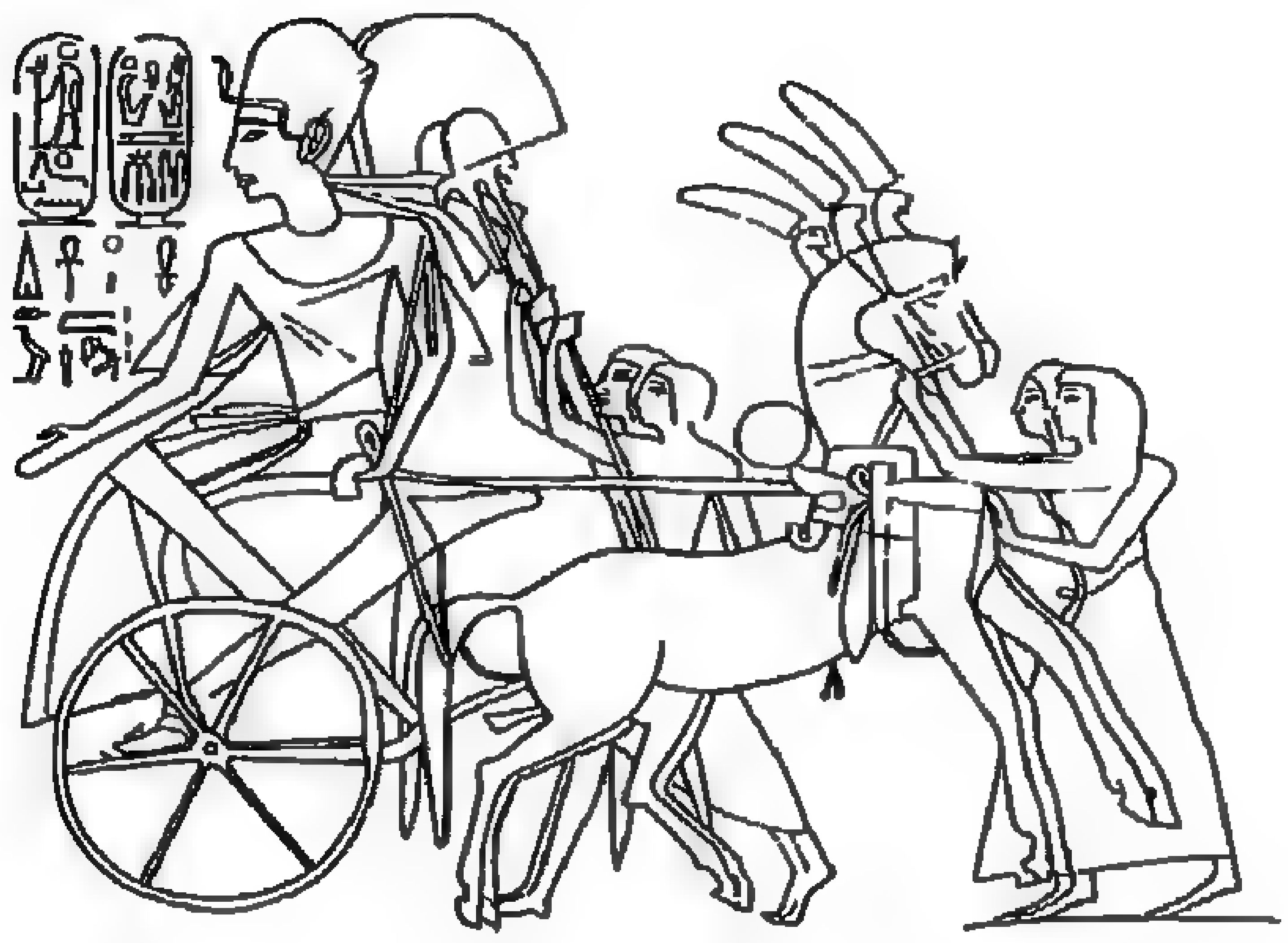
وقد قام هؤلاء المعلمون بدور واضح فى نقل وتقديم ثقافة «الشمال» – الوجه البحرى – إلى البلاط الملكى ، وذلك باعتبار أنهم أنفسهم متأثرون إلى حد بعيد بهذه الثقافة ، بالنظر إلى أن «القيادة العامة» وأغلب الفيالق الحربية التى يعملون بها كانت مرابطة فى الشمال .

وقد أدى ذلك إلى حدوث التطور الثقافى فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، حيث تراكمت عناصر وأسس هذا التطور ، وأدت فى النهاية إلى حدوث أزمة العمارنة .

ولاجدال فى أن ثورة العمارنة انما ترجع بصفة رئيسية إلى أيديولوجية الطبقة الجديدة من الضباط ، التى تعارضت فى النهاية مع العقيدة الدينية التى كانت سائدة فى طيبة ، والتى كانت تعتبر الإله آمون رمزاً مقدساً للامبراطورية وللعصر الامبراطورى منذ بداياته الأولى . فالملك «كاموسى» بدأ حرب التحرير ضد الغزاه الأجانب بوحى من الإله آمون ، كما

قام بكل معاركه الحربية تنفيذا لأمر صادر من الإله آمون نفسه : «... لقد أبحرت فى النيل نحو الشمال طبقا للأمر الصادر من آمون ...» .

ولعل هذا خير دليل على المكانة التى كان يتبوأها الإله آمون فى تاريخ الأسرة الثامنة عشر ، حيث كان يمثل الروح الامبراطورية ، سواء فى العقيدة الدينية أو فى الأفكار الميثولوجية على حد سواء .



المبحث الثامن

الكتاب العسكريون

منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، وضع نظام صارم لتجنيد الرجال وتعبئة كل الموارد الاقتصادية للدولة .

وكان هذا العمل الاستراتيجى الكبير ، يتم بفضل «هيئة عسكرية» جديدة التكوين ، تعمل داخل الاطار العام للجيش المصرى . وهى «هيئة كتاب التجنيد» أو «هيئة كتاب امدادات الجيش» .

ويمكن القول بأن هذه الهيئة المتخصصة ، هى أول هيئة من نوعها ظهرت فى التاريخ الحربى للقوات المسلحة فى العالم ، حيث أن الاختصاصات التى كان يمارسها «الكتاب العسكريون» المصريون القدماء ، هى نفسها الاختصاصات التى تمارسها «هيئة كبار الضباط» فى أى جيش من الجيوش الحديثة .

والملاحظ أن جميع الرجال الذين كانوا يعملون فى تلك الهيئة ، كانوا مدربين تدريباً خاصاً لاجادة «فنون الكتابة» جنبا إلى جنب مع «الفنون العسكرية القتالية» . وكانوا يبدأون حياتهم فى السلك العسكرى عادة باعتبارهم «جنوداً كتابا» بالقسم الادارى بوحدات الجيش ، ثم يتدرجون فى سلم الترق للرتب العسكرية الأعلى ، من هذا المنطلق .

وكان بعضهم يصل إلى رتبة «رئيس الكتاب العسكريين» أو رتبة «كاتب الجيش» بل وأيضا إلى رتبة «قائد الجيش» .

وعلى الرغم من اختصاصهم الرئيسى كان ذا صبغة إدارية ، إلا أنهم كانوا على قدرة كبيرة فى القيام بالأعمال الأخرى ذات الصبغة العسكرية القتالية . وكان يعهد إليهم فى حالات كثيرة بقيادة فرق الجيش .

وعلى سبيل المثال فقد شغل الضابط «حورمحب» منصب «قائد الجيش» فى عهد كل من «امنحتب الثانى» و «تحوتمس الرابع» . وكان «حور محب» يشغل من قبل رتبة «كاتب الجيش» كما هو مدون على باب مقبرته المعروض بالمتحف البريطانى .

وفى بعض الأحوال الأخرى ، تمت ترقية بعض الكتاب العسكريين إلى رتبة «قائد سلاح المركبات الحربية» أو «قائد سلاح الفرسان» . كما هو الحال مع الضابط «آى AY» الياور الشهير وصاحب الشأن الكبير فى بلاط اخناتون بالعمارنة ، والذى كان يحمل أيضا مجموعة من الرتب والألقاب العسكرية مثل «حامل الراية» و «كاتب الجيش» و «قائد سلاح الفرسان والمركبات الحربية» .

ومن الواضح أن ظهور هذا الاختصاص ، أو هذه الحرفة العسكرية الجديدة فى الجيش المصرى فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، انما يعكس صورة مكثفة للاختصاصات والمسئوليات المتداخلة والبالغة التعقيد ، داخل «آلة الحرب» المصرية وجيشها الامبراطورى .

وفى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، تعددت الحالات التى كان فيها كبار الضباط الذين يحملون رتبة «قائد الجيش» ويحملون أيضا رتبة «كاتب الجيش» .

وفى رأيى أن هذا التدخل المباشر من كبار الضباط والقادة العسكريين فى الشئون والانشطة ذات الطبيعة الادارية ، كان بغرض خدمة وتنظيم القوات المسلحة ، وأن هذا التدخل قد أخذ يزداد بمرور الوقت .



وكان «امنحتب بن حابو AMENOPHIS , THE SON OF HABU»[1] من أشهر الضباط الذين ينتمون إلى فئة «الكتاب العسكريين» . وفى قصة حياته التى دونها على جدران مقبرته ، شرح بالتفصيل الاختصاصات التى كانت مسندة إليه بحكم رتبته العسكرية ، فذكر أنه قام بتجنيد أفضل الشبان اللائقين للخدمة بالقوات المسلحة ... وأنه قام بتدوين اسمائهم فى سجلات وقوائم كثيرة جدا .

ونخرج من هذا النصى بدلالتين واضحتين : أولاهما أن تجنيد الشبان «المصريين» للخدمة العسكرية ،كان يتم باعداد كبيرة ، ويتم احتيارهم من بين الشبان اللائقين للخدمه العسكرية . أما الدلالة الثانية ، فهى أن عملية التجنيد كانت مسئولية تقوم بها السلطة المركزية بالعاصمة ، وليست السلطات الاقليمية المحلية ، كما كان الحال فى عصر «الدولة الوسطى»

ولاجدال فى أن السجلات والقوائم التى كانت تدون فيها أسماء وأعداد الجنود والضباط وجميع العاملين فى الخدمة العسكرية ، بالاضافة إلى السجلات الأخرى التى تتضمن الاحصائيات الخاصة بالموارد الاقتصادية للدولة ، كانت خير عون للسلطات العليا ، عند الحاجة إلى اتخاذ قرار بالتعبئة الجزئية أو التعبئة العامة للجيش الامبراطورى .

وهذه السجلات الأخيرة كانت الوسيلة الفعالة لمعرفة مدى قوة ووزن مايمكن أن نسميه «الجبهة الداخلية» بمفهوم المصطلحات السياسية والعسكرية المعروفة فى العصر الحديث . ومعنى ذلك أن المصريين القدماء فى العصر الامبراطورى ، كانوا أول من استخدم مصطلح «الجبهة الداخلية للدولة» بهذا المضمون .



وكان «تنينى TJENINI» يتولى منصب «كاتب التعبئة والتجنيد» فى عهد الملك «تحوتمس الرابع» . وكتب قصة حياته أيضا على جدران مقبرته ، وفيها نص مفاده : «... أنه صاحب مولاه ، وأنه قام بتسجيل جميع الأفراد الذين يتكون منهم جيش

جلالته .. واعد قوائم بأعداد وأسماء جميع المجندين من الشبان للخدمة العسكرية ، مع ذكر اختصاصات وواجبات كل فرد منهم» .

وكانت هذه السجلات – كما ذكرنا من قبل – على درجة غاية فى الأهمية عند اجراء التعبئة . كما لاتخفى اهميتها بالنسبة لمؤسسة الجيش ، خصوصا عند اجراء التدريبات ، أو للاستعانة بحصر أسماء وعناوين الجنود والضباط لاستدعائهم عند الحاجة ، أو لمعرفة الاحتياجات البشرية والعسكرية عند وضع خطط الحملات الحربية .

أما تدريب المجندين الجدد ، فكان أمراً فى غاية الأهمية فى جميع الوحدات العسكرية التى كانت تتكون منها القوات المسلحة المصرية بفروعها الثلاث (المشاة والمركبات الحربية والأسطول) .

وكان يقوم بالتدريب نخبة ممتازة من الضباط المؤهلين لأداء هذا الاختصاص على أعلى قدر ممكن من الكفاءة ، ويحملون رتبا وألقابا عسكرية مضمونها القيام بمهمة تدريب الجنود ، وتأسيس وتنظيم الوحدات العسكرية طبقا لخطة التدريب فى كل فرع من فروع القوات المسلحة .

وعلى جدران مقبرة «تنينى» الذى كان يتولى منصب «كاتب التجنيد» كما ذكرنا ، نجد نصاً آخر يدل على وجود رتبة لمنصب عسكرى آخر كان يتولاه ضابط مصرى اسمه «سنيد جموسىSENED JMOSE» وكان لقبه «حامل راية التدريب بالاسطول الحربى» .

ويعتقد «هلك» بأن الضباط الكبار الذين كانوا يحملون رتبة «قائد الجيش» أو رتبة «كاتب التجنيد» كانوا يشرفون أيضا على تنفيذ واداء التدريبات الخاصة بالمجندين .

وسنعرض فيما بعد ، أبعاد الدور الهام الذى كان يقوم به الضباط الذين يحملون رتبة «كاتب التجنيد» فى مختلف الميادين والانشطة الأخرى الفنية والدينية والادارية .

المبحث التاسع

دور الطبقة العسكرية الجديدة
فى المجتمع المصرى

فى الدراسة الشهيرة التى أجراها «هلك» عن تأثير الموظفين العسكريين على تاريخ الأسرة الثامنة عشر ، نجده قد اعتنق نظرية مفادها إرجاع هذا التأثير إلى الظروف الخاصة والحالات الفردية التى تميز بها بعض الرجال العسكريين ، خصوصاً فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وإذا كانت هذه النظرية مقبولة على نحو ما ، إلا أنها لاتفسر لنا هذه التغييرات المتميزة التى اخذت تحدث وتتغلغل فى الدولة وفى المجتمع بسبب الروح الامبراطورية التى سادت فى ذلك العصر ، فقد ظهرت طبقة جديدة مهيمنة بدأت تتشكل منذ السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وظلت تتطور وتتسع وتزداد قوة ورسوخاً فكرياً بشكل غير مسبوق فى التاريخ المصرى القديم .

هذه الطبقة التى نشأت أساساً على أيدى الرواد الأول من الضباط العسكريين ، هى التى استطاعت أن تعتلى عرش مصر بعد أزمة العمارنة ، ثم قامت بتأسيس الأسرة التاسعة عشر ، كما قامت بتأسيس الأسرة الحادية والعشرين فيما بعد ، وهى الأسرة التى أقامها «الضباط الكهنة» بعد سقوط الأسرة العشرين .

ويرى «ج. فانديه J. VANDIER» أن هذه الطبقة العسكرية الجديدة قد تشكلت على وجه التأكيد فى عصر الأسرة الثامنة عشر . ويستند فى ذلك إلى النص المنقوش على جدران مقبرة «تنينى» الذى أشرنا إليه آنفا (المقبرة رقم ٧٤ بطيبة) .

وطبقا للترجمة والتحليل الذى ذكره «فانديييه» لهذا النص ، نرى أن : «تنيني – الكاتب العسكرى المحبوب من جلالته – كان يقوم بحشد وتعبئة كل ما فى البلاد ليعطى جلالته صورة احصائية لكل ما هو مطلوب معرفته .. وكان يقوم بفحص كل شخص .. ويشرف على السجلات الخاصة بكل الجنود ، والكهنة ، والرقيق التابعين للملك والأسرة الملكية .. وجميع أصحاب الحرف فى كل أنحاء البلاد .. وكذا السجلات الخاصة باحصائيات كل المواشى ، والطيور والقطعان الصغيرة ...» .

وهذا النص فى غاية الأهمية ، إذ يعطينا صورة واضحة للسلطات الواسعة التى كانت ملقاة على عاتق «ضباط التعبئة والتجنيد» فى عهد الملك «تحوتمس الرابع» الذى كان الضابط «تنيني» يعمل تحت إمرته .

ويتضح لنا أن الطبقة العسكرية قد بلغت أوج سلطتها فى ذلك العهد . وعلى قمة هذه الطبقة ، كانت هناك مجموعة من الضباط المتفوقين أصحاب المواهب الخاصة ، فكان منهم المثقفون والسياسيون ، ورجال الاقتصاد ، والتكنوقراطيون ، والاداريون .

ولم يكن تغلغل نفوذ هذه الطبقة فى كل ركن من أركان الدولة ، إلا نتيجة لانتصارها فى صراعها المرير ضد طبقة رجال الدين والكتبة التقليديين فى طيبة .

ويقول «إ. فون كومورتسينسكى A. VON KOMORZYNSKI» عن هذه الطبقة العسكرية الجديدة ، أن – الجنود العاديين – الذين كانوا يعملون تحت قيادة الضباط ، كانت لهم امتيازات خاصة جعلتهم بدورهم طبقة متميزة ، بالمقارنة بجماهير الشعب من الفلاحين والعمال ، وعلى ذلك فيمكن القول بأن طبقة الضباط العسكريين ومن هم تحت قيادتهم من الجنود المحاربين ، كانوا يتولون مقاليد جميع الأمور الخاصة بالثروة القومية فى مصر .

ويعطينا «ج. يانسن J. JANSSEN» تحليلاً ماركسيا عندما يضع «العامل الاقتصادى» محل اعتبار فى تحليل أوضاع هذه الطبقة الجديدة ، حيث يقول بنظرية مفادها أن الاقتصاد المصرى قد تعرض لعملية «اعادة توزيع الثروات القومية بين طبقات المجتمع» .

وكان «الفرعون» بما يتمتع به من حق إلهى ، يقوم بالدور الرئيسى فى تلك العملية .

وكانت المعابد والنذور الدينية تمثل مجرد جزءاً من عناصر الاقتصاد القومى المصرى .

ويمكن فهم «النظام الضرائبى المصرى» فى ذلك العصر فى ضوء النظرية التى يقول بها «يانسن» . حيث كانت جميع السلع والبضائع تجمع وتنقل إلى مجموعة من المخازن المركزية الضخمة ، قبل توزيعها على الشعب . ولاشك أن مثل هذا النظام الاقتصادى يتلاءم مع الحق الالهى الذى كان يتمتع به الفرعون فى كافة ميادين الحياة المصرية .

وكان الموظفون الرسميون الذين يتولون مباشرة مثل هذه الاختصاصات من طبقة العسكريين الجديدة ، سواء أكانوا من الضباط العاملين بالخدمة العسكرية ، أو من الضباط الذين أحيلوا إلى الاستيداع وعهد إليهم القيام بوظائف ذات طبيعة مدنية .

وإذا كان هناك «صراع طبقى» قد حدث فى ذلك العصر ، فهو الصراع بين هذه الطبقة العسكرية الناشئة ، وبين طبقة رجال الدين والموظفين المدنيين التقليديين فى طيبة .

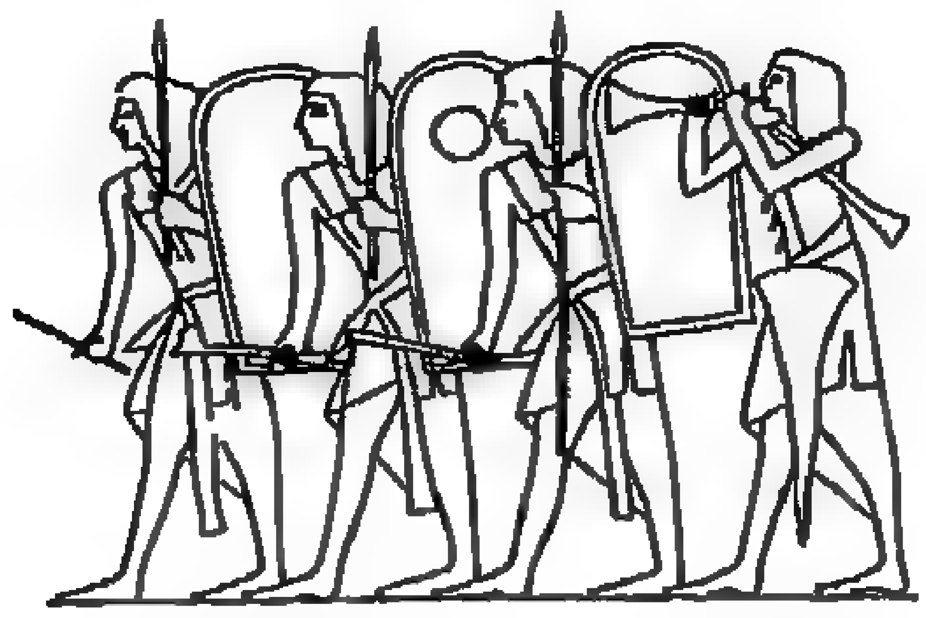
وأصبح الجنود المحترفون ، وكذلك الجنود الذين يتم تجنيدهم ملاكا للأرض الزراعية ، أو من أصحاب «حق الانتفاع» بها على الأقل . وبطبيعة الحال فقد كان هؤلاء

الجنود تحت إمرة وسيطرة قوادهم من الضباط ، الذين كانوا بدورهم على رأس هذا النظام الاقتصادى القائم على عملية «اعادة توزيع الثروات» .

ونحن نرى أن هذا النظام الاقتصادى كان من أهم العوامل الحاسمة فى التطور الذى حدث فى التاريخ المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وأميل إلى الاعتقاد بأن قوة وسيطرة كهنة آمون قد تعاظمت فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، كما تعاظم فى الوقت

نفسه حجم الصراع بين هؤلاء الكهنة ، وبين الفراعنة ، خصوصاً فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وكقاعدة عامة ، لم تكن المعابد فى عصر الأسرة الثامنة عشر معفاة من الالتزام بدفع الضرائب ، مثلما أصبح عليه الحال فى أواخر تاريخ «الدولة الحديثة» .



اما الضباط الذين كانوا يحالون إلى المعاش أو الاستيداع بعد خدمتهم العسكرية ، فقد كانوا يعينون فى وظائف عليا باعتبارهم من الأفراد الذين يعتمد عليهم الفرعون . وكان بعضهم مقرباً إلى الملك إلى حد بعيد ، كأن يشغل وظيفة «الياور الملكى» أو «ساقى الملك وخادمه الخاص» أو «حامل المروحة على يمين الملك» أو «المشرف على ادارة القصور الملكية» أو «المشرف على ادارة الأراضى والممتلكات الملكية» أو «المعلم فى البلاط الملكى» ..

ومن الواضح أن الروح العسكرية فى عصر الامبراطورية ، قد انعكست على جميع أوجه الانشطة الداخلية بالدولة . وأصبح الجيش هو المهيمن على جميع الانشاءات المعمارية الطموحة التى تقيمها الدولة .

كذلك فقد تولت اعداد كبيرة من الضباط وظائف عليا كثيرة خارج الاطار العام لمناصب الخدمة العسكرية ، وأصبح هؤلاء الضباط يمثلون حجر الزاوية فى جميع مرافق الدولة ، بما فى ذلك المرافق الدينية والمعابد .

وبالنظر إلى العلاقات الوثيقة التى أصبحت تربط هؤلاء الضباط بالبلاط الملكى وبدوائر الحكم العليا ، فلم يكن من الصعب عليهم أن ينتصروا بالتدريج فى الصراع الذى نشب بيهم وبين «كهنة آمون» وحلفائهم من طبقة كبار الموظفين المدنيين فى طيبة .

وحتى الاحترام التقليدى الذى كان تتمتع به طبقة الكتاب العاديين باعتبارهم من المثقفين ، قد انتقل بدوره إلى النخبة الممتازة من طبقة العسكريين الذين تزودوا بأعلى مستويات الثقافة الواسعة التى تميز بها ذلك العصر .

وبالرغم من أهمية «الدين» فى الحياة العامة بمصر القديمة ، فلم يتم العثور على أية دلائل توضح لنا طبيعة «النظام التعليمى للتخصص الدينى» .

وكان أهم الألقاب الدينية التى كان يحملها كبار الكهنة ، لقب «خرى –حبت hry - hbt» ومعناه «حامل كتاب الطقوس» . وكان بعض الكهنة الآخرين يحملون لقب «كاتب الكتاب المقدس» . وسنرى فيما بعد أن بعض كبار الموظفين العسكريين كانوا يحملون ألقاباً دينية مماثلة ، كما هو الحال بالنسبة «لامنحتب بن حابو» .

وعلى أية حال فإن هناك دلائل واضحة تؤكد ارتفاع المستوى الثقافى لطبقة الضباط العسكريين ، أو على الأقل بالنسبة لبعض منهم والذين يمكن وصفهم بالعباقرة ذوى الثقافة الموسوعية . ولعل أشهرهم المهندس العبقرى «سننموت» و «امنحتب بن حابو» .

ويرى «هلك» ان الضباط المحالين إلى المعاش أو الاستيداع ، كانوا يمنحون الوظائف لاعانتهم على استمرار حياتهم بالمستوى اللائق بهم .

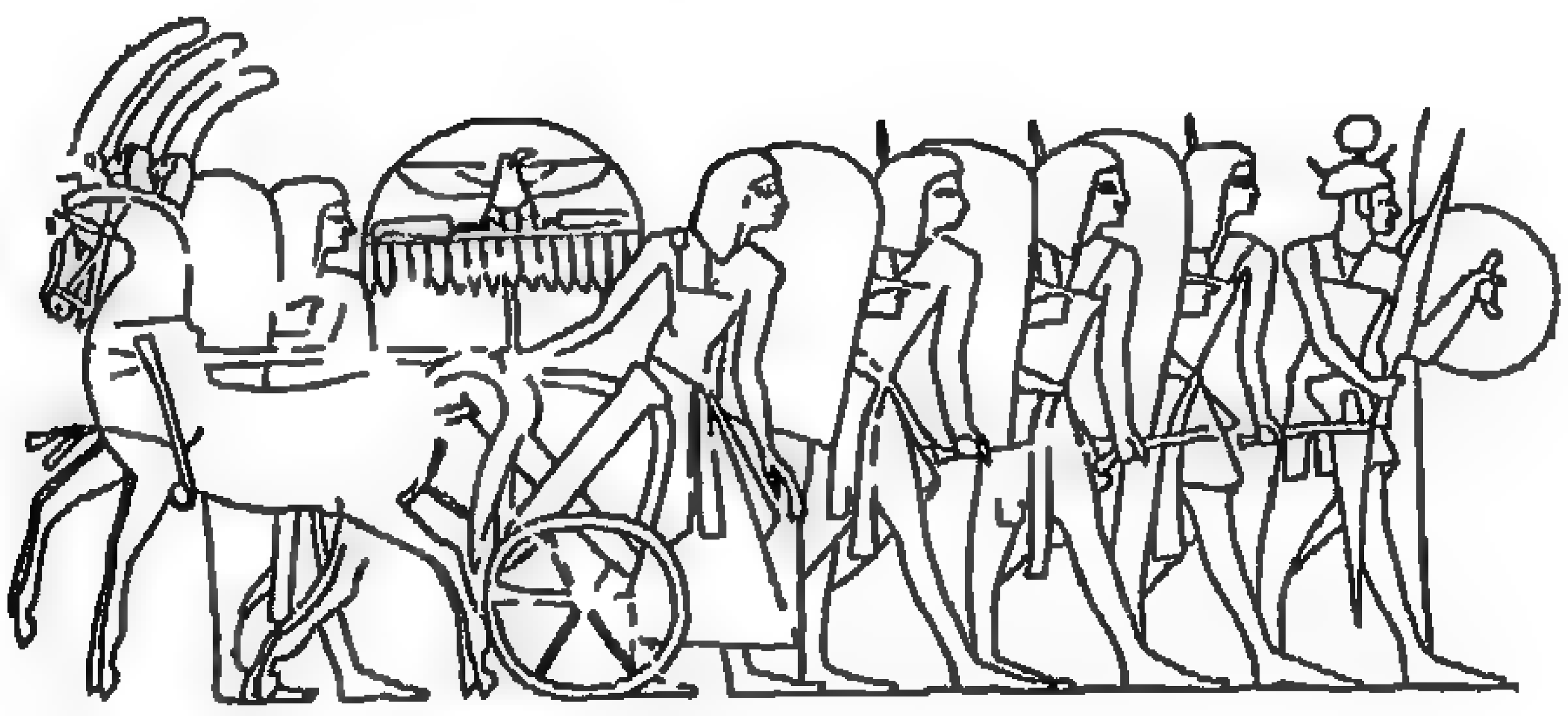
ونحن نختلف مع «هلك» فى ذلك . فإن ما يراه «معاشا» أو «استيداعاً» «ALTERSSTELLUNG» هو فى حقيقة الأمر نظام معقد يعتمد على ضباط الجيش ، فى الوقت الذى يكوّن فيه الجيش مع الدولة وحدة مندمجة متكاملة .

ويقول «هلك» أن جميع الموظفين العسكريين ، حتى قادة الجيش، قد أحيلوا إلى الاستيداع بعد أزمة العمارنة ، مالم يكونوا من أفراد الاسرة المالكة .

ولكن الملك لم يترك هؤلاء العسكريين لممارسة حياتهم فى القطاع الخاص ، وانما اعتمد عليهم فى تولى العديد من الوظائف والمناصب العليا التى تتناسب مع مؤهلاتهم ومواهبهم الخاصة .

ومن هؤلاء العسكريين ، تم اختيار من يتولون الاشراف على جميع الأنشطة الاقتصادية للدولة . وبذلك تحقق للملك – عن طريق أهل الثقة هؤلاء – أن يسيطر سيطرة كاملة على جميع مكونات الثروة القومية فى جميع انحاء الامبراطورية .

وهكذا تولى العسكريون المناصب التى تؤهلهم لادارة ممتلكات الفراعنة ، وممتلكات الحريم الملكى ، وممتلكات أفراد العائلة المالكة ، وممتلكات المعابد . بل ونؤكد أن جميع أوجه الحياة الاقتصادية الخاضعة للملك ، أصبحت تدار بواسطة جهاز ادارى على درجة عالية من الكفاءة ، يتكون بصفة رئيسية من النخبة الممتازة من الطبقة العسكرية الجديدة .



المبحث العاشر

الخلفية التعليمية للضباط

من المسلم به أن التمرينات البدنية والرياضة التى كان يقوم بها «امنحتب الثانى»[1] فى مدينة «منف»[2] حين كان ولياً للعهد ويشغل بالتالى منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» كانت بطبيعتها تمرينات عسكرية ، مصممة طبقا لخطة التدريب المفروضة على جميع الضباط وجنود الجيش .

ويشير النص الذى جاء به ذكر هذه التمرينات بوضوح ، إلى انها كانت مرتبطة تماماً بالتدريب العسكرى المقرر على وحدات القوات المسلحة ، وأن لها وظيفة تعليمية مرتبطة تماماً مع التدريبات على أعمال القتال والتدريبات الأخرى ذات الصبغة العسكرية البحتة .

وقد وردت نصوص كثيرة فى عديد من المقابر الخاصة بضباط المشاة وضباط سلاح المركبات الحربية ، تشير إلى أن هؤلاء الضباط كانوا على مستوى رفيع من الثقافة العامة ، مع معرفة واسعة بمختلف العلوم التى كانت سائدة فى عصرهم .

وعلى سبيل المثال فالنصوص المنقوشة على جدران مقبرة الضابط «بارنن PARENEN» الذى كان يتولى منصب «المشرف على الاصطبلات الملكية» تشير إلى أنه كان يحمل ألقابا أخرى مثل «كاتب الكتب المقدسة بالأرضين – أى بالوجهين البحرى والقبلى» و «كاتب بيت الحياة بالأرضين» و «المشرف على تنظيم أعياد الاله أوزوريس» .

ومن الظواهر الثقافية فى الفكر المصرى القديم ، ذلك الارتباط الوثيق بين العلوم اللاهوتيه والعلوم الطبيعية الدنيوية الأخرى . ولعل هذا يفسر لنا سهولة الانتقال من منصب وظيفى إلى منصب وظيفى آخر ، أو الجمع بين المناصب ذات الاختصاصات المتباينة فى كل

من الجيش والادارة الحكومية والمعابد الدينية ، كما يفسر لنا أيضا القرارات التى اتخذها «حور محب» حين أراد اعادة تعمير المعابد المهجورة التى كانت تعبد فيها الآلهة المصرية القديمة ، والتى أغلقت أيام أزمة العمارنة . فقد عين «حور محب» مجموعة كبيرة من الكهنة العاديين والكهنة المرتلين لمباشرة الطقوس الدينية من جديد فى تلك المعابد العديدة ، فى جميع مناطق وادى النيل المصرى ، من أحراش الدلتا حتى أقصى جنوب البلاد ، وقد تم اختيار جميع هؤلاء الكهنة من بين رجال القوات المسلحة .

وتتضمن بردية «أنستاسى رقم ١» نصاً لرسالة طريفة ، يرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة ، أرسلها الضابط الكاتب العسكرى «حورى HORI» إلى ضابط آخر بالجيش اسمه «امنوبى AMENOPE» . وفى هذه الرسالة يسخر «حورى» بشدة من الأهمية التى يعطيها «امنوبى» لنفسه واحساسه الزائد بذاته ، ويتهكم فيها أيضا على جهل «امنوبى» وادعائه العلم والمعرفة ، وتعتبر هذه الرسالة فى عمومها دليلاً على وجوب توافر المعرفة العلمية الواسعة لكل من يشغل منصبا من فئة «الكتاب العسكريين» .

وتعكس هذه الرسالة صورة صادقة من افتخار الكاتب العسكرى «حورى» بنفسه وبمنصبه باعتباره ضابطا بالاصطبلات الملكية الخاصة «برمسيس مرى — آمون» ، [٣] وباعتباره أيضا كاهناً بمعبد مدينة «خمنو HMNW» — الاشمونين بالمنيا — ومشرفاً على أكاديمية تعليم الكتابة ، والمكتبة الملحقة بالمعبد ، وباعتباره ايضا استاذا ذا مواهب ممتازة .

وفى بردية «أنستاسى رقم ٣» نجد الضابط «امنوبى» يرد على زميله «حورى» فخراً بفخر ، وأخذ يعدد باعجاب ، المناصب التى يشغلها والمستوى العلمى الذى يتمتع به ، فهو «استاذ معلم» كما يشغل منصب «الفارس الأول للملك» ويحمل رتبة «القائد المساعد لسلاح المركبات الحربية» كما يفخر بأنه كان «رسول الملك» للتفاوض مع أمراء سوريا من منطقة «ثارو THARO» حتى منطقة «يوبا YOPA» قرب دمشق .

وبالرغم من أن هاتين الوثيقتين تنتميان إلى عصر الرعامسة ، إلا أن مضمونها من حيث بيان المستوى العلمى الرفيع لطبقة الضباط العسكريين ، يمكن اعتباره نموذجاً لما كان عليه الحال بالنسبة لضباط الأسرة الثامنة عشر .

وهذا الفخر العظيم بالانتماء إلى طبقة ضباط الفرسان والمركبات الحربية يعطينا صورة واضحة للمستوى الطبقى الرفيع الذى ارتقى إليه الضباط فى عصر الرعامسة ، حتى أصبحوا طبقة ارستقراطية متميزة .

وثمة أدلة عديدة على أن التفاخر بتولى مثل هذه المناصب العسكرية كان شائعاً بين الضباط فى السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، حيث كانوا يتميزون بما يسمى فى الجيوش الحديثة بروح الفريق ، أو روح الانتماء للوحدة العسكرية «L ESPRIT DE CORPS» .

وهذان الضابطان اللذان ينتميان إلى عصر الرعامسة ، يعتبران من خلفاء قرنائهما من ضباط سلاح الفرسان والمركبات الحربية ، الذين كانوا يعيشون فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، والذين كانوا يتمتعون أيضا بمستوى علمى رفيع مماثل . كما أن الألقاب التى كان يحملها هذان الضابطان باعتبارهما من الاساتذة المعلمين ومن الكهنة ، كانت مماثلة للألقاب التى كان يحملها بعض ضباط الأسرة الثامنة عشر .



ومن الرسالة التهكمية التى أرسلها كاتب الجيش «حورى» إلى زميله «امنوبى» نتبين ابعاد الصفات والدرجات العلمية التى يجب أن تتوفر فى الضباط طبقا لطبيعة العصر . لقد أكد «حورى» ضرورة أن يكون الضابط متمكنا من «فن المراسلات الرسمية» وأن يكون على أعلى مستوى فى علوم الجغرافيا ، والطبوغرافيا ، والهندسة ، والمعمار ، والرياضيات .

ونتبين كذلك من رد «امنوبى» مدى الخبرة العالية والقدرات العلمية والشخصية التى يجب أن تتوفر فى الضابط الذى يقوم بدور «رسول الملك» الموفد إلى البلاد الأجنبية للقيام بمهمات ذات طبيعة دبلوماسية .

ونخلص من الموضوع كله ، بأن طبقة الضباط العسكريين كانت تتضمن الرجال الطموحين الذين لا يكتفون باجادة الفنون العسكرية القتالية فقط وانما يتطلعون دائماً إلى التزود بالعلم والمعرفة إلى جانب المواهب الشخصية .

ونخلص كذلك بأن الضباط كانوا مؤهلين طبقا للنظام التعليمى التقليدى لفنون الكتابة ، بالاضافة إلى الخبرات العلمية والضرورية التى تؤهلهم لحمل ما يناط بهم من مسئوليات فى المناصب التى يباشرونها ، سواء أكانت مناصب عسكرية أو دبلوماسية أو سياسية أو اقتصادية . وقد بدا ذلك واضحاً ، على وجه الخصوص ، فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، كما سنعرضه فيما سوف نشرحه من عناصر هذه الدراسة .



الفصل الثانى

الوضع الاقتصادى والاجتماعى

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الأحوال الاجتماعية للطبقة العسكرية الجديدة فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الثانى : الممتلكات العقارية لطبقة العسكريين .

المبحث الثالث : مركز الرقيق فى مجتمع الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الأول

الأحوال الاجتماعية للطبقة العسكرية الجديدة فى عصر الأسرة الثامنة عشر

من المسلم به لدى كثير من المؤرخين ، حدوث صراع بين كبار كهنة الاله آمون وبين بعض فراعنة الأسرة الثامنة عشر .

غير أننا لا نسلم بهذه الفكرة الشائعة ، ونرى أنها لا تستقيم ولا تتناسب مع الروح التى كانت سائدة فى عصر هذه الأسرة ، ونرى أيضا أنه إذا كان هناك صراع قد حدث فى عصر هذه الأسرة ، فهو صراع نشب بين كهنة آمون بطيبة وضباط الجيش المصرى .

لقد سادت الروح الامبراطورية ذلك العصر بأكمله ، وتكونت الطبقة العسكرية وازدادت قوتها ومستواها العلمى بفضل النخبة الممتازة من الضباط ذوى المكانة العلمية الرفيعة .

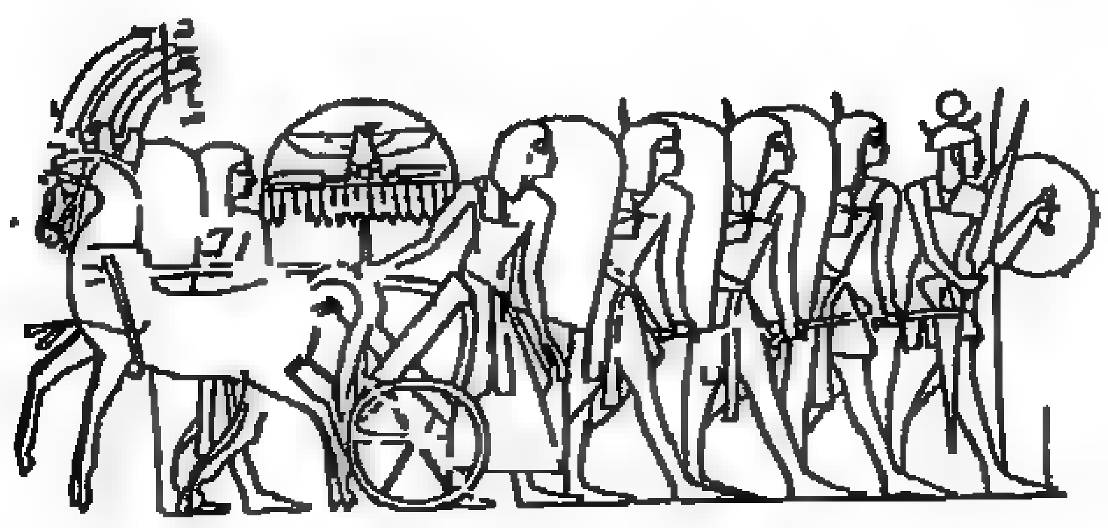
ومن الحقائق الثابته أن الجيش المصرى فى ذلك العصر كان يتكون كله من الضباط والجنود المصريين الخلّص ، الأمر الذى أدى إلى نوع من التجانس ، أدى بدوره إلى تماسك الطبقة العسكرية ، وتماثل مصالحها كطبقة اجتماعية جديدة .

ويؤيد «و.ف. إدجرتون W.F. EDGERTON» النظرية التاريخية القائلة بأن بوادر ظهور وتطور الطبقة العسكرية الجديدة ، انما ترجع إلى بدايات عصر الأسرة الثامنة عشر ، حيث أصبحت لتلك الطبقة مصالح يحتمل تعارضها مع مصالح الطبقات الأخرى ، وخصوصاً طبقة الكهنة .

أما بالنسبة للفرعون ، المستند إلى «حقه الالهى» فى الحكم ، ودوره الطبيعى باعتباره القمة العليا لنظام الحكم ، فيقول «إدجرتون» : «مهما كانت طبيعة النظام ، ومهما كانت قوة الحكومة ، فإن كل فرد فى الدولة ، كان يسلم تماماً بأن الفرعون هو الملك صاحب السلطة المطلقة ، وان سلطته تستند – نظرياً – على ألوهيته المفترضة ، ولذلك فقد كان الفرعون يسمى على الدوام «بالاله الطيب THE GOOD GOD» كما كان يطلق عليه لقب «ابن رع إله الشمس» . ولم يكن هذا اللقب مجرد تشريف أو تبجيل للفرعون ، بل كان مقصوداً بمعناه الحرفى . كذلك فإن مفهوم (السلطةالمطلقة) التى كان يمارسها الملك فى الحكم ، ينصرف معناه إلى أن الملك كان يمارس سلطات واسعة لا حدود لها ولا معقب عليها» .

وهناك فكرة مقبولة لدى كثير من المؤرخين ، مفادها تأكيد وجود «مجموعة من القوانين المكتوبة LAW CODE» كان يجرى تطبيقها فى عصر الأسرة الثامنة عشر . غير أن «إدجرتون» يؤيد الفكرة المعارضة ، والتى تنفى وجود مثل هذه «المجموعات من القوانين» . والتى تقرر بالتالى أن «القانون الوحيد» الذى كان مطبقا فى ذلك العصر ، هو «الارادة الملكية» للفرعون ، حيث كان يصدر القوانين ، أو يقوم بتغييرها أو تعديلها فى أى وقت يشاء ، وبعنى ذلك أنه لم تكن بمصر «مجموعات من القوانين LAW CODES» بالمفهوم الفنى والقانونى الذى كان سائداً فى عصر «الرومان» .

وعلى ذلك فإن التشريع أو حق إصدار القوانين ، كان من اختصاص الملك وحده . أما ممارسة «القضاء» فكانت من اختصاص بعض الرجال الذين كانوا يشغلون عادة مناصب عليا ذات طبيعة إدارية .



ومن الوثائق القانونية النادرة التى وصلت إلينا من ذلك العصر ، نتبين أن «النص القانونى» كان يبدأ عادة بكلمتى «قال الفرعون ...» ثم يعقب ذلك نص القانون أو المرسوم الصادر فى موضوع معين . وذلك مثلما جاء « بمرسوم حورمحب»[1] و «مرسوم ناورى NAURI»[2] الذى أصدره «سيتى الأول» . ويتضح من هذين المرسومين أن الفرعون كان صاحب السلطة المطلقة والوحيدة لاصدار القوانين والمراسيم .

ويشير «إدجرتون» أيضا إلى أن عملية اللجوء إلى الآلهة لتلقى الوحى المقدس الذى يقرر أمرا ما[3] ، أصبحت عملية نادرة الحدوث فى عصر الامبراطورية المصرية . بينما يرى «ل. كاكوشى L. KÁKOSY» أن اللجوء إلى طلب الوحى من الآلهة قد عاد إلى الظهور مرة أخرى ، وعلى نطاق ضيق ، وبالنسبة لأمور خاصة قليلة الأهمية ، وذلك فى عصر الرعامسة .

ويرى «إدجرتون» أيضا بالنسبة لوضع ومركز المعابد والكهنة فى عصر «الدولة الحديثة» أن الكهنة وغيرهم من موظفى المعابد الدينية كانوا يعملون «بالوكالة» عن فرعون ، مثلهم فى ذلك مثل غيرهم من ضباط الجيش ، أو من «الجباة» جامعى الضرائب . وأن الفرعون كان صاحب السلطة العليا فى تعيين وعزل كهنة المعابد ، كما هو الشأن بالنسبة لجميع وظائف الخدمة العامة فى الدولة .

وبالرغم من أن هناك شواهد كثيرة على أن الكهنة كانوا يورثون وظائفهم ومناصبهم إلى ابنائهم ، فإن هذا الحق لم يكن قاصراً على الكهنة وحدهم ، بل كان شائعا أيضا بين موظفى الادارات الحكومية المختلفة .

ويقول « إدجرتون» انه فى خلال عصر الامبراطوية المصرية بأكمله ، لم يوجد أى «موظف رسمى» واحد ، كانت سلطته فى الحكم تمتد لتشمل جميع انحاء البلاد المصرية ، أو تشمل سلطته ادارة جميع ادارات الحكومة ومؤسسات الخدمة العامة . وعلى هذا فلم يكن للوزراء حق ممارسة أى نوع من السلطة فى بلاد النوبة ، حيث يوجد «نائب الملك» الذى يعتبر مسئولاً أمام الملك مباشرة ، أو فى البلاد والأقاليم السورية التى تخضع فى حكمها إلى ضباط الجيش الذين كان يعينهم الملك .

ويتبين من هذا أن فراعنة عصر الامبراطورية ، لم يتخلوا أبداً عن سلطاتهم الكاملة ، ولم يظهر فى عهودهم أى «فرد» مهما علا شأنه ، كان يمكنه أن يمثل الملك فى كل مكان أو فى كل الشئون . ويظهر هذا الاتجاه بوضوح فى جميع عهود ملوك الأسرة الثامنة عشر على وجه الخصوص .

ويرى «إدجرتون» انه لم تكن هناك مهن أو وظائف أخرى تعتمد على «الملكية الخاصة» أو «الحرف الخاصة» خارج نطاق الخدمة العامة ، أو القطاع العام التابع للدولة . وكان الطريق الممهد الوحيد أمام الافراد الطموحين من عامة الشعب ، هو الانتماء إلى الأعمال التى تديرها الدولة والمرافق العامة التابعة لها .

ومن «مرسوم ناورى» الذى أشرنا إليه سلفا ، يمكن أن نستنتج أن نظم الضرائب المعمول بها فى الدولة ، كانت تطبق على المعابد ، بمعنى أن المعابد لم تكن معفاة من دفع الضرائب . كما نستنتج أيضا أن «الأفراد» الذين كانوا يعملون بتلك المعابد ، كانوا ملزمين بالعمل بها بصفة شبه جبرية أو الزامية ، وأنهم كانوا يعملون تحت إشراف مباشر من الجيش . وأن ذلك كان يعتبر استثناء من الوضع العام كميزة منحها الفرعون .

هذا ويفترض «إدجرتون» وجود نوع من «الملكية الخاصة» المشروعة قانونا للأفراد . ومن مقتضى هذا النوع من الملكية للأرض الزراعية ، أن يحق للملاك الافراد القيام بالتصرفات القانونية الخاصة بنقل ملكية هذه الأراضى ، سواء بالبيع أو بالشراء عن طريق نظام التوريث .

وبطبيعة الحال ، وبعد قيام جميع أنشطة الدولة بدفع ما هو مقرر عليها من ضرائب ، فمن المؤكد أن يصبح الملك أغنى أغنياء مصر ، باعتباره المالك الفعلى لجميع الأراضى الزراعية ، وباعتباره المتصرف القانونى فى جميع الممتلكات المصرية ، بما فيها ممتلكات المعابد .

وكان من المعتاد أن يقوم الملك بتقسيم الأراضى الزراعية المملوكة مباشرة للتاج أو المملوكة للمعابد ، وتوزيعها على كبار الموظفين ، سواء من العاملين فى الادارات الحكومية ومرافقها ، أو من العاملين فى إدارة المعابد الدينية . وذلك على أن يكون لهؤلاء الموظفين الكبار حق «الادارة» فقط لتلك الأراضى دون حق «ملكية الرقبة» .

ومعنى ذلك أن مثل هذه الأراضى الزراعية كان لها مالك مفترض هو «الفرعون» أو «الاله» وكان لها «مدير» يشرف على إدارتها واستغلالها ، على أن يفى للدولة بالضرائب المفروضة عليها ، وهى فى الغالب نسبة مقررة من المحاصيل الزراعية من حبوب أو ثمار أو خضروات .

ومن المفترض فى مثل هذه الحالة ، أن يعمل «المدير» على زيادة الانتاج الزراعى للأرض الممنوح له حق ادارتها ، لكى يعطى للدولة النسبة المقررة من المحاصيل ، وأن يستبقى لنفسه قدراً آخر من المحاصيل ، يمثل مكافأته وربحه .

ونخلص من هذا كله بأن «الحق الالهى» فى الحكم ، المفترض لصاحب عرش مصر ، وهيمنته بالتالى على كل الأمور الدينية والدنيوية فى طول البلاد وعرضها ، قد ظل سائداً فى فترة عصر الامبراطورية بأكمله ، وفى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر على وجه الخصوص .

ونظراً لأن الفرعون كان يستعين بالضباط العسكريين ، الذين كانوا يعينون فى المناصب التى تتيح لهم التحكم والسيطرة على إدارة جميع الممتلكات ، سواء فى ذلك الممتلكات الخاصة بالفرعون والعائلة المالكة أو ممتلكات المعابد الدينية ، فقد كان من الطبيعى أن يقوى نفوذ طبقة الضباط الجديدة باعتبارها أهم القوى الاقتصادية فى ذلك النظام الاقتصادى الذى يقوم على فكرة اعادة توزيع الثروة .



المبحث الثانى

الممتلكات العقارية لطبقة العسكريين

ذكرنا من قبل أن بداية تكوين طبقة العسكريين الجديدة ، وممارسة دورها كملاك للأراضى أو كمديرين لمرافق الاقتصاد القومى ، ترجع إلى السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وإلى أيام حرب التحرير .

ومن قصة حياة «أحمس بن أبانا AHMOSE THE SON OF ABANA»[1] نجد نصاً يقول : «... وعلى هذا فقد منحت خمسة من الرقيق ، بالاضافة إلى خمس «أرورات AROURA»[2] من الأرض الزراعية ... كما منحت ايضا سفينة كاملة معدة للاستخدام ...» .

ولقد كانت هناك علاقات مباشرة ، قامت بين الفراعنة وضباطهم العسكريين ، كما يظهر ذلك جلياً فى وصف تفاصيل «مجلس الحرب»[3] الذى عقده «تحوتمس الثالث» مع ضباطه قبيل نشوب موقعة «مجدو» .

ولاشك أن هذه العلاقات المباشرة بين الفرعون والضباط ، أدت دورها فى تقوية الروح الامبراطورية العسكرية ، كما أدت أيضا إلى تقوية الاحساس بالذات وبالأهمية لدى افراد هذه الطبقة العسكرية الجديدة .

كذلك فقد بدأت هذه الطبقة تلقى التقدير من الفرعون ، الذى أخذ يمنح أفرادها ما يستحقونه من عطايا ومكافآت . وفى قصة «أحمس بن أبانا» نجده قد منح أرضا

زراعية تقع فى زمام المنطقة التى كان يعيش فيها ، وهى منطقة «الكاب EL - KAB» بالوجه القبلى . كما منح ايضا سفينة كاملة مجهزة وصالحة للاستخدام .

أما قبطان تلك السفينة ، واسمه «نيسى NESY» فقد منح بدوره أرضا زراعية بمنطقة «منف» .

وعلى أحد النصب التذكارية التى كانت تقام عند حدود البلاد ، نجد نصاً يقول : أن «تحوتمس الأول»[1] المحارب العظيم ، قد منح أحد ضباط سلاح المركبات الحربية ، واسمه «كرج KRJ» مساحة كبيرة من الأرض الزراعية تقدر بمائة وخمسين «أرورا» .

كما منح «تحوتمس الرابع» الضابط «نب آمون NEBAMUN» والذى كان يشغل منصب «حامل الراية» مزرعة كبيرة ، كما عينه رئيساً للشرطة بطيبة الغربية .

كذلك فقد ازدادت حركة تعيين الضباط فى الوظائف الادارية العليا بعد تركهم الخدمة العسكرية ، خصوصاً فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، حتى أصبح ذلك من أوضح مظاهر السلطة والهيمنة التى كانت تتمتع بها تلك الطبقة العسكرية الجديدة .

أما الجنود المحترفون ، فقد انشئت لهم مستوطنات عسكرية كانت تقام قرب القرى مثل المستوطنة العسكرية التى كانت تقيم بها احدى الوحدات العسكرية فى موقع قرب الفيوم ، وهى الوحدة التى دعاها «امنحتب الثالث» لتشاركه فى رحلة الصيد التى كان يقوم بها فى تلك المنطقة .

وفى بعض الأحوال كانت الأرض الزراعية المملوكة للضباط تعفى من الالتزام بدفع الضرائب . ومثال ذلك الأرض التى منحها «تحوتمس الرابع» إلى «نب آمون» بمناسبة ترقيته رئيسا للشرطة ، فقد ذكر انها معفاة من الضرائب .

كذلك فقد قام «امنحتب الثانى» بمنح احد قادة الوحدات العسكرية واسمه «نخت NAKHT» مساحة من الأرض الزراعية .

ومن الواضح أن عمليات منح هذه الطبقة من المحاربين المزيد من الأرض الزراعية قد اتسع نطاقها تماماً فى عصر الرعامسة . ولكن ملكية هؤلاء الضباط للأرض الممنوحة لهم ، لم تكن ملكية كاملة العناصر من الناحية القانونية ، بل كانت نوعاً من الحيازة القانونية تشبه حيازة المستأجر للأرض التى يزرعها .

وهناك أدلة كثيرة على أن هؤلاء المحاربين كانوا يملكون أيضا بعض السفن وحدائق الفاكهة ، التى تقع فى زمام المستوطنة العسكرية التى كانوا يعيشون فيها مع جنودهم .

وكان حقهم فى الاقامة بتلك المستوطنات مستديما ، بمعنى انه كان يحق لهم الاستمرار فى الاقامة بتلك المستوطنات حتى بعد تركهم للخدمة العسكرية كما كان يحدث فى عصر «رمسيس الثانى» .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن «نظام التجنيد» فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان حصيلة منطقية للاتجاه الامبراطورى الذى ساد كل مرافق الدولة ، حيث اصبح «الجيش» هو حجر الزاوية الذى يربط بين العمليات العسكرية الحربية البحتة ، وبين النشاط الادارى للهيئات الحكومية المدنية . وحيث قامت النخبة الممتازة من «ضباط التجنيد» و «الكتاب العسكريين» بتضييق مسافة الاختلاف بين طبيعة الواجبات العسكرية الحربية ، وطبيعة الواجبات والتخصصات الادارية ذات الصبغة المدنية . وبمعنى آخر ، يمكن وصف هذا الاتجاه بأنه نوع من «عسكرة» المرافق الادارية للدولة .

وقد لوحظ ان معظم الضباط الذين تركوا الخدمة العسكرية ، وتم تعيينهم فى المناصب والوظائف الادارية العليا ، كانوا يتغاضون عن الاشارة إلى رتبهم العسكرية التى كانوا يشغلونها أثناء الخدمة .

وقد ادت القوة المتنامية للدولة إلى فرض المزيد من القيود على «ملكية» الأرض . كما أدت إلى وضع الأراضى الزراعية المملوكة «ملكية خاصة» للأفراد تحت الاشراف المباشر من جانب الدولة ، التى قامت بفرض ضرائب عالية جدا على ملكية الأرض . الأمر الذى أدى فى النهاية إلى جعل «الملكية» نوعاً من الحيازة القانونية المفترضة لمستأجرى الأراضى الزراعية بقصد استزراعها . وكان ذلك الحل فى صالح طبقة العمال الزراعيين ، الذين كانوا يفضلون أن يدفعوا الضرائب المقررة عليهم فى شكل جزء من محاصيل الأرض .

ونحن نرى أن خطة الدولة فى وضع الانتاج الزراعى وتنظيمه على مثل هذا النحو ، يعتبر نتيجة للسياسة الأنتاجية العامة التى وضعتها الدولة لصالح طبقة صغار الحائزين وصغار المستأجرين . وكان أغلب هؤلاء من طبقة الجنود الذين كانوا يعتبرون جزءاً من الطبقة العسكرية الجديدة .

ويرى «هلك» أن الريع المتحصل من الأراضى الزراعية ، كان يمثل «الدخل» الرئيسى لملاك الأرض . وأن ملكية الأرض الزراعية كانت خاضعة لقواعد نظام الوراثة ، الذى يتيح نقل المنصب أو الوظيفة من الأب إلى الابن . ويرى كذلك أن الأسرة الثامنة عشر لم تعرف طبقة مستقلة للفلاحين أو الزراع ، وانما كان هؤلاء الفلاحون يعملون فى الأرض ويستزرعونها لصالح ملاك الأرض وحائزيها .

ومن الضرورى أن نشير هنا إلى أن ملوك الأسرة الثامنة عشر الأوائل ، قد قاموا بتوزيع الأراضى الزراعية التى تم تحريرها فى الدلتا والوجه القبلى بعد طرد الهكسوس من مصر ، على جنود وضباط جيش التحرير ، الأمر الذى يراه «هلك» تغييراً اقتصادياً كبيراً فى صالح هؤلاء الجنود والضباط الذين اصبحوا ملاكا وحائزين لمعظم الأراضى الزراعية فى مصر .

كذلك فقد أصبح الضباط العسكريون يتولون المناصب الخاصة بالاشراف على عمليات التجارة الدولية التى ظلت حكراً على الملك وحده ، ويتولون أمور البعثات التجارية ، والاشراف على جميع الأعمال المتعلقة بالمناجم والمحاجر .

ومن الثابت تاريخيا أن جميع البعثات الدبلوماسية الملكية ، التى كانت ترسل إلى سوريا والنوبة ، كانت تعهد إلى الضباط العسكريين ، وخاصا ضباط سلاح المركبات الحربية .

ومن الثابت كذلك أن عدداً كبيراً من الذين تولوا المناصب العليا وقاموا بأدوار سياسية واضحة ، سواء فى الشئون الداخلية أو الشئون الخارجية ، كانوا فى الأصل من الضباط الذين يحملون رتباً وألقاباً تدل على انتمائهم إلى سلاح المركبات الحربية . وربما كان هذا الاتجاه نتيجة للخبرات الواسعة التى اكتسبها هؤلاء الضباط خلال خدمتهم العسكرية فى سوريا ، أو فى الأقاليم الأخرى التى أصبحت تابعة للامبراطورية المصرية ، هذا فضلاً عن العلاقات الشخصية الوثيقة التى كانت تربطهم بالفراعنة .



وقد أدى «احتكار» الدولة لكافة المرافق والأنشطة الاقتصادية والانتاجية ، إلى ازدهار ونمو الوضع الاجتماعى لأفراد طبقة العسكريين الجديدة ، باعتبارهم يمثلون المديرين العموميين لمرافق الدولة .

وإلى جانب هذا «القطاع العام» لعب «القطاع الخاص» دوراً محدوداً للغاية فى اقتصاديات الدولة ، فى فترة النصف الأول من عصر الامبراطورية المصرية .

وفى آثار «المستوطنة العمالية» الواقعة بمنطقة «دير المدينة»(*) بطيبة الغربية ، نجد أدلة قاطعة لا تقبل الشك فى أن جميع الأفراد الذين كانوا يعيشون فى تلك المستوطنة ، كانوا يعتمدون تماماً على الدولة ، للوفاء بجميع احتياجاتهم فى الحياة اليومية ، وأن النشاط الخاص أو القطاع الخاص ، كان محدوداً للغاية وليست له أية أهمية .

وقد أدى هذا الوضع إلى اختفاء فئة «التجار» من أصحاب المحلات الخاصة ببيع السلع والحاجيات المطلوبة من جماهير الشعب ، حيث أصبح الناس يحصلون على كل ما يحتاجونه من سلع ، من جهات التوزيع التابعة للدولة ومرافقها العامة .

وفى بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، تطور نظام «التسويق» خصوصاً فى الأسواق التجارية القروية ، حيث كان يمكن تبادل فائض المنتجات المنزلية ومنتجات الرعاة ، عن طريق نظام «المقايضة BARTER» أى تبادل سلعة بسلعة دون واسطة من عملات نقدية .

ثم أخذت فى الظهور تدريجيا ، فئة من «التجار» المحترفين الذين أصبحوا يقومون بالعديد من عمليات المبادلات التجارية . وكانت هذه الفئة فى الأصل من «الرقيق» التابعين لأسيادهم من أصحاب المناصب العليا بالدولة ، حيث كان هؤلاء «التجار الرقيق» يقومون بمبادلة ومقايضة فائض انتاج المحاصيل ، بما يحتاجه السادة من سلع وحاجيات أخرى .

أما فئة «التجار الأحرار» فقد ظهرت فيما بعد مع «الفينيقيين PHOENICIANS»[1] الذين لعبوا دوراً تجارياً مع مصر ، أدى فى النهاية إلى حدوث «أزمة اقتصادية» فى السنوات الأخيرة من عصر «الدولة الحديثة» .

وقد قام الفينيقيون بتصدير أنواع عديدة من السلع الترفيهية الفخمة إلى مصر ، حيث كانت تشتريها طبقة العسكريين وطبقة الكهنة والنبلاء والبلاط الملكى . وكان «ثمن» هذه السلع يدفع «مقايضة» أى فى مقابل بضاعة أخرى هى الحبوب بصفة رئيسية . وقد أدت زيادة تصدير الحبوب إلى الخارج ، إلى حدوث ارتفاع كبير فى أسعارها فى الأسواق الداخلية ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى حدوث «التضخم» الاقتصادى المرهق ، الذى ظهرت بوادره فى أواخر عصر الأسرة العشرين .

ونخلص فى النهاية بأن الاستقرار الاقتصادى الذى ساد فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، إنما يرجع فى أساسه إلى سياسة سيطرة الدولة على كل الانتاج الاقتصادى للمجتمع ، وقيامها أيضا بجميع عمليات توزيع هذا الانتاج على افراد الشعب ، دون وساطة تذكر من التجار – أو الموزعين – الاحرار .

المبحث الثالث

مركز الرقيق
فى مجتمع الأسرة الثامنة عشر

كان الرقيق يمثلون أدنى طبقة فى المجتمع المصرى . ونود أن نشير هنا إلى أن المواطنين المصريين الذين كانوا يعملون كخدم طواعية أو بارادتهم الحرة ، لايعتبرون من الرقيق ، ولم يكن من الممكن بيعهم أو توريثهم ، وإن كانوا بدورهم يمثلون طبقة دنيا من طبقات المجتمع المصرى .

ومنذ بداية تكوين الامبراطورية ، أصبح أسرى الحروب بمصدراً رئيسياً لطبقة الرقيق . وكان ملاك الرقيق الذين ينتمون إلى طبقة العسكريين أكثر عدداً من الملاك الذين ينتمون إلى الدوائر المدنية . هذا إلى جانب أن القسم الأكبر من طبقة الرقيق كانوا يعتبرون من أملاك الدولة وأملاك المعابد .

وقد رأينا فى النص الخاص بقصة حياة «أحمس بن أبانا» أن المحاربين كانوا يمنحون أعداداً من الرقيق ضمن مكافآتهم .

ولا يخفى أن الرقيق كانوا يمثلون قيمة اقتصادية كبيرة لساداتهم . ولا شك فى أن الحروب التوسعية التى قام بها ملوك الأسرة الثامنة عشر ، كانت أهم الأسباب التى أدت إلى زيادة الأعداد طبقة الرقيق على نطاق واسع .

ومن الثابت فى أحوال كثيرة أن الرقيق الذكور كانوا يلحقون بممتلكات الفراعنة ، أو يضمون إلى ممتلكات المعابد ، وهذا يؤكد الدور المركزى الذى كان يشغله الملك فى الاقتصاد المصرى .

وبقراءة النصوص التى نقشها «رمسيس الثالث» على جدران مدينة هابو ، وكذا قراءة النصوص المدونة «ببردية هاريس رقم ١»[١] يتبين أن أسرى الحرب كان مصيرهم الاستعباد – لا القتل – وكانوا يعتبرون كغنائم حربية ، كما كان يطلق عليهم «القطيع البشرى الخاص بالملك» .

ونقرأ فى النصوص التى تعود إلى فترة حرب التحرير التى شنها المصريون ضد الهكسوس : لقد حوصرت مدينة «شاروحين»[٢] لمدة ثلاث سنوات قبل أن يستولى عليها جلالته «وقد قمت بنفسى بالاستيلاء على بعض الغنائم ، وهى امرأتان ويد واحدة .. ولقد منحت ميدالية النصر الذهبية .. كما أن الأسرى الذين جلبتهم قد منحوا لى أيضا كرقيق» .

وفى «قائمة أسوان» الخاصة بالبلاد الجنوبية نقرأ نصا يقول : «أن سكان تلك البلاد قد أحضروا جميعاً إلى طيبة كأسرى حرب .. وبذلك يكون جلالته قد أوفى برغبة أبيه آمون رع .. وأصبح جلالته سيداً على عرش الأرضين ، وأصبحت كل الشعوب الأخرى قطعانا بشرية تابعة لجلالته ...» [صورة ١١ ، ١٢].

وكان الجيش المصرى مسئولا عن هؤلاء الرقيق منذ لحظة أسرهم حتى لحظة توزيعهم للقيام بالأعمال التى تناط بهم .

وفى أسوان عثر على نص منقوش خاص بالملك «امنحتب الثانى» يقول :
«لقد ظهر جلالته بالشرفة الملكية ، واخذ جلالته يستعرض الأسرى الذين استولى عليهم جيش جلالته .. لقد أصبح سكّان تلك البلاد الأجنبية – كوش – قطيعاً بشرياً خاصاً بجلالته .. تماماً مثلما كانوا من قبل ..» .

وبسبب زيادة النشاط الحربى ضد البلاد الأجنبية وسيادة الروح الامبراطورية فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، ازدادت أعداد الرقيق فى مصر . وفى عهد «تحوتمس الثالث» ارتفع عدد الرقيق إلى رقم كبير ، وكانوا كلهم من أسرى وغنائم الحرب .

وقد استخدم الرقيق فى العمل بالمعابد ومصانع النسيج ، وكرعاة للمواشى ، كما استخدموا أيضا فى حرث الأرض وزراعة الحبوب . وكان يتم اندماجهم بالتدريج فى المجتمع المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وذلك بتعليمهم اللغة المصرية وباعطائهم أسماء مصرية . كما كان يتم تخصيص بعضهم للعمل لخدمة الملك ، حيث كان بعضهم من حملة الدروع وحملة المراوح الذين يتبعون الملك كخدم خاص .

وأصبح الرقيق يشكلون جزءاً لايستهان به من القوى العاملة فى مصر . كما حلوا محل الشبان المصريين الذين كانوا يجندون بالقوات المسلحة المصرية ، وأصبحوا بالتالى أعضاء فى الطبقة العسكرية الجديدة .

ومنذ بداية عصر الرعامسة ، أصبح الأسرى الأجانب يجندون بكثرة ضمن أفراد الجيش المصرى .

ونتيجة لزيادة حركة «تمصير» هؤلاء الأسرى وادماجهم بالتالى فى المجتمع المصرى ، فقد ازداد تأثيرهم الاقتصادى والثقافى على طبيعة بناء المجتمع المصرى . وقد تسبب ذلك فى حدوث تغييرات عميقة فى البناء الثقافى والسياسى للمجتمع المصرى فى أواخر عصر «الدولة الحديثة» كما سنرى فيما بعد .



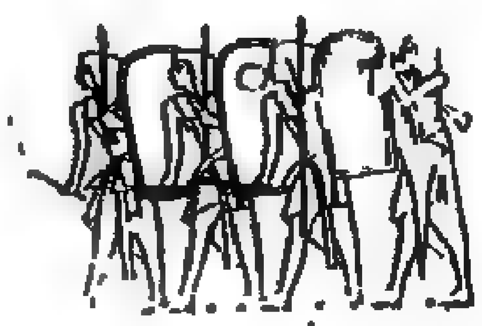
وغنى عن الذكر أن نشير إلى ارتفاع معدل الوفيات فى جميع مجتمعات العالم القديم بصفة عامة .

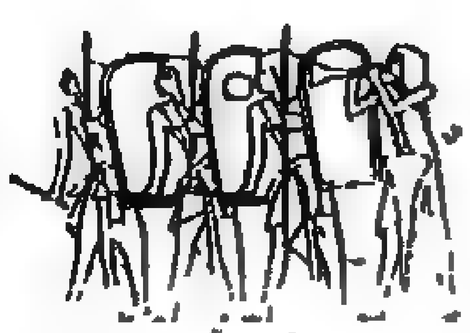
وبالنسبة لمصر فى خلال عصر الأسرات فالملاحظ أن البحوث «الديموجرافية» المتعلقة بالدراسات الاحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والأحوال المدنية ، مازالت ضئيلة وضيقة النطاق ، وذلك رغم أن البعثات الأثرية الدولية التى بدأت اعمالها فى مناطق النوبة منذ سنة ١٩٦١ قد زودتنا بمعلومات لا بأس بها فى هذا الخصوص .

وتدل الدراسات الأثرية التى اجريت على البقايا البشرية التى عثر عليها فى الحفريات الخاصة ببعض المقابر القديمة بمنطقة أسيوط ومنطقة الجبلين[٣] على أن معدل «الخصوبة» بالنسبة للمرأة المصرية كان منخفضا . وهذا يدل بالتالى على أن مصر لم تكن تعانى من مشاكل النمو السكانى ، وأن عدد السكان كان متوازنا إلى حد كبير مع موارد الاقتصاد القومى بالدولة .

وقد أسفرت الحفريات التى قام بها «م. بيتاك M. BIETAK» عن نتيجة مؤداها ارتفاع نسبة الوفيات . كما تدل البحوث التى أجراها «د. أوكونور D. OCONNOR» على الآثار التى عثر عليها بمنطقتى «العثمانية والمطمر ETMANIEH AND MATMAR»[٤] والتى يرجع بعضها إلى عصر الأسرات ويرجع بعضها الآخر إلى عصر ما قبل الأسرات ، على ارتفاع نسبة الوفيات المبكرة ، أى وفيات صغار السن .

وعلى أية حال ، فإن من الصعب تماماً الحصول على بيانات احصائية دقيقة فى ضوء المعلومات الضئيلة المتاحة عن طبيعة تركيب وتكوين فئات الشعب المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر . ولكن يمكننا فى الوقت نفسه أن تستند إلى هذه المعلومات – على قلتها – فى تكوين فكرة تصورية عامة فى هذا الخصوص .





هذا ويمكننا ان نخلص فى النهاية بأن هناك طبقة اجتماعية جديدة قد ظهرت إلى حيز الوجود ، وهى طبقة العسكريين . وكانت لهذه الطبقة أهمية اقتصادية كبيرة فى المجتمع المصرى الذى تسيدت عليه الاتجاهات الامبراطورية فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

ومن الثابت أن هذه الطبقة قد أصبحت بالتدريج قوة مسيطرة ومهيمنة ، بفضل العديد من ميزاتها الاقتصادية والاجتماعية ، باعتبارها طبقة تمثل ملاك الأرض ، وشاغلى المناصب العليا فى الدولة ، الذين يسيطرون تماماً على كافة الأنشطة فى الحياة الاقتصادية بالدولة .

ويمكننا أن نستنتج أن «الوحدات العسكرية العاملة» كانت تمثل نسبة مئوية ضئيلة من القوات المسلحة التى تم تجنيدها وتدريبها وتجهيزها ، والتى يمكن استدعاؤها للحرب فى حالات التعبئة العامة .

وقد عثر على الكثير من الآثار والنقوش بمقابر كبار الموظفين الذين شغلوا مناصبهم فى عصر الأسرة الثامنة عشر . وتقع هذه المقابر بمدافن طيبة ، وهى تخص أفراداً من علية القوم وأصحاب المقام الرفيع فى المجتمع المصرى ، كان بعضهم يحمل ألقاباً عسكرية ، وبعضهم الآخر كان يشغل وظائف مدنية عليا بعد تركهم للخدمة العسكرية . وهذا يدل على أن نسبة العسكريين ، أو الموظفين المدنيين الكبار من ذوى الأصول العسكرية ، كانت كبيرة بالمقارنة إلى طبقة أصحاب المقام الرفيع فى المجتمع المصرى .

لقد تم اكتشاف نحو اثنتين وأربعين مقبرة ، تدل على أن أصحابها كانوا يحملون ألقاباً دينية وعسكرية ومدنية رفيعة مثل : كاهن الاله آمون . والمشرف على الخزانة . والمشرف على الأعمال . والمشرف على شئون الأطفال الملكيين . ونائب الملك . والكاهن الأول لجميع الآلهة . وغير ذلك من الألقاب الرفيعة الأخرى .

ومن بين هذه المقابر ، نجد ثلاثا وعشرين مقبرة خاصة بالضباط العسكريين ، أو تحمل نقوشا ومناظر عسكرية . وهى المقابر أرقام : ٣٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٥٦ - ٦٣ - ٧١ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٥ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٣١ - ١٤٣ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٣٩ - ٣٨٣ .

وفى المقابر السبع التالية ، نجد أن أصحابها كانوا يحملون ألقابا مثل : «طفل الحضانة» بالمقبرة رقم ٢٥٨ – و «الكاتب الملكى بحضانة الأطفال الملكيين» بالمقبرة رقم ٢٢٦ – و «الكاهن الأول للاله أونوريس ONURIS» بالمقبرة رقم ١٠٨ – و «كاتب خزانة الاله آمون» بالمقبرة رقم ٣٦٥ – و «المشرف على الأعمال الخاصة بالاله آمون رع» بالمقبرة رقم ١٤٢ – و «مديرة القصر ومرضعة زوجة الاله» بالمقبرة رقم ٢٥٢ – و «المشرف على الخزانة وعلى الأعمال» بالمقبرة رقم ١١ .

وقد ذكرنا من قبل أن كثيراً من الضباط العسكريين كانوا يشغلون وظائف ومناصب إدارية ذات طبيعة مدنية بعد تركهم الخدمة العسكرية . وسوف يتبين لنا فيما بعد أن منصب «المشرف على الأعمال» ومنصب «المشرف على الخزانة» كانا من المناصب التى يقتصر شغلها على العسكريين السابقين .

ويتضح لنا نتيجة لذلك أن أصحاب المقام الرفيع من الطبقة العسكرية الجديدة ، كانوا يمثلون نسبة مئوية كبيرة من علية القوم الذين منحوا الحق فى إنشاء مقابر لهم بمدافن طيبة فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر .

وسنرى فيما بعد الدور الثقافى والسياسى والدينى الذى لعبته الطبقة العسكرية التى هيمنت على الدولة قبيل ثورة العمارنة .

وسنرى كذلك كيف كانت الامبراطورية المصرية فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر وما بعدها بقليل ، تربة صالحة لتراكم عناصر التحلل والتمزق والفساد الذى أدى إلى انهيار هذه الامبراطورية فى نهاية الأمر .

وسنرى أيضا أن «الظاهرة الامبراطورية» التى حدثت بمصر فى خلال عصر «الدولة الحديثة» تشبه إلى حد كبير ما يسميه «أرنولد توينبى A. TOYNBEE» بالحكومة العالمية

الفصل الثالث

الدور السياسى والادارى والأيديولوچى للطبقة العسكرية الجديدة قبيل أزمة العمارنة

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول

أمنحتب بن حابو

هو نموذج صادق لأحد أفراد تلك النخبة الممتازة من الضباط المثقفين الذين تولوا الوظائف العامة ، فى خلال فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وكان «أمنحتب بن حابو AMENOPHIS, THE SON OF HAPU» [صورة ١٣] يتولى منصب «الكاتب العسكرى» فى عهد «تحوتمس الرابع» ثم فى عهد «امنحتب الثالث»، وكان حكيماً فيلسوفا وعلى درجة عالية جداً من الثقافة والمعرفة .

وقد شبه «أمنحتب بن حابو» بسلفه العظيم «إمحوتب IMHOTEP» [١] المهندس الحكيم الطبيب والوزير فى عهد «زوسر DJOSER» [٢] أيام الدولة القديمة . [صورة ١٤ ، ١٥].

لقد بلغ اجلال المصريين للحكيم «إمحوتب» درجة العبادة ، حتى صار إلهاً معبوداً فى أواخر التاريخ المصرى القديم . وكان مقر عبادته فى مدينة منف . وكان «إمحوتب» بحق عبقرية فذة متفردة وحدها فى التاريخ القديم كله ، فقد اعتبر اسطورة هندسية فى المعمار وبناء المعابد ، ومخترعاً لا مثيل له فى العلوم ، ونصيراً للبائسين والمكروبين ، وصاحب القدرة الفائقة على شفاء المرضى ، حتى أصبح شبيها فى النهاية بالاله «اسكلبيوس ASKLEPIOS» [٣] إله الطب الاغريقى الذى عرفته مصر فى عصر البطالمة .

ومثلما أَلَّه المصريون «امحوتب» وعبدوه ، فقد ألهوا وقدسوا أيضا «امنحتب بن حابو» وجعلوا له ديانة وعبادة مستقلة ، ظهرت وانتشرت فى عصر «الدولة الحديثة» . وقد لعب «امنحتب بن حابو» نفس الدور الذى لعبه سلفه العظيم من قبل ، وهو القدرة الاسطورية المعجزة على التطبيب وشفاء الأمراض ، الأمر الذى كان له تأثير كبير على جماهير الشعب .

وكان الحجاج المصريون الذين يؤدون طقوسهم الدينية بمعبد الدير البحرى ، يؤدون طقوساً أخرى لعبادة «امنحتب بن حابو» باعتباره الشافى من الأمراض ، وصاحب شرف اكتشاف الفصل رقم ١٦٧ من «كتاب الموتى» وهو كتاب مقدس لدى المصريين .

ولعل التناقض بين طبيعة «امنحتب بن حابو» باعتباره ضابطا فى الجيش ويشغل منصب «الكاتب العسكرى» وبين طبيعته كحكيم وعالم طبيب يصبح أمراً لا محل له ، إذا وضعنا فى الاعتبار أن بعض الأفراد من النخبة الممتازة من طبقة العسكريين الجديدة ، قد بلغوا أعلى المراتب فى العلوم والثقافة العامة . خاصة وأن «امنحتب بن حابو» كان من فئة الكتاب العسكريين التى كانت تتبوأ مكانة رفيعة بين الطبقة العسكرية بصفة عامة ، وكان ينظر إلى هذه الفئة باعتبارها من حملة كتب التراث المصرى التقليدية .

ويقول «كاكوشى» أن «امنحتب بن حابو» صار حكيماً مبجلًا ومعبوداً اثناء حياته ، باعتباره صورة جذابة لفيض المعرفة التابع من الاله «تحوت THOTS h»[1].

وإذا رجعنا إلى الفصول أرقام : ٩٤ – ٩٥ – ٩٦ من كتاب الموتى ، نرى أن الاله «تحوت» كان يصاحب المتوفى إلى العالم الآخر وهو يقوم بدور الكاتب .

ويضيف «كاكوشى» أن تقديس «امنحتب بن حابو» كان يرجع أيضا إلى معرفته الواسعة بأسرار العالم الآخر ، بالاضافة إلى قدرته على الكتابة والتعبير بالقلم . ولما كان من الضرورى على المصرى ان يكون ملماً باسرار العالم الآخر ، حتى يستطيع أن يتلمس طريقه هناك ، فقد أصبح يتشفع بالحكيمين المصريين «إمحوتب ، وامنحتب بن حابو» لكى يصحبانه إلى العالم الآخر وليستفيد بمعرفتهما بأسراره .

وهذه المكانة الرفيعة التى احتلها هذا الضابط المصرى الذى كان يعيش فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، تبين لنا مدى الدور العظيم المتفرد الذى لعبته طبقة الضباط على وجه العموم ، وفئة «الكتاب العسكريين» منهم على وجه الخصوص .

غير أن «امنحتب بن حابو» قد اعتبر – حتى اثناء حياته – صاحب معجزات وقدرات غير عادية . وكان الناس يؤمنون بأن تماثيله لها قدرة خاصة بالوساطة بينهم وبين إله المعبد الذي توجد به هذه التماثيل .

وقد عثر على تمثالين له أمام الصرح العاشر بالكرنك ، وعلى أحد هذين التمثالين نرى نصاً يقول : «أنتم أيها القادمون من الجنوب أو من الشمال .. يا كل العيون التى ترى الشمس .. يا من جئتم إلى طيبة لتتشفعوا إلى رب الأرباب .. تعالوا إلى .. فسوف أبلغ كلماتكم إلى آمون إله الكرنك .. وأرفع إليه ما تتلونه من صلوات .. وماتقدمونه من قرابين .. فأنا الرسول الذى عينه الملك .. لأسمع توسلاتكم .. ولأخبره بكل ما يجرى على الأرضين من أحداث ..» .

أما النص المنقوش على تمثاله الثانى ، فيتضمن نفس هذه المعانى على وجه التقريب ، مع التأكيد على الاشارة بأنه رسول الاله الذى عينه الملك «امنحتب الثالث» ليخبره ما يقال وما يجرى فى الأرضين .

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى نصوص مماثلة فى المعنى ، قد عثر عليها منقوشة على تمثالين آخرين لاثنين من الضباط الذين ينتمون إلى فئة «الكتاب العسكريين» فى نفس العصر وتحت قيادة نفس الملك . وقد عثر على التمثال الأول بمعبد الالهة «موت MUT» (*) بالكرنك ، ويحمل اسم «مين MEN» الكاتب العسكرى . أما التمثال الثانى فيخص «رايا RAYA» كاتب الجيش .

وهذه النصوص المنقوشة على تماثيل هؤلاء العسكريين ، تؤكد لنا أنهم كانوا يلعبون دوراً دينياً له شهرة وشعبية واسعة . ورغم غموض هذا الدور وعدم معرفة حدوده على وجه اليقين ، فمن الثابت أن عملية تقديس «أمنحتب بن حابو» قد بدأت اثناء حياته ، باعتباره حكيماً ذا صفة إلهية معجزة .

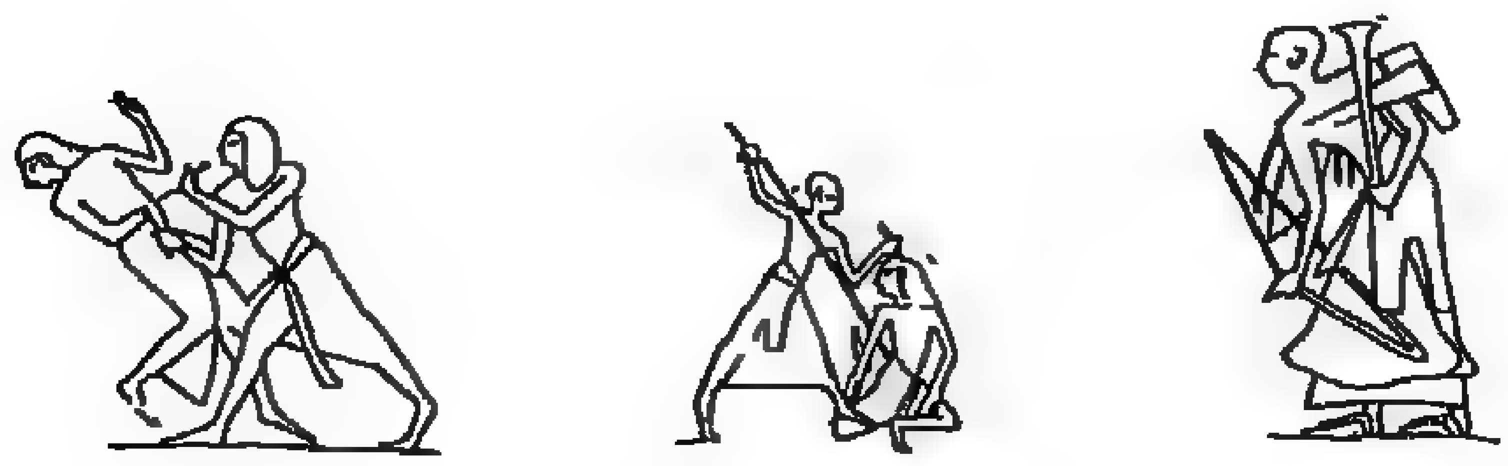
ومثل معظم ضباط الجيش فى ذلك العصر ، لم يكن «أمنحتب بن حابو» سليلاً من إحدى الأسر العريقة بطيبة ، وانما ولد فى «أتريب ATHRIBIS» [٦] وهى المحافظة العاشرة بالوجه البحرى ، ومن أسرة متواضعة الأصل .

ويعارض «هلك» الفكرة التى يقول بها «و.ر. داونس W.R. DAWONS» وهى أن «حابو» والد أمنحتب ، كان يحمل ألقاباً مميزة ، وأنه ينتمى إلى أسرة نبيلة ترجع أصولها إلى أيام احتلال الهكسوس لمصر ، فهذه الفكرة لا تستند إلى دليل قاطع .

ويشير «هلك» إلى أن «أمنحتب بن حابو» قد ولد فى بداية حكم «تحوتمس الثالث» . وأنه قام بالخدمة العسكرية بالجيش فى عهد كل من «تحوتمس الثالث» و «امنحوتب الثانى» و «تحوتمس الرابع» على التوالى .

ويقول «أمنحتب بن حابو» فى النص الذى يحكى قصة حياته : انه قد تعرف على جميع اسرار الاله «تحوت» .. وأنه أصبح مشهوراً فى البلاد بسبب معرفته «بكتاب الاله» .. وان نصائحه تستند فى أساسها إلى ما جاء بهذا الكتاب .

وبطبيعة الحال ، فقد بلغ «أمنحتب بن حابو» هذه المكانة بسبب مواهبه الفنية والهندسية التى تظهر آثارها بوضوح على العمائر الدينية الضخمة التى بنيت فى عهد «امنحتب الثالث» الذى منحه لقب «المشرف على أعمال البناء الخاصة بالملك» . وقد سبق أن أوضحنا أن لقب «المشرف على الأعمال» كان قاصراً بصفة عامة على كبار الموظفين الذين كانوا فى الأصل ضباطاً بالقوات المسلحة المصرية ، كما كان عليه الحال بالنسبة للضابط «سننموت» الذى أصبح المهندس الأعظم و «المشرف على الأعمال» فى عهد الملكة «حتشبسوت» .

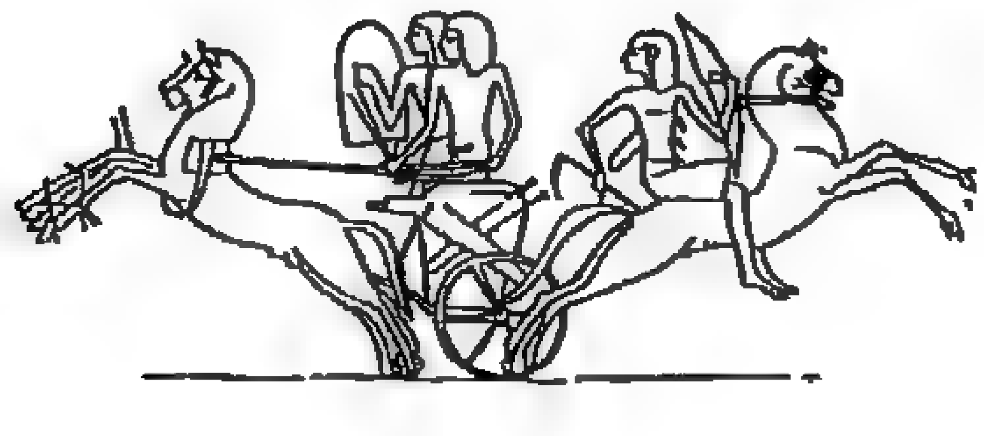


ولعل نظام التعليم الأساسى ، الرفيع المستوى والبالغ التعقيد ، الذى كان يتلقاه أفراد طبقة العسكريين ، لتأهيلهم لأداء التخصصات المختلفة التى كانت تناط بهم ، هو السبب المباشر الذى أتاح للنخبة الممتازة من هذه الطبقة أن تباشر الوظائف العليا التى كانوا يعينون بها بعد تركهم الخدمة العسكرية ، وهى وظائف تتعدد اختصاصاتها العسكرية والادارية بل والدينية أيضا ، الأمر الذى ظهر كثيراً فى الألقاب المتعددة التى كان يحملها بعض كبار الموظفين فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

هذا بالاضافة إلى أنه منذ بداية عصر الامبراطورية أخذت تتم بالتدريج عملية «عسكرة» القطاع المدنى بالدولة ، وذلك بسبب اسناد وظائف هذا القطاع إلى عديد من الضباط بعد تركهم للخدمة بالقوات المسلحة . ومن هنا أخذت الشقة تضيق بين القطاع المدنى والقطاع العسكرى ، حتى استولى العسكريون فى النهاية على معظم –إن لم يكن جميع –الوظائف العليا الهامة فى كل مرافق الدولة .

أما الوظائف الدينية ، فقد شغلها العسكريون كذلك بعد أزمة العمارنة ، نتيجة للدور السياسى الفعّال الذى قامت به طبقة العسكريين فى أعقاب تلك الأزمة .

ثم أصبح تعيين العسكريين فى الوظائف الدينية بمختلف درجاتها اتجاهاً عاماً للدولة ، استمر حتى عصر الرعامسة ، ثم أدى فى النهاية إلى حدوث تغييرات جوهرية فى النظام الاقتصادى والسياسى للدولة ، كانت من أهم الاسباب التى أدت إلى تدهور الامبراطورية وانهيارها فى نهاية الأمر ، كما سنرى فيما بعد .



وقد منح «أمنحتب بن حابو» الحق فى إقامة معبد جنائزى تقام فيه شعائر عبادته فى مكان قريب من معبد «امنحتب الثالث» بطيبة الغربية .

وقد تجلت مواهبه العلمية والفنية والادارية فى العملية الفذة التى وضع خطتها وقام بتنفيذها ، حيث تم نقل الكتل الصخرية الضخمة التى استقطعت من منطقة «الجبل الأحمر» قرب هليوبوليس ، عبر البر والنهر ، حتى أوصلها إلى طيبة ، لتنحت منها أضخم التماثيل .

وكان «أمنحتب بن حابو» مدركا تماماً مدى قدراته ومواهبه الخاصة ، فذكر بالنص الذى يحكى قصة حياته : «انه لم يقلد أحداً من قبله ، وأن أحداً لم يقدر على صنع شيء مثل ما صنعه ، منذ أن تم توحيد الأرضين» .

وقد منح «أمنحتب بنّ حابو» لقباً دينياً رفيعاً ، وهو «الكاهن المرتل SM PRIEST فى بيت الذهب» وذلك بسبب كثرة المبانى الدينية التى أشرف على بنائها . وقد منح هذا القب إليه بمفهوم خاص ، مؤداه أن الأشخاص الذين يتمتعون «بقوة إلهية» هم وحدهم القادرون على إنشاء المبانى الدينية .

ومن المحتمل أن خطوات الضباط الأولى نحو توليهم المناصب الدينية ، كانت بسبب قيامهم بمثل هذه الأعمال منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشر . ونشير على سبيل المثال إلى الألقاب الدينية التى منحت «لسننموت» مهندس الملكة «حتشبسوت» والذى كان يشغل من قبل منصباً عسكرياً .

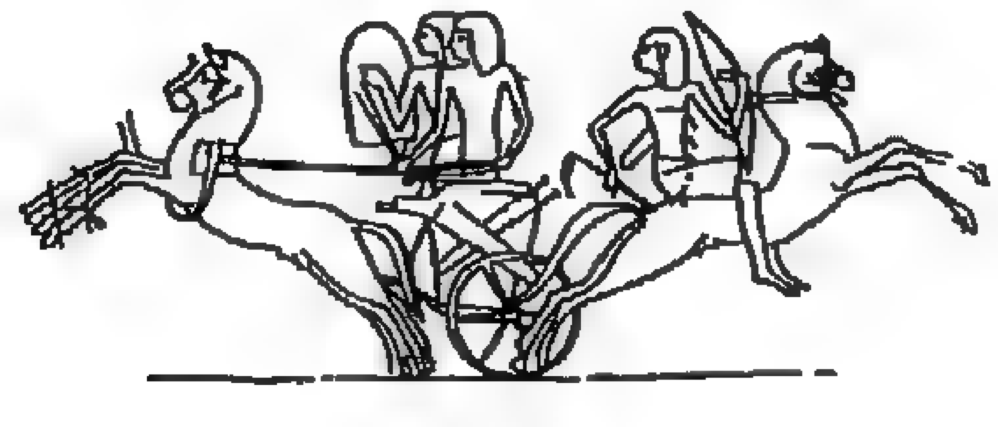
كما نشير أيضا إلى الألقاب الدينية التى كان يحملها «منميسو MENMESU» الذى كان يشغل وظيفة «المشرف على كل المبانى الدينية فى الوجه البحرى والوجه القبلى» والذى عمل فى عهد كل من «تحوتمس الثالث» و «امنحتب الثانى» على التوالى ، والذى تم تعيينه كاهناً أعلى فى كل معبد كان يشرف على إنشائه .

وبمناسبة «العيد الثلاثينى» (٧) لجلوس «امنحتب الثالث» [صورة ١٦] ، عهد إلى «أمنحتب بن حابو» بعملية إقامة معبد بمنطقة «صولب SOLEB» بالنوبة العليا . وقد أشار فى قصة حياته إلى هذا التكليف الهام ، فذكر أنه كان مسئولاً مسئولية كاملة عن بناء هذا المعبد ، وتنظيم الطقوس والصلوات اليومية التى كانت تقام فيه ، وتخصيص الأراضى الزراعية التى توقف عليه ، وإمداده بالرجال الذين يعملون فى مرافقه ، بما فى ذلك تعيين كهنة آمون .

وفى تصورى أن أهم حقيقة وردت فى هذا النص ، تتمثل فى تكليف «أمنحتب بن حابو» – وهو فى الأصل ضابط عسكرى برتبة «كاتب الجيش» – بأن يقوم بنفسه باختيار وتعيين «كهنة آمون» للخدمة بهذا المعبد . وهذا يدل بشكل قاطع على أن الصراع الذى احتدم بين طبقة العسكريين وطبقة رجال الدين وكهنة آمون ، قد انتهى بشكل درامى لصالح العسكريين .

ومن النصوص المنقوشة على جدران معبد«صولب» يتبين لنا أن «أمنحتب بن حابو» قد وصف بلقب «ربعت rpˁ t» – أى «الأمير الوراثى» ويشير «هلك» إلى أن الدور الذى لعبه «أمنحتب بن حابو» كأمير وراثى – (ربعت) – بمعبد صولب ، يماثل نفس الدور الذى لعبه الأمير الوراثى بمعبد «نى أوسر رع NI USER RE» (٨) فى عصر الأسرة الخامسة ، أيام «الدولة القديمة» . وهذا يؤكد مدى أهمية هذه الصفوة من المثقفين المصريين ، الذين وجد فيهم البلاط الملكى خير عون ، باعتبارهم على أعلى مستوى من العلم والخبرة ومعرفة التراث المصرى بابعاده وأعماقه .

وهذا الولع الشديد بالتراث المصرى ، كان طابعاً عاماً مميزاً ، ساد فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وكان له تأثير فعال فى تطوير الأحداث الدينية والتاريخية فيما بعد . وبعد بلغ هذا الاتجاه ذراه ، على يد الأمير «خع – إم – واس KHA EM WISE» (٩) أحد أبناء «رمسيس الثانى» فى عصر الأسرة التاسعة عشر ، كما سنرى فيما بعد .



ونعود إلى دراسة المكانة الدينية الرفيعة التى وصل إليها «أمنحتب بن حابو» فنرى أنه كتب نصاً على تمثاله ، يصف فيه كيف عينه الملك «رئيساً لاحتفالات الاله آمون» وكيف أنه قام بأداء نفس الطقوس التى كان يؤديها الملك .

ونلاحظ أن هناك حالات أخرى كان يقوم فيها بعض كبار الضباط بتمثيل الملك فى الاحتفالات الدينية . والأمثلة على ذلك عديدة ، فقائد قلعة «سيلا SILE» المدعو «سيتى SETHOS» قام بتمثيل الفرعون كرئيس لاحتفالات إله منديس MENDES فى عصر الأسرة الثامنة عشر . كما قام «تحوتمس الرابع» بتعيين إثنين من كبار الموظفين لتمثيله فى رئاسة الاحتفالات الدينية الخاصة ببعض الآلهة ، وهما «مرى رع MERIRE» الذى كان يشغل وظيفة «مر — بر — ورmr - pr - wr» أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية ، و «ماى MAY» الذى كان يشغل وظيفة «المشرف على الخزانة» . وقد رأينا من قبل أن هاتين الوظيفتين كانتا تشغلان دائما بالضباط العسكريين بعد انتهائهم من أداء الخدمة .

وقد قام «أمنحتب بن حابو» بتسجيل نص على أحد تماثيله يقول فيه أن «امنحتب الثالث» قد سمح له «بحصة من الخبز من العطايا الملكية» وهو شرف كبير منح فى عهد « اخناتون» إلى كل من «دودو DUDU» الياور الشهير بالبلاط الملكى فى «آخت آتون» و «مرى رع» الكاهن الأول للاله «آتون ATEN» .

وكان تعيين «أمنحتب بن حابو» مشرفا على خزانة الابنة الكبرى للملك «امنحتب الثالث» الأميرة «ست آمون SETAMUN» (١٠) [صورة ١٧] هو بداية تنحيه عن السلك العسكرى ودخوله نطاق الوظائف ذات الطبيعة المدنية . ومن الواضح انه لم يصل فى المناصب العسكرية إلى رتبة «لواء» أو قائد عام . ومن المحتمل إن احالته من الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية قد تمت نهائيا بشكل قاطع فى مناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك «امنحتب الثالث» .

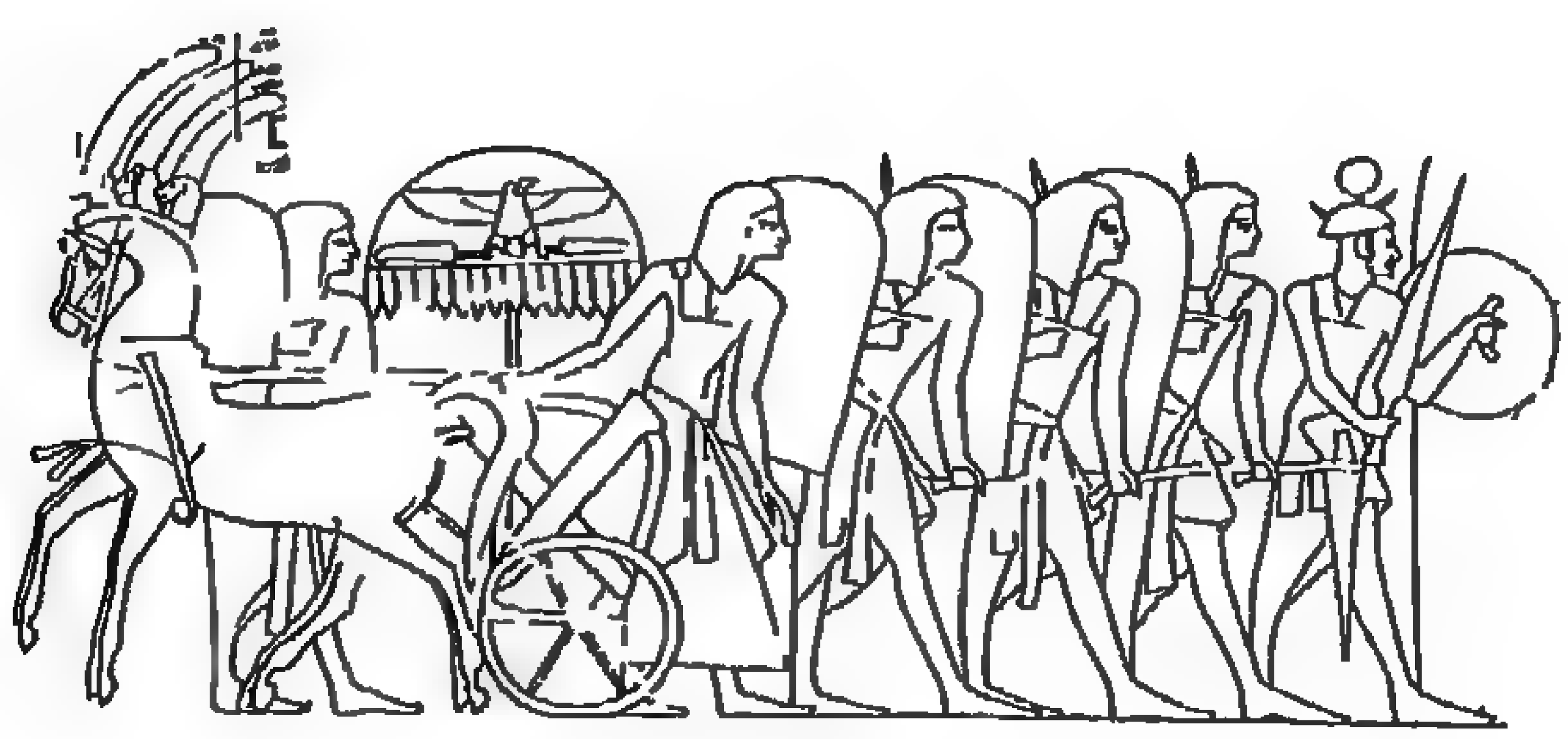
وأخيرا فقد لا تكون هناك أهمية لذكر التقسيم الفئوى الذى قام به «هلك» لطبقة الضباط بالجيش المصرى ، حيث قسمهم إلى «ضباط ميدان أو ضباط مقاتلين» يباشرون اعمالاً واختصاصات عسكرية وحربية بحتة ، وموظفين يشغلون مناصب عسكرية مثل «الكتاب العسكريين» و «كتاب الجيش» و «كتاب التجنيد» . ونحن نرى أن هذا التقسيم لا يقوم على أساس سليم ، وأن الخط الوهمى الذى يبدو وكأنه فاصل بين الفئتين ، يتلاشى تماماً إذا أخذنا فى الاعتبار أن معظم الضباط الذين كانوا يشغلون منصب «كاتب

التجنيد» قد تمت ترقيتهم إلى رتبة «لواء» أو قائد عام ، حيث كانوا يتولون قيادة العديد من الوحدات العسكرية المحاربة المقاتلة، أو العاملة فى الخدمة الفعلية . وأكبر مثال على ذلك هو «حور محب» الذى رقى إلى رتبة «قائد عام» وكان من قبل برتبة «كاتب تجنيد» .

ولقد بلغ «أمنحتب بن حابو» قمة حياته الوظيفية حين تم تعينه فى وظيفة «حامل المروحة على يمين الملك» وهى نفس الوظيفة التى شغلها «آى AY» الذى كان قائداً عاما لسلاح المركبات الحربية فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر .

أما آخر الألقاب التى منحت «لأمنحتب بن حابو» فهو لقب «المشرف على قطعان آمون بالوجه القبلى والوجه البحرى» . وهذا يعنى أن أحد ضباط الجيش المصرى ، أصبح يشغل منصبا فى غاية الأهمية ، يتيح له التحكم والاشراف على جزء هام جدا من ثروات وممتلكات معابد الاله آمون فى جميع أنحاء الديار المصرية .

وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر لم يتم مصادفة ، بل كان تطوراً طبيعياً للاحداث والأحوال التى سادت قبيل حدوث أزمة العمارنة .



المبحث الثانى

رعموزا : الوزير وصاحب المناصب العسكرية

يعتبر « رعموزا RAMOSE» من أهم الشخصيات الذين تقلدوا المناصب العليا بعد تركهم للخدمة العسكرية وأصبح «وزيرا» فى عهد «امنحتب الثالث» ثم فى عهد «امنحتب الرابع» قبل أن يتسمى هذا الأخير باسم« اخناتون» وينتقل إلى عاصمته الجديدة «آخت آتون AKHET ATEN» [1] .

وينحدر «رعموزا» من أسرة عسكرية ، رغم أن أباه «حيبى HEBI» كان لا يحمل ألقاباً ، وذكر اسمه مجرداً . أما أخوه الأكبر ويدعى «امنحتب» فقد كان ضابطا كبيراً برتبة «كاتب التجنيد» قبل أن يحال إلى الاستيداع ويعين بمنصب «مر - پر - ور» أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية بمدينة منف . بينما أخوه الأصغر ويدعى «ماى MAY» قد كان قائداً لسلاح المركبات الحربية .

أما «رعموزا» نفسه فقد كان قبل أن يتولى الوزارة ، شاغلاً لمنصبين عسكريين فى غاية الأهمية ، وهما «قائد الوحدات والفرق الحربية» و «القائد المساعد للجيش» .

وتجدر الاشارة هنا إلى النصوص والنقوش والمناظر التى تزين جدران مقبرته الفخمة بجبانة طيبة ، حيث نرى فى أحد المناظر لوحة للملك «امنحتب الرابع» مرسومة طبقا للاسلوب التقليدى لفن الرسم الفرعونى القديم . ثم حدث تغيير فجائى فى اسلوب الرسم والتصوير ، حيث حلت الاتجاهات الفنية الجديدة التى تميزت بها ثورة العمارنة [2]، محل اسلوب التصوير التقليدى . فعلى الجدران المواجهة لمدخل المقبرة ، نرى «امنحتب الرابع» بعد أن تسمى باسم «اخناتون» ومعه زوجته الشهيرة الملكة «نفرتيتى» وهما مستندين على سور شرفة

القصر ، وفوقهما «قرص الشمس» تخرج منه الأشعه الآتونية المشهورة ، ويقومان بمنح العطايا لبعض حكام الأقاليم ، وهى عبارة عن عقود من الذهب ، بينما وقف بعض كبار الموظفين والخدم الملكيين يشاهدون المنظر .

ويثور التساؤل عن السر فى أن المقبرة الخاصة «برعموزا» قد وجدت غير كاملة البناء والنقوش ، الأمر الذى يضع العديد من علامات الاستفهام عن القدر والمصير الذى آل إليه «رعموزا» فى خلال ثورة العمارنة .

ومع ذلك فمن المؤكد أنه لم يعانى من أى اضطهاد أو سوء معاملة على أيدى اتباع «اخناتون» إبان الثورة . ونستنتج هذا المعنى من ظاهرة عدم المساس باسمه المنقوش مرات عديدة على جدران المقبرة ، بينما وجد اسم الاله آمون نفسه ممحواً ومشوها أينما وجد على هذه الجدران .

ولا شك أن انتماء «رعموزا» الى عائلة عسكرية ، حيث كان أخواه يتوليان أعلى المناصب العسكرية والادارية بالدولة ، يجعل من الصعب ممارسة أى اضطهاد أو اعتداء عليه . ويرى «سليم حسن» أن «رعموزا» كان ينتمى إلى نفس الأسرة التى كان ينتمى إليها «امنحتب بن حابو» .

وعلى جدران معبد صولب بالنوبة العليا ، نرى نقوشاً تمثل «رعموزا» حين كان مشتركا فى الاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك «امنحتب الثالث» باعتباره «وزير الوجه القبلى» .

ومن قصة حياة «رعموزا» نرى أن منصب «الوزير» قد أصبح يعهد به إلى كبار العسكريين بعد تركهم للخدمة ، وهو الاتجاه الذى أصبح اتجاهاً عاماً فى فترة ما بعد ثورة العمارنة .

وإلى جانب منصب «الوزير» تقلد «رعموزا» مناصب عليا أخرى ، كمنصب «المشرف على كهنة جميع الآلهة بالوجه القبلى والوجه البحرى» ومنصب «كبير

المشرفين» ومنصب «الكاهن المرتل» . وهذه المناصب كلها تعطينا صورة واضحة عن المكانة التى ارتفع إليها أحد أفراد النخبة الممتازة من طبقة العسكريين ، ومدى اتساع السلطات التى أصبحت تمارسها هذه الطبقة .



المبحث الثالث

ملاحظات اضافية عن : «الكتاب العسكريين» و «الضباط المقاتلين»

أشرنا من قبل إلى التقسيم الذى افترضه «هلك» بين فئة «الضباط المقاتلين» وفئة «الكتاب العسكريين» حيث يقول أن هذه الفئة الأخيرة كانت تبدأ حياتها فى الخدمة العسكرية «كجنود كتبة» فى مختلف وحدات الجيش ، وذلك بعد اجتيازهم لمراحل تعليمية محددة ، ونحن نرى أن الخط الوهمى الفاصل بين الكتاب العسكريين وضباط الجبهة ليس له ما يبرره . وقد ثبت أن بعض الكتاب العسكريين قد تولوا مناصب عليا بالجيش ، كمنصب «رئيس الكتبة العسكريين» ومنصب «كاتب التجنيد» ، بل وتمت ترقية البعض منهم إلى رتبة (جنرال) «لواء» أو «قائد عام» .

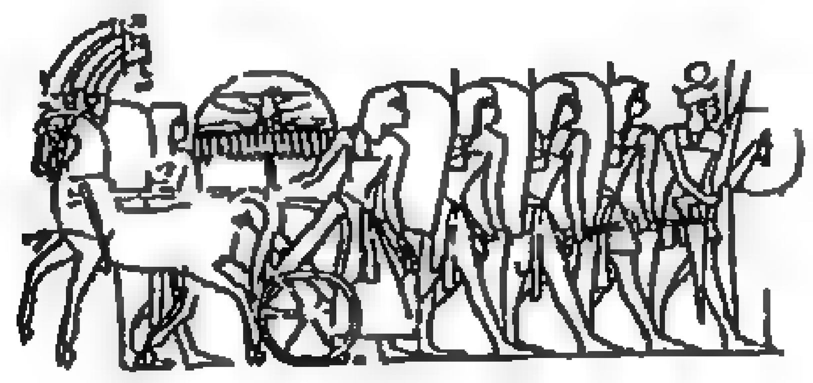
وبالرغم من أن رتبة «لواء GENERAL» تعنى أن شاغلها يتولى قيادة مجموعة من الوحدات الحربية المقاتلة ، إلا أن «هلك»يرى مع ذلك أن ترقية بعض «كتاب التجنيد» إلى رتبة لواء ، لا تعنى بالضرورة أنهم كانوا يباشرون اختصاصات ذات صبغة حربية قتالية .

وفى رأيى أن الواقع الذى تفرضه الروح الأمبراطورية التى سادت ذلك العصر ، يفترض معه أن هذا الخط الواهى الذى يفصل بين اختصاصات الكتاب العسكريين والضباط المقاتلين ، لا بد أن يتلاشى تماماً فى النهاية ، أو على الأقل حين تم ترقية الكتاب العسكريين إلى رتبة لواء أو قائد عام ، حيث يتحتم على شاغل هذه الرتبة أن يقود الوحدات المحاربة بالجيش .

ومن الثابت تاريخيا أن الأمير الأول «ولى العهد CROWN PRINCE» كان ينوب عن الملك فى قيادة الجيش ، وكان يشغل منصب «القائد العام لجميع القوات المسلحة» . ولا شك أن جميع لواءات الجيش كانوا يعتبرون مساعدين لولى العهد فى هذا الخصوص .

ومعنى هذا أن منصب «القائد العام لجميع القوات المسلحة المصرية» كان قاصراً على أعضاء الأسرة المالكة . باستثناء «حور محب» الذى تولى هذا المنصب الخطير فى عهد «توت عنخ آمون» وكان بذلك أول من تولى المنصب من خارج الأسرة المالكة . ومن المعروف أن «حور محب» قبل توليه هذه القيادة العامة للقوات المسلحة ، كان يشغل منصب «كاتب التجنيد» فى وقت مبكر اثناء خدمته العسكرية .

وقد لوحظ أن «نائب الملك وحاكم النوبة» فى عهد «امنحتب الثالث» كان يحمل لقب «القائد العام للقوات المسلحة» . ومن الواضح أن مفهوم هذا المنصب ينصرف إلى قيادة القوات المسلحة المصرية فى منطقة النوبة وحدها ، دون القوات المسلحة المصرية فى بقية المناطق الأخرى .



وفى عصر الأسرة الثامنة عشر ، نلاحظ وجود فئة ممتازة من «المعلمين الملكيين» كان يناط بهم أمر تعليم وتربية الأمراء والأميرات بالعائلة المالكة . وكان جميع هؤلاء المعلمين على وجه التقريب ، يتم اختيارهم من الكتاب العسكريين أو من الضباط المقاتلين . وبطبيعة الحال ، فإن «الأمراء» الذكور كانوا يتلقون نظاماً تعليميا خاصاً ، يتضمن التدريب على الأعمال ذات الطبيعة العسكرية .

ومن المؤكد أن هؤلاء المعلمين الملكيين كانوا على درجة عالية من العلم والخبرة والدراية الواسعة . وكانوا إلى جانب معرفتهم بالعلوم التقليدية ونظم التعليم التقليدية ، يتمتعون أيضا بمعرفة واسعة بالعلوم والأفكار الجديدة ، التى ظهرت بوضوح فى عصر الامبراطورية ،

بعد أن تراكمت عناصرها على مدى نحو قرنين من الزمان ، أى منذ أيام حرب التحرير حتى نهاية عهد «امنحتب الثالث» .

وقد أشرنا من قبل إلى أن «أمنحتب بن حابو» كان يشغل منصب «المعلم الملكى» للابنة الكبرى «لأمنحتب الثالث» فى وقت من الأوقات .

ونشير فى النهاية إلى ما يمكن اعتباره ظاهرة عامة ، وهى أن معظم أفراد هذه النخبة الممتازة من طبقة العسكريين ، والذين تبوأوا أعلى المناصب فى الدولة ، كانوا ينحدرون من أسر ذات أصول متواضعة ، كما هو الحال بالنسبة لسننموت وأمنحتب بن حابو والوزير رعموزا ونواب الملك حكام النوبة وكثيرين غيرهم .

ونشير كذلك إلى أن المناصب العسكرية كانت تورث فى كثير من الأحيان من الآباء إلى الأبناء ، طبقا لنظم التوريث التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى .



المبحث الرابع

الدلالات الخاصة بلقب «المشرف على الأعمال» والألقاب المشابهة الأخرى

هذا التطور الذى حدث بالوظائف الادارية فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وخصوصاً بالنسبة لوظيفة «المشرف على الأعمال» ، يعطينا صورة واضحة عن طبيعة الصراع الذى خاضته الطبقة العسكرية الجديدة فى سبيل الحصول على المزيد من القوة والسلطات الواسعة ، كما يوضح لنا أبعاد الدور المتفرد الهائل الذى لعبته هذه الطبقة فى الحركة المعمارية العظيمة التى سادت البلاد فى ذلك العصر .

وخير نموذجين نعرضهما فى هذا الشأن هما سننموت وأمنحتب بن حابو ، اللذين شغلا وظيفة «المشرف على أعمال البناء الخاصة بجلالته» ، فى كل من عهد الملكة «حتشبسوت» والملك «امنحتب الثالث» .

وكانت هذه الوظيفة تسند عادة إلى الموظفين المدنيين الذين كانوا يباشرون أعمال «وزير الخزانة» ، إلى أن تعاظمت قوة وسلطات طبقة العسكريين فابعدوا المدنيين من هذه الوظيفة ، وبدأوا يتقلدونها ويبدعون فيها . ومن الثابت أن العديد من اللواءات وكتاب الجيش قد عينوا فى هذه الوظيفة ، وحملوا لقب «المشرف على أعمال البناء الخاصة بجلالته» .

ومن الواضح أن حصول العسكريين على هذه الوظيفة الرفيعة الخاصة بالمنشآت المعمارية الضخمة ذات الطابع الدينى ، يعتبر الفصل الأخير فى الصراع الطويل الذى خاضته طبقة العسكريين فى سبيل السيطرة على جميع الأنشطة الهامة بالدولة ، خصوصاً بالنسبة لعمليات بناء العمائر الدينية الضخمة بكل ما كان لها من دلالات معنوية واقتصادية .

وباستثناء حالة الضابط المهندس «سننموت» فقد بدأ ظهور لقب «المشرف على الأعمال» فى بروتوكولات تعيين ضباط الجيش فى الوظائف ذات الطبيعة المدنية فى عهد «امنحتب الثالث» ، حيث كان السائد قبله ، هو اسناد هذه الوظيفة لبعض الكهنة أو بعض كبار الموظفين المدنيين .

وفى عهد «أخناتون» نجد أن معظم لواءات الجيش كانوا يحملون لقب «المشرف على جميع أعمال البناء الخاصة بجلالته» . ونذكر منهم على سبيل المثال اللواءين «ماى» و «با – آتون محب» اللذين كانا يحملان هذا اللقب بمدينة «آخت آتون» .

وفى عهد «توت عنخ آمون» تولى «حور محب» وظيفة «المشرف على أعمال البناء الخاصة بالاله آمون» وذلك إلى جانب وظائفه وألقابه الأخرى باعتباره «كاتب التجنيد» ثم «قائداً عاماً للجيش» .

أما فى عهد «أخناتون» فقد كان «حور محب» يحمل لقب «المشرف على أعمال النقل بمحاجر البحر الأحمر» . وهى الوظيفة التى تذكرنا بشاغلها السابق «أمنحتب بن حابو» .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الوظيفة أصبحت رفيعة المستوى فى عصر الرعامسة ، حيث كان ولى العهد ، وهو فى الوقت نفسه «القائد العام لجميع القوات المسلحة المصرية» يحمل لقب «المشرف الأعلى على عمليات النقل» .

ولاشك فى أن عمليات بناء وتشييد العمائر الدينية الضخمة التى تميزت بها الأسر الثامنة عشر ، والتى أقيمت وانتشرت فى دولة ذات حضارة معمارية عظيمة ، تضع المنشآت الدينية موضع الاجلال والتقديس ، جعلت الضباط المنتمين إلى الطبقة العسكرية الجديدة ، يتطلعون إلى السيطرة على عمليات البناء والتشييد الخاصة بالمبانى والعمائر الدينية . وقد سيطروا عليها بالفعل .

المبحث الخامس

وظيفة «مر – بر – ور»
«إلمشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية»

من أشهر معالم الصراع الذى خاضته طبقة العسكريين فى سبيل الوصول إلى أعلى مراتب السلطة السياسية والقوة الاقتصادية فى البلاد ، محاولتهم الناجحة فى الوصول إلى وظيفة «مر – بر – ور mr - pr - wr» . وهى وظيفة ذات نفوذ واسع وسلطات عليا ، وتتيح لشاغلها حق ادارة الممتلكات الخاصة بالملك .

ويقول «هلك» ان معظم الذين باشروا تلك الوظيفة الرفيعة وحملوا لقبها ، كانوا يحملون أيضا لقب «المشرف على قطعان آمون» . وقد يعنى هذا أن ممتلكات معابد آمون كانت من الناحية القانونية تدخل ضمن ممتلكات الملك ، كما كانت من الناحية العملية تحت الاشراف المباشر لمديرين تابعين للملك .

وإلى جانب الاشراف على ادارة الممتلكات الخاصة بالملك ، كانت وظيفة «مر – بر – ور» تتيح لشاغلها أيضا الاشراف على عمليات المبادلة التجارية الدولية للبضائع المنقولة على السفن . وكان الموظفون الكبار الذين يحملون هذا اللقب يقيمون عادة بمدينة منف ، ابتداء من عهد الملك «امنحتب الثالث» .

وقد منحت هذه الوظيفة إلى أحد كبار القادة العسكريين واسمه «قن آمون KENAMUN» فى عهد «امنحتب الثانى» . ومن الجدير بالذكر أن هذا القائد قد حرص على ذكر لقبه العسكرى السابق ، وكان برتبة «قائد» منقوشا على نصب خفى داخل مقبرته .

ويرى «هلك» أن رجال السلك العسكرى الذين شغلوا وظيفة «مر – پر – ور» وهى من أعلى مستويات الوظائف الرفيعة ، كانوا فى غنى عن الافتخار بألقابهم ورتبهم العسكرية التى كانوا يحملونها من قبل . إلا أن بعضا ممن شغلوا هذه الوظيفة ، حرصوا أيضا على ذكر مناصبهم وألقابهم العسكرية التى كانوا يحملونها أثناء خدمتهم السابقة بالجيش . وحدث ذلك بالنسبة «لأمنحتب» الذى شغل وظيفة «مر – پر – ور» أيام الملكة «حتشبسوت» وأيضا بالنسبة «لووسر WOSER» الذى شغل نفس الوظيفة أيام الملك «تحوتمس الأول» وكان كل منهما يحمل اللقب العسكرى «قن kn» ومعناه «القوى» .

ومن الواضح فى حالات كثيرة ، أن بعض من كانوا يشغلون وظيفة «مر – پر – ور» قد كلفوا بالقيام بمهام ذات طبيعة عسكرية ، وكانوا يحملون لقب «شجاع الملك» . وبطبيعة الأمور فإن مثل هذا التكليف يرجح أن شاغلى هذه الوظيفة كانوا فى الأصل من كبار الضباط العسكريين .

وفى فترة النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشر ، تعددت الاختصاصات المسندة إلى شاغل وظيفة «مر – پر – ور» وازدادت الوظيفة نفسها قوة وأهمية . وحتى يقوم شاغل هذه الوظيفة بمسئولياته فى ادارة الممتلكات الملكية ، فقد كان من المحتم أن يصبح على علاقة مباشرة بالملك ، لكى يتعرف على رغباته وأوامره ، فيقوم بتنفيذها كما ينبغى .

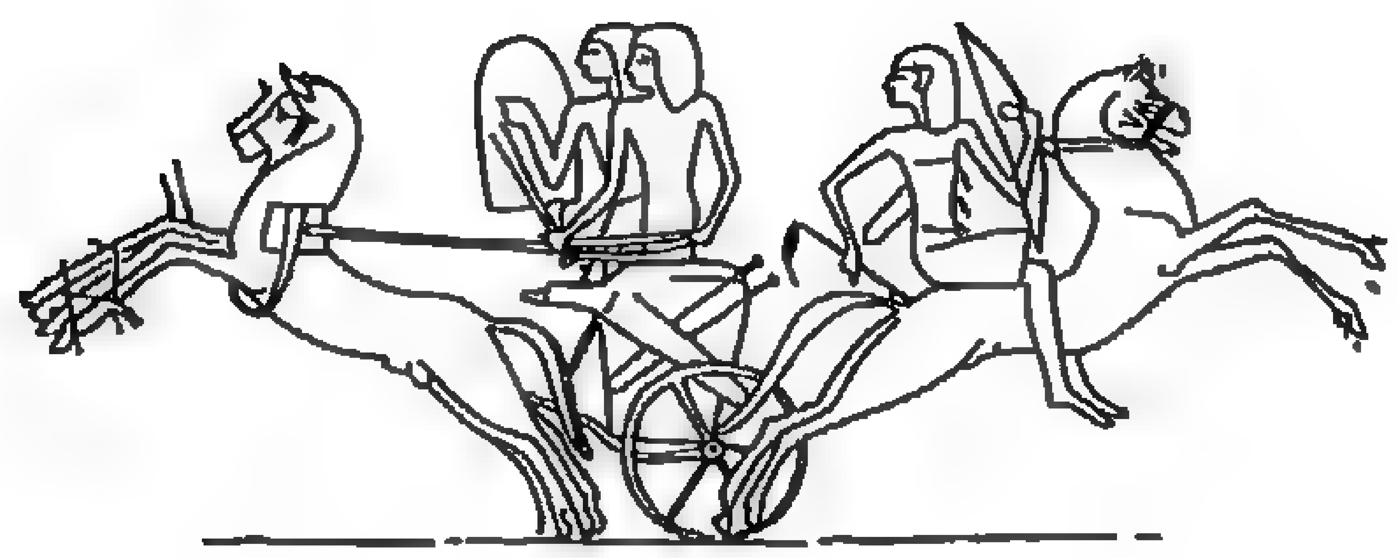
وقد شغل القائد «حور محب» وظيفة «مر – پر – ور» فى عهد «أخناتون» حيث كان يشرف على ادارة جميع الممتلكات الخاصة بالملك . وخلد «حور محب» تقلده لهذه الوظيفة بنص يقول فيه : «لقد اختارنى الملك ليجعلنى (صاحب الكلمة العليا) على جميع انحاء الأرض ، ولكى أقوم بتنفيذ القانون كأمير وراثى HEREDITARY PRINCE» .

ومن الملاحظ أن لقب «صاحب الكلمة العليا THE UPPER MOUTH على جميع انحاء الأرض» أصبح من الألقاب المألوفة التى تمنح لشاغلى وظيفة «مر – پر – ور» منذ أيام «امنحتب الثانى» حين كان «قن آمون» يشغل هذه الوظيفة فى عهده . كما شغلها

بعده «امنميسو AMENMESU» حامل الراية ، و «نيبى NEPY» قائد منطقة «سيلا SILE» ، وقد شغلا هذه الوظيفة وحملا ألقابا فى عهد الملك «امنحتب الثالث» .

ونشير إلى أن الخلفية التعليمية الثقافية التى يجب أن تتوفر فيمن يشغل وظيفة «مر – پر – ور» يجب أن تكون مساوية على الأقل للخلفية التعليمية لمن يشغل منصب «كاتب التجنيد» بالقوات المسلحة .

وفى فترة العمارنة ، لم يستعمل لقب «مر – پر – ور» بالنسبة لمن شغل وظيفة «ادارة الممتلكات الملكية» ، وانما أطلق على من كان يشغل هذه الوظيفة لقب آخر هو «صاحب الكلمة العليا فى جميع انحاء الأرض» .



المبحث السادس

وظيفة : «المشرف على كهنة جميع الآلهة»

يشير «فون بكرات VON BECKERATH» إلى أن الضباط العسكريين فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر قد حلوا تماماً محل «كهنة آمون» وقرنائهم من كبار موظفى طيبة المدنيين فى التمتع بثقة الملك .

وفى عهد «تحوتمس الرابع» حدثت أخطر مواجهة فى الصراع بين طبقة العسكريين وطبقة كهنة آمون التقلديين . وذلك حين انحاز الملك إلى الضباط ، وجرد كهنة آمون من حقهم التقليدى فى شغل وظيفة «المشرف على كهنة جميع الآلهة بالأرضين» ، ومنح الوظيفة للضابط «حور محب» الذى كان يشغل فى ذلك الوقت وظيفة «قائد سلاح المركبات الحربية ومعلم الأميرة بنت ملك» ولاشك أن هذا القرار الحاسم الذى أصدره «تحوتمس الرابع»هيأ للملك السيطرة الكاملة على ممتلكات جميع المعابد بالدولة ، وعلى ثروات جميع الكهنة الذين يعملون بهذه المعابد .

وهكذا يمكن القول بأن قصر التعيين بهذه الوظيفة على طبقة الضباط العسكريين ابتداء من عهد «تحوتمس الرابع» قد حسم نتيجة الصراع بين الطبقة العسكرية الجديدة وطبقة الكهنة ، لصالح العسكريين تماماً .

ومن أشهر من تولوا وظيفة «المشرف على كهنة جميع الآلهة» الضابط «رعموزا» فى عهد«امنحتب الثالث» . وقد ظلت هذه الوظيفة قائمة فى بداية عهد «أخناتون» ، حيث تولاها الضابط «بارع نوفر PARE NNOFER» . ومن المحتمل أيضا أن «حور محب» قد تولى هذه الوظيفة فى عهد «توت عنخ آمون» .

وهناك كثيرون تولوا هذه الوظيفة أو وظائف مشابهة لها ، فقد عين «الكاتب العسكرى سوبك نخت SOBEK NAKHT» فى وظيفة «المشرف على ممتلكات معبد آمون» . كما عين كاتب عسكرى آخر هو «نخت مين NAKHT MIN» فى وظيفة «المشرف على ممتلكات الزوجة الرئيسية للملك «امنحتب الثالث» وهى الملكة «تى» . كما عين اللواء «سا‌إست SAISET» فى وظيفة «المشرف على ممتلكات معبد أوزيريس بأبيدوس ، والمعابد الجنائزية للملوك أحمس الأول وتحوتمس الثالث وتحوتمس الرابع» . وذلك فى عهد «امنحتب الثالث» .

وفى عهد «أخناتون» عين «رعموزا» لادارة ممتلكات المعبد الجنائزى لأمنحتب الثالث . كما عين أيضا «با آتون محب PA - ATENEMHAB» للاشراف على ادارة بعض الممتلكات . كما عين اللواء «ماى» لادارة ممتلكات معبد رع بهليوبوليس .

أما «نيبى NEBY» الذى كان يشغل منصب «قائد منطقة سيلا» فقد عين فى وظيفة «المشرف على ادارة ممتلكات الحريم الخاص بامنحتب الثالث» . كما عين «قن آمون» فى وظيفة «المشرف على ادارة الحقول المملوكة لزوجة الاله » .

ولاشك فى أن هذا الاتجاه الذى ساد فى فترة النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشر ، نحو تعيين الضباط كمشرفين على ادارة ممتلكات معابد جميع الآلهة ، يعتبر تكريسا للطبقة العسكرية الجديدة ، وتعزيزا لها بمزيد من القوة والسيطرة الأقتصادية ، حيث أصبح الضباط يهيمنون تماماً على ادارة جميع ممتلكات الملك ، والمعابد ، وجميع أفراد العائلة المالكة . الأمر الذى جعلهم يشكلون قوة هائلة فى النظام الاقتصادى للدولة فى ذلك العهد ، وكان كما رأينا من قبل ، نظاماً يقوم على فكرة اعادة توزيع الثروة فى المجتمع المصرى على النحو الذى يتمشى مع الاتجاهات الامبراطورية للدولة .

وهكذا سيطرت الطبقة العسكرية الجديدة على جميع المقدرات الاقتصادية بمصر ومستعمراتها فى سوريا والنوبة ، الأمر الذى نتج عنه حدوث تغييرات جوهرية فى بنية وطبيعة تكوين المجتمع المصرى .

المبحث السابع

بعض الاعتبارات القانونية

من المتفق عليه بين المؤرخين ، أن المجتمع المصرى فى عصر «الدولة الحديثة» كان يتكون من طبقات مفتوحة ، بمعنى امكانية جواز الانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة أعلى ، دون أية عقبات أو موانع قانونية أو دينية . وقد سبقت مصر بهذا التطور الاجتماعى ، جميع المجتمعات الانسانية الشرقية الأخرى فى التاريخ القديم .

وكانت جميع الوظائف والمناصب – من الناحية النظرية على الأقل – تعتبر «وظائف» أو «مراكز» للخدمة العامة بالدولة ، التى يتربع على قمتها الملك .

وفى معظم فترات وعصور التاريخ المصرى القديم ، كانت هناك قاعدة تقليدية مؤداها انتقال الوظائف والمناصب العامة «بالوراثة» من الآباء إلى الأبناء . بمعنى أن الابن كثيرا ما يخالف أباه فى نفس الوظيفة التى كان يشغلها الأب عند موته . غير أن هذا ليس معناه إغلاق عمليات تقلد الوظائف العامة على أسر معينة ، لأن التعيين فى تلك الوظائف كان مفتوحاً ومتاحاً لكل فرد طموح يمكنه الدخول والانتماء إلى الطبقة العسكرية الجديدة متى حاز مؤهلات الدخول والانتماء إليها .

وقد رأينا من قبل أن هذه الطبقة ، ظهر فيها ضباط ينتمون إلى بعض العائلات العسكرية ، كما هو الحال بالنسبة إلى «رعموزا» فى عهد «امنحتب الثالث» ، كما ظهر فيها ضباط لم ينحدروا من أسر عريقة أو أصول متميزة ، كما هو الحال بالنسبة للواء «ماى» فى عهد«امنحتب الرابع – أخناتون» .

وقد أدى التطور الاقتصادى الذى صاحب الفكر الامبراطورى فى عهد الأسرة الثامنة عشر ، إلى تركيز جميع الموارد الاقتصادية تحت يد الدولة وسيطرتها الكاملة . وبناء على ذلك ، أصبحت «الملكية القانونية» للأرض الزراعية ، مقيدة بقواعد ونظم صارمة . وكان الفلاحون والعمال الزراعيون خاضعين من الناحية القانونية والاجتماعية إلى نظام جماعى مبنى على اخضاع الفرد للدولة ، وعلى سيطرة الدولة الكاملة على جميع مظاهر حياة الشعب وطاقاته المنتجة ، وكانوا مقيدين بالقيام بواجبات والتزامات محددة لصالح الدولة وفى إمكان الدولة أن تقوم بطردهم من الأرض إذا قصروا أو أخلوا بالتزاماتهم نحوها .

ويمكن وصف النظام الاقتصادى الذى كان سائداً بمصر فى ذلك العصر ، بأنه نوع من « الاقتصاد الموجه» يقوم أساساً على تركيز ووضع كل الموارد الاقتصادية القومية تحت سيطرة الدولة .

وإذا رجعنا إلى ما ذكره «هيرودوت HERODOTUS» فى حديثه عن مصر ، نجده يقول : «أن طبقة المحاربين كانت تمنح حق استغلال الأرض الزراعية وكان كل محارب يمنح «١٢» أرورا معفاة من الضرائب ، وكان مثل طبقة المحاربين فى ذلك مثل طبقة الكهنة» .

كما ذكر «ديودور DIODORUS» أيضا : «أن رمسيس الثانى قد كون جيشاً هائلا ، منحه أحسن وأخصب الأرا الزراعية» .

وكانت الأراضى الزراعية التى منحت لأعضاء الطبقة العسكرية ، تورث من الأب إلى الابن الأكبر ، طبقا لنظام التوريث الشرعى الذى كان سائداً . وكانت التصرفات القانونية التى تجرى على الأراضى الزراعية تسجل رسمياً لدى الجهة الحكومية المختصة بالشهر العقارى .

ونخلص فى النهاية بأن النخبة الممتازة بأعلى طبقة العسكريين ، أصبحت تمثل «ارستقراطية عسكرية» تسيطر وتهيمن وتدير جميع مرافق «الاقتصاد القومى» بالدولة . وفى نفس الوقت فان المحاربين العاديين الذين يشكلون القاعدة العريضة لطبقة العسكريين ، أصبحوا فى وضع أكثر امتيازا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية فى المجتمع المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

الفصل الرابع

الخلفية الثقافية لطبقة العسكريين

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الخلفية الثقافية للضباط وتأثيرهم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الثانى : الجيش والمؤثرات الثقافية والدينية الوافدة من الوجه البحرى .

المبحث الثالث : احياء التراث الثقافى القديم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الأول

الخلفية الثقافية للضباط وتأثيرهم
فى فترة النصف الثانى
من عصر الأسرة الثامنة عشر

قبيل وأثناء فترة العمارنة ، كانت القاعدة العامة أن يتم اختيار الضباط الذين يرقون إلى رتبة «لواء GENERAL» من بين الضباط الذين كانوا يشغلون منصب «كاتب التجنيد» وذلك فيما عدا حالة استثنائية واحدة تتعلق بالضابط «آمون إمنت AMUN EMINT» الذى تمت ترقيته إلى رتبة لواء وكان فى الأصل من ضباط الجبهة المقاتلين .

وهذا يدلنا على أن من الضرورى أن يكون الضباط «الكتبة» على دراية كبيرة بفنون القتال والعلوم الحربية البحتة ، كما أن من الضرورى أيضا بالنسبة لفئة الضباط المقاتلين أن يكونوا على دراية بفنون الكتابة وعلومها .

وعندما تتم ترقية أحد الضباط إلى رتبة اللواء ، فانه يصبح مسئولاً عن قيادة قطاع كبير من الفرق والوحدات الحربية العاملة بالقوات المسلحة . وكان من الشائع أن يعين للجيش «لواءان» أحدهما لقيادة القوات المسلحة بالوجه القبلى ، والآخر لقيادة قوات الوجه البحرى .

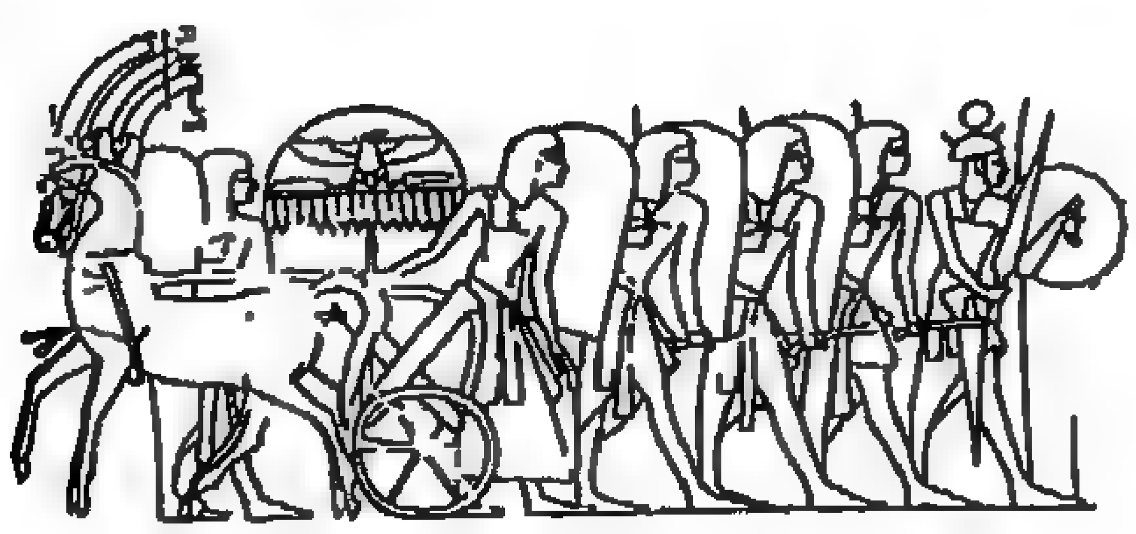
ويرى «هلك» أن ادارة وتنظيم القوات المحاربة لاتقل أهمية عن الأعمال الحربية القتالية نفسها . وكان من المفروض أن يكون الضابط صالحاً لأداء الأعمال والواجبات الخاصة بكل من هذين القطاعين .

وقد ازداد بالتدريج عدد الضباط الذين يشغلون منصب «كاتب التجنيد» فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر . وعلى سبيل المثال ، فقد كان عدد الضباط الذين كانوا يشغلون هذا المنصب فى عهد تحوتمس الثالث وامنحتب الثانى ، أقل بكثير من عدد الضباط الذين شغلوا هذا المنصب فى عهود خلفائهما من فراعنة الأسرة .

كذلك فقد كان الضابط «الكاتب العسكرى :نوتف NUTEF» فى عهد تحوتمس الثانى لايحمل إلا لقبه العسكرى فقط ، بينما أصبح «الكاتب العسكرى :ساإست» فى عهد امنحتب الثالث ، يحمل خمسة ألقاب ذات طبيعة مدنية ادارية ، ولقبين اثنين من الألقاب العسكرية . كما ازداد فى العهد نفسه عدد الضباط الذين كانوا يشغلون هذا المنصب .

ومن الثابت أنه فى عهد كل من تحوتمس الثالث وامنحتب الثانى وتحوتمس الرابع ، كان هناك ضابط واحد يشغل منصب «الكاتب العسكرى» ، بينما ازداد هذا العدد إلى ثلاثة ضباط فى عهد امنحتب الثالث ، وإلى أربعة ضباط فى عهد أخناتون .

ونود أن نشير هنا إلى ان اثنين من هؤلاء الكتبة العسكريين الأربعة فى عهد اخناتون ، قد ارتقيا عرش مصر بعد موت توت عنخ آمون ، وهما الضابط «آى» والضابط «حور محب» .



المبحث الثانى

الجيش والمؤثرات الثقافية والدينية الوافدة من الوجه البحرى

فى عهد «تحوتمس الرابع» ازداد تأثير التيارات الثقافية والعقائد والنظريات الدينية التى كانت سائدة فى مناطق الوجه البحرى ، على رجال القصر والبلاط الملكى .

ويعطينا «ى. فون بكرات» صورة واضحة للاتجاهات الثقافية والدينية المتبادلة بين الوجه البحرى والوجه القبلى فى ذلك العهد والعهد الذى سبقه . فمن الوقائع التاريخية الثابتة ، نرى انه منذ عهد «تحوتمس الأول» تبين لنظام الحكم فى مصر انه لايمكن إقرار الأمن الاستراتيجى فى البلاد ، وخصوصاً بالنسبة لفلسطين وسوريا ، إلا بأن تتمركز أهم قوة ضاربة فى القوات المسلحة المصرية ، وهى «سلاح المركبات الحربية» فى منطقة منف ، وأن تكون تحت القيادة المباشرة للأمير ولى العهد .

وحتى يتكامل هذا المفهوم الاستراتيجى ، فقد كان من المحتم على نظام الحكم أن يقوم بتعيين وزير مختص يتولى شئون الوجه البحرى وحدث ذلك بالفعل فى عهد تحوتمس الثالث .

وفى عهد «امنحتب الثالث» حدثت واقعة تعيين «الكاهن الأول للاله بتاح» - وكان مقره بمدينة منف - فى منصب دينى خطير ، وهو «المشرف على جميع الكهنة فى الأرضين» . الأمر الذى يستشف منه مدى تأثير التيارات الدينية التى كانت سائدة فى شمال البلاد على البلاط الملكى فى طيبة .

ومنذ عهد «تحوتمس الرابع» ، أصبح من المعتاد بالنسبة للفراعنة ، أن يقضوا جزءاً من وقتهم بمقرهم الملكى المؤقت بمدينة منف .

ويرى «فون بكرات» أن الجانب العقائدى لثورة العمارنة ، كان نتيجة مباشرة للتأثير الفكرى والدينى المتزايد الذى كان سائداً فى منطقة هليوبوليس [1] والذى زحف إلى جنوب البلاد .

ولاشك أن «الضباط» هم الذين حملوا هذه التيارات الثقافية والدينية لتؤدى دورها فى جنوب البلاد ، وذلك من خلال اتصالاتهم بالقصر الملكى وعلاقاتهم الشخصية بالملوك .

وفى السنة الرابعة من حكم «امنحتب الرابع» – أخناتون – أصدر أمره ببناء مقبرة فى الجانب الصخرى الشرقى من عاصمته الجديدة ، ليدفن فيها «عجل منفيس - MNVIS BULL» وهو الحيوان المقدس فى عقيدة الشمس ، حسب المفهوم الذى كان سائداً بمنف وهليوبوليس .

كذلك فقد قام «امنحتب الثالث» بتعيين أحد ابنائه ، وهو الأمير «تحوتمس» فى منصب «كبير كهنة الاله بتاح» بمنطقة منف . ومن المعروف أن أقدم المقابر المعروفة «لعجل أبيس BULL APIS» [2] ترجع إلى عهد امنحتب الثالث . وقد عثر على ضريح أقيم فوق أحد هذه المدافن ، وعليه صورة لأمنحتب الثالث ومعه ابنه الأمير تحوتمس ، وهما يقفان أمام هذا الحيوان المقدس .

وقد عثرت أحدى البعثات الألمانية للتنقيب عن الآثار بمنطقة الجيزة على نصب حجرى تذكارى نقشت عليه صورة الملك امنحتب الثالث فى هيئة طفل عار ، وهو يقدم زهرة إلى «أبى الهول» وفوقه «قرص الشمس» محاطاً باثنتين من حيات الكوبرا . ويرمز هذا النصب إلى نظرية أيديولوجية مفادها أن الملك يشعر بألوهيته منذ صباه .

وكانت «الطبيعة الثنائية» للفرعون باعتباره إلهاً حياً فى السموات والأرض ، تتمشى تماماً مع الدور المزدوج الذى يباشره الفرعون فى المجتمع المصرى باعتباره سيداً يتربع على قمة الدولة والمعابد الدينية .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الفصل بين الدولة والمعبد كان يتنافى تماماً مع العقيدة المصرية . وهذه العقيدة تساعدنا فى تفسير وتقييم عملية تعيين الضباط العسكريين فى الوظائف المدنية ذات الطابع المدنى أو ذات الطابع الدينى .

ويمكن القول بأن اتجاه الديانة الآتونية إلى نبذ فكرة إقامة التماثيل للإله ، بل وإلى تحطيم تماثيل الآلهة التى كانت موجودة ، كان مستمداً - على نحو ما - من المفاهيم الدينية التى كانت سائدة فى هليوبوليس . ومن المعروف أن «معابد الشمس» التى تم بناؤها فى عصر الأسرة الخامسة أيام الدولة القديمة ، كانت خالية تماماً من أية تماثيل للآلهة . وكانت «المسلات» التى أقيمت فى ذلك العصر ، لا تمثل أكثر من «رمز» على وجود الإله .

وعلى هذا فإن جذور الفكر «التجريدى» فى العقيدة الآتونية وفى معابد العمارنة ، ربما تمتد فى حقيقتها إلى الأفكار اللاهوتية التى كانت سائدة فى هليوبوليس ، حيث لم يظهر الاله رع فى شكل أيقونة أو تمثال طوال عصر الدولة القديمة .

ويثير «سيد توفيق» تساؤلاً هاماً حول ما إذا كان الإله آتون نفسه عبارة عن «تجلٍّ» للإله رع فى صورة جديدة وفكر جديد ، وهو يشير بذلك إلى نصب حجرى تذكارى أقيم فى منطقة «جبل السلسلة»[3] . يصور الملك «امنحتب الرابع» - قبل أن يتسمى باسم أخناتون - وهو يعبد الإله «آمون - رع AMEN - RĒ» والذى يثير الانتباه أن النص الوارد مع هذه الصورة لا يشير إلى الإله آمون - رع ، بل يشير إلى «البن بن BEN BEN» ، وهو الجزء الحجرى المخروطى الذى يتخذ شكل قمة الهرم ، والذى كان يعتبر عرشاً مقدساً لإله الشمس طبقا لعقيدة هليوبوليس .

ومن الغريب أن لقب «ور – ماو wr - m3w» ومعناه «الرائى الأعظم» والذى كان يحمله عادة «الكاهن الأكبر للاله رع فى هليوبوليس» منذ بداية عصر الأسرات ، قد أطلق أيضا على الكاهن الأول للاله آتون بالعمارنة .

كذلك فقد عثر على نص منقوش على الصرح الرمزى للاله آتون بالعمارنة يقول : «الاله الحى الكبير آتون الذى يقيم فى ظل رع» . وهذا يؤكد لنا المزيد من الشواهد على مدى تأثر تعاليم الديانة الآتونية بالفكر الدينى الذى كان سائداً فى منطقة هليوبوليس .

ويشير «سيد توفيق» أيضا إلى أن البنتين الأخيرتين من بنات أخناتون ، تحملان ضمن أسميهما اسم الاله رع ، بينما البنات الأربعة الأول ، يحملن ضمن اسمائهن اسم الإله آتون

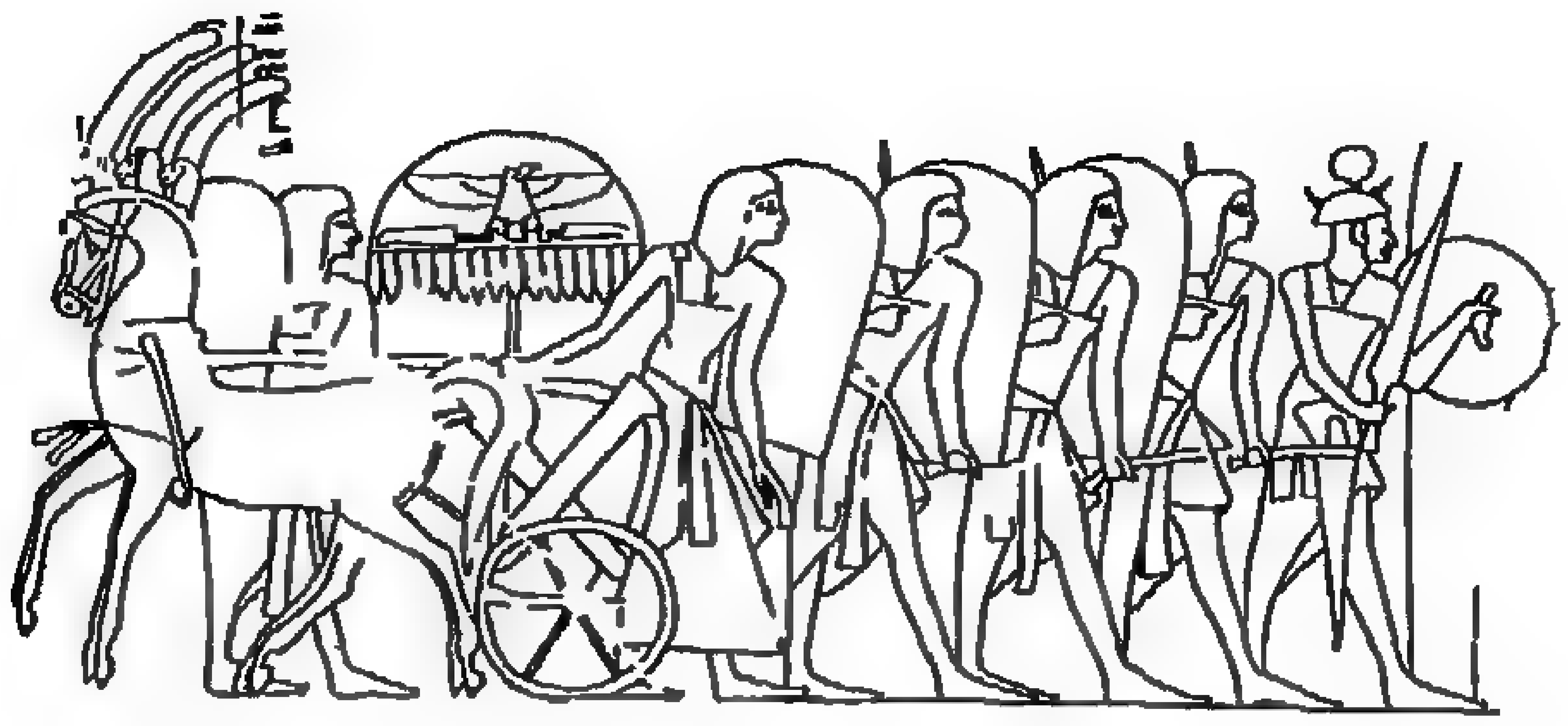
وثمة نقطة مازلت محل جدل وبحث ، تتعلق بدور الالهة «ماعت MAÂT» التى كانت تمثل فكرة العدالة المطلقة وسيدة العالم الآخر . فالمفروض أن العقيدة الآتونية كانت تنكر وجود «أوزيريس» باعتباره إله الموتى والعالم الآخر ، ولم يعثر على أى أثر لعقيدة أوزيريس أو الاشارة إلى هذا الاله فى الأدب أو الشعر الدينى الذى يرجع إلى أيام العمارنة .

وطبقا لاسطورة تعود إلى عصر الرعامسة ، وتدور حول الصراع بين «حورس وست» نجد أن العدالة «ماعت» قد ذهبت إلى العالم السفلى [صورة ١٨] .

ومن الثابت أن ايديولوجية ماعت باعتبارها الهة العدالة وسيدة العالم السفلى ، قد لعبت دوراً هاماً فى فترة ما قبل العمارنة . ولذلك فإن من المحتمل أن تكون قد لعبت نفس الدور فى فترة العمارنة ، غير أنه لا يوجد دليل قاطع لتأكيد هذا الافتراض .

ومع ذلك فمن المؤكد أن الطبقة العسكرية الجديدة قد تأثرت بالفلسفات الدينية والأفكار اللاهوتية التى كانت سائدة فى منطقةهليوبوليس ومنف ، حيث كانت المقر الرئيسى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، والقطاع الأكبر من سلاح الفرسان والمركبات الحربية والوحدات العسكرية الأخرى .

ويقول «هيرودت» عن كهنة هليوبوليس : «أنهم أحكم حكماء الشعب المصرى كله» ، ولا جدال فى أنه قد جمع الكثير من عناصر المادة العلمية لتاريخه ، عن طريق هؤلاء الكهنة وما يدخرونه من المراجع والسجلات التاريخية التى كانوا يحفظونها بمعابدهم .



المبحث الثالث

احياء التراث الثقافى القديم
فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة
الثامنة عشر

كان هناك اتجاه واضح نحو عملية إحياء التراث الثقافى والعقائدى المصرى القديم . وقد تعزز هذا الاتجاه بفضل البلاط الملكى الذى أخذ يتأثر بالمأثورات المصرية القديمة التى ظهرت فى «العصور الذهبية» لتاريخ المصريين فى الأزمان الموغلة فى القدم .

وفى رأيى أن هذا الاتجاه إلى إحياء التراث المصرى القديم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، إنما يرجع بصفة رئيسية إلى تأثير التيارات الثقافية والفلسفية التى كانت سائدة فى شمال البلاد فى منطقتى منف وهليوبوليس على وجه التحديد . وأن هذا التأثير قد انتقل إلى القصر الملكى بطيبة ، وإلى رجال البلاط ، بفضل تلك النخبة الممتازة من الضباط العسكريين الذين كانوا على صلة وثيقة بكل من الملك ورجال البلاط .

ولاشك أن هذا التأثر بالتيارات الثقافية والدينية الوافدة من الشمال ، قد بدأ وازداد قوة اثناء فترة تكوين الامبراطورية . وكانت أوضح مظاهره هى عملية إحياء التراث الفكرى والعقائدى القديم ، وهى العملية التى قام بها المثقفون من الضباط ، خصوصاً الضباط الذين كانوا يشغلون منصب «كاتب التجنيد» وقد أشرنا من قبل إلى الخلفية الثقافية التى كانت تشكل فكر هؤلاء الضباط .

وكان البحث فى التراث المصرى القديم أحد المناحى التى أتجه إليها المثقفون من الضباط ، محاولة منهم لاحياء الأمجاد القديمة التى خلفتها العصور الذهبية فى تاريخ مصر القديم . ربما كان ذلك كنوع من التقوى بالنسبة لبعض الضباط الذين يرغبون فى الرجوع إلى المنابع القديمة للفكر الدينى المصرى ، أو ربما لأن الاتجاه العام كان يتطلب استخدام بعض الطقوس الدينية لتعزيز سيادتهم وسلطاتهم ، ولرفعة شأن طبقتهم الجديدة .

وفى عهد «امنحتب الثالث» جرت عملية بحث وتنقيب لمحاولة الوصول إلى قبر «أوزيريس» فى منطقة «ابيدوس» (1) لمعرفة وإحياء المراسم والطقوس الدقيقة التى كانت تجرى عند الاحتفال باليوبيل الثلاثينى للملوك القدماء .

كذلك فقد وجدت ضمن مقتنيات الملكة «تى» الزوجة الرئيسية للملك امنحتب الثالث ، قطعة أثرية قديمة ، عبارة عن مرآة عاكسة مصنوعة من بقايا لوح اردوازى ناعم السطح ، عليه نقوش يرجع تاريخها إلى فترة ما قبل الأسرات ، أو فترة بداية عصر الأسرات على أكثر تقدير . وقد وجد اسم الملكة تى منقوشاً أيضا على تلك القطعة الأثرية القديمة التى كانت تقتنيها .

وقد أشرنا من قبل الى الدور الطقسى الذى أداه « كاتب التجنيد امنحتب بن حابو » اثناء الاحتفال باليوبيل الثلاثينى للملك امنحتب الثالث ، الذى أقيم بمعبد صولب بمنطقة النوبة . وذكرنا أنه قد قام بتلك الطقوس على اساس انه «ربعت rp'ṭ – وهو لقب قديم معناه «الأمير الوراثى – أو الرئيس الأول» . كما أشرنا أيضا إلى أن هذه الطقوس التى أداها «امنحتب بن حابو» كانت صورة طبق الأصل للطقوس التى أداها «ربعت» فى معبد «نى أوسر رع» فى عصر الأسرة الخامسة أيام الدولة القديمة .

ولأن «امنحتب بن حابو» لم يكن سليل أسرة عريقة يمكنه أن يفخر بأصلها وحسبها ، فلم يكن أمامه إلا أن يفخر بنفسه وعلمه ومعرفته الواسعة ، فكتب نصاً فى مقبرته يؤكد فيه أنه لم يصبح مشهوراً بين الناس ، إلا بسبب معرفته بتراث الأقدمين واسرارهم العلمية التى إلت إليه .

وكانت عصور ماقبل التاريخ الموغلة فى القدم ، تبدو أمام المصريين القدماء بصفة عامة ، وكأنها عالم اسطورى تسوده «الأفكار اليوتوبية UTOPIAN IDEAS» لتحقيق عالم فاضل تمتزج فيه المساواة والجهد الانسانى الدؤوب لتحقيق العدالة .

كما أن من طبيعة المصريين أن ينظروا إلى ماضيهم وتاريخ أجدادهم بنوع من التقديس والاحترام الشديد ، ولذلك فلم يكن من المستغرب أن يقوم قدماء المصريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، بالبحث فى التراث المصرى القديم لتأصيل وتعزيز احساسهم بالمجد .

وانطلاقا من هذا المفهوم أيضا ، يمكن فهم وتفسير النص القديم الذى يرجع إلى عصر «البطالمة» والذى يمجد العصر الذهبى القديم لمصر فى فترة ما قبل التاريخ ، والذى يقول :

«... فى زمن الآلهة الأولين : هبطت العدالة ماعت من السماء إلى الأرض .. وامتزجت بنفوس الناس الذين يعيشون عليها .. لذلك فقد فاضت الأرض بالخيرات .. وامتلأت البطون الجائعة .. ولم تكن هناك سنوات عجاف فى عهد الآلهة الأولين .. »

ولعل البساطة الشديدة التى كانت تتميز بها حياة الأسرة المالكة وحياة طبقة كبار الموظفين فى عهد العمارنة ، والتأكيد الشديد على حب الطبيعة الذى ساد الاحساس الوجدانى فى ذلك العهد ، يبين لنا إلى حد ما كيف تأثر هذا العصر بالتراث المصرى العريق الذى يمجد «البساطة» . وربما كان هذا هو السبب الذى جعل بعض المؤرخين القدماء مثل «ديودور وبلوتارخ» يشيرون فى كتبهم إلى إن المصريين القدماء قد أقاموا فى طيبة نصباً تذكارياً ، نقشت عليه بعض اللعنات الموجهة إلى الملك مينا – موحد القطرين – باعتباره أول من أدخل الفخامة والترف ، وتخلى عن بساطة الاسلاف .

ويقول «ل. كاكوشى» أن فكرة التأثر بميثولوجيا العصر الذهبى القديم قد تسلطت على المصريين فى عصر «الدولة الحديثة» . ومن الدلائل على ذلك ظهور اسطورة فناء العالم أو فناء الجنس البشرى ، والتى تتلخص فى أنه بعد انتهاء العصر الذهبى للآلهة القدماء

الذين كانوا يحكمون الأرض ، حدث فصل بين السماوات والأرض ، وقرر الآلهة افناء هذا العالم الانسانى الذى امتلأ بالرذائل ، وفوضوا «الآلهة سخمت» لتقوم بذلك.وقد حرص المصريون فى عصر الدولة الحديثة على إقامة احتفال سنوى لعيد الآلهة سخمت ، للتذكير بهيئتها وقدرتها المدمرة . ويعتبر مثل هذا الاحتفال السنوى نزوعاً من المصريين القدماء إلى إحياء التراث الاسطورى القديم ، ولتذكيرهم بعبرات الماضى ، وتنبيههم إلى ما يكونوا قد ارتكبوه من رذائل الحياة اليومية .

وهناك الكثير من الشواهد التى تدل على أن المثقفين من رجال السلك العسكرى المصرى قد جاهدوا فى بداية عصر تكوين الامبراطورية من أجل إحياء التراث المصرى القديم الذى يدعم وجهة نظرهم فى الدعوة إلى التجانس والبساطة أمام هذا الفيض غير المتجانس من التيارات الفكرية والعقائدية التى أخذت تهب على مصر وافدة من الدول والمستعمرات الجديدة التى كانت تخضع لحكم الامبراطورية المصرية .

كذلك فهناك تماثيل كثيرة ترجع إلى ذلك العصر وتمثل «أمنحتب بن حابو» وغيره من كبار الموظفين العسكريين فى الهيئة التقليدية تمثال «الكاتب المصرى» . وفى رأيى أن هذه التماثيل تؤكد أن هؤلاء العسكريين كانوا يفخرون بالمستوى التعليمى والثقافى الرفيع الذى وصلوا إليه ، كما يؤكد جنوح هؤلاء العسكريين أيضا إلى إحياء التراث المصرى القديم ، حيث أن ظهور الشكل التقليدى لتمثال «الكاتب المصرى» الجالس ، يرجع إلى أيام الدولة القديمة [صورة ١٩]

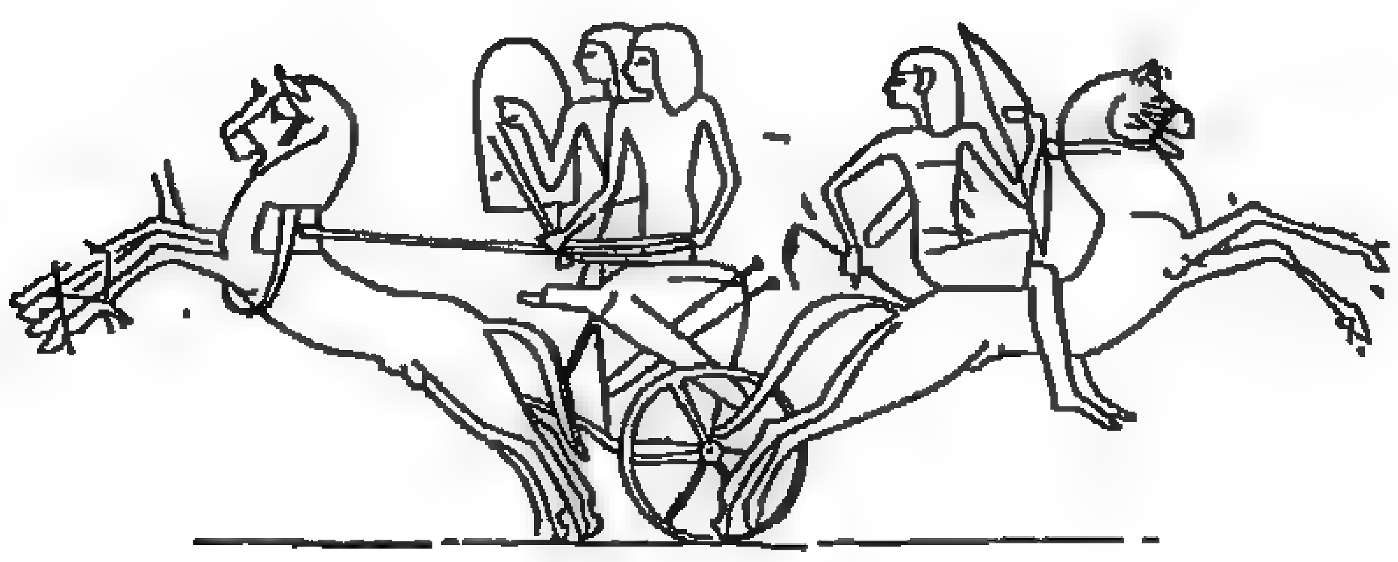
ومن الثابت تاريخيا أن تماثيل الكتبة المصريين بشكلها التقليدى المعروف ، قد بدأ ظهورها منذ عصر الأسرة الرابعة بالدولة القديمة . ولم يتم العثور حتى الآن على أى تمثال للكاتب المصرى الجالس يرجع فى تاريخه إلى عصر «الدولة الوسطى» . ومعنى هذا أن نحت التماثيل فى تلك الهيئة قد اختفى من فن النحت خلال الدولة الوسطى . ثم عاد بعد ذلك ظهور تماثيل «الكاتب المصرى الجالس» فى عصر الأسرة الحديثة ، وبالتحديد فى عهد «امنحتب الثالث» ، حيث ظهرت التماثيل بتلك الهيئة التقليدية لكل من امنحتب بن حابو وحور محب -وپارعمس .

وهذا الاحياء للتراث الثقافى والعقائدى الذى حدث فى عصر الأسرة الثامنةعشر ، كان دليلاًومرشداً لعمليات إحياء هذا التراث التى تمت فى عصر الرعامسة بعد ذلك ، والعمليات المماثلة الأخرى التى حدثت فى «العصر الصاوى» (الأسرة السادسة والعشرين) .

غير أن عمليات إحياء التراث القديم التى تمت فى عصر الصاوى كانت على نمط يختلف كثيراً عن عمليات الاحياء التى حدثت فى عصر الدولة الحديثة ، إذ كانت عبارة عن مجرد تقليد ومحاكاة لفنون التراث المصرى القديم دون أن تكون لها رؤية شخصية خاصة ، أو ابتكار فنون متميزة خاصة بها ، حتى ولو كانت متأثرة بفنون التراث القديم .

ويبدو تمثال أمنحتب بن حابو فى هيئة الكاتب الجالس كما يقول «ج. فانديه J. VANDIER» وكأن الفنان الذى نحته كان يريد أن يتغلغل داخل نفس صاحب التمثال ويعبر عن مكنونها .

ويمكننا فى النهاية أن نخلص بنتيجة مؤداها أن عمليات إحياء التراث المصرى القديم فى عصر الدولة الحديثة ، كانت تمثل أحد أوجه الانشطة للحياة الثقافية التى سادت فى ذلك العصر ، ولكنها لم تكن أبداً عقبة أمام ظهور العديد من التيارات الثقافية والعقائدية الجديدة التى بدأت فى الظهور تباعاً منذ بداية تكوين الامبراطورية .



هوامش الجزء الأول

هوامش المقدمـة

١ – الدولة القديمة : الأسرات ٣–٦ . عصر بناة الاهرام . العاصمة فى منف . بلغت الحضارة المصرية القديمة أوج مجدها فى العلوم والرياضيات والعمارة والفن والدين . السلطة مركزية محورها الملك شبه الاله . القيام برحلات استكشافية لأعماق النوبه والمناطق الافريقية وحملات لسيناء للحصول على المواد الأوليه .

٢ – الدولة الوسطى : الأسرات ١١–١٢ . اعادة وحدة البلاد بعد القضاء على الاقطاع . مشروعات الرى الكبرى واستزراع منطقة الفيوم وتحقيق رخاء لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد . نهضة أدبية بلغت الذروة . اعادة التنظيم الادارى لدوائر الدولة تحت إشراف مركزى حاسم ودقيق . ازدهار النشاط التجارى مع مناطق سوريا وفلسطين وتمتع مصر بنفوذ حضارى وثقافى مع تلك المناطق . والجيش المصرى يضم النوبة نهائيا .

٣ – الدولة الحديثة : الأسرات ١٨–٢٠ . العاصمة فى طيبة ثم فى بررعمسيس بالدلتا . ظهور طبقة العسكريين ودورهم البالغ فى الشئون الداخلية والخارجية للبلاد . إقامة الامبراطورية المصرية من الفرات شمالاً وحتى الجندل الرابع جنوبا . وفى متن الكتاب مزيد من التفاصيل .

٤ – كلمة هكسوس فى الاصل هى تصحيف للفظ الفرعونى القديم «حقا وخاسوت» أى الحكام الأجانب أو حكام الأراضى الصخرية الاجنبية . أصلهم من آسيا . وقد استولوا على مصر بالتسلل التدريجى أو بالغزو فى أواخر الدولة الوسطى . ثار عليهم الصعيد بزعامة وقيادة امراء طيبة حتى أحلوهم عن البلاد . وتم طردهم وتشريدهم نهائيا فى حرب التحرير التى قادها أحمس الأول الذى أسس الأسرة الثامنة عشر .

٥ – أشهر الأسرات الملكية فى تاريخ العالم القديم ومازالت شهرتها تملأ آفاق العالم الحديث .فى عصرها حدثت تغييرات جذرية فى الحضارة المصرية . وحدث تطور هائل فى نظم الحكم والادارة والاقتصاد والحياة الاجتماعية لمختلف طبقات الشعب . كما حدثت فيها انقلابات فى مفاهيم الأدب والفن والدين . وملوكها بالترتيب الزمنى هم : أحمس الأول – امنحتب الأول – تحوتمس الأول – تحوتمس الثانى – الملكة حتشبسوت – تحوتمس الثالث – امنحتب الثانى – تحوتمس الرابع – امنحتب الثالث – امنحتب الرابع (اخناتون) – سمنخ كارع – توت عنخ آمون – آى – حور محب .

٦ – يبلغ عددها نحو ٤٦٤ مقبرة منحوتة فى الصخر معظمها من عصر الدولة الحديثة . وترجع اهميتها إلى المناظر البديعة المصورة أو المنحوتة على جدرانها والتى تمثل مناظر للحياة اليومية فى مصر ، والوفود الأجنبية التى كانت تحمل الجزية والهدايا . (راجع الملحق رقم (١) فى نهاية الكتاب) .

٧ – عصر الانتقال الأول : الأسرات ٧–١٠ . الاقطاع يمزق البلاد ويعم الاضمحلال وتتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية . وكان الملوك يحكمون لفترات قصيرة جدا ، واحيانا يحكم أكثر من ملك فى وقت واحد . حدوث أول ثورة اجتماعية فى تاريخ العالم . وازدهار عظيم فى الأدب .

عصر الانتقال (الاضمحلال) الثانى : الأسرات ١٣–١٧ .عصر الهكسوس . ظهور العجلات الحربية وتطور التكنيك الحربى ونصر حاسم فى أول حرب تحريرية كبرى فى تاريخ العالم .

٨ – فى العام السادس من حكمه ، هجر اخناتون طيبة عاصمة البلاد ومركز عبادة الاله آمون وأقام فى «آخت آتون» واتخذها عاصمة جديدة للبلاد . وتبعه مجموعة جديدة من القيادات العسكرية وكبار الموظفين الذين كان الكثير منهم لا ينتمون إلى الأسر العريقة أو طبقة النبلاء فى طيبة . وفى خلال الأزمة التى سببتها عقيدة التوحيد – حسب الديانة الآتونية – تغير أيضا ميزان القوى فى مناطق سوريا وفلسطين فى غير صالح الامبراطورية المصرية .

٩ – جندى ومعمارى عظيم كان له نفوذ سياسى وادارى واسع النطاق فى عهد الملكة حتشبسوت . تولى تصميم وانشاء معبد الدير البحرى للملكة وأقام مسلتيها العظيمتين بالكرنك . زال نفوذه فجأة . ورغم أنه قد بنى لنفسه مقبرتين إلا أنه فيما يبدو لم يدفن فى أى منهما . وأولى هاتين المقبرتين بالقرنه بجبانة طيبة ، أما الثانية ففى سفح الدير البحرى ، ولها سقف ضخم فخم عليه رسوم فلكية هامة .

١٠ – كبرى بنات تحوتمس الأول من زوجته الشرعية أحموسى . تزوجت من أخيها تحوتمس الثانى . وبعد موته استقلت بحكم البلاد يعاونها حزبها من رجال السياسة والدين وعلى رأسهم سننموت . خلا عصرها من معارك الحرب وتميز بأعمال الانشاءات والتعمير . اشتهرت ببعثتها البحرية التجارية العظيمة إلى بلاد بونت .

١١ – انشأته حتشبسوت . ويمتاز بالتناسق الجمالى المعمارى الرائع بين شكله العام وشكل الجبل المقام فى حضنه . وعلى جدرانه دونت الملكة تقريراً تفصيليا مدعماً بالصور الوصفية لتلك الحملة البحرية التجارية الشهيرة التى أبحرت فيها الأساطيل المصرية إلى بلاد بونت . وتعتبر هذه الرحلة التجارية أكبر «الحملات» التجارية التى أوفدها ملوك مصر السابقون لاستيراد حاجيات البلاد من منتجات بونت . وكانت الحملة مجهزة بمجموعة من الرسامينالفنانين الذين قاموا بدور الصحفيين الذين كتبوا أدق ريبورتاج علمى مصور فى وصف بلاد بونت سواء من الناحية الطبيعية أو البيئية أو من ناحية جغرافيتها البشرية والأجناس المختلفة التى تسكنها وتقاليد وعادات الأهالى الذين يعيشون هناك ، بالاضافة إلى دراسة علمية ممتعة لمختلف أنواع الأسماك والأحياء المائية فى البحر الأحمر .

١٢ – هى أكثر أجزاء جبانة النبلاء بغرب طيبة اكتظاظا بالمقابر . وبها مجموعة كبيرة من أجمل مقابر النبلاء فى عصر الأسرة الثامنة عشر مثل مقابر : «منا» و«سن نفر» و«أوسرحات» و«نخت» و«رعموزا» .

١٣ – من أعظم الملوك الذين حكموا مصر . وبعد ٧٥ يوماً فقط من تولية العرش بدأ الزحف فى سلسلة من الحملات العسكرية المجهزة أحسن تجهيز بلغت ١٧ حملة واستمرت نحو عشرين سنة متواصلة . ويجمع المؤرخون على أنه أول قائد حربى فى التاريخ وضع خطة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين . وكان لديه مجلس أركان حرب يتشاور معه

فى وضع الخطط الحربية الفذة . وفى عهده سادت مصر وحضارتها فى امبراطورية شاسعة الأرجاء ، تمتد جنوبا من مناطق الشلال الرابع فى بلاد النوبة ، وتمتد شمالا وشرقا حتى مناطق شمال سوريا وبلاد النهرين كما استولى على جميع موانى سوريا ولبنان وجعلها قواعد لجيوشه، وتدفقت الجزية والغنائم من جميع هذه البلاد المفتوحة إلى الخزانة المصرية فعم الثراء والرخاء جميع البلاد من أقصاها الى أقصاها . وكان يتمتع الى جانب عبقريته العسكرية بشخصية قوية تتميز بالنبل الرفيع والرجولة والعدالة والتدين والصدق . وكانت سياسته الداخلية تقوم على إقرار النظام ورفاهية الشعب . وتقارن خططه الحربية – فى مفهوم الحرب الحديثة – بكثير من خطط الفيلد مارشال مونتجومرى واللورد اللنبى ، بل وببعض مبادىء السياسة الامبريالية للامبراطورية البريطانية . وكانت الحوليات أو التقارير السنوية التى دونها فى عهده تشير الى احساسه بالتاريخ . كما أمر بتصوير أول حديقة نباتية وحيوانية فى التاريخ ، واعتبرت لفتة حضارية سابقة لأوانها .

١٤ – بعد نقل العاصمة فى عصر الأسرات ١٩–٢١ من طيبة الى الدلتا ، حدثت سرقات كثيرة فى الجبانة الملكية بغرب طيبة (وادى الملوك) . وقد قام كبار كهنة آمون فى الاسرتين ٢١–٢٢ بتجميع الكثير من التوابيت والمومياوات الملكية ونقلوها عدة مرات وانتهى الأمر بدفنها فى مقبرة جماعية قرب مدخل الدير البحرى . وقد اكتشفت هذه المقبرة فى النصف الثانى من القرن الماضى وعرفت باسم خبيئة الدير البحرى .

١٥ – اتخذت الأسرة ٢٦ سايس بالدلتا عاصمة للبلاد . حققت نهضة اقتصادية ثقافية وتحركا سياسياً وعسكرياً لفترة قصيرة نسبيا فى سوريا وفلسطين . تميزت فنونها بظاهرة العودة للقديم وتقليد الأعمال الفنية المصرية القديمة العريقة التى يرجع تاريخها إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة سابقة على تاريخ تلك الأسرة . وفى عهدها تم إنشاء مدينة نقراطيس الشهيرة بالدلتا ، وكانت على النمط الأغريقى .

١٦ – ذكرت هذه البلاد كثيراً فى النصوص المصرية القديمة منذ عهد الأسرة الخامسة فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد . وارسلت مصر إليها عدة بعثات طوال هذا التاريخ ، وأشهرها بعثة حتشبسوت . وكان يجلب من بونت الذهب والمر والعاج والبخور والأقزام والزراف وجلد النمر والفهد . وقد قيل أن بونت كانت تقع فى الصومال ، وقيل فى اليمن ، بل وقيل فيهما معاً . ولكن آخر الأبحاث تشير إلى أنها كانت تمثل مناطق تقع الآن فى شرق السودان واريتريا وشمال اثيوبيا .

هوامش الفصـل الأول

المبحث الأول

١ – آخر ملوك الأسرة السابعة عشر . وقد عثر على لوحتين فى الكرنك توضحان كفاحه ضد الهكسوس والدور الذى لعبه لتحرير البلاد منهم .

٢ – أول ملوك الأسرة الثامنة عشر ، ويرجع إليه الفضل فى التحرير النهائى من الهكسوس حيث حاصر عاصمتهم أواريس فى شرق الدلتا ثم تتبعهم وحاصرهم فى شاروهين بجنوب فلسطين إلى أن شتتهم تماماً ووضع أحمس الأول الصرح الأول للامبراطورية المصرية .

٣ – موقع قرب تقاطع طريقين هامين : غزة – دمشق ، وأكو – القدس . ويشرف على ممر ضيق بالكرمل . وفى حملته العسكرية الأولى انتصر تحوتمس الثالث فى مجدو على تحالف مكون من ٣٣٠ أميراً تحت قيادة أمير قادش . ويرجع الفضل فى انتصار الملك إلى جرأته فى اتخاذ طريق وعر لمفاجأة الاعداء . ويقول بعض المؤرخين العسكريين أن الخطة الحربية البارعة التى اتبعها فى عبور ممر عرونا ، هى نفسها الخطة التى اتبعها القائد البريطانى اللنبى وفاجأ بها جيش الأتراك فى سنة ١٩١٨ – أى بعد العهد الذى وضعت فيه هذه الخطة بنحو ٣٤٠٠ سنة .

٤ – تقع غرب بلاد النهرين . ظهرت كمملكة فى أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد . وقد ذكرها العالم الفلكى المصرى «أمنمحات» المعاصر لعهدى الملكين امنحتب الأول وتحوتمس الأول ، بأنها «البلاد التى يطلق عليها ميتانى» وأقوى روابط صلة بين مصر وميتانى كانت فى عصر الملك امنحتب الثالث الذى تزوج ابنة ملك ميتانى .

٥ – بعد استقرار الحملة الفرنسية بمصر ، خرج نابليون فى حملة إلى سوريا فى فبراير ١٧٩٩ . ولكن الحملة فشلت واخفقت أمام حصون عكا المنيعة ، نتيجة لاخفاق نابليون فى تدبير قوة بحرية تؤازر هجومه البرى . وقد يكون من الضرورى أن نشير إلى الأهمية الاستراتيجية لموقع «عكا» طوال التاريخ القديم والتاريخ الحديث على السواء . وكانت تؤدى دورها البارز كنموذج للتحصينات العسكرية طوال تاريخ المنطقة . وقد فتحها العرب المسلمون سنة ٦٣٨م ، ثم احتلها الصليبيون واستعادها العرب سنة ١٢٩١م (عصر المماليك) واحتلها العثمانيون سنة ١٥١٧م ، ثم الجيوش المصرية بقيادة محمد على سنة ١٨٣٢م ، ثم بريطانيا سنة ١٩١٨م . وقد نص مشروع تقسيم فلسطين الذى اصدرته هيئة الأمم المتحدة على أيلولتها للعرب ، ولكن اسرائيل اغتصبتها لنفسها .

٦ – كان يلقب بملك الآلهة . ومركز عبادته الرئيسى فى الكرنك . وتحت اسمه جرت حرب التحرير ضد الهكسوس والحملات العسكرية فى سوريا وفلسطين والفرات . وكان له نصيبه من الجزية المتدفقة إلى البلاد فازدادت ثرواته ونفوذه . وفى عصر الرعامسة ، حمل أحد الجيوش اسمه . وفى أواخر الأسرة العشرين وبداية الأسرة الحادية والعشرين ، أصبح كبير كهنة آمون يمثل السلطة الفعلية فى البلاد .

٧ – ويطلق عليها قاعة الاحتفالات . أمر ببنائها تحوتمس الثالث . وهى عبارة عن قاعة مستطيلة طولها ٢٤ متراً وعرضها ١٦ متراً ويقوم سقفها على ٣٢عموداًمربعاًوعشرين اسطونا . والأساطين فريدة فى تصميمها المعمارى الذى يجعلها تمثل دعامات الخيمة .

٨ – بينما كانت طيبة عاصمة للامبراطورية المصرية ، أصبحت منف مقراً للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية . ففيها تمركز قواد الجيش ، وكانت الحملات الحربية المتجهة إلى فلسطين وسوريا يتم تجهيزها واعدادها فى منف التى كانت أيضا ترسانة لبناء السفن الحربية . وكان الملوك المحاربون مثل تحوتمس الثالث وامنحتب الثانى يقضون بعضاً من العام فى تلك المدينة .

٩ – يعتبر رمسيس الثالث آخر ملوك الرعامسة العظام . ويذكر له التاريخ دفاعه المجيد عن مصر ضد شعوب البحر . وأشهر آثاره معبده الجنازى بمدينة هابو فى غرب طيبة والذى صورت على جدرانه المعارك البحرية أثناء صد هجمات شعوب البحر . وقد أثبتت أحدث الابحاث أن اسلوب بناء بوابة مدينة هابو متأثر بتصميم القلاع المصرية التى انشئت فى شرق الدلتا وفى الساحل الشمالى الغربى للبلاد ، وليس له علاقة بأى طراز معمارى سورى أو فلسطينى .

المبحث الثانى

١ – جنرال بالجيش المصرى وابن الملك (الفعلى) وحاكم النوبة فى عصر أبيه حريحور . وقد خاض غمار معارك الحرب الأهلية التى اتسمت بها نهايات الأسرة العشرين ، قبل ارتقاء حريحور عرش مصر .

٢ – قائد الجيوش وكبير كهنة آمون فى عصر رمسيس الحادى عشر . وكان الحاكم الفعلى لمصر العليا كما حمل ألقابا ملكية ، حتى اعتلى العرش وأسس الأسرة الحادية والعشرين المعروفة بأسرة الملوك الكهنة الضباط .

٣ – يقع فى الصحراء الشرقية فى منتصف الطريق بين النيل والبحر الأحمر فى موازاة وادى حلفا تقريباً ومنذ الدولة الوسطى أصبح هدفاً للبعثات المصرية التى ارسلت لاستغلال مناجم الذهب الوفيرة فى هذا الوادى وغيره من الوديان الأخرى بالصحراء الشرقية .

٤ – عاصر أحمس الأول وامنحتب الأول وتحوتمس الأول . وفى بداية حياته كان كاتباً وتقلد منصب حاكم بوهن ثم أصبح «نائب الملك وحاكم كوش» .

٥ – تقع جنوب وادى حلفا بحوالى خمسة كيلو مترات . وترجع أهميتها كمدينة حدود تقع بجوار الجندل الثانى وفى النهاية الجنوبية للنوبة السفلى . وعثر بها على مستوطنات مصرية من الدولة القديمة والدولة الوسطى أيضا .

٦ – قلعة مصرية بالقرب من وادى حلفا .

٧ - تقع فى منطقة الشلال الرابع عند سفح جبل برقل وأسسها على الأرجح تحوتمس الثالث ، وأصبحت مقراً لعبادة آمون رع ومركزاً للتجارة مع أفريقيا ، وكانت نباتا عاصمة للمملكة الكوشية (الأسرة الخامسة والعشرين) .

٨ - موقع أثرى يقع شمال إدفو بحوالى ١٥ كيلومترا . وبه اطلال مدينة ترجع إلى بداية عصر الأسرات يحيطها سور ضخم من الطوب اللبن . وللموقع أهمية دينية . وهناك عدة مصاطب من الدولة القديمة ومقابر من الدولتين الوسطى والحديثة تحوى مناظر ملونة رائعة للغاية .

٩ - استمتع بجهود آبائه فى انشاء الامبراطورية . وصلت البلاد فى عهده إلى قمة الثراء والغنى ، وانصرف الجميع وهو على رأسهم إلى حب التمتع بمناعم الحياة ولذائذها . زوجته الرسمية بنت الشعب الملكة «تى» التى يعتبرها المؤرخون من أعظم نساء التاريخ المصرى ذكاء وقوة شخصية وعزيمة . فجمعت كل زمام الأمور فى يدها بعد انصراف زوجها إلى لذائذه ، وأصبحت المتحكمة وصاحبة الكلمة العليا فى تسيير امور الامبراطورية الواسعة وفى داخل البلاد وخارجها . ازدهر فى عهده الأدب وظهرت اتجاهات جديدة فى فنون العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية تمثلت فى الآثار التى تركها وأهمها : معبد الأقصر بجماله وجلاله الفائق ، وتمثالا ممنون بضخامتهما وشهرتهما التى طبقت آفاق المعمورة فى الزمن القديم والزمن الحديث على حد سواء .

١٠ - من ملوك الأسرة الثامنة عشر . وكانت زوجته «تى» مربية للملكة نفرتيتى . وقد لعب آى دوراً هاماً فى اعادة الهدوء إلى البلاد فى عهد توت عنخ آمون .

١١ - كان ضابطا فى عهد اخناتون ثم أصبح القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى عهد توت عنخ آمون ، وعمل على رد اعتبار مصر فى سوريا وفلسطين ، قام بعدة اصلاحات أشهرها قوانينه التى أعادت النظام للبلاد بعد أزمة العمارنة .

١٢ - ديانة ذات نزعة توحيدية . آتون هو الخالق الأوحد وفى كل المخلوقات قبس من جوهره . ومن المبادىء العظيمة فى تلك الديانة العدل والصدق والحقيقة وحب الطبيعة .

المبحث الثالث

١ - حملت هذا اللقب بعض زوجات الملوك فى الدولة الحديثة كما حملته أيضا بعض الأميرات . وكن يقمن ببعض الأعمال المتعلقة بالطقوس الدينية بالمعابد . وفى الأسرات ٢١-٢٦ لعبت الزوجات الالهيات لآمون دوراً سياسيا هاما .

٢ - يطلق على فترتى الأسرتين ١٩-٢٠ . وفيه انتقلت العاصمة من طيبة إلى بررعمسيس فى شرق الدلتا . وفى الجزء الأول من هذا العصر كانت لمصر امبراطورية فى سوريا وفلسطين . ويمتاز العصر عموماً بالضخامة فى العمارة والتضخم فى الادارة . وتخللت عصر الرعامسة فى أواخره أزمات اقتصادية . وقد ازداد عدد ونوعيات وجنسيات الجنود الأجانب الذين ألحقوا بالجيش المصرى ، كما ازداد نفوذ كهنة آمون .

المبحث الرابع

١ - مقرهم طيبة . ويرجع إليهم الفضل فى تحرير البلاد من الهكسوس . أشهرهم سقنن رع وكاموسى وآخرهم أحمس الأول الذى أسس الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الخامس

١ - أصله سورى - فلسطينى . وهو حامى البحارة . وقد ظهر فى عصر الهكسوس متحداً مع الاله «ست» . وفى عصر امنحتب الثانى أصبح له هيكل فى «برو - نفر» ميناء منف حيث كان يوجد بعض البحارة السوريين . وقد ذكره هيرودوت ضمن معبودات منف .

٢ - إلهة الحرب الآسيوية بمناطق سوريا وفلسطين وكانت لها عبادة فى الدولة الحديثة بمصر ، ولا سيما فى ميناء منف «برو - نفر» وكثيراً ما كان يجىء ذكرها ضمن الآلهة الاسيويين الآخرين مثل بعل وعنات .

٣ - على الشاطىء الغربى للنيل مقابل الأقصر والكرنك . وهى جبانة ضخمة يمتد تاريخها عبر فترة تتجاوز ٣٠٠٠ سنة . وبلغت قمة عظمتها فى الدولة الحديثة حيث دفن بها ملوك الأسرات ١٨-٢٠ . وشيدوا بها معابدهم الجنازية مثل معبد الرمسيوم لرمسيس الثانى ومدينة هابو لرمسيس الثالث . وتوجد بالجبانة مئات من مقابر النبلاء . وبها بقايا وآثار مستوطنة عمال الجبانة .

٤ - يطلق عليه اسم «اصطبل عنتر» ويقع جنوب بنى حسن بمحافظة المنيا . وهوعبارة عن معبد صخرى صغير كان مخصصا لعبادة الآلهة «بخت» وأهم نصوصه وصف حتشبسوت لما أحدثه الهكسوس من تخريب فى البلاد .

٥ - محفوظة بالمتحف البريطانى .

المبحث الثامن

١ - كان كاتبا ومعماريا عظيما . أشرف على تشييد التمثالين العملاقين لامنحتب الثالث (تمثالا ممنون بغرب طيبة) . مات فى العام الرابع والثلاثين من حكم امنحتب الثالث . وقد أله امنحتب بن حابو وعبد وأقيمت له التماثيل .

المبحث العاشر

١ - ابن تحوتمس الثالث ، وسمى بالملك الرياضى . كان عسكريا من الطراز الأول فقاد عدة حملات وواصل حروب أبيه

لتدعيم الحكم المصرى فى آسيا وأفريقيا . وتكاد فترة حكمه تعتبر خاتمة للحروب والانتصارات الضخمة التى بدأها جده الأكبر أحمس الأول .

٢ – عاصمة الدولة القديمة وكانت تقع عند التقاء مجرى النيل بالدلتا . وكانت مركزاً تجارياً وصناعياً ولا سيما للأسلحة والسفن . وأهم ما تبقى من آثارها تماثيل رمسيس الثانى الضخمة .

٣ – إسم رمسيس الثانى قبل إعتلاء العرش ، ومعناه رمسيس محبوب الاله آمون .

هوامش الفصل الثانى

المبحث الأول

١ – عثر على نص هذا المرسوم منقوشا على لوحة بالكرنك . وهو عبارة عن مجموعة من المواد القانونية تتضمن عديداً من الاجراءات الحكومية الجديدة لرفع الظلم عن الشعب ، وللقضاء على الفوضى التى حلت بالبلاد إثر أزمة العمارنة ، ولانهاء استغلال موظفى الدولة للناس ، وذلك بفرض عقوبات صارمة على مخالفى التعليمات المنصوص عليها بمواد المرسوم .

٢ – عثر على نصه منقوشاً على لوحة صخرية بمنطقة ناورى ، التى تقع على بعد حوالى ٣٥ كيلو متراً شمال الجندل الثالث . أصدره الملك سيتى الأول (١٣٠٣–١٢٩٠ ق.م) لحماية ممتلكات معبده فى أبيدوس ضد أى سوء استغلال أو اختلاسات ، وبفرض عقوبات الضرب والعمل الاجبارى والغرامات .. الخ ، على مخالفى هذه التعليمات .

٣ – هى عملية استيحاء الاله وطلب مشورته بصدد أمر أو قرار معين . وتدل الشواهد التاريخية على أن هذه العملية كانت نادرة الحدوث – عدا حالات قليلة – فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، ولكنها ازدادت فى عصر الرعامسة وكثرت فيما تلاه من عصور لاحقة .

المبحث الثانى

١ – معاصر للملوك أحمس الأول وامنحتب الأول وتحوتمس الأول . وترجع شهرته إلى مقبرته بمنطقة الكاب ، التى تروى نصوصها تفاصيل هامة لكفاح المصريين ضد الهكسوس ، ومحاصرتهم فى عاصمتهم وطردهم نهائياً من البلاد . كما تروى أيضا تفاصيل الحملات الحربية المصرية فى سوريا وفلسطين والنوبة . واسلوب النصوص يشير إلى تطور الوعى التاريخى فى بداية الأسرة الثامنة عشر .

٢ – أرورا : مقياس لتحديد مساحة الأرض الزراعية . وتشير بعض الأبحاث إلى أنه كان يساوى نحو ٢٧٥٦,٢٥ متراً مربعاً .

٣ – اراد تحوتمس الثالث أن يصل بجيوشه إلى سهل مجدو ، حيث تجمعت الجيوش المتحالفة ضده . فجمع الملك ضباطه وعقد مجلساً حربيا . وكان هناك طريق مباشر يؤدى إلى سهل مجدو ، ولكنه طريق وعر وضيق جداً . وهناك أيضا طريقان طويلان ، إلا أن اجتياز أى منهما كان أسهل بكثير من اجتياز الطريق الأول . وقرر الملك ان يكسب الوقت ويحقق عنصر المفاجأة . فاختار اجتياز الطريق الأول على عكس مشورة أركان حربه . ونجحت خطة الملك وتحقق نصره .

٤ – وصلت جيوش مصر تحت قيادته إلى نهر الفرات حيث أقام لوحة الحدود . ووصلت جنوبا حتى تعدت الجندل الثالث . وهو أول ملك أمر باعداد مقبرته فى وادى الملوك بغرب طيبة .

٥ – تأسست هذه المستوطنة العمالية بغرب طيبة فى عهد تحوتمس الأول ، حيث سكنها الفنانون وعمال مقابر الملوك . ومازالت بقايا المنازل موجودة . وبالمنطقة مقابر عديدة للعمال ، وهى مقابر جميلة وفريدة فى نوعها ، وبها مناظر رائعة تصور جوانب كثيرة من الحياة اليومية للعمال .

٦ – موطنهم الأصلى بسواحل سوريا وفلسطين . أهم موانيهم بيبلوس (جبيل) وصور وصيدا ، ولهم شهرة تاريخية فى تجارة العالم القديم عبر البحار . أسسوا مستعمرات تجارية فى قرطاجة وقبرص وأسبانيا وسردينيا وصقلية ومالطة ، وكانت لهم علاقات تجارية وطيدة مع مصر ، فنشروا المنتجات المصرية فى كثير من أرجاء العالم القديم . وكان كيانهم السياسى شديد التأثر بالوضع السياسى والعسكرى للقوى المحيطة بهم .

المبحث الثالث

١ – مسماة على اسم تاجر آثار بريطانى فى القرن التاسع عشر ، وتذكر البردية بيانا بالهبات الجزيلة التى أمر الملك رمسيس الثالث بمنحها للمعابد ولاسيما معبد الاله آمون ، ويرجع تاريخ تحرير البردية إلى عهد رمسيس الرابع . وهى تصور لنا الوضع السياسى الداخلى للبلاد فى عهد رمسيس الثالث وفى بداية الأسرة العشرين .

٢ – مدينة تقع جنوب فلسطين . وقد تحصن بها الهكسوس بعد طردهم من مصر ، واستولى عليها أحمس الأول بعد حصار استمر ثلاثة أعوام .

٣ – منطقة أثرية هامة تقع جنوب الأقصر . بحوالى ٢٨ كيلو مترا . كانت مركزاً لعبادة الآلهة حتحور (ربة الجبلين) . وكانت ذات أهمية عسكرية فى بعض العصور .

تقع المطمر فى محافظة أسيوط ، وقد عثر بها على جبانة كبيرة تمتد من العصر التاريخى المبكر وحتى العصر القبطى . وبالمنطقة بقايا معبد لرمسيس الثانى .

هوامش الفصل الثالث

المبحث الأول

١ – كبير كهنة أون وإمام البنائين والأطباء . ربما كان أول مصرى من أبناء الشعب يذكر اسمه ويحوز شهرة كالفراعنة . لم يكن يحمل ألقابا رسمية أو ينتمى إلى العائلة المالكة . أصبح فى الدولة الحديثة حامياً للكتبة وتجسيداً للعلم والحكمة . هالت سيرته واعماله عظماء الاغريق ، فعدوه إلها للطب والسحر والفلك ، وساووه بالههم «اسكلبيوس» . واشتهر بقدرته على الشفاء خصوصاً فى العصر المتأخر والعصر البطلمى والعصر الرومانى ، ثم عبد كإله ، وانتشرت عبادته فى البلاد كواحد من ثالوث منف المقدس .

٢ – مؤسس الأسرة الثالثة فى الدولة القديمة . فى عصره تم تشييد الهرم المدرج بسقارة كأول بناء حجرى فى العالم . وظل زوسر يشغل جانبا مرموقا من ذاكرة قدماء المصريين ولا سيما فى العصر المتأخر والعصر البطلمى، حيث نسبت إليه قصة انقاذ مصر من المجاعة (لوحة المجاعة) .

٣ – اعتبر اسكلبيوس إلها للطب عند الاغريق ، وعبدته الجالية الاغريقية فى مصر ، منذ بداية عصر البطالمة ، فى الاسكندرية وفى البهنسا (بمحافظة المنيا) . وله مع امحوتب صفات مشتركة ، وكلاهما بشر ألهوا وعبدوا . وساد الاعتقاد بأن لاسكلبيوس قدرة على الشفاء . وفى العصر البطلمى كان تصويره هو نفسه تصوير امحوتب .

٤ – إله الحكمة والقوانين والكتب المقدسة . ويمثل برأس طائر ابو منجل (ابو قردان) أو برأس قرد وجسم انسان ، وهو يماثل الاله هرمس لدى الاغريق وكانت الاشمونين (بمحافظة المنيا) مركزاً لعبادة تحوت .

٥ – شيده امنحتب الثالث بالكرنك ، وأضاف إليه كثير من الملوك وحتى العصر البطلمى ، ويحيط بالمعبد بحيرة مقدسة على شكل حدوة الفرس وقد حفظ لنا المعبد مئات من تماثيل الالهة سخمت التى كانت الالهة موت تمثل مثلها برأس لبؤة .

٦ – عاصمتها تقع شمال شرقى مدينة بنها (تل أتريب) ، وعثر بها على آثار ترجع إلى فترة تمتد من الدولة الوسطى حتى . العصر البيزنطى ، وأهم الآثار التى مازالت موجودة حتى الآن بقايا بعض الحمامات الرومانية .

٧ - يعتبر من الأعياد السياسية . وكان يجرى احتفالاً بمرور ٣٠ عاماً على جلوس الملك على العرش . ثم يعاد نفس الاحتفال كل ثلاثة اعوام بعد الاحتفال الأول . وأهم المناظر التى تصور هذا الاحتفال ، ترجع إلى عهود «نى أوسر رع» و «تحوتمس الثالث» و «امنحتب الثالث» و «أوسركون الثانى» .

٨ - يعتبر من أكبر معابد الشمس . شيده «نى أوسر رع» (حوالى سنة ٢٤٢٥ ق.م) . وأهم مناظره الاحتفال باليوبيل الثلاثينى لجلوس الملك على العرش . وفيه أيضا مناظر رائعة لمخلوقات مختلفة ، ولفصول السنة ، ولمندوبى وممثلى مختلف المقاطعات أو الأقاليم المصرية .

٩ - أحد أبناء رمسيس الثانى وكان كبيراً لكهنة منف ، واشرف على بناء معبد بتاح . خلف آثاراً كثيرة ، أهمها فى أبيدوس والفيوم وسيرابيوم سقارة ، واشتهر بترميم كثير من الأهرامات القديمة . وهذا النشاط الأثرى اسبغ عليه صبغة سحرية فى عصور لاحقة ، وقد حفظت لنا ذلك بعض البرديات التى يرجع تاريخها إلى العصر الرومانى .

١٠ - معنى اسمها «بنت آمون» . وهى اكبر بنات امنحتب الثالث من زوجته الملكة تى . يقول بعض المؤرخين أنها ربما تكون أم سمنخ كا رع وتوت عنخ آمون ، ولكن لا يوجد أى دليل على ذلك . ودفنت فى ركن منفصل بمقبرة والدها . وفى المقبرة الصغيرة الخاصة بيويا وتويا بوادى الملوك ، عثر على كرسى خاص بالأميرة ست آمون وهو كرسى بديع مصنوع من الخشب الأحمر المطعم بالذهب والفضة ونقشت عليه مناظر جميلة ، ويكاد يشبه فى تصميمه كرسى العرش الخاص بتوت عنخ آمون .

المبحث الثانى

١ - معنى أسمها «أفق آتون» . وقد أمر اخناتون بتأسيسها فى مكان بكر لم تعبد فيه آلهة أخرى . وتقع على الشاطىء الشرق للنيل بمحافظة المنيا (تل العمارنة) . وأصبحت عاصمة لمصر فى عهد اخناتون ، حيث تفرغ فيها لعبادة آتون . وقد هجرت المدينة بعد وفاته . وعثر بها على أساسات معبد آتون والقصور الملكية ومساكن عديدة . كما عثر أيضا على الشارع الملكى الذى كانت تمر به المركبات الخاصة بالعائلة المالكة . كذلك فقد عثر فيها على اتيليه الفنان تحوتمس الذى وجدت فيه تماثيل كثيرة ، أهمها تمثال رأس نفرتيتى الشهير .

٢ - اتسم عصر العمارنة باسلوب فنى متميز ، بدأت ملامحه تتضح تماماً فى العام الثانى أو الثالث من حكم اخناتون (حوالى ١٣٧٧ ق.م) . وأهم هذه الملامح الابتعاد عن المثالية وعن الاسلوب التقليدى فى الفن . وقد

وصل ذلك إلى حد التطرف حيث نجد فى النقوش رؤوساً مبالغ فى أبعادها ومسحوبة الطول ، وفماً بارزاً إلى الأمام ، وجزعاً نحيلاً وأفخاذاً ضخمة . وقد اتسم فن العمارنة بحب كبير للطبيعة ، فصورت الطيور والحيوانات والازهار والثمار كما لو كانت تشعر بلذة الحياة ، وصورت بخطوط انسيابية رقيقة تعطى احساساً بالفتنة التى تفوق الوصف . وقد انعكست هذه الاتجاهات الفنية على تصوير العائلة المالكة نفسها ، فصورت فى اوضاع جديدة ، مثل أن يقوم الملك بتقبيل افراد عائلته أو يبكى مع زوجته وهما يودعان طفلهما الميت . وقد استمرت هذه الاتجاهات الفنية بعد وفاة اخناتون ، حتى أواخر الأسرة الثامنة عشر وبداية الأسرة التاسعة عشر .

هوامش الفصل الرابع

المبحث الثانى

١ – هليوبوليس أو (أون) . تقع فى الجنوب الشرقى لرأس الدلتا . وكانت عاصمة المقاطعة الثالثة عشر من مقاطعات الوجه البحرى . وكانت مركزا علمياً وثقافياً ودينياً بالغ الأهمية . عثر بها على عديد من الآثار التى ترجع إلى فترة تاريخية غاية فى الطول ، إذ تمتد منذ عصر الأسرة الثالثة بالدولة القديمة وحتى العصر البيزنطى . وأهم هذه الآثار مسلة سنوسرت الأول وبقايا معابد من عصر الرعامسة . وكانت أون مركزاً رئيسياً لعبادة الشمس تحت إسم الآلهة آتوم ، وخبرى ، ورع حور آختى ، بالاضافة إلى عديد من عبادات الآلهة الأخرى . وقد لعب الفلك دوراً هاماً فى العبادة بتلك المدينة ، وكان كبير كهنتها يحمل لقب « الرائى الأعظم» دلالة على متابعة النجوم وافلاك السماء .

٢ – يمثل بشكل عجل بين قرنيه قرص الشمس . وهو من ضمن آلهة الخصوبة فى مصر القديمة ، وارتبط أيضا بالاله بتاح والاله أوزيريس ، وعبد منذ الأسرات الأولى . وقد عثر على سيرابيوم بسقارة يحوى المئات من عجول أبيس المحنطة فى توابيتها الضخمة ، ومعها لوحات لتسجيل ذكرى دفن العجل .

٣ – تقع شمالى اسوان بحوالى ٥٦ كيلو متراً وبها أضيق مكان لمجرى النيل ، وتوجد بها عدة مقاصير ولوحات ترجع إلى عصور مختلفة ، أهمها المعبد الصخرى لحور محب . وكانت منطقة محاجر هامة فى العصور القديمة .

المبحث الثالث

١ – تقع جنوب غرب البلينا بمحافظة سوهاج بحوالى ١١كيلومترا . وكانت من أهم المراكز الدينية بمصر القديمة ، حيث عبد بها إله الموتى «خنتى امنتيو» . وكان هناك اعتقاد قديم بأن الاله أوزيريس دفن فيها . وكانت امنية كل مصرى قديم أن يحج إلى أبيدوس للتبرك . ومن آثار المنطقة مقابر الأسرتين الأولى والثانية ، ومعبد سيتى الأول ، ومعبد رمسيس الثانى .

الجزء الثانى

المشاكل الأيديولوجية والدينية والسياسية بعد أزمة العمارنة

ويتضمن الفصول التالية :

مقدمة

الفصل الأول : الجيش وأزمة العمارنة .

الفصل الثانى : النتائج العسكرية لثورة العمارنة .

الفصل الثالث : النتائج السياسية لثورة العمارنة .

الفصل الرابع : النتائج الدينية لثورة العمارنة .

مقدمة

لم تستغرق أزمة العمارنة سوى فترة زمنية قصيرة جدا ، بالقياس إلى التاريخ المصرى الفرعونى القديم . ومع ذلك ، ففى هذه الفترة القصيرة ، بلغت الأزمة الثقافية والعقائدية أقصى ذراها . وذلك بالرغم من أن هذه الأزمة كانت تضرب بجذورها إلى عهدى الفرعونين اللذين توليا عرش مصر قبل امنحتب الرابع «أخناتون» . واعنى بهما «امنحتب الثالث» ، و «تحوتمس الرابع» من قبله .

ولم يكن من قبيل المصادفة التاريخية أن تظهر بوادر تلك الأزمة الثقافية والدينية فى عهدى هذين الفرعونين ، حيث اكتمل نضج الوعى الثقافى والسياسى والعقائدى لدى قادة وكبار رجال الطبقة الجديدة من العسكريين .

لقد كانت الامبراطورية المصرية الجديدة فى خلال تلك الفترة مهداً ومرتعاً لعديد من التيارات الثقافية والسياسية والدينية ، التى أخذت تظهر تباعاً ، وتؤدى دورها المؤثر فى التغيير والتطوير . وكانت مثل هذه التيارات الجديدة تتنافر بل وتتناقض تماماً مع العقيدة التقليدية المستقرة فى طيبة ، فى خلال فترة المراحل الأولى لتكوين الامبراطورية .

ولاشك فى أن هذا التناقض التاريخى بين تلك التيارات الجديدة والتيارات المستقرة الراسخة ، قد أدى فى النهاية إلى تطوير الأحداث والمواقف التى أدت بدورها إلى حدوث الأزمة .

والحقيقة أن الديانة الآتونية نفسها ، لا يمكن النظر إليها منفصلة عن الاتجاهات الثقافية التى سادت فى خلال فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، خاصة بالنسبة للاتجاه إلى إحياء التراث المصرى القديم ، الذى أدى إلى انتشار الأفكار الايديولوجية

والعقائدية المعروفة بمنطقة هليوبوليس . كما أدى إلى التأثر بالتيارات الثقافية الوافدة من شمال البلاد بصفة عامة .

ويمكن القول بأن بوادر الأزمة الدينية قد ظهرت مع آخر حلقة من حلقات الصراع الذى دار بين دوائر طيبة التقليدية ، وبين القادة العسكريين الذين ينتمون إلى الطبقة الجديدة . وقد ذكرنا سلفا أنه منذ عهد «تحوتمس الثالث» ، أصبح كهنة «آمون» الذين كانوا يحملون لقب « المشرف على جميع كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى» يباشرون اختصاصاتهم تحت اشراف مباشر من الدولة كما وضعت القواعد لتقييد سلطاتهم والحد من نفوذهم ، وأصبحوا مغلولى الأيدى حتى بالنسبة لحقهم التقليدى فى ادارة ممتلكات المعابد ، إذ انتقل هذا الاختصاص إلى الوزراء الذين أصبحوا يحملون مثل هذا اللقب ويباشرون صلاحياته ، كما هو الحال بالنسبة للوزير «رخميرع» فى عهد «تحوتمس الثالث» .



الفصل الأول

الجيش وأزمة العمارنة

ويتضمن المبحثين التاليين :

المبحث الأول : إرهاصات الأزمة الدينية والسياسية .
المبحث الثانى : دور الجيش أثناء ثورة العمارنة .

المبحث الأول

إرهاصات الأزمة الدينية والسياسية

فى نص الحلم الشهير الذى نقشه الملك «تحوتمس الرابع» على نصب حجرى تذكارى ، عند تمثال أبى الهول ، نرى أن «حرماخيس HARMAKHIS» ممثل إله الشمس ، قد ظهر «لتحوتمس الرابع» - قبل توليه العرش - وطلب منه أن يزيل الرمال المتراكمة على تمثال الاله «تمثال أبى الهول» . وقد قام «تحوتمس الرابع» بالفعل بإزالة هذه الرمال من حول أبى الهول تنفيذا لما رآه فى هذا الحلم الشهير .

ويفسر «بترى PETRIE» نص هذا الحلم بأنه يمثل انعكاساً للصراع الذى كان ناشبا بين ابناء الملك «امنحتب الثانى» حول من يحق له من بينهم تولى عرش مصر . غير أن هذا التفسير يعتبر محل نظر ، حيث ثبت أن أبناء هذا الملك الآخرين أشقاء «تحوتمس الرابع» ، لهم نقوش وصور تمثلهم وهم يقدمون القرابين للاله .

وفى رأيى أن هذا الحلم يعطينا صورة واضحة عن مدى تأثير الفكر الدينى العقائدى الذى كان سائداً فى هليوبوليس ، والذى أصبح يشكل تحديا لديانة «آمون» التى كانت تعتنقها الأسرة المالكة .

ولا بأس من أن نشير هنا إلى النصوص المنقوشة على بعض تماثيل «الأوشابتى SHABTIS» [1] التى يرجع تاريخها إلى عهد «امنحتب الثالث» ، حيث أن صياغة هذه النصوص كانت تتضمن فكراً مختلفا عما كانت تتضمنه تماثيل الأوشابتى التى ترجع إلى عصور سابقة . كذلك فقد عثر على بعض تماثيل الأوشابتى التى ترجع إلى

عهد «أخناتون» ، وعليها نصوص مضمونها التقليل من شأن بعض المعتقدات المتعلقة بالسحر [صورة ٢٠] .

وفى عهد «تحوتمس الرابع» حدث تحول خطير فى موقف الدولة من طبقة كهنة «آمون» ، حيث أصدر الملك أوامره بتعيين الضابط «حور محب» – الذى أدى خدمته العسكرية أثناء عهدى «امنحتب الثانى» ووالده «تحوتمس الثالث» من قبله – فى وظيفة «المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلى والوجه البحرى» وهى وظيفة كهنوتية مفروض فيها أن تكون قاصرة على طبقة الكهنة وحدهم . أما أن يشغل هذه الوظيفة واحد من طبقة العسكريين الجديدة فهذا هو الشىء الجديد والمستحدث .



ومما لاشك فيه أن نقل السلطة الدينية والتقليدية من طبقة كهنة «آمون» إلى طبقة الضباط العسكريين ، حتى بالنسبة للوظائف الكهنوتية البحتة ، كان فى حد ذاته يمثل تحولاً حاداً فى السلطة أدى إلى تطوير الأسباب والأحداث التى أدت فى النهاية إلى الأزمة .

لقد نجحت طبقة العسكريين فى أخذ السلطة من رجال الدين الذين أحسوا بالمزيد من المرارة والهوان . ولعل أبلغ دليل على تلك المرارة ، ذلك النص الذى وجد منقوشاً على أحد «النصب الحجرية لتعيين الحدود» والذى يرجع تاريخه إلى عهد «أخناتون» ، وهو نص يشجب ويدين تلك الأشياء السيئة التى سمعها «تحوتمس الرابع» ورآها فى ذلك الحلم الشهير .

ومن شواهد تأثير التيارات الدينية الوافدة من شمال البلاد ، ذلك القرار الذى اصدره «امنحتب الثالث» بتعيين «بتاح موسى PTAH - MOSE» فى منصب «الكاهن الأول للاله آمون» وهو كما يظهر من اسمه يعتبر من أهالى منف الواقعة فى شمال البلاد .

وحين تزوج «امنحتب الثالث» من الملكة «تى» ، وهى تنتمى إلى أسرة عادية من الشعب ، قام بتعيين والدها «يويا YUYA» (٢) وأخيها «آى AY» (٣) كقواد لسلاح المركبات الحربية . وكان هذا القرار ضربة مؤلمة لتقاليد طيبة ، وتقاليد كهنتها باعتبارهم القوّامين على شئون التقاليد المصرية .

هذا ويمكننا أن نستشف من زواج «امنحتب الثالث» من إحدى أميرات «دولة الميتانى» (٤) وكذلك امتلاء قصره بمئات من سيدات الحريم الوافدات من الأقاليم الآسيوية الخاضعة لحكم مصر ، أن طبقة الضباط العسكريين ، خصوصاً من كانوا يخدمون بالوحدات العسكرية المرابطة بالأقاليم الآسيوية قد ازداد تأثيرها على الملك وبلاطه .

ونشير كذلك إلى أن تأليه وعبادة «امنحتب الثالث» فى خلال حياته ، سواء فى منطقة صولب بالنوبة ، أو فى طيبة قبيل وفاته ، يعتبر نوعاً من تأثير الأفكار العقائدية القديمة الوافدة من شمال البلاد .

ومن ظواهر الخلاف الأخرى قيام امنحتب الثالث بتعيين «آنن ANEN» (٥) شقيق الملكة «تى» فى وظيفة «الكاهن الثانى بمعبد الاله آمون ، ورئيس كهنة الاله رع فى معبد آمون بالكرنك» . فقد كان هذا التعيين صدمة قوية لطبقة كهنة «آمون» بطيبة ، الذين فوجئوا أيضا بلقب «كاهن الشمس» الذى أطلق على شقيق الملكة .

ومما يلفت الانتباه أيضا ، قيام نفس الملك بتحديد سلطات «مرى — بتاح MERY - PTAH» الذى كان يشغل منصب «الكاهن الأول للاله آمون» ، وكان من حقه أن يحمل لقب «المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلى والوجه البحرى» ، وذلك حين أمر الملك بأن يقتصر لقبه على أن يكون «المشرف على جميع كهنة طيبة» فقط .

والملاحظ أن من شغلوا منصب «الكاهن الأول للاله آمون» فى ذلك العصر ، لم يتركوا لنا آثاراً واضحة عدا اسم «من خبر رع MENKHEPERRE» «الكاهن الأول للاله آمون» ، الذى وجد منقوشا على جزء من عامود مكسور .

ولعل أكثر الأمور الملفتة للنظر قيام «امنحتب الثالث» بتعيين ابنه الأمير «تحوتمس» فى منصب «رئيس كهنة الاله بتاح بمنف» . ويشير «هـ. كيس H. KEES» إلى أن هذا الأمير قد أطلق عليه فيما بعد لقب «المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلى والوجه البحرى» الأمر الذى يعنى بالضرورة ازدياد تأثير ونفوذ الاله «بتاح» [٦] وهو من أشهر الآلهة فى شمال البلاد .

ويمكننا أن نخلص فى النهاية بأن هذا التطور السريع الواضح فى الأحداث ذات الطابع السياسى والدينى فى تلك الفترة ، كان نتيجة حتمية للصراع التاريخى المشهود ، الذى نشب بين طبقتين مختلفتين ، تنتمى كل منهم إلى ثقافة مختلفة ، كما تتنافر أيضا مصالحهما الاقتصادية .



المبحث الثانى

دور الجيش أثناء ثورة العمارنة

أود أن أشير بداءة إلى أنى اختلف تماماً مع النظرية التى تقول أن «أخناتون» كان يعارض أى اتصال بينه وبين الجهاز الادارى الواسع النطاق الذى كان يكوّن الأساس الذى تقوم عليه ادارة الامبراطورية بكافة مناطقها و أقاليمها [صورة ٢١] .

ومن الطبيعى أن العزل الفجائى لمجموعة ضخمة من كبار الموظفين ، ثم اختفاء ذكرهم تماماً دون أن يظهر لهم أى أثر ، ثم إحلال مجموعة جديدة أخرى لتحل محلهم ، وتتولى مناصبهم ووظائفهم ، كان أمراً لا يمكن تصوره إطلاقا فى المجتمع المصرى ، خصوصاً وأن هؤلاء الموظفين الكبار الجدد كانوا أبناء أسر متواضعة من الشعب ، ولم يكن بينهم من ينتمى إلى أىٍّ من الأسر العريقة النبيلة التى كانت تحتكر المناصب والوظائف العليا بالدولة .

وكانت طبقة العسكريين الجديدة التى رسخت جذورها واتسع نفوذها ، هى «الترسانة» التى أمدت «أخناتون» بكل من كان يحتاجه من الرجال ، تماماً مثلما حدث مع اسلافه السابقين .

ولذلك فمن الصواب أن نقول أن «أخناتون» قد أحاط نفسه بمجموعة جديدة من كبار الموظفين ورجال البلاط ، اختارهم بنفسه دون أن يتقيد بالاشخاص الذين كانوا يشغلون نفس الوظائف فى عهد أبيه ، ودون أن يلحق أى ضرر أو أذى لبلاط أبيه فى نفس الوقت .

كذلك فقد قام «أخناتون» بتعيين بعض أبناء الرجال الذين خدموا فى عهد أسلافه ، مثل تعيينه للفنان النحات «بك BEK» وهو ابن للنحّات «مين MEN» [1] . وتعيينه «إيبى IPY» الذى كان أبوه يشغل وظيفة رئيس المضيفين بالقصر الملكى بمنف .

وإلى جانب تواضع أنساب وأصول معظم الأفراد المقربين فى حاشية «أخناتون» ، نلاحظ أيضا تواضعاً شديداً فى اللغة التى عبروا بها عن علاقاتهم بالملك . وربما كان ذلك راجعاً إلى طبيعة العقيدة الآتونية التى أثرت فى أسلوب الكتابة فجعلته أكثر تواضعاً عن أسلوب الكتابة الذى كان سائداً من قبل .

أما «يويا» والد الملكة «تى» الزوجة الرئيسية «لامنحتب الثالث» [صورة ٢٢] ، الذى كان يشغل من قبل منصب «المشرف على الخيول الملكية» فقد ترقى إلى مناصب أعلى وأخطر شأناً فى عهد «أخناتون» . وعلى أية حال فيمكن القول بصفة عامة ، أن أفراد الأسرة المالكة وانسبائها ، ظلوا يشغلون نفس المناصب التى كانوا يشغلونها قبل أزمة العمارنة ، كما ظلوا يشغلونها بعد انتهاء الأزمة .

وهناك نص منقوش على أحد تماثيل الأوشابتى التى يرجع تاريخها إلى منتصف عصر الأسرة الثامنة عشر كما يدل على ذلك أسلوب نحتها الفنى ، وهو معروض حالياً ضمن مقتنيات «متحف المتروبوليتان METROPOLITAN MUSEUM» .ويظهر على هذا التمثال اسم «ياى YEY» الذى يحتمل أن يكون سلفا «ليويا» ، وكان يشغل منصب «المشرف على الخيول الملكية» أيضا ، كما كان يحمل لقبا غامضاً وهو «الأب الالهى GOD'S FATHER» .

ويشير «ألدريد C. ALDRED» إلى أنه من المحتمل أن «ياى YEY» و «يويا YOYA» كان ينتميان إلى أسرة عسكرية من أصل آسيوى ، استقرت بمصر منذ عصر بدء استخدام المركبات الحربية .

وقد لوحظ أيضا أن كلاً من «يويا» و «آى AY» – الذى تولى عرش مصر فيما بعد – كان يحمل هذا اللقب الغامض «الأب الالهى» . كما كانا يحملان أيضا

لقب «الأمير الوراثى HEREDITARY PRINCE» ولقب «المشرف على الخزانة الملكية» . كذلك فقد تقلد «يويا» منصب «القائد المساعد لسلاح المركبات الحربية» ، كما تقلد «آى» منصب «قائد الفرق الحربية» .

وقد قام «آى» بمباشرة صلاحيات وظائفه التى عينه فيها «أخناتون» ، وصحبه إلى عاصمته الجديدة «آخت آتون – تل العمارنة» بينما استمر «يويا» فى تأدية نفس الدور الذى كان يؤديه فى بلاط «امنحتب الثالث» والد «أخناتون» .

ونلاحظ أيضا «يويا» قد منح الحق فى إقامة مقبرة له بوادى الملوك ، كما منح نفس الحق أيضا «لآى» الذى أقام مقبرة لنفسه بالمدافن المقدسة بغرب طيبة .

كذلك فقد شغل «يويا» منصب «المشرف على قطعان الاله مين MIN» [٢] باخميم . كما قام «آى» – فى عهد توت عنخ آمون – ببناء معبد للاله «مين» فى نفس المنطقة ، التى يحتمل أن تكون مقر أسرته أو محل ميلاده .

ويقول «ألدريد» أن التشابه فى ملامح وتقاطيع الوجه ، وكذا التشابه بين نطق اسمى كل من «يويا» و «آى» لم يكن مصادفة عابرة ، وإنما هو يعزز احتمال أن يكون «آى» ابنا «ليويا» وبالتالى أخا للملكة «تى» . ويعلق «سير آلان جاردنر SIR ALAN GARDINER» على ذلك بأن هذه الفكرة قد تكون معقولة ، ولكن ليس هناك سند يؤكدها .

وفى ضوء هذه الفكرة ، يمكننا أن نفسر حالة الغضب التى انتابت كهنة طيبة ، حين رفع «امنحتب الثالث» إحدى بنات الشعب إلى مصاف الملكات ، باعتبار أن هذا الاختيار كان خروجاً على تقاليد طيبة ، وربما أيضا باعتبار أن هذه الملكة كانت تنتمى إلى أسرة عسكرية ، وهذا فى حد ذاته سبب يثير طبقة الكهنة ، لأنه تدعيم مباشر لطبقة العسكريين ، فى صراعها ضد الكهنة ونبلاء طيبة التقليديين .

وفى عهد «أخناتون» كان الأمير «جحوت موسى DHOUTI MOSE» [٣] يتولى منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» ومقره بمدينة منف . كما كان يحمل لقب «الكاهن — سم SEM - PRIEST» ولقب «الكاهن الأكبر للاله بتاح» . وكان هذا الأمير آخر من تولى منصب القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية من أعضاء الأسرة المالكة ، قبل أن يتولاه العسكريون من ضباط الطبقة الجديدة وكان «حور محب» أول من تولى هذا المنصب العسكرى الخطير من خارج أعضاء الأسرة المالكة . وقد حدث هذا التعيين فى عهد «توت عنخ آمون» ، وذلك بناء على توصية من «آى» . وبهذا أصبح واحد من الصفوة الممتازة من طبقة العسكريين لأول مرة «قائداً عاماً GENERAL ISSIMO» للجيش المصرى . ولا يخفى ما لهذا التعيين من دلالة سياسية واضحة .

ومن الشخصيات البارزة فى فترة العمارنة ، شخص يدعى «دودو DUDU» . وتختلف فيه أقاويل المؤرخين ووجهات نظرهم . فقد عثر فى مقبرته على نقوش تدل على أنه كان يقوم بنفس المسئوليات التى كان يباشرها من يحمل لقب «مر — بر — ور» أى «المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية» . كما منح لقب «را — حرى R - HRY» أى «صاحب الفم الأعلى» أو «صاحب الكلمة العليا THE UPPER MOUTH» ، وهو اللقب الذى كان يحمله من يتولى منصب «مر — بر — ور» فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر .

وقد رأينا من قبل أن «هلك» يؤكد الفكرة القائلة بأن هذا المنصب كان قاصراً على الذين شغلوا من قبل مناصب عسكرية داخل الجيش .

وتدلنا «رسائل العمارنة» [٤] على أن «دودو» كان شخصية مرموقة ، وكان على دراية واسعة بالشئون الخارجية المتعلقة بسياسة الدولة تجاه ممتلكاتها الآسيوية .

وفى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، كانت الشئون الدبلوماسية قاصرة على العسكريين أو كبار الموظفين الذين كانوا بالسلك العسكرى من قبل تقلدهم الوظائف المدنية ، حيث ثبت أن جميع من شغلوا منصب «رسول الملك إلى البلاد الأجنبية» أو منصب «المشرف الملكى على الأراضى الشمالية» أو منصب «المشرف على شئون التجارة الخارجية» كانوا كلهم من كوادر السلك العسكرى .

وفى عهد «أخناتون» أيضا ، منح «دودو - صاحب الكلمة العليا» منصباً رفيعاً آخر ، وهو «الخادم الأعلى لجلالته فى معبد آتون بالعمارنة» . وهذا المنصب أعطاه الحق فى أن «يأكل» نصيب الملك من القرابين أثناء إقامة طقوس العبادة ، وهو نفس الدور الذى كان يقوم به «امنحتب بن حابو» من قبل .

وبسبب قيام «دودو» بالتفاوض السياسى والدبلوماسى مع الأقاليم الآسيوية ، يرى بعض المؤرخين أنه ربما كان ينتمى إلى أصل أجنبى ، أو انه سليل محارب آسيوى كان قد أسر وأحضر إلى مصر أيام العمليات الحربية فى آسيا . وربما يكون قد جند بفرقة «الياوران» الخاصة بالملك ، والتى تعتبر وثيقة الاتصال بالتالى برجال البلاط الملكى وأمراء البيت المالك .

وقد يكون هذا محتملاً بالفعل ، كما قد يكون من المحتمل أيضا ، أن يكون «دودو» مصريا خالصاً اندرج فى السلك العسكرى ، وأقام لفترة طويلة بالأقاليم الآسيوية التى دخلت نطاق الامبراطورية المصرية ، الأمر الذى جعله على دراية كاملة بالشئون الآسيوية ، ورفع من مستوى خبرته وامكانياته فى هذا الخصوص .

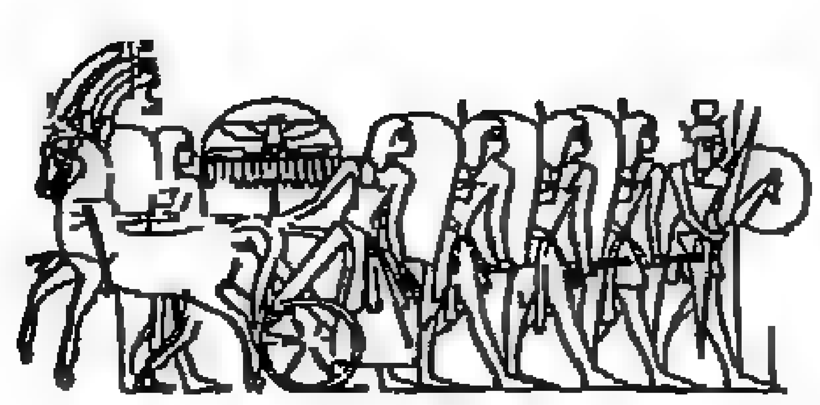


هذا ويميل كثير من المؤرخين إلى وصف عهد «أخناتون» بالاتجاهات والميول السلمية ، والتهوين من شأن أية انشطة عسكرية تكون قد حدثت فى ذلك العهد . إلا أنه من الصعب قبول مثل هذه الآراء ، وذلك فى ضوء الظواهر والاعتبارات التالية :

كان هناك مركز لعبادة «آتون» أقيم فى مكان – مازال مجهولاً حتى الآن – بسوريا . كما تثبت بعض رسائل العمارنة وجود العديد من الوحدات والبعثات العسكرية فى مناطق مختلفة فى النوبة وبعض الأقاليم الآسيوية . كذلك فقد ثبت ببعض المدونات المحلية المصرية أن عملية تجنيد الجنود وتكوين الوحدات العسكرية لم تنقطع واستمرت قائمة فى معظم الأقاليم المصرية . كما تثبت احدى رسائل العمارنة أن أحد قواد الجيش المصرى كان يخاطب أحد أمراء الأقاليم السورية بلهجة آمرة . ومن هذا الوجود العسكرى المكثف بالاقاليم السورية ، يتبين لنا عدم صحة الرأى الذى يقول به البعض ، من أن «أخناتون» وضباطه العسكريين قد أقلعوا عن التفكير فى شئون الأقاليم التابعة للامبراطورية المصرية [صورة ٢٣] .

وحقيقة الأمر أن «أخناتون» قد انهمك بالفعل فى نشر وتدعيم عقيدة «التوحيد» التى آمن بها ، وقد استغرق ذلك كل جهده الفكرى ، بحيث لم يتبين حقيقة التغييرات الخطيرة التى حدثت بمنطقة الشرق الأدنى فى أثناء عصره ، فقد ظهرت إلى حيز الوجود امبراطورية جديدة «للحيثيين» (*) على حدود المناطق المتاخمة للأقاليم الآسيوية التابعة للامبراطورية المصرية .

ويقول «سير آلان جاردنر» فى هذا الشأن ، أن مسئولية «أخناتون» عن تدهور السلطة المصرية بالأقاليم السورية ، ليست أكثر من مسئولية سلفه «امنحتب الثالث» عن حدوث مثل هذا التدهور فى النفوذ المصرى .



وكانت مشكلات «الأمن» التى نشأت بسبب دعوة الناس إلى ترك دياناتهم التقليدية التى يتمسكون بها واعتناق الديانة الآتونية الجديدة ، تشكل عبئاً جديداً يقع على عاتق القوات المسلحة ، التى كانت مسئولة باستمرار عن إقرار واستتباب الأمن القومى ، والقيام بجميع أعمال الشرطة ، فى كل المدن والأقاليم المصرية . وذلك بالاضافة إلى حراسة وتأمين الطرق العامة والطرق التجارية الممتدة فى الصحارى وعلى تخوم الحدود المصرية .

ومن الثابت أن العديد من مراكز الشرطة الرئيسية كانت منتشرة بالعاصمة وكافة المدن والأقاليم المصرية فى عصر الأسرة الثامنة عشر . ومن الثابت كذلك أن جميع رؤساء مراكز الشرطة هذه ، كانوا يختارون من بين ضباط الجيش الذين يحملون رتبة «حامل الراية» على الأقل . وكان من اختصاص تلك المراكز أن تقوم بحراسة وتأمين مناجم الذهب بالمناطق الصحراوية والجبلية ، بالاضافة إلى المسئولية عن حراسة المدافن الملكية .

وقد عثر على بعض الشعارات الرسمية التى كانت تتخذها مراكز الشرطة كرمز خاص بها ، وذلك مثل «العلم» الذى عثر عليه بطيبة وعلية صورة «غزال» . وكان هذا العلم رمزاً لأحد مراكز الشرطة بالعاصمة . كما عثر فى العمارنة على «درع» عليه رسم يمثل الفرعون وهو يقوم بتأديب رجل من الاعداء ، وكان ذلك أيضا رمزاً لأحد مراكز الشرطة بالعاصمة الجديدة بالعمارنة .

وكان جنود الشرطة التابعون لهذه المراكز ، يختارون من بين المحاربين المصريين والنوبيين .

وفى العمارنة كانت مراكز الشرطة مكلفة أيضا بالتعاون التام مع وحدات الجيش لتسهيل عمليات تجنيد الشباب للخدمة العسكرية ، وذلك إلى جانب القيام بالمهام البوليسية التقليدية .

ومن المؤكد أن نظام تموين وامداد الوحدات العسكرية المحاربة بالجيش ، بكل ما تحتاجه من مؤن ومعدات ، كان ينطبق أيضا على مراكز الشرطة حيث كانت مسئولية امدادها بالاحتياجات تقع على عاتق الدولة .

والجدير بالملاحظة أن العاصمة المقدسة الجديدة «آخت آتون» كانت محاطة بمجموعة من مراكز الشرطة .

وفى مقبرة «ميهو MEHU» رئيس الشرطة «بآخت آتون» ، نرى نصاً يسجل فيه أنه قد عمل على سحق «مؤامرة» ضد العرش . ومن الطبيعى أن يتهدد الخطر هذا الملك الذى كان يريد أن ينشر ديناً جديداً بين دوائر محافظة ، متمسكة بدياناتها التقليدية ، الأمر الذى أغضب هذه الدوائر ودفعها إلى التآمر .



أما عامة الشعب المصرى ، فلم تتأثر كثيراً بتعاليم «أخناتون» ودعوته إلى الدين الجديد وهناك دلائل على أن الآلهة القديمة كانت محل عبادة وتقديس بين شعب العمارنة .

ويذكر «ج. سامسون J. SAMSON» أن كثيراً من «التعاويذ الخزفية» التى كان يتزين بمثلها شعب العمارنة ، كانت تؤكد تمسك العامة بالعقائد والديانات القديمة ، وإن كانت فى الوقت نفسه لا تنفى أن فئة قليلة من شعب العمارنة قد اعتنقت بالفعل ديانة «آتون» الجديدة .

ونستنتج من هذا كله أن «الجيش» كان المؤسسة الوحيدة التى اعتمدت عليها الدولة ، بعد سقوط طبقة الكهنة بالعاصمة طيبة .

وكانت الحركة العمرانية الضخمة التى تميز بها عهد «أخناتون» ، والتى انتشرت فى طول البلاد وعرضها ، من النوبة جنوباً حتى الأقاليم السورية فى الشمال ، تشكل بدورها عبئاً ضخماً على عاتق الجيش ، الذى أشرف بالفعل على تنفيذ المشروعات المعمارية الواسعة النطاق ، والتى تتمثل فى بناء المعابد الجديدة ، وتخطيط وتعمير العاصمة الجديدة «آخت آتون» إلى جانب عمليات تشييد مدافنها .

وقد تقلد اللواء «با آتون محب PAATENMHAB» منصب «المشرف على أعمال آخت آتون» . وهذا اللقب يدل على طبيعة الأعمال الانشائية التى أشرف عليها هذا الضابط . فالألقاب فى عهد العمارنة كانت تمثل العمل الحقيقى لصاحب اللقب ، ولم تكن مجرد ألقاب شرفية . ومن الغريب أن معظم كبار العسكريين الذين تعاونوا مع «أخناتون» فى العمارنة ، كانوا يحملون هذا اللقب ، كما سيتبين لنا فيما بعد .

وتتمثل حقيقة وأهمية الدور الكبير الذى لعبه القادة العسكريون فى عهد العمارنة فى الألقاب التى كانوا يحملونها . وعلى سبيل المثال فإن اللواء «ماى» الذى كان يشغل من قبل رتبة «كاتب تجنيد» قد رقى إلى رتبة «اللواء» ، وتولى مجموعة كبيرة من المناصب والوظائف تدل عليها ألقابه التالية : «المشرف على الوحدات العسكرية التابعة لجلالته فى الوجه البحرى» . ولقب «الكاتب الملكى» . ولقب «الأمير الوراثى» . ولقب «حامل أختام الملك فى الوجه البحرى» . ولقب «الياور – أو السمير – الوحيد لجلالته» . ولقب «المشرف على خزانة قصر أخناتون بهليوبوليس» . ولقب «المشرف على جميع الأعمال الخاصة بجلالته» .

كذلك فقد منح «ماى» مقبرة أقيمت له خصيصاً بمدافن العمارنة . ونلاحظ من النصوص المدونة على جدران تلك المقبرة ، أن صاحبها «ماى» قد غالى كثيرا فى التأكيد على انه ينتمى لأسرة بسيطة من أصل متواضع . ولكن يبدو أن ذلك يعتبر تأكيداً للاتجاه الذى كان يدعو إليه «أخناتون» ، ورغبته فى الاستعانة بالوجوه الجديدة .

ويعلق «سير آلان جاردنر» على ما يشاع دائماً من أن «أخناتون» كان يريد تقليل حجم الهوة الفاصلة بين الملك والرعية ، بقوله أن هذا الاتجاه كان فى أضيق الحدود ، حتى بالنسبة للواء «ماى» الذى تفاخر بتواضع أصله العائلى ، فإنه فى حقيقة الأمر كان يشغل وظيفة «كاتب تجنيد» قبل ترقيته إلى رتبة «اللواء» . ومعنى هذا انه كان ينتمى اجتماعياً إلى طبقة العسكريين الجديدة التى تضرب بجذورها إلى الأيام الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر . ومن المعروف أن هذه الطبقة العسكرية كانت مفتوحة أمام الأعضاء الجدد الذين يمكنهم الانتماء إليها إذا توافرت فيهم بعض الشروط .

ونود أن نشير إلى أن «ماى» هذا كان يعتبر من المقربين إلى «أخناتون» ، وكان كبيراً فى السن ، ومن المحتمل أنه قد خدم فى عهود أربعة من الفراعنة السابقين أسلاف «أخناتون» ، أى أنه قد بدأ خدمته فى عهد «امنحتب الثانى» .

وكان هناك ضابط آخر من ضباط الفرسان ، وكان اسمه «ماى» أيضا . وكان يشغل منصب «المشرف على الخيول الملكية» . وقد تم تكليفه فى عهد «أخناتون» بمهام دبلوماسية ، ومنح لقب «رسول أخناتون إلى كل الأراضى» .

وهناك ضابط آخر من سلاح الفرسان ، وكان اسمه «رع نفر RA NOFER» وكان يشغل منصب «المشرف على الاصطبلات الملكية» .

وعلى جدران مقبرة «أحمس» وهو أحد كبار الموظفين بالعمارنة ، نجد نقوشا تمثل مناظر يقوم فيها الجنود النوبيون والليبيون والسوريون بتولى أعمال الحراسة للأسرة المالكة ، الأمر الذى يؤكد أيضا أن مسئولية تأمين وحراسة الأسرة المالكة كانت تقع على عاتق الجيش المصرى .

ومن المحتمل أن يكون هناك ثلاثة على الأقل من الضباط الذين كانوا يحملون رتبة «كاتب تجنيد» فى عهد العمارنة ، وهم على وجه التحديد «ماى» و «رعميسو RAMESSU» و «آى» . وربما يكون «حور محب» هو رابع هؤلاء الثلاثة ، حيث تمت ترقيته إلى رتبة «لواء» ثم إلى رتبة «القائد العام للجيش المصرى» فى عهد كل من «توت عنخ آمون» ، ثم عهد الملك «آى» من بعده ، وذلك قبل أن يرتقى بنفسه عرش مصر .

ولم يلاحظ وجود مثل هذا العدد من الضباط الذين يحملون رتبة «كاتب التجنيد» فى عهد أى ملك آخر من ملوك الأسرة الثامنة عشر .

ومن الجدير بالذكر أن «رعمسيس الأول» الذى قام بتأسيس أسرة مالكة جديدة هى الأسرة التاسعة عشر ، والذى تولى العرش بعد «حور محب» ، كان يشغل من قبل منصب المشرف على الحدود الشمالية الشرقية لمصر فى عهد «أخناتون» .

ومن المحتمل أن يكون «حور محب» قد شغل منصب «كاتب التجنيد» فى منطقة الدلتا أثناء عهد «أخناتون» وعلى جدران المقبرة التى شيدها لنفسه بمنطقة منف ، نجد نقوشاً تمثله وهو يقوم بالتفتيش على بعض القلاع العسكرية المصرية ، ومن حوله بعض الضباط المقاتلين . وكانت صلاحية التفتيش على القلاع العسكرية من ضمن اختصاصات الضباط الذين يحملون رتبة «كاتب التجنيد» .

وفى خلال عهد العمارنة أيضا ، كان هناك ثلاثة من الضباط على الأقل برتبة «لواء» . وهم بالتحديد «با آتون محب» و «ماى» و «رعميسو». ومن الملاحظ أن جميع الضباط الذين يحملون رتبة «لواء» أو رتبة «كاتب التجنيد» كانوا يمنحون أيضا لقب «المشرف على جميع أعمال البناء الخاصة بالملك» . وهذا فى حد ذاته دليل قاطع على اشتراك الجيش المصرى على أوسع نطاق فى إقامة جميع المبانى والانشاءات الدينية والمدنية التى أقيمت بالديار المصرية على وجه العموم ، وفى العمارنة على وجه الخصوص .



وكان اللواء «با آتون محب» مسئولاً عن ادارة جميع ثروات الخاصة الملكية . كما كان اللواء «ماى» مسئولاً عن ادارة «ثروات الخاصة الملكية وممتلكات معبد رع بهليوبوليس» . أما اللواء «رعميسو» فقد تولى فى عهد «أخناتون» «الاشراف على ادارة المعبد الجنائزى للملك امنحتب الثالث» .

ولم يستعمل لقب «مر – بر – ور» – أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية – فى عهد العمارنة ، ولم يمنح لأى من كبار الموظفين فى ذلك العهد ، رغم أن الاختصاصات الداخلة ضمن صلاحيات هذا اللقب كان يباشرها بعض كبار الموظفين بالعمارنة ، مثل «دودو» و «با آتون محب» .

ويقول «هلك» أن القوة الكامنة والنفوذ الواسع الذى كان يتضمنه هذا المنصب الخطير «مر – بر – ور» كان يدعم موقف طبقة العسكريين فى «صراعها الخفى الصامت» ضد الفراعنة طوال عصر الأسرة الثامنة عشر . ولكننى أختلف تماماً مع هذا الرأى ، اذ لايمكن تصور أى نوع من الصراع يكون قد نشب بين العسكريين والفراعنة الأفذاذ الأقوياء فى بداية تكوين الامبراطورية المصرية . أما الصراع الحقيقى ، فقد نشب بالفعل بين الطبقة العسكرية الجديدة ، وبين دوائر الكهنة وطبقة الكتاب التقليديين من الذين كانوا يشغلون الوظائف المدنية العليا فى طيبة .

والجدير بالملاحظة أن عدداً كبيراً من كبار العسكريين الذين تولوا منصب «مر – بر – ور» فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، قد تعرضت مقابرهم لأعمال التدمير المقصود . وذلك كما حدث بالنسبة لكل من «سننموت» و «امنحتب» اللذين شغلا هذا المنصب فى عهد الملكة «حتشبسوت» . و «قن آمون» و «تينانا» و «امنمحات – سرر» الذين تولوا هذا المنصب فى عهدى «تحوتمس الثالث» و «امنحتب الثانى» على التوالى .

ولاشك أن التبرير المعقول لهذا التدمير الذى لحق بمقابر هؤلاء الضباط كان نتيجة لأن كلاً منهم قد سقط فجأة . وهذا دليل على أن نفوذ طبقة العسكريين لم يكن قد رسخ بعد ، بالمقارنة لنفوذ طبقة الكهنة والموظفين المدنيين التقليديين بطيبة ، بمعنى أن الصراع الذى كان دائراً بين هاتين الطبقتين لم يكن قد حسم بعد وعلى نحو قاطع لصالح الطبقة العسكرية الجديدة .

وغنى عن القول أن نشأة ونمو طبقة العسكريين وازدياد قوتها ونفوذها ، ثم تغلبها على طبقة الكهنة والموظفين المدنيين التقليديين بطيبة ، كان أحد المعالم الرئيسية الهامة للتطور الاجتماعى الذى تميز به عصر الأسرة الثامنة عشر .

وفى عهد العمارنة ، كانت «آخت آتون» هى المقر الرسمى لسلاح المركبات الحربية بالجيش المصرى ، حيث يدل على ذلك وجود الثكنات العسكرية التى كانت تشغلها وحدات هذا السلاح ، ووجود أرض التدريبات الحربية التى كانت تتمرن عليها هذه الوحدات .

ولا شك أن اتخاذ العاصمة الجديدة مقراً ومركزاً لسلاح المركبات الحربية ، باعتباره أكبر قوة ضاربة سريعة الحركة فى الجيش ، يعتبر دليلاً على مدى الأهمية التى كان يوليها عصر العمارنة للقوات المسلحة المصرية .

وفى نفس الوقت ، فقد ظلت منف هى المقر الرسمى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، تماماً مثلما كانت طوال عصر الأسرة الثامنة عشر .

أما القاعدة التقليدية الخاصة بتعيين «ولى العهد» فى منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» فقد استمرت مطبقة حتى بداية عهد «توت عنخ آمون» ، حين عين حور محب ليشغل هذا المنصب ، وكان بذلك أول قائد عام للقوات المسلحة المصرية من خارج أعضاء الأسرة المالكة .

وليس من المؤكد أن الأمير «نخت مين NAKHT MIN» أصغر ابناء «امنحتب الثالث» ، والذى كان يحمل لقب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، قد باشر بالفعل مهام ومسئوليات هذا المنصب الخطير فى عهد «أخناتون» ، وذلك استناداً إلى أن رسائل العمارنة لم تشر إليه اطلاقا باعتباره القائد العام . وأغلب الظن أن الأمير «جحوت موسى» هو الذى شغل هذا المنصب فى عهد العمارنة ، كما كان يشغل فى الوقت نفسه منصب « الكاهن المرتل» ومنصب «الكاهن الأول للاله بتاح فى منف» . وكان هذا الأمير آخر من تولى منصب القائد العام من أمراء البيت المالك ، كما يدل على ذلك النص المنقوش على «كرباجه»» والذى عثر عليه ضمن مقتنيات مقبرة «توت عنخ آمون» :



وقد ذكرنا من قبل أن «هلك» يفرق بين الموظفين العسكريين وبين ضباط الجبهة المقاتلين . ويرى أن الفريق الأول كان ينتمى إلى العائلات التقليدية فى طيبة والتى كانت تتولى دائما مثل هذه الوظائف . أما الضباط المقاتلين فى نظره فكانوا من «الوجوه الجديدة» التى أخذت تظهر تباعاً بين طبقة العسكريين ، والتى كانت تنتمى إلى أسر ذات أصول متواضعة . وأن اختيار هؤلاء الضباط لتولى أية وظائف أو مناصب عليا ، سواء فى ادارة الدولة ، أو فى البلاط الملكى ، كان يتوقف تماماً على رغبة الملك وارادته .

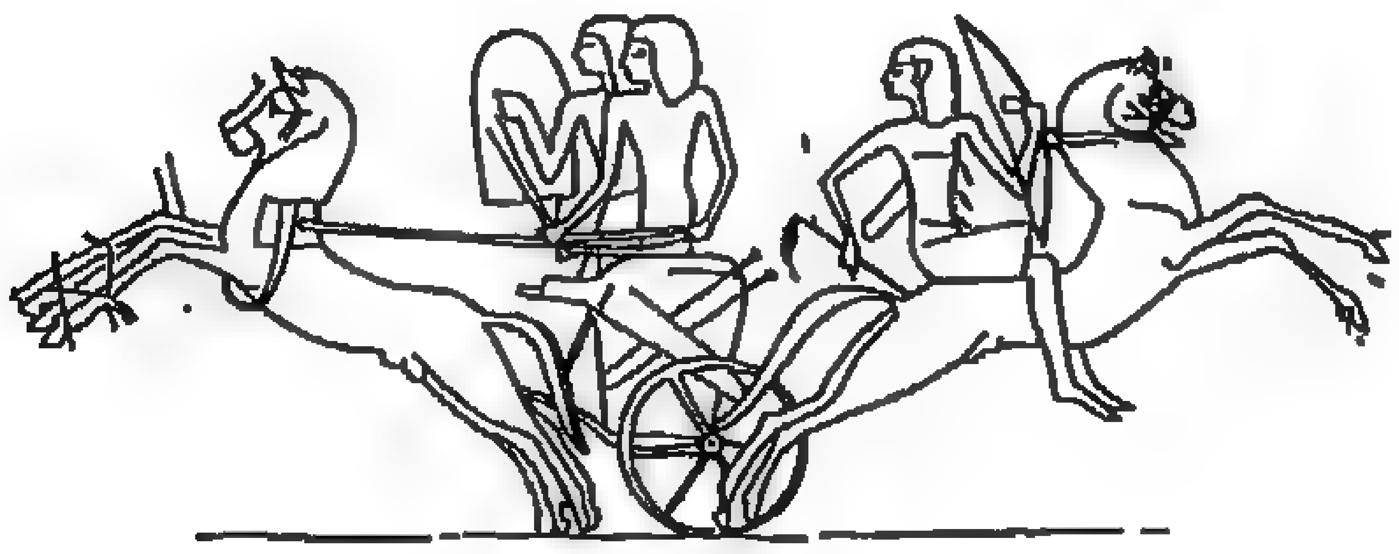
ويدعم «هلك» وجهة نظره بالقول بأن الضباط المقاتلين الذين تولوا فيما بعد مناصب ادارية ومدنية عليا ، كانوا يغفلون تماماً أية إشارة إلى ألقابهم العسكرية السابقة ، ويهتمون فى الوقت نفسه بذكر جميع الألقاب الأخرى التى منحت لهم بعد ترك الخدمة العسكرية وتوليهم الوظائف الادارية والكتابية الجديدة .

وفى رأيى أن وجهة النظر هذه لا تستند إلى أساس منطقى مقبول ، فقد رأينا من قبل أن «سننموت» – فى وقت مبكر من عصر الأسرة الثامنة عشر – قد بدأ حياته العملية كضابط مقاتل ، كما رأينا أن «التعليم النظرى الموحد» كان يمثل الخلفية الثقافية لجميع الضباط العسكريين ، سواء من كانوا يشغلون منهم وظائف ذات طبيعة كتابية أو ادارية ، أو من كانوا يشغلون مناصب عسكرية فى الوحدات المقاتلة . ولذلك فانى اتفق مع وجهة النظر القائلة بأن الضباط المقاتلين الذين تولوا المناصب الادارية والكتابية بعد تركهم للخدمة العسكرية ، والذين أغفلوا ذكر ألقابهم العسكرية القديمة وحرصوا فى الوقت نفسه على ابراز الألقاب الجديدة التى منحت لهم بسبب توليهم تلك المناصب الادارية والكتابية ، إنما كانوا فى واقع الأمر يمارسون التفاخر بالألقاب المدنية التى كانت من الناحية التقليدية ، محل تبجيل واحترام فى مصر القديمة .

وأود أن أشير إلى أن الألقاب العسكرية قد استغرقت فترة طويلة من الزمن ، ربما طوال عصر الأسرة الثامنة عشر بأكمله ، حتى وقفت على قدم المساواة مع الألقاب المدنية التقليدية . وقد بلغ هذا التطور ذراه فى عصر الأسرة الحادية والعشرين فيما بعد ، حين أصبح الملوك أنفسهم يحملون ألقاباً عسكرية جنبا إلى جنب مع الألقاب الكهنوتية .

ويرى «هلك» أن هؤلاء الرواد من الضباط من «الوجوه الجديدة» هم الذين اعتمد عليهم «أخناتون» باعتبارهم الكوادر التى تولت المناصب العليا الجديدة فى العمارنة . وذلك بعد أن اعتنقوا الديانة «الآتونية» الجديدة ، وأخذوا يمارسون اختصاصاتهم ويزداد بالتالى نفوذهم دون الادعاء بأى ماض عريق أو حسب رفيع يستندون إليه .

وعلى هذا يمكن القول بأن «نظام العمارنة» قد اعتمد تماماً على ضباط الجيش فى استمراره وتثبيت دعائمه . وأن طبقة العسكريين قد خاضت صراعاً طويلاً تطورت فيه الأمور حتى وصلت إلى هذه النتيجة . كما يمكن القول كذلك بأن الظروف التاريخية كانت مهيأة تماماً أمام هذه الطبقة العسكرية لكى تلعب هذا الدور التاريخى الكبير . كما أن هذه الطبقة من الضباط العسكريين ، كانت تنتمى بصفة عامة إلى العائلات العسكرية القوية ، كما كانت تقبل دائما دخول «الوجوه الجديدة» طالما استوفت الشروط المطلوبة . وعلى سبيل المثال فإن العائلة العسكرية التى كان ينتمى إليها الوزير «رعموزا» تعتبر نموذجاً لهذه العائلات العسكرية القوية ، حيث كان أخوه الأكبر «امنحتب» يشغل منصب «كاتب التجنيد» ومنصب «مر – بر – ور» فى عهد الملك «امنحتب الثالث» فى منف . كما كان اخوه الآخر اللواء «ماى» يشغل منصب «قائد سلاح الفرسان» . ومن الملاحظ أن «ماى» قد تظاهر بأنه ينتمى إلى أسرة ذات أصل متواضع ليساير الاتجاه العام السائد فى أيديولوجية العمارنة .



وعلى أحد لوحات الحدود التى أقيمت حول مدينة «آخت آتون» ، نقش يسجل قصة مفادها أن «أخناتون» قد استدعى جميع رجال حاشيته وقواد جيشه ، وشرح لهم خططه المستقبلة نحو الدعوة إلى الديانة «الآتونية» الجديدة ، فأجابه الجميع بأن كل البلاد لابد أن تدفع الجزية وتقدم القرابين للاله «آتون» .

وبطبيعة الحال فإن ضباط الجيش وقواده الذين حضروا هذا الاجتماع قد أحيطوا علماً بكافة التفاصيل الخاصة بالديانة الجديدة ، وكل النتائج التى يمكن أن تترتب عليها ، وأنهم آذروا «أخناتون» فى موقفه ، بتنفيذ جميع خططه على أفضل نحو مستطاع . ويقول «ج. ويلسون» فى هذا الخصوص ، أن الجيش قد وقف فى صف «أخناتون» ، وأيد مواجهته لكهنة «آمون» ولطبقة الموظفين المدنيين التقليديين فى طيبة .

ومن الوصف الأخاذ الذى ذكره «ألدريد» لأحد المناظر المنقوشة على أحد مقابر العمارنة ، نراه يؤكد ازدياد أهمية الدور الذى قام به ضباط الجيش فى خلال ثورة العمارنة . ويقول أن الرتب العليا لقادة الجيش قد أصبحوا على الفور أعضاء فى حاشية الملك وبلاطه ، لأن منظر الملك وهو محاط بحراسه العسكريين وبضباطه وجنوده الذين اصطفوا صفوفاً كثيفة ، يعطى إحساساً للمشاهد بأن العاصمة الجديدة «آخت آتون» كانت ثكنة عسكرية مسلحة .

ونشير فى النهاية إلى أن بلاد النوبة ظلت على حال تبعيتها لمصر أثناء عهد العمارنة . وقد قام «أخناتون» بتعيين الأمير «جحوت موسى» نائبا للملك فى حكم النوبة . وقد سجل «جحوت موسى» نصاً مفاده استمرار سيطرة الحكم المصرى على بلاد النوبة دون إضطراب أو انقطاع . وقد عثر على صرح كبير أقيم لعبادة «آتون» فى منطقة «كاوا KAWA» [٦] خلف الشلال الثالث بالنوبة .

هذا وقد لاحظنا أن الدراسات الحديثة التى قام بها كل من «ج.ر. هاريس J.R. HARRIS»و «ر. كراوس R. KRAUSS» وآخرين غيرهم ، عن «تاريخ العمارنة» لم يرد بها أى اختلاف أو تعارض للتاريخ العسكرى الذى ذكرناه عن تلك الفترة ، ولذلك فقد صرفنا النظر عن متابعتها فى هذه الدراسة .



الفصل الثانى

النتائج العسكرية لثورة العمارنة

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الطبيعة العسكرية لنظام الحكم فى عهد «توت عنخ آمون» وعهد «آى» .

المبحث الثانى : انتقال البلاط الملكى إلَى منف بعد ثورة العمارنة .

المبحث الثالث : آى .. نقطة تحول نحو عصر تاريخى جديد .

المبحث الأول

الطبيعة العسكرية لنظام الحكم فى عهد «توت عنخ آمون» وعهد «آى»

فى عهد كل من الملكين اللذين توليا عرش مصر بعد «أخناتون» ، حدث تحول تدريجى بقصد الرجوع إلى الديانات القديمة ، ومحاولةً لاصلاح الأوضاع البائسة التى انتهت إليها شئون الدولة فى ميادين السياسة والاقتصاد بعد القضاء على ثورة العمارنة .

لقد ظهر «آى» على مسرح الأحداث مرة أخرى ، بعد ارتقاء «توت عنخ آمون» عرش البلاد ، وكان «آى» مزوداً هذه المرة بالمزيد من السلطات والقوة والنفوذ .

وقد عثر على قطعة أثرية فى «بيبان الملوك BIBAN EL - MOLUK» [1] عليها نقش يدل على أن «آى» كان يشغل منصب «الوزير» . وأنه كان صاحب نفوذ قوى فى خلال الفترة الضئيلة التى تولى فيها «سمنخ كا رع SEMENKH KARE» [2] [صورة ٢٤] العرش بعد «أخناتون» وقبيل «توت عنخ آمون» . وعلى أية حال ، فقد كان «آى» هو الرجل القوى صاحب النفوذ الأعلى ، سواء بالجيش المصرى أو بداخل البلاط الملكى [صورة ٢٥] .

وفى منظر بديع محفور على صحيفة من الذهب الخالص ، نرى «آى» واقفا على يسار الملك «توت عنخ آمون» . وهو منظر يكاد يحس الانسان فيه ، مدى الوضع المبجل لهذا الرجل القوى الذى كان يمارس السلطة الفعلية خلف ملك صغير .

وقد رأينا من قبل أن «آى» كان يشغل منصب «المشرف على الخيول الملكية» فى عهد «أخناتون» ، وهذا المنصب كان يعنى أنه يسيطر على القوى الضاربة بأهم فرع من فروع الجيش ، وهو «سلاح المركبات الحربية» .

ومن المحتمل أن المركبات الحربية التى صاحبت «أخناتون» عند رحيله من طيبة إلى العاصمة الجديدة «آخت آتون» كانت تحت القيادة المباشرة أو غير المباشرة لهذا الضابط صاحب النفوذ القوى بالجيش وبالبلاط .

وفى خلال عهد العمارنة كان «آى» يحمل رتباً عسكرية هى «حامل الراية» و «كاتب الجيش» وذلك قبل ترقيته إلى رتبة «قائد سلاح المركبات الحربية» .

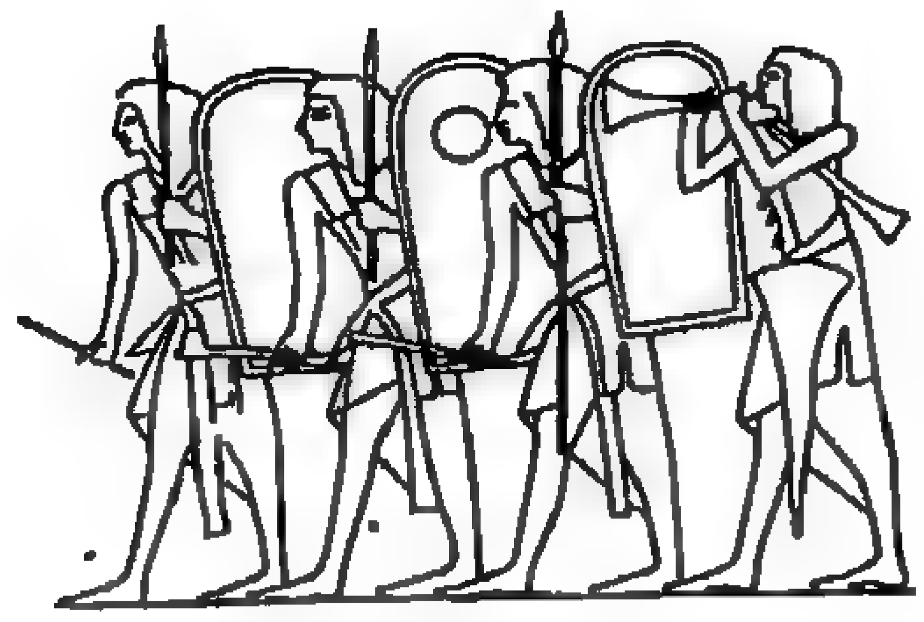
أما مدى إخلاص «آى» للعقيدة الجديدة التى نادى بها «أخناتون» ، فيمكن استنباطه من النقوش المدونة على جدران مقبرته بالعمارنة ، حيث عثر على النص الكامل الوحيد للنشيد الكبير فى عبادة «آتون» [٣] ، وهو الترتيل الشعرى الذى كتبه «أخناتون» .

وكانت السياسة التى انتهجها «آى» تمثل القوى المتنامية والمتعاظمة لطبقة العسكريين ، وتهدف على وجه التحديد إلى امتصاص الآثار السياسية السيئة التى تركتها ثورة العمارنة ، وذلك عن طريق تقديم بعض التنازلات الدينية المحسوبة المقدار ، بشكل يحقق التوازن السياسى للدولة ولنظام الحكم فيها .

وتطبيقا لتلك السياسة ، كان هناك نوع من التسامح المدروس تجاه الاله «آمون» ، فى خلال الفترة القصيرة التى تولى فيها «سمنخ كا رع» . كذلك فلم يسمح إطلاقا بانزال اللعنات على اسم «أخناتون» أو أسماء غيره من شخصيات العمارنة ، فى خلال الفترة التى تولى فيها «توت عنخ آمون» . بل أن أسماء «سمنخ كا رع» و «نفرتيتى» واسم «أخناتون» نفسه ، وجدت منقوشة بالاحترام اللائق بها على جدران مقبرة «توت عنخ آمون» ودون أن يمسسها أى تدمير أو تشويه .

ومن هذا يتبين لنا أن الأهداف الدينية لثورة العمارنة قد انتهت إلى فشل ذريع ، بينما تحقق قدر كبير من النجاح لطبقة العسكريين الذين ساندوا ثورة العمارنة ، ووقفوا خلفها منذ البداية .

أما طبقة الكهنة وكبار الموظفين التقليديين بطيبة ، فلم تتمكن من استعادة ما كانت تتمتع به –قبل الثورة – من سلطة أو نفوذ .



المبحث الثانى

انتقال البلاط الملكى إلى منف بعد ثورة العمارنة .

مازال هناك خلاف فى وجهات النظر بين المؤرخين حول القرار الذى اتخذ فى عهد «توت عنخ آمون» بشأن الهجرة والخروج من العاصمة الجديدة «آخت آتون» . فبعض المؤرخين يرون ان البلاط الملكى قد انتقل إلى العاصمة القديمة «طيبة» وبعضهم الآخر يرونه قد انتقل إلى العاصمة الأكثر قدماً «منف» ، حيث المقر الرسمى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، وحيث يتمركز أيضا «سلاح المركبات الحربية» .

ولكن من المؤكد ان «توت عنخ آمون» قبل أن يخرج من «آخت آتون» ، قد قام بتغيير اسمه واسم زوجته ، وتخلى عن اسم الالة «آتون» الذى كان داخلاً فى تركيب اسميهما ، واستبدل به اسم الإله «آمون» . (كان اسمه : توت عنخ آتون ، وكان اسم زوجته : عنخ إسن آتون ، فأصبح اسمه توت عنخ آمون ، واسم زوجته عنخ إسن آمون ANKH ESEN AMUN) [صورة ٢٦] .

ولاشك أن ذلك التغيير قد تم تنفيذاً لسياسة «آى» فى اعادة سبل الاتصال مرة أخرى بالمؤسسات والعقائد الدينية التقليدية .

وفى رأيى أن مدينة «منف» هى التى وقع عليها الاختيار لاقامة الملك وبلاطه ، ولتصبح مقراً لنظام حكمه ، وذلك استناداً إلى المنطق الذى يؤكد أن «طيبة» كانت لم تزل تشكل مقاومة قد تكون خطيرة ضد السياسة الطموحة التى أنتهجها الضباط العسكريون .

وعلى نصب حجرى تذكارى ضخم أقيم على شرف «توت عنخ آمون» ، نرى منظراً فريداً صور فيه الملك وهو يتعبد ويقدم القرابين للاله «آمون» والالهة «موت MUT» [1] . ومن الجدير بالملاحظة أن النص المنقوش المصاحب لهذا المنظر ، يصف الملك بأنه «محبوب الاله آتون — حور آختى ATEN - HARAKHTI بهليوبوليس» و «محبوب الاله بتاح بمنف» . ولاشك فى أن هذا الاتجاه يحقق قدراً كبيراً من التوازن بين الاله «آمون» وآلهة الشمال ، بل وجميع الآلهة الأخرى التى تتضمنها الاتجاهات الدينية الرئيسية فى مصر القديمة . وهذه السياسة المتوازنة الدقيقة بين جميع الآلهة الرئيسية فى مصر ، كانت المنهج الذى أخذ به جميع الملوك الذين تولوا عرش مصر بعد «آى» . وظلت هذه السياسة قائمة حتى اختفت فى أواخر الأسرة التاسعة عشر .

ولاشك أيضا فى أن هذه السياسة كانت تتعارض تماماً مع فكرة انتقال الملك وبلاطه ونظام الحكم كله إلى طيبة بعد الهجرة من «آخت آتون» . فطيبة كما هو معروف تعتبر العاصمة الدينية للاله «آمون» .

ونعود مرة أخرى إلى النص المنقوش على النصب التذكارى الذى أقيم فى عهد «توت عنخ آمون» فنراه يقول :

«حين ارتقى جلالته عرش البلاد كانت جميع معابد الآلهة والآلهات ابتداء من جزيرة الفنتين ELEPHANTINE [2] وحتى أحراش الدلتا فى الشمال قد عمها الخراب وسقطت محاريبها المقدسة وأصبحت انقاضاً نبتت فيها الأعشاب الضاره وساءت حال أماكن الصلاة بشكل لم يحدث من قبل أبداً وأصبحت القاعات المقدسة ممرات للمشاه وانقلبت الأرض رأساً على عقب وادارت الآلهة ظهورها للبلاد ..» .

ويتضح من هذا النص ، أن سياسة الاصلاح التى سادت فى أعقاب ثورة العمارنة ، لم تكن تستهدف ارضاء ديانة «آمون» وحدها ، بل وضعت فى الاعتبار ارضاء جميع الآلهة المصرية الأخرى .

ويتضح من بقية النص أيضا ، ما يعزز الفكرة القائلة بأن الملك وبلاطه قد انتقل إلى مدينة منف ، وليس إلى مدينة طيبة ، بعد الخروج من «آخت آتون» . إذ يشير النص إلى أنه :

«... بينما كان جلالته مقيماً فى قصره .. الذى هو بيت عاخبر كا رعAA KHEPERKARE .. [٣] أخذ يتشاور مع قلبه فى كيفية ارضاء الاله آمون .. وبقية الآلهة الأخرى ..» .

ويقول «السير آلان جاردنر» أن قصر «عاخبر كا رع» – تحوتمس الأول – الذى كان يعيش فيه «توت عنخ آمون» وأخذ يتأمل فيه خططه المستقبلة كان يقع فى مدينة منف .

ومن المحتمل أن يكون «آى» هو الذى أوصى بتعيين مساعده الأول «حور محب» فى منصب «القائد العام للقوات المسلحة» . ومقر هذا المنصب عادة هو مدينة منف . وأوصى بتعيينه كذلك فى منصب «مر – بر – ور» – أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية «لتوت عنخ آمون» . وهذا يعنى تركيز السلطة العسكرية والنفوذ الاقتصادى فى يد واحدة ، الأمر الذى يبين لنا إلى أى مدى بلغ هذا الوضع الفريد المتميز للضابط «حور محب» .

وفى رأيى أنه من غير المحتمل أن يتمكن أى فرد يتولى مسئوليات هذين المنصبين بالذات ، وهى مسئوليات تقتضى الاتصال المباشر المستمر مع الملك ، إذا كان الملك يقيم فى طيبة فى أقصى الجنوب ، بينما يقيم صاحب المنصبين فى منف فى شمال البلاد . ويفهم من ذلك أن «توت عنخ آمون» كان بالفعل مقيما فى مدينة منف ، فى الوقت الذى كان يباشر فيه «حور محب» هذه الاختصاصات من مقره بنفس المدينة .

ولعلنا نذكر أن «دودو» الذى كان يتولى منصب «مر – بر – ور» – أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية فى عهد «أخناتون» ، كان مقيما ضمن البلاط الملكى فى مدينة «آخت آتون» .

حتى «هلك» الذى ذكر فى أحد كتبه أن «توت عنخ آمون»قد انتقل إلى مدينة طيبة بعد الهجرة من «آخت آتون»، تراجع عن هذه الفكرة ، وذكر فى كتابه «تاريخ مصر القديمة» أن الملك قد انتقل إلى مدينة منف ، واتخذها عاصمة لملكه .

ويؤكد هذا الرأى أيضا ، ما لوحظ من توقف عمليات انشاء المقابر لكبار الموظفين بالدولة فى مدافن طيبة ، وإقامة العديد من المقابر الخاصة بهم فى مدافن «سقارة» وهى شديدة القرب لمدينة منف .

وفى الدراسة التى أجراها «إ. هورنونج E. HORNUNG» حول التسلسل الزمنى لأحداث تلك الفترة فى التاريخ المصرى ، نرى اشارة إلى أن مومياء «توت عنخ آمون» قد استغرقت بعض الوقت لتنتقل فيه من مدينة منف ، إلى حيث مقرها الأخير بمدفن الملك بوادى الملوك بطيبة .

وينضم «ألدريد» كذلك إلى القائلين بفكرة أن العاصمة «آخت آتون» قد هجرت فى بداية عهد «توت عنخ آمون» الذى نقل عاصمة ملكه إلى مدينة منف ، حيث أعلن من هناك مرسومه الاصلاحى الشهير .

ومما لا جدال فيه ، أن نقل عاصمة البلاد إلى منف ، وهى المقر الرسمى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، يتمشى تماماً مع الظروف التى كانت سائدة بالبلاد فى أعقاب ثورة العمارنة . ويدل بالتالى على مدى النفوذ الذى وصلت إليه طبقة العسكريين ، وتدخلها المباشر فى تحديد اتجاهات السياسة الداخلية للبلاد فى تلك الفترة .

وقد اتفق المؤرخون على تسمية عهد «حور محب» «بالنظام العسكرى MILITARY REGIME» . وانى أميل إلى اطلاق هذه التسمية أيضا على عهد «توت عنخ آمون» وعهد «آى» . وبل وأرى أن هذه التحولات التاريخية التى حدثت للقوى السياسية بمصر ، وأدت إلى تركيزها تماماً فى يد ضباط الجيش ، كانت فى عهد «آى» أوضح منها فى عهد «حور محب» [صورة ٢٧ ، ٢٨] .

وقد عرفنا فيما سبق أن «آى» هو الذى رفع «حور محب» إلى تولى أخطر منصبين فى الدولة ، وهما «القائد العام للقوات المسلحة» و «المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية لتوت عنخ آمون» . بينما احتفظ «آى» لنفسه بمنصب «قائد سلاح المركبات الحربية» حيث كان يتحكم من خلاله فى أقوى الاسلحة الحاسمة والقوى الضاربة للقوات المسلحة المصرية . كما احتفظ لنفسه أيضا بمنصب «الوزير» حيث كان يتحكم من خلاله فى جميع الانشطة الاقتصادية وثروات البلاد .

أما بالنسبة للأوضاع فى المناطق الآسيوية التابعة للامبراطورية المصرية ، فكان لابد من تنفيذ سياسة نشطة حاسمة ، لازالة التدهور الذى لحق بالوضع العسكرى بتلك المناطق بصفة عامة ، ولترضية قواد الجيش المصرى على وجه الخصوص .

ولذلك فقد كان من الضرورى أن تتم مواجهة أطماع دولة الحيثيين فى الأقاليم السورية التابعة للحكم المصرى ، وهجوم الحيثيين المتوقع ضد منطقة «أمكا AMKA» .

وحتى يتم وقف هذه التهديدات ، خرج «حور محب» على رأس الجيش المصرى ليضع حداً لها . وقد قام «حور محب» بتسجيل هذه الواقعة على جدران مقبرته التى أقيمت بمنطقة منف .

وعلى ذلك فيمكن القول بأن وضع وتنفيذ سياسة دفاعية لانقاذ المصالح المصرية فى الشرق والمحافظة عليها ، كان هدفا واجباً أمام واضعى السياسة المصرية وأقطاب النظام . وكان كل من «آى» و «حور محب» من بعده ، يطبق هذه السياسة العسكرية إلى جانب قيامه بتطبيق برنامج الاصلاحات الدينية فى نفس الوقت . وهذا ما تؤكده جميع الآثار المعروفة التى يرجع تاريخها إلى هذين العهدين . ويقول «السير آلان جاردنر» فى ذلك «أن النظام قد اتجه إلى الحرب ، وتحفز لتجهيز الحملات العسكرية» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الضباط العسكريين الذين ساهموا فى أنشطة الدولة فى عهد «حور محب» ، كانوا يشغلون مناصب عسكرية ومدنية عليا فى عهد «آى» بل وفى عهد «توت عنخ آمون» . وعلى سبيل المثال فإن «بارعمسيس PARAMESSES» — الذى

أسس الأسرة التاسعة عشر فيما بعد باسم رمسيس الأول – كان يشغل منصب «المشرف على السواحل ، وقائد قلعة منطقة سيلا» وذلك فى عهد «آى» .

كما أن اللواء «آمون امينيت AMON EMINET» قد عين فى وظيفة «المشرف على المعبد الجنائزى لتحوتمس الثالث» فى عهد «حور محب» .

كما أن «حور محب» نفسه ، كان قد عين فى عهد «توت عنخ آمون» – إلى جانب مناصبه العسكرية – فى منصب «المشرف على كهنة جميع الآلهة» ومنصب «المشرف على الأعمال الخاصة بالاله آمون» .

وهناك العديد من الأمثلة الأخرى لكبار الضباط العسكريين الذين عينوا فى أعلى الوظائف السياسية والادارية بالدولة فى عهد كل من «توت عنخ آمون» و «آى» . وهناك رسم لمنظر نرى فيه «توت عنخ آمون» خلال جولته الملكية للتفتيش على اعمال الاصلاحات الجارية ببعض المعابد ، وإلى جانبه «حارس خاص BODY GUARD» هو أحد ضباط الجيش .

ونشير أخيراً إلى الدراسة الحديثة التى أجريت على «صاحب المقبرة رقم ٢٧١ بالقرنة QURNA» . حيث تبين أنه ضابط كبير اسمه «ناى NAY» وقد تولى عدة مناصب ووظائف عليا بالدولة أثناء الفترة القصيرة لحكم الملك «آى» . كما تبين أنه كان يحمل مجموعة عديدة من الألقاب العسكرية والمدنية ، مثل «كاتب التجنيد» و «الكاتب الملكى» و «المشرف على شئون الحريم الملكى» و «المشرف على الأعمال» و «حامل المروحة على يمين الملك» .

ومن هذه الدراسة نستطيع أن نستنتج بوضوح ، أن الضابط «ناى» كان أحد أفراد النخبة الممتازة من الطبقة العسكرية ، وكان يتميز بمواهب ثقافية واسعة ومتعددة الجوانب ، أهلته لكى يقوم بالتخصصات المختلفة التى تفرضها مسئوليات كل تلك المناصب . مثله فى ذلك مثل غيره من الضباط المثقفين الذين ظهروا بكثرة منذ العقود الأولى من فترة تكوين الامبراطورية المصرية ، فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الثالث

آى .. نقطة تحول نحو عصر تاريخى جديد .

كانت وفاة «توت عنخ آمون» الفجائية قد وضعت البلاد فى موقف حرج للغاية . وقد انعكس ذلك فى التصرف والاضطراب الذى صاحب التجهيزات الجنائزية الخاصة بعملية دفن الملك ، حيث نجد أن المقبرة التى دفن فيها مقبرة متواضعة للغاية ، ولم تكن مخصصة فى الأصل لدفنه . كما أن جوانب الضريح المقام فوق تابوته فى غرفة الدفن قد أعدت بسرعة ووضعت بعكس اتجاهها الصحيح .

ومع أن «آى» كان كبير السن فى ذلك الوقت ، إلا انه كان أقوى رجل فى البلاد يمكنه أن يواجه هذا الموقف . فقد كان الوزير المهيمن على شئون البلاد ، كما كان فى الوقت نفسه مهيمنا على الجيش . ولذلك فلم يكن من الغريب أن يطلق عليه اللقب الملكى «الوصى على عرش البلاد» أثناء قيادته لمراسم وطقوس جنازة الملك الراحل .

ويقول «هورنونج» أن الأميرة المصرية التى بعثت برسالة سرية تطلب فيها المساعدة من الحيثيين ، هى «عنخ اسن آمون» وليست «نفرتيتى» كما يعتقد بعض المؤرخين . كما أن «السير آلان جاردنر» يقرر أيضا أن صاحبة هذه الرسالة كانت أرملة «توت عنخ آمون» .

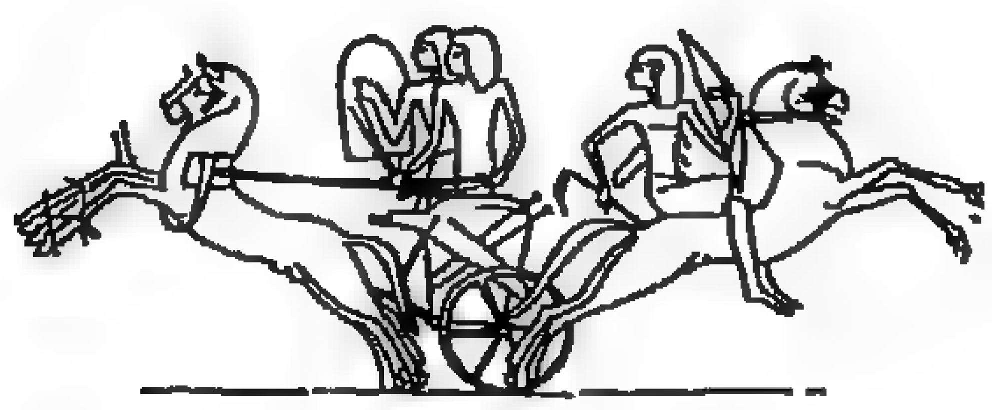
وعلى أية حال فقد قام الجيش المصرى بقتل الأمير الحيثى الذى كان من المفروض أن يتولى عرش مصر بعد زواجه من أرملة «توت عنخ آمون» وذلك اثناء رحلته المشئومة ، وقبل أن يدخل الحدود المصرية .

ولم يكن هناك مفر من نشوب الحرب بين مصر والحيثيين بعد أن تولى «آى» عرش مصر . ولولا التعاون التام الذى كان قائما بين «آى» و «حور محب» الذى كان يتولى القيادة الفعلية للقوات المسلحة المصرية ،لواجهت البلاد العديد من المتاعب والاضطراب فى الداخل وفى الخارج أيضا .

ولم يتم العثور – بين الآثار المصرية – على أى أثر يدل على حدوث أية قلاقل أو اضطرابات داخلية فى تلك الفترة . ولكن الشيء الملفت للنظر ، هو وصف الملك «آى» بأنه «المنتصر على آسيا» . وأصبح بذلك أول فرعون يطلق عليه هذا اللقب منذ أيام «امنحتب الثالث» الذى أطلق عليه لقب مماثل .

والجدير بالذكر أن مستوطنة لأسرى الحرب الحيثيين قد أقيمت فى منطقة قرب منف فى عهد «آى» . وعلى جدران مقبرة «حور محب» التى أقيمت بمنطقة منف ، نرى تسجيلا لنتائج هذا الصراع الحربى الذى نشب بين مصر والحيثيين ، حيث نرى «حور محب» وهو يقوم باستعراض مجموعة كبيرة من أسرى الحرب الحيثيين .

وتدل بعض الآثار التى تركها الحيثيون فى بلادهم ، على أن وباء الطاعون قد انتشر فى منطقة الشرق الأدنى فى تلك الفترة ، الأمر الذى نتج عنه بالطبع تجميد مؤقت للخطر الحيثى فى الفترة التى أعقبت وفاة الملك «آى» . وكان هذا التجميد بمثابة الفرصة التاريخية الذهبية أمام «حور محب» ليبدأ اصلاحاته الاقتصادية والادارية التى اشتهر بها عهده فى التاريخ المصرى القديم .



ويتحدث «ك. فلويجر K. PFLUGER» عن نظرية غريبة تتعلق بحدوث ثورة اجتماعية قادها «آى» باعتباره نصيراً لمصالح جماهير الشعب ضد «حور محب» الذى يمثل طبقة النبلاء .

وغنى عن الذكر أن هذه النظرية غير صحيحة على الاطلاق ، ولا تستقيم مع الحقائق الواقعية التي كانت سائدة فى ذلك العصر ، وفى ضوء الوضع الاجتماعى للملك «آى» نفسه .

وحقيقة الأمر أنه كانت هناك طبقة ارستقراطية تتمثل فى نبلاء طيبة . وقد عاصرت هذه الطبقة عصر بداية تكوين الأسرة الثامنة عشر ، وربما ترجع جذورها إلى ما قبل ذلك . ولكن الظروف التى صاحبت ظهور وتكوين الامبراطورية ، لم تتح لهذه الطبقة أية فرصة للنمو أو زيادة النفوذ ، بل وأخذت هذه الطبقة فى الاضمحلال والزوال التدريجى ، أو الدخول إلى منطقة الظل ، بفضل ظهور طبقة اجتماعية جديدة هى طبقة العسكريين .

وقد أدت الظروف الاجتماعية والثقافية التي سادت فى المجتمع المصرى قبيل أزمة العمارنة إلى ظهور طبقة ارستقراطية جديدة هى «ارستقراطية العسكريين» التى أخذت تدعم سلطاتها ونفوذها فى أسرع وقت كان فى مكنتها . وبعد انتهاء أزمة العمارنة أصبحت هذه الطبقة الارستقراطية العسكرية صاحبة السيادة والنفوذ على مصر كلها .

ويقول «و. فولف W. WOLF» أن مصر كانت دائما – وخاصة فى عصر الأسرة الثامنة عشر – «دولة موظفين A STATE OF OFFICIALS» . ولم تتوافر فيها الظروف والشروط اللازمة لظهور «طبقة بروليتارية.....PROLETARIAN CLASS» (١) . ويقول أيضا أن هؤلاء الموظفين كانوا يشكلون طبقة النبلاء الارستقراطيين ، وهى الطبقة التى أخذت تضمحل بالتدريج أمام النفوذ المتنامى لطبقة العسكريين الجديدة ، بكل ما كانت تضطلع به من سلطة ونفوذ ومسئولية .

وفى ضوء هذا التحليل ، وبالاضافة إلى طبيعة الأوضاع الثقافية والدينية التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى فى ذلك العصر ، لا يمكن تصور ظهور «صراع طبقى» بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح كما يتصور «فلويجر» .

وبصفة عامة يمكن القول بأن الضغط الدينى ، والأوضاع والحدود الاجتماعية الصارمة التى كانت تسود مجتمعات التاريخ القديم – والمجتمع المصرى على وجه الخصوص – لا يمكن أن يؤدى إلى ظهور أى احساس «بالوعى الطبقى» بالمفهوم السياسى الحديث .

ومع ذلك فإذا تصورنا امكانية حدوث أحداث مشابهة للصراع الطبقى ، فهى تتمثل على نحو ما فى تلك «الانتفاضات العفوية»التى حدثت فى عصر الاضمحلال الأول بعد سقوط الدولة القديمة ، وعصر الاضمحلال الثانى فى التاريخ المصرى القديم .

ويعضد «فون بكرات» الفكرة القائلة بأن طبقة النبلاء من كبار الموظفين التقليديين بطيبة قد سقطت نهائيا فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وأن النتائج السياسية لثورة العمارنة ظلت قائمة حتى بعد القضاء على الأزمة . ويرى أيضا أن بعض القلاقل والاضطرابات التى حدثت أثناء وبعد الأزمة ، قد أخمدت بعنف بفضل قادة الجيش ، وعلى رأسهم «آى وحور محب» وأتباعهما من كبار الضباط . ويرى كذلك أن الخطر الداهم فى آسيا قد أجبر قادة الجيش على ضرورة توفير الأمن والسلام الداخلى بالبلاد ، حتى يمكن تحقيق وتنفيذ المبادرات الاصلاحية التى قام بها كل من «آى»و «حور محب» . ويشير هنا إلى أن «حور محب» كان يعتبر الرجل الثانى بالدولة فى أعقاب موت «توت عنخ آمون» .

ويستنتج «بكرات» من إطلاق لقب «الأب الالهى GODŚ FATHER» على الملك «آى» وحرصه على ذكر هذا اللقب ضمن اسمه المكتوب بالخراطيش الملكية ، أن ذلك اللقب يدل على وجود علاقة غامضة تربط «آى» بالأسرة المالكة الحاكمة ، الأمر الذى أضفى نوعاً من الشرعية على مطالبته بتولى العرش .

ومن المحتمل فى رأيى أن حرص «آى» على ذكر هذا اللقب ضمن اسمه المكتوب بالخراطيش الملكية ، يعتبر نوعاً من التفاخر بالوضع الدينى الرفيع الذى يشير إليه اللقب .

وقد عقد «ل. كاكوشى» دراسة مقارنة لمقبرتى «توت عنخ آمون» و «آى» ، انتهى فيها إلى اختلاف الأثر الذى تركته البقية الباقية من كهنة «آمون» بطيبة على كل من

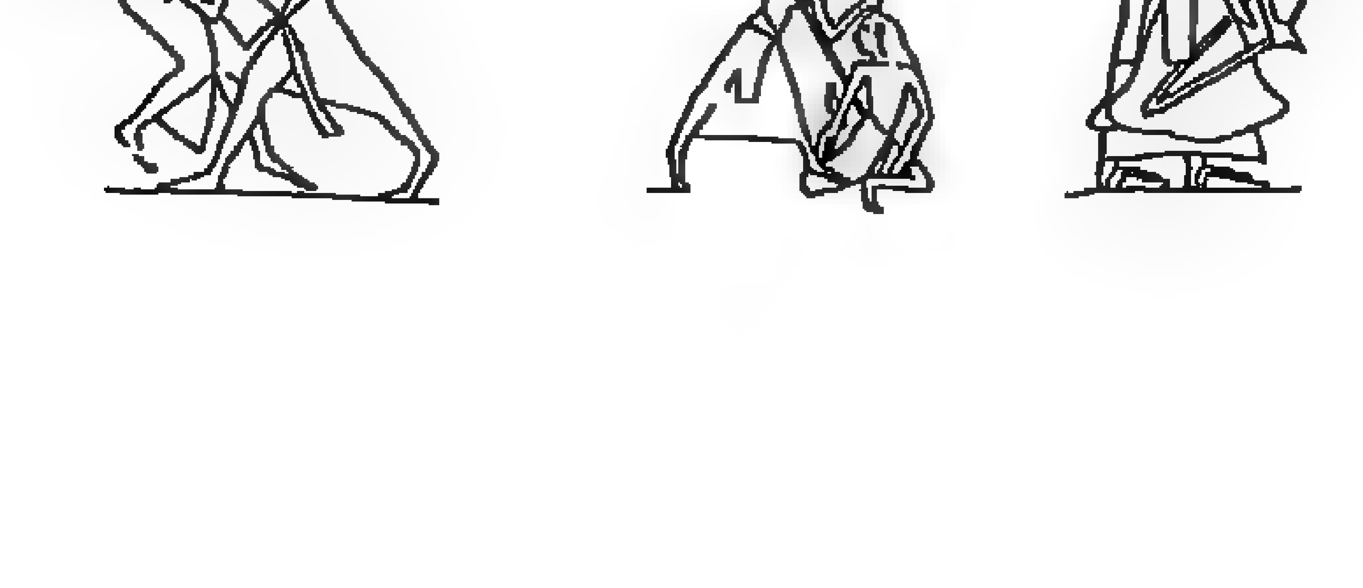
هاتين المقبرتين . ففى مقبرة «آى» لا نرى أى أثر للقسم الخاص بالمناظر التقليدية «لأوزيريس» باعتباره إله العالم الآخر ، حيث جرت العادة على رسم صورة للملك المتوفى بعد «تحوله» إلى هيئة «أوزيريس» . كذلك لم يصور الملك كعضو بالتاسوع الالهى .

ومعنى هذا أن كهنة «آمون» قد قللوا من شأن «ألوهية» الملك «آى» . بعكس الحال بالنسبة لتأليه «توت عنخ آمون» . وربما يرجع ذلك إلى أن الكهنة قد وضعوا فى الاعتبار أن «آى» فى نظرهم ، كان معاوناً «لأخناتون» ومن أقرب المقربين إليه.

هذا ويلاحظ أن «توت عنخ آمون» كان الملك الوحيد الذى كان يحمل اسم الاله «آمون» ضمن اسمه فى فترة ما بعد العمارنة . ومن المؤكد أن ذلك يرجع اساساً إلى محاولة ترضية كهنة «آمون» ، خصوصاً بعد انتقال الملك وبلاطه إلى مدينة منف ، واتخاذها عاصمة للحكم بدلاً من طيبة ، التى كانت تعتبر عاصمة للاله «آمون» ، إلى جانب اعتبارها عاصمة للبلاد .

وكانت السنوات التى انقضت منذ سقوط نظام العمارنة وحتى تولى الملك «آى» عرش مصر ، كافية للقضاء على كل الأخطار الداهمة التى اعقبت هذا السقوط ، ولتهدئة خواطر جماهير المتدينين التقليديين الذين اتخذوا موقف المعارضة ضد الديانة «الآتونية» الجديدة التى نودى بها أثناء عهد «أخناتون» .

ونشير أيضا إلى ملاحظة هامة ، مفادها أن النشاط المعمارى فى عهد «توت عنخ آمون» كاد أن ينحصر أغلبه في معبد الأقصر ، وليس فى معبد الكرنك الذى كان يعتبر المقر التقليدى لكبار كهنة «آمون» .



ومن الحقائق الثابتة أن «آى» كان فى واقع الأمر وصياً على العرش أثناء حكم «توت عنخ آمون» . كما أن الخطاب السرى الذى أرسلته «عنخ اسن آمون» أرملة « توت عنخ آمون» لطلب المساعدة من ملك الحيثيين ، يدل بشكل قاطع على أن «آى» لم يكن من أعضاء العائلة المالكة .

وربما انتهى المطاف بتلك الأرملة بأن أصبحت ضمن الحريم الخاص بالملك «آى» بعد أن جردت من لقب «الملكة» أو حتى من لقب «الملكة السابقة» . وطوال عهد «آى» ظل لقب الملكة قاصراً على زوجته الأصلية ، وكان اسمها «تى TY» [٢] ، فهى وحدها التى ظهرت بجانبه فى كافة الرسوم والمناظر المصورة بمقبرته .

ويقول «هورنونج» أن الخاتم الذى عثر عليه ويحمل اسم «عنخ اسن آمون» مقروناً باسم «آى» لايكفى كدليل لاثبات أن الملك قد تزوج من هذه الارملة . كما أن الافتراض القائل بأن هذا الخاتم يثبت أن الملكة الارملة قد وافقت على قيام «آى» بالوصاية على العرش ، لا يستقيم أيضا مع الحقيقة التى تؤكد أن «عنخ اسن آمون» هى مرسلة الخطاب السرى إلى «شوبيلوليوما SUPPILULIUMA» [٣] ملك الحيثيين ليرسل لها أحد أبنائه ليتزوجها ويصبح بالتالى فرعونا على مصر . ولاشك فى أنه لو نجحت خطة هذه الأرملة ، لكان فى ذلك القضاء المبرم على «آى» نفسه .

وهناك رأى آخر مفاده أن «آى» كان جداً «لعنخ اسن آمون» . غير أن هذا الرأى يستند إلى تبرير ضعيف .

أما التبرير الصحيح لارتقاء «آى» عرش مصر بعد موت «توت عنخ آمون» ، فيستند إلى ازدياد أهمية الدور الفعال للطبقة العسكرية فى توجيه السياسة الداخلية للبلاد منذ أيام العمارنة وما بعدها . كما يستند أيضا إلى مركز «آى» القيادى فى القوات المسلحة ، باعتباره عضواً فى النخبة الممتازة من طبقة العسكريين وأعلاهم منصباً وأقواهم نفوذاً .

ويعضد «هورنونج» الفكرة القائلة بأن «حور محب» قد وصل إلى مناصبه الرفيعة فى عهد «توت عنخ آمون» بفضل توصية من «آى» ، الذى كان يعتبره من أقرب معاونيه . تماماً مثلما ارتقى «بارعمسيس» عرش مصر بفضل توصية من «حور محب» .

وكان «آى» هو مخطط ومنفذ الاتجاه الدينى الذى ربما بدأ فى عهد «سمنخ كا رع» واستمر فى عهد «توت عنخ آمون» الذى أدى إلى تحقيق نوع من التوازن الدقيق بين جميع الديانات والعبادات الرئيسية التى كانت معروفة بمصر فى فترة ما قبل العمارنة .

وعندما تولى «آى» عرش مصر ، تجلى هذا الاتجاه فيما بناه من معابد ومنشآت دينية فى خلال السنوات الأربع التى استمر فيها حكمه . فقد قام ببناء معبد جنائزى لنفسه فى مكان قريب من «مدينة هابو» . كما وجدت له بعض الآثار فى معبدى الكرنك والأقصر ، كما بنى معبداً فى «إخميم» [٤] تكريساً وتكريماً للاله «مين MIN» . كذلك فقد بنى معبداً جنائزيا آخر فى «أبيدوس» التى كانت تعتبر المقر المقدس القديم للاله «أوزيريس» ، علماً بأن عبادة هذا الاله الأخير ، كانت قد حرمت تحريماً كاملاً فى عهد العمارنة .

وعلى النصب التذكارى الذى يتضمن مراسيم الاصلاح ، والذى أقيم فى عهد «توت عنخ آمون» ، والذى اغتصبه «حور محب» فى السنة الثانية ، أو ربما فى السنة الثالثة من حكمه ، نجد نصاً يقول أن «آى» ومعه معاونيه العسكريين ، كان صاحب المبادرة فى وضع سياسة الاصلاح الدينى فى خلال عهد الملك الصغير ، «توت عنخ آمون» .

ويشير «هورنونج» إلى جعران – لم يدرس علمياً بعد وموجود الآن ضمن إحدى المجموعات الأثرية الخاصة فى سويسرا . ويتضمن هذا الجعران اسم «آى» مسبوقا بلقبه المعروف «الأب الالهى» ولقب «ولى العهد» ولقب «الأمير الوراثى» . ويؤيد «هورنونج» الفكرة التى قال بها كل من «هلك» و «ك. سيلى» و «ب. تيوبيرى» ومؤداها أن «آى» كان يشغل منصب «الوزير» فى عهد «توت عنخ آمون» .

وبالرغم من أن «فون بكرات» يؤيد الفكرة القائلة بأن «آى» – وليس «حور محب» – كان الرجل القوى الذى يقف خلف «توت عنخ آمون» ، إلا أنه حاول أن يقدم شرحاً للصراع الذى يشاع أنه قد حدث بين «آى» و «حور محب» . وهو الصراع الذى اعطاه «هلك» صورة درامية يفترض فيها أن «حور محب» قد قام «بانقلاب» ضد آى اثناء الزيارة التى قام بها هذا الأخير لمقر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية بمدينة منف .

ويحاول «فون بكرات» أن يجد جذوراً لهذا الصراع المتصور المزعوم ، فى تلك العلاقات التاريخية التقليدية بين الديانات والعقائد المصرية القديمة ، التى كانت سائدة فى كل من شمال وجنوب البلاد . ويقول انه بالرغم من أن «حور محب» قد ولد فى الولاية أو المقاطعة الثامنة عشر من مقاطعات الوجه القبلى (٥) ، إلا أن اقامته الفعلية كانت بمدينة منف ، حيث يوجد الجيش وقيادته العامة . ولذلك فقد عاضد «حور محب» المراكز الثقافية والدينية الموجودة فى شمال البلاد . وفى نفس الوقت كان «آى» يمثل التيار الثقافى والدينى الذى كان سائداً فى جنوب البلاد ، والذى كان يقصد – منذ أيام العمارنة – إلى تصفية المراكز الثقافية والدينية الموجودة فى الشمال . وعلى هذا الأساس قام «حور محب» بانقلابه ضد «آى» فى السنة الرابعة من حكمه .

غير أننا نختلف كثيراً مع تلك الفكرة ، ونرى عدم وجود أى سند يؤيد الفرضية القائلة بأن «حور محب» كان يفضل الثقافات والعقائد السائدة فى الشمال أكثر من «آى» نفسه . ذلك لأن كلاً منهما كان ضابطا كبيراً بالجيش المصرى . وتلقيا تعليماً متماثلاً ، أتاح لهما خلفية ثقافية متماثلة كما أن «آى» نفسه كان ينتمى إلى «إخميم» ، وهى مدينة لا تبعد كثيراً عن المقاطعة الثامنة عشر بالوجه القبلى والتى ولد بها «حور محب» .

وقد رأينا من قبل أن النقوش والنصوص التى عثر عليها بمقبرة «آى» تدل على التقليل من إضفاء صفات الألوهية عليه ، وذلك بالمقارنة مع صفات الألوهية التى اسبغت على سلفه كما تثبتها النصوص المنقوشة بمقبرة «توت عنخ آمون» . ولاشك فى أن ذلك التفاوت كان فعلاً مقصوداً تم بمعرفة كهنة «آمون» الذين لم يروا فى «آى» نصيراً لهم أو مؤيداً لخططهم فى إحياء واستعادة سلطاتهم القديمة ونفوذهم الغابر .

ومن الحقائق الثابتة أن المرسوم الخاص بتتويج «حور محب» ، يثبت أنه بالرغم من أن «حور محب» قد اتخذ الاله «حورس HORUS» [٦] راعياً وناصراً له ، إلا أنه قد قام فى نفس الوقت بزيارة طيبة حيث لعب «آمون» دوره التقليدى فى احتفال التتويج .



وتدل بعض الآثار التى تركها الحيثيون على أنهم سجلوا حوادث الحرب التى نشبت بينهم وبين الجيش المصرى بعد موت «توت عنخ آمون» والتى يرجع سببها إلى قيام المصريين باغتيال الأمير الحيثى الذى كان قادماً إلى مصر لاعتلاء عرشها بعد أن يتم زواجه من «عنخ اسن آمون» أرملة «توت عنخ آمون» .

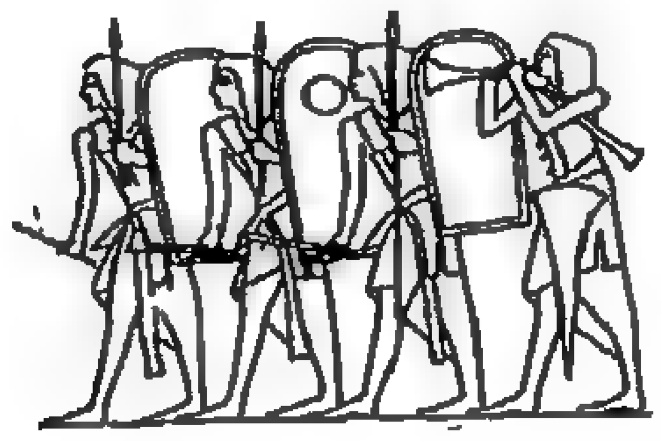
ونحن نعارض الرأى الذى يقول به بعض المؤرخين بأن دوائر طيبة التقليدية كانت أول من طالب باتخاذ الاجراءات لاصلاح الأوضاع فى ممتلكات الامبراطورية المصرية فى الأقاليم الآسيوية . ذلك لأن مثل هذا القرار كان أولاً وأخيراً بيد الجيش .

ونرى كذلك أن التحول مرة أخرى إلى التمسك بالديانات المصرية الرئيسية ، كان فى حقيقة الأمر قراراً سياسياً اتخذته قيادات الجيش ، لتحقيق نوع من «السلام الاجتماعى» بداخل البلاد ، وذلك حتى يتفرغ الجيش إلى تنشيط الأعمال الحربية فى المناطق والأقاليم الآسيوية التابعة للامبراطورية المصرية .

وبالاضافة إلى ذلك ، فمنذ عهد «امنحتب الثالث» حين كانت لدى كهنة «آمون» سلطات واسعة ، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لكل من الكاهنين «مرى بتاح MERI PTAH» و «بتاح موسى PTAH MOSE» اللذين كانا يمثلان كبار كهنة «آمون» فى ذلك العهد ، لم يعد كبار الكهنة فى مصر يتمتعون بمثل تلك السلطات الواسعة ، ولم يعد فى استطاعتهم ممارسة أى دور مؤثر فى أوضاع البلاد .

ومن المرجح أنه فى طوال الفترة الزمنية الفاصلة بين عهد «توت عنخ آمون» وعهد «رمسيس الثانى» فى الأسرة التاسعة عشر ، كان كهنة «آمون» لا يتمتعون إلا بقليل من الامتيازات المتواضعة . وهذا يؤكد أن المقاومة كانت قائمة ومستمرة ضد رغبات كهنة «آمون» بطيبة طوال تلك الفترة ، وأن هذه الطبقة من الكهنة كانت مجردة من أية قيادة قوية تأخذ بيدها فى الصراع الذى خاضته لاستعادة سلطاتها ونفوذها السابق .

هذا ولا يمكن إغفال رد الفعل الدينى لدى جماهير الشعب المصرى ضد الديانة «الآتونية» الجديدة أثناء أزمة العمارنة . بل ويمكن القول بأن قرارات الاصلاح الديني التى اتخذت فى أعقاب فترة العمارنة ، كان يقصد منها أيضا محاولة ارضاء عامة الناس وطمأنتهم . وقد ظل هذا رد الفعل الشعبى آخذاً فى الانتشار بين الناس ، حتى بلغ أوج ذراه بعد جيلين – على الأقل – من موت «أخناتون» .



وقد عثر على نص فريد منقوش على أحد اثار «بانوبوليس PANOPOLIS» (٧) وقد كتب لتمجيد الملك «آى» ولكنه للأسف مدمر بشدة وفقد بعض أجزائه . ومع ذلك فيمكننا أن نقرأ فيه ما يلى :

«...لقد حدث . وكان (آى) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى هو (نسو – منخ nsw - mnh) (أى الملك الصالح) على كل البلاد . وفى يوم من ذات الأيام . كان جلالته يبحث عن الأشياء الصالحة والمفيدة لكل الآلهة – آبائه – وذلك لكى يزين بها المحاريب المقدسة لكل الآلهة ويزين بها معابدهم» .

ورغم أن هذا النص بلا تاريخ يحدد العهد الذى كتب فيه ، إلا أنه بالتأكيد قد كتب بعد موت الملك «آى» وقد كتب بصيغة قصصية تتمثل فى جملة : «وفى يوم من ذات الأيام ، بينما كان جلالته ...» .

ويذكرنا هذا النص بنص مماثل ، كتب على نصب تذكارى يرجع تاريخه إلى السنة الأولى من عهد الملك «أمازيس AMASIS» الذى يحكى فيه كيف انه قام بتكريم سلفه – وعدوه – الملك (أبريس APRIES) [٨] ، وأعد له مدفناً يليق به كفرعون كان يحكم مصر . ويقول النص : «إن جلالته قد قام بدفن الملك أبريس مع غيره من (نسو – منخ) – أى الملوك الصالحين» .

وهناك نص آخر ذكرت فيه الأسطورة الخاصة بالولادة الالهية للملكة «حتشبسوت» وجاء فيه : «... أن الملكة ستقوم بدور الملك الصالح على كل الأرض».

وفى « بردية وستكار WESTCAR PAPYRUS» [٩] أشير إلى الملوك الشباب الثلاثة الذين سيرقون عرش البلاد بأنهم سيؤدون دور «الملك الصالح» .

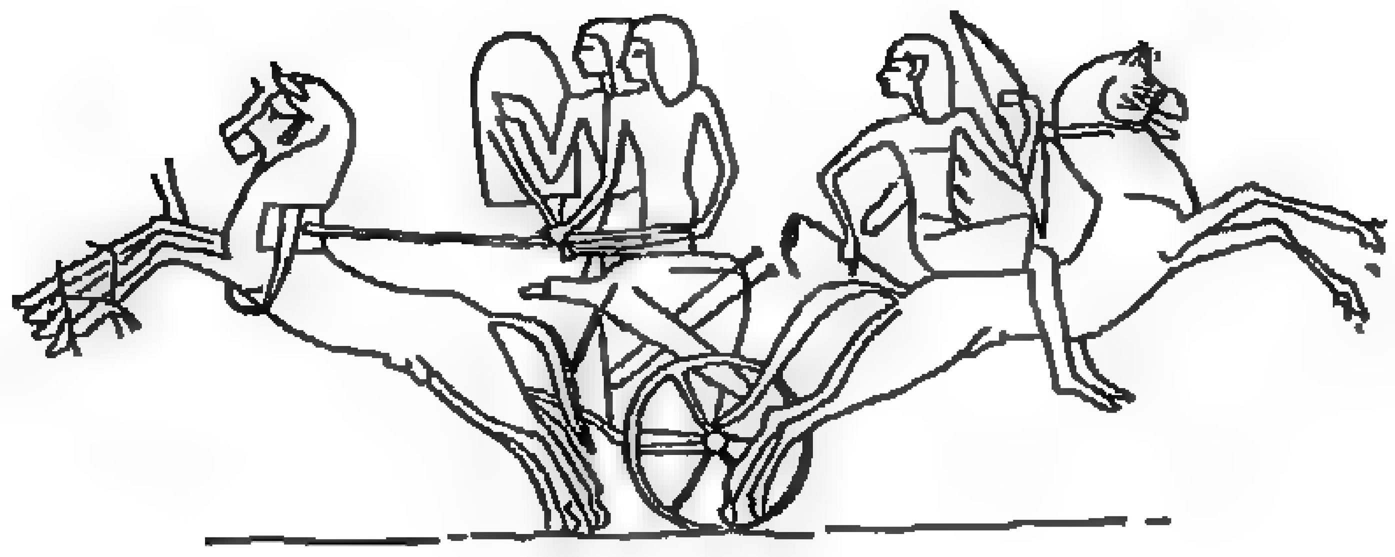
كذلك فهناك النص المنقوش على النصب التذكارى المنحوت من الألبستر على شرف الملك «سيتى الأول» والمقام بمعبد الكرنك ، وقد وصف فيه «سيتى الأول» بأنه «نسو – منخ» – أى الملك الصالح – الذى يصنع كل الأشياء الطيبة .

وفى مصطبة «كاجمنى KAGEMNI» [١٠] بسقاره نص آخر وصف فيه الملك «سنفرو SNOFRU» [١١] بأنه : «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سنفرو . المبرأ من كل إثم ، (نسو – منخ) – أى الملك الصالح – على كل الأرض» .

وكان من المعتاد أن يطلق المصريون القدماء لقب «نسو – منخ» أى «الملك الممتاز EXCELLENT KING» أو «الملك الصالح BENEFICENT KING» على كل ملك متميز يرونه أهلاً لمزيد من الحب والاحترام والتبجيل .

وهكذا نخلص من دراستنا لعهد الملك «آى» بأننا أمام ملك كان على قدر كبير من الأهمية ، على الأقل فى عيون معاصريه ، وعيون الجيل الذى تلاه . ومع ذلك فقد تعرض هذا الملك فيما بعد إلى اللعنات ، وذلك فى أثناء كتابة التسجيل التاريخى والزمنى لقائمة الملوك المصريين ، التى دونت فى عصر الرعامسة .

وعلى أية حال فمن المؤكد أن سياسة الاصلاح الدينى التى خطط لها «آى» وقام بتنفيذها ، والتى تهدف إلى إعادة وإحياء كل الديانات والعقائد المصرية التقليدية القديمة ، مع تحقيق قدر من التوازن المحسوب بين جميع هؤلاء الآلهة وبين الاله «آمون» ، هذه السياسة الواعية قد طبقت بحذافيرها بواسطة جميع الملوك الذين تولوا عرش مصر من بعده ، والذين كانوا يختارون من بين كبار الضباط أبناء الجيش المصرى .



الفصل الثالث

النتائج السياسية لثورة العمارنة

ويتضمن المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الدلالة التاريخية لنص مرسوم تتويج حور محب .
المبحث الثانى : سياسة حور محب الاصلاحية .

المبحث الأول

الدلالة التاريخية لنص مرسوم تتويج حور محب .

كان تتويج «حور محب» [صورة ٢٩] فى حقيقة الأمر ، تكريساً وتثبيتا جليا للنصر الاجتماعى الحاسم الذى حققته طبقة العسكريين ، بعد صراعها الطويل للحصول على السلطة والقوة والسيطرة الكاملة على كل مقدرات البلاد .

ولاشك أن ثورة العمارنة قد فتحت أوسع الأبواب أمام هذه الطبقة لتحقق انتصاراتها فى كافة الميادين ، خصوصاً بعد أن قامت الثورة بالقضاء على سلطة ونفوذ كهنة «آمون» وطبقة النبلاء من كبار الموظفين التقليديين بطيبة .

وقد كتب نص مرسوم التتويج على ظهر تمثال حور محب المعروض حاليا بمتحف «تورين TURIN» ، ويتضمن النص فقرة فريدة جاء فيها :

«... لقد أخذ – أى الملك – يبحث عن مرابض ومعابد الآلهة التى أصبحت خراباً . وقام باصلاحها وترميمها حتى أصبحت فى نفس الشكل الذى كانت عليه فى العصور القديمة . وأوقف عليها القرابين المنتظمة التى تقدم إليها كل يوم . كما زيّن هياكلها بالذهب والفضة . وعين لها الكهنة العاديين والكهنة المرتلين . الذين اختارهم من الصفوة الممتازة من رجال الجيش» .

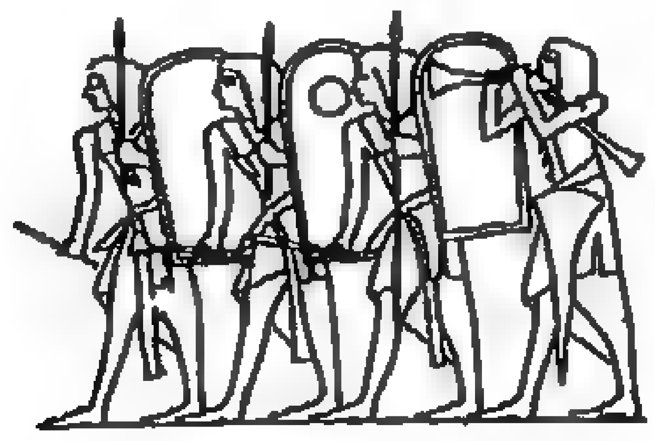
ولعل هذا النص يذكرنا بنص «مرسوم الاصلاح» المنقوش على النصب التذكارى الذى يعود تاريخه إلى السنة الرابعة من حكم «توت عن آمون» ، والذى يعدد فيه الملك الاصلاحات والترميمات التى قام بها لتعمير المعابد والهياكل الخاصة بآلهة وآلهات مصر ، الأمر الذى يعطينا صورة عن الحالة السيئة والتخريب الذى لحق بالمعابد المصرية كنتيجة لعقيدة

التوحيد التى نادت بها ثورة العمارنة . وقد جاء بنص هذا المرسوم الاصلاحى «لتوت عنخ آمون» مايفيد بأن «كل المعابد من طرف الأرض حتى طرفها الآخر قد هجرت . وسقطت محاريبها وهياكلها وتحولت إلى خرائب ، ولم يحدث لها مثل هذا من قبل أبداً» .

أما الفراغ الذى ملأه «حور محب» بقيامه بتعيين الكهنة العاديين والكهنة المرتلين الذين اختارهم من بين رجال الجيش ، فيبدو أمراً معقولاً فى ضوء ماهو معروف من أن نسبة كبيرة من أبناء الشعب المصرى كانوا ضالعين – كلياً أو جزئياً – فى العمل بالخدمة الدينية .

وبصفة عامة فقد تميز عصر «الدولة الحديثة» بكثرة من عملوا فى السلك الدينى من أبناء الشعب ، وعلى سبيل المثال ، فإن ربع عدد الدفنات فى مقابر منطقة «أبيدوس» على الأقل ، كان أصحابها من الكهنة ورجال الدين .

وفى رأيى أن الانتقال والتحول الواسع النطاق من السلك العسكرى إلى السلك الدينى ، قد ترك بصماته على طبيعة تركيب المجتمع المصرى ، وأيضا على الظروف الاجتماعية والأحداث التاريخية التى صاحبت أواخر عصر «الدولة الحديثة» .



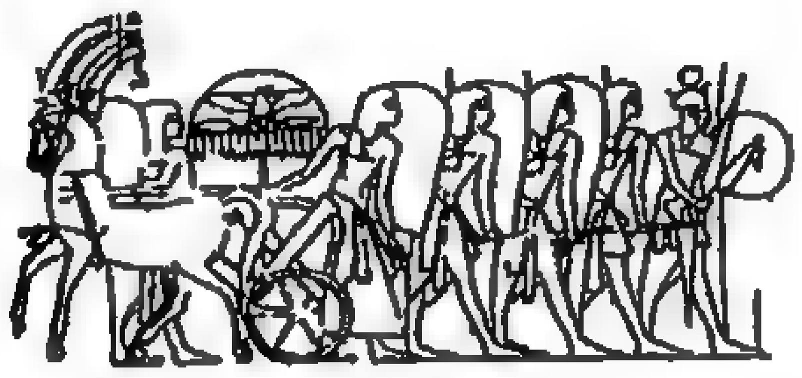
وكان التحول الالزامى إلى اتخاذ سياسة دفاعية فى الأقاليم الآسيوية فى أعقاب ثورة العمارنة ، متزامناً مع الدور المتزايد الذى لعبه الجيش فى الحياة الداخلية بالبلاد .

وكان اضطلاع الجيش بحمل أعباء السياسة الداخلية للدولة ، بالاضافة إلى مواجهة الاضطرابات والمشاكل الدينية ، سواء فى أثناء ثورة العمارنة ، أو فى الفترة التى تلتها ، هو الخيار الوحيد أمام انتهاج السياسة العسكرية الدفاعية فى الأقاليم الآسيوية التى كانت تابعة للامبراطورية المصرية .

وحتى بالنسبة للهجمات المضادة التى قامت بها القوات المسلحة المصرية فى تلك الفترة ، فهى لا تعدو أن تكون مجرد مواقف دفاعية نفذت فى الاطار العام لاستراتيجية الدفاع التى انتهجتها السياسة المصرية .

وكان السلام الاجتماعى الداخلى ، يعتبر واحداً من أهم الأهداف التى سعى إلى تحقيقها الملك «آى» حتى يمكنه التفرغ لوضع سياسة حاسمة لوقف الاخطار التى تتهدد الأقاليم السورية ، ووضع حد للتدخلات والهجمات التى كان يشنها الحيثيون ضد هذه الأقاليم .

أما «حور محب» فقد أخذ على عاتقه مشروع تحقيق السلام فى المناطق والأقاليم الآسيوية ، وليس من المستبعد انه قد عقد معاهدة مع الحيثيين لتحقيق هذا الغرض .

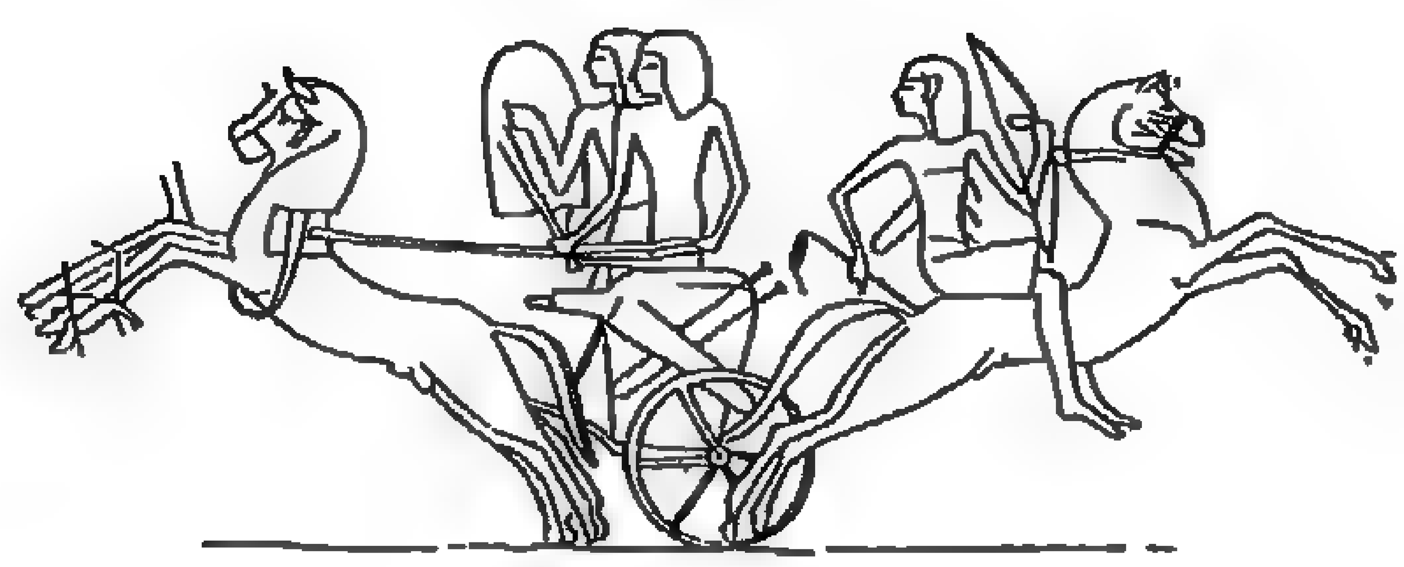


وقد لوحظت قسوة العقوبات الجنائية فى بعض القوانين والمراسيم التى صدرت فى عهد «حور محب» . كما صدرت قوانين جنائية أخرى مماثلة لها فى عصر الرعامسة . ولم تلاحظ مثل تلك القسوة فى انزال العقوبات فى القوانين والمراسيم المصرية التى صدرت فى العصور السابقة .

ولاشك أن صرامة هذه العقوبات الجنائية توضح لنا حدوث مخالفات قانونية خطيرة ضد النظام العام فى خلال ثورة العمارنة وفى أعقابها .

وثمة احتمال كبير فى أن الوضع السياسى الحرج الذى واجه الملك «آى» وكبار قواد الجيش فى أعقاب أزمة التوحيد ، قد أدى إلى أن تتجاهل السلطة – ولو مؤقتاً – الكثير من المخالفات والجرائم وسوء استخدام السلطة ، التى ارتكبها رجال الجيش والموظفون العموميون .

ولذلك فقد اضطر «حور محب» إلى مواجهة هذه الحالة بشىء من الصرامة ، خاصة وأنه كان يعمل على إقرار النظام العام وإعادة الضبط والربط فى فرق الجيش وفروعه . وفى نفس الوقت ، كان يكافىء ضباط الجيش الذين كانوا سنده الحقيقى لاعتلاء العرش – طبقا لما ذكره فى مرسوم تتويجه – وذلك بأن أعطاهم الفرصة فى تولى الوظائف الكهنوتية بالمعابد المصرية ، الأمر الذى يعنى سيطرتهم على أهم جانب من موارد الاقتصاد القومى بالبلاد .



ويعطينا «السير آلان جاردنر» صورة للكيفية التى تم بها الاحتفال بتتويج «حور محب» فيقول : «ليس من الصعب أن نتخيل صورة تفصيلية لاحتفالات تتويج الملوك التى كانت تجرى بمعبد الكرنك .. فقد تقدم الملك أمام جمع مهيب من ضباط الجيش ، وحكام الأقاليم الرئيسية يصطفون خلفه .. بينما يقوم الكاهن الأكبر بعرض الصورة التقليدية الجميلة للمعبود حورس ...» .

وفى رأيى أن عملية ارتقاء «حور محب» عرش مصر ، كانت بداية مرحلة تاريخية مميزة ، تولى فيها المحاربون من أعضاء الطبقة العسكرية ، الاشراف المباشر على أكبر جانب من الموارد الاقتصادية بالبلاد ، وهى الموارد المخصصة للأنشطة الدينية فى مصر .

ومن الغريب أن تفسّخ الأقاليم التابعة للامبراطورية فى الشرق ، قد أدى إلى تقلص النشاط الحربى المصرى خارج الحدود . وأدى أيضا إلى انغماس الجيش والطبقة العسكرية فى الهيمنة على المقدرات الداخلية بالبلاد . وكانت هذه النظرية ظاهرة عامة لوّنت شكل الحياة الداخلية بمصر ، وكان لها أخطر العواقب والنتائج السيئة فى أواخر عصر «الدولة الحديثة» .

ونعيد إلى الذكر ما سبق أن أشرنا إليه من أن «حور محب» كان يشغل مناصب عالية فى عهد «توت عنخ آمون» حيث كان الحاكم الفعلى بالبلاد نتيجة لتوليه منصب «مر – بر – ور» – أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية . إلا أن «حور محب» كان نادراً ما يشير إلى مناصبه ووظائفه المدنية ، وكان يفضل دائما ذكر مناصبه ورتبه العسكرية باعتباره «القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى الأرضين» . ومن المحتمل أن يكون «حور محب» قد تخلى عن مناصبه المدنية واقتصر على شغل مناصبه العسكرية فقط فى عهد الملك «آى» . وربما يرجع ذلك أساساً إلى نشوب الحرب بين مصر والحيثيين فى اعقاب مصرع الأمير الحيثى «زنانزا ZANNANZA» الذى كان قادماً ليتولى عرش مصر بعد أن يتزوج من أرملة «توت عنخ آمون» .

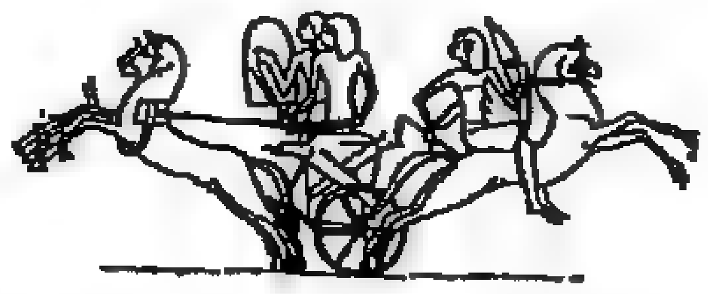
ومن الملاحظ أن «حور محب» قد استعمل فى مرسوم تتويجه لقب «النائب فى حكم الأرضين» وهو لقب لم يظهر أبداً على أى أثر يرجع إلى الفترة السابقة على توليه الملك . ومن المحتمل انه قد استعمل هذا اللقب لتعضيد موقفه وتدعيم حقه فى المطالبة بالعرش . خاصة وانه لم يشر فى مرسوم تتويجه إلى أى لقب من ألقابه العسكرية . ولكن الشيء المؤكد أن «حور محب» قد اعتمد أساساً على القوة العسكرية للجيش فى تولى العرش .

ويقول بعض المؤرخين أن «حور محب» قد اعتمد على زوجته «الأميرة موت نجمت MUTNEDJMET»[1] باعتبارها «الأميرة الوراثية» وذلك حتى يعطى لمطالبته بحق تولى العرش صبغة شرعية ، مثلما حدث تماماً من قبل ، حين تزوج «آى» الملكة «عنخ اسن آمون» أرملة «توت عنخ آمون» لتصبغ على توليته العرش صفة الشرعية .

ولكن حتى إذا سلمنا بتلك الفرضية ، فمازلنا فى حاجة إلى معرفة كيف تسنى لهذين الضابطين بالذات ، وهما فى الأصل من أبناء الأسر العادية وليسا من سلالة أشراف ونبلاء طيبة ، أن يرتقيا عرش مصر ، واحداً وراء الآخر حسبما تؤكده حوادث التاريخ .

ومن المحتمل أن تكون الاجابة الصحيحة على مثل هذا التساؤل ، أن «خط الذكور» فى العائلة المالكة قد انقطع بعد موت «توت عنخ آمون» . وبقى «خط الاناث»

وحده . ومع ذلك فلا يمكن اغفال أن كلاً من «آى» و «حور محب» كان يستند إلى منصبه العسكرى الخطير ، الذى كان يتيح له قيادة جيش ضخم العدة والعدد ، ليس له مثيل سابق فى التاريخ المصرى ، وأن هذا الجيش كان السند الرئيسى الذى أتاح لكل منهما أن يرتقى عرش مصر .



هذا النصر السياسى المؤزر الذى أحرزته الطبقة العسكرية فى صراعها للحصول على السلطة والنفوذ ، كان لابد أن يؤدى فى النهاية إلى سيطرة هذه الطبقة وهيمنتها على أوجه وأنشطة الحياة الدينية والعقائدية فى جميع أنحاء البلاد . وكانت هذه النتيجة نوعاً من التطور الحتمى لأحداث التاريخ ، وذلك بصرف النظر عن المركز العسكرى القيادى الذى كان يتولاه كل من «آى»و «حور محب» .

أما سياسة إحلال العسكريين محل رجال الدين التقليديين فى الوظائف الكهنوتية ، فتبدو منطقية حسب طبيعة العصر ، حيث لم يكن هناك انفصال قانونى بين الوظائف المدنية والوظائف الدينية ، أى لم يكن هناك فصل بين الدولة والمعبد ، خصوصاً فى عهد الحكام الأقوياء .

وهذا يفسر لنا إلى حد كبير حرص الملك «آى» على أن يشير إلى لقبه الدينى «الأب الالهى» ضمن اسمه فى الخراطيش الملكية ، وحرصه على تعيين «حور محب» فى وظيفة دينية عليا ، وهى «المشرف على كهنة كل الآلهة فى الأرضين» .

وهذه السياسة قد أخذت تنمو بالتدريج ، مصاحبة للنمو المستمر فى قوة الطبقة العسكرية وسيطرتها على مقدرات البلاد فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر .

وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى النص المكتوب على ظهر تمثال «حور محب» المعروض بمتحف «تورين» ، والخاص بمرسوم تتويجه ملكاً على مصر ، على أساس انه وثيقة رسمية تثبت التصعيد المستمر لهذه السياسة .

المبحث الثانى

سياسة حور محب الاصلاحية .

كان من الواضح منذ البداية أن سياسة «حور محب» نحو الأقاليم الآسيوية التى كانت تابعة للامبراطورية المصرية ، تنحصر فى مبدأين : أولاهما تحييد الخطر المحتمل من جانب الحيثيين . وثانيهما وضع حد للقلاقل والاضطرابات التى أحدثتها قبائل «الخابيرو KHABIRU» البدو الرعاة فى مناطق فلسطين ، وذلك لكى يتفرغ للتركيز على السياسة الداخلية ، ولانهاء المشاكل التى تراكمت منذ حدوث الثورة الدينية .

وقد لاحظنا من قبل أن الملك «آى» لم يتمكن من علاج التفسخ الذى لحق بالجهاز الادارى فى مصر ، كما لم يتمكن أيضا من وضع حد لمخالفات سوء استخدام السلطة التى كان يرتكبها الجنود ورجال الجيش .

وفى القانون الذى أصدره «حور محب» نجد أن خمس مواد من عشرة ، تضع العقوبات المناسبة للجرائم التى يكون المذنب فيها من رجال الجيش ، ورغم عدم دقة ترجمة نص هذا القانون بسبب الحالة السيئة للنقوش وقلة الجانب السليم منها ، فيبدو أن المواد الخمس الأخرى من هذا القانون كانت تنص على العقوبات التى تطبق على مرتكبى الجرائم المشابهة .

ونظراً لأن الوضع السياسى الداخلى بالبلاد لم يسمح للملك «آى» بأن يعيد النظام والضبط والربط للقوات المسلحة ، بسبب اعطائه الأولوية للمشاكل الاستراتيجية ، فقد كان من المقدر على «حور محب» أن يواجه جميع هذه المشاكل المؤجلة . وذلك على أساس أن الاصلاحات الداخلية المتعلقة بإقرار النظام العام وبإعادة الضبط والربط للقوات المسلحة ، كانت الطريق الوحيد أمام «حور محب» لكى يتمكن من إصلاح الأوضاع الاقتصادية والأوضاع الدينية فى طول البلاد وعرضها .

وقد ذكرنا من قبل أن الاقتصاد المصرى كان يقوم على نظام صارم لعملية إعادة توزيع السلع والاحتياجات بين الناس . وأن هذا النظام كان يضرب بجذور عميقة فى الروح التقليدية التى كانت تسود المجتمع المصرى ، باعتباره من أرقى المجتمعات الانسانية فى التاريخ القديم وأعظمها حضارة .

وفى مثل هذا النظام الاقتصادى البالغ التعقيد ، كان لابد من إعادة التمسك بالتقاليد القويمة التى سادت المجتمع المصرى طوال عصر الأسرة الثامنة عشر ، وانعاشها من جديد .

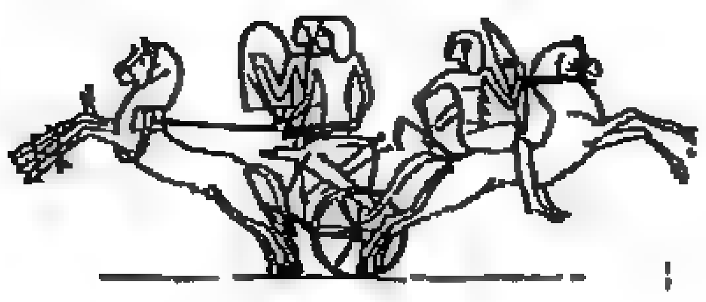
ونظراً لأن «حور محب» كان يتمتع بعقلية عسكرية ، تساندها خلفية ثقافية وأيديولوجية رفيعة المستوى ، فقد اعتبرت اصلاحاته أساساً قامت عليه سياسة انعاش الروح الامبراطورية ، وما أدت إليه من حتمية إعادة الهجوم العسكرى على المناطق السورية ، فى عهد «الفراعنة المحاربين» الذين قاموا بتأسيس الأسرة التاسعة عشر .

وأياً كانت العلاقة بين «آى» و «حور محب» الذى تزوج من الأميرة «موت نجمت» ، فإن الملاحظ أن «حور محب» لم يتزوج من هذه الأميرة إلا بعد أن أصبح بالفعل ملكاً على مصر .

وقد استمر حكم «حور محب» أكثر من عشرين عاماً ، وعلى وجه اليقين فقد كان حكمه هو الأرض الصلبة التى تمت عليها كل الانجازات الاقتصادية والعسكرية والدينية فى بداية عصر الرعامسة .

وكان خليفة «حور محب» على عرش مصر ، واحدا من الضباط المقاتلين ، وهو «رمسيس الأول» الذى يعتبر سليلاً لاحدى العائلات العسكرية التقليدية . وكان أبوه «سيتى» ضابطا بالجيش برتبة «قائد وحدات عسكرية» . بينما كان «رعمسيس الأول» نفسه يشغل منصب «قائد سلاح الفرسان» فى عهد حور محب ، ثم رقاه «حور محب» فيما بعد إلى منصب الوزير .

وكان هذا التطابق الحرفى فى سياسة كل من «آى» و «حور محب» فى اختيار وتعيين خليفته على عرش مصر ، خير دليل على الطبيعة العسكرية التى سادت نظام الحكم فى مصر بعد سقوط وفشل ثورة العمارنة .



أما القانون الجنائى الذى أصدره «حور محب» فقد لوحظ أنه لم يتضمن أى نص بتأثيم أو تجريم «الهرطقة» فى الدين ، أو فرض أى عقوبة مباشرة على مرتكبها . وذلك بالرغم من أن «حور محب» قد شجب الثورة نفسها ، تماماً مثلما فعل «توت عنخ آمون» وسجله على النصب التذكارى الذى يتضمن نص مرسومه الاصلاحى .

ومع ذلك فاننا نلمس أثر العمارنة على نص قانون «حور محب» خصوصاً بالنسبة لمقدمة القانون التى كتبت بلغة مبسطة أقرب ما تكون إلى العامية ، وهو أمر كان نادر الحدوث فى النصوص الرسمية للقوانين والمراسيم .

كذلك فان القانون بمواده العشرة ، يقرر حماية الطبقة العاملة من أى اضطهاد أو سوء معاملة . الأمر الذى يعنى حدوث عديد من المخالفات وسوء استخدام السلطة من جانب رجال الجيش والموظفين المدنيين .

وكان هذا السلوك التشريعى من جانب «حور محب» محل تقدير كبير لدى المؤرخين القدماء الذين أعدوا «قائمة الملوك المصريين» أثناء عصر الرعامسة ، حيث اعتبروه «أول ملك شرعى» تربع فوق عرش مصر بعد وفاة «امنحتب الثالث» .

ويمكن القول كذلك بأن هذا القانون الاصلاحى الذى أصدره «حور محب» لرعاية جماهير الشعب العامل والناس البسطاء ، وحمايتهم من أى ظلم أو جور ترتكبه السلطة ، انما يغفر له الهجوم الذى شنه على الديانة الآتونية فيما بعد ، كما يستبعده تماماً من توجيه أى اتهام له بالكفر أو الهرطقة .

ويرى «ك.فلُويْجر» أن «حور محب» قد أقام نظام حكمه على أساس وضع حد لسوء استخدام السلطة من جانب بعض رجاله من العسكريين والمدنيين الذين تصرفوا دون وازع من العدالة أو مراعاة الضمير . ويضيف «فلويجر» إلى ذلك ، أنه بالرغم من هذا الموقف العادل من جانب «حور محب» لحماية الضعفاء من الأقوياء المستبدين ، فقد تمت من الناحية الأخرى عملية استبعاد رجال الدين الذين كانوا ينتمون إلى عامة الشعب ، وتعيين بعض أبناء طبقة النبلاء المحليين فى الوظائف الكهنوتية لمختلف الديانات والآلهة المصرية القديمة المنتشرة فى مختلف الأقاليم المصرية .

ولكننا نلاحظ أن «فلويجر» لم يعين على وجه التحديد العهد الملكى الذى تمت فيه عملية تعيين الرجال الذين ينتمون إلى أسر شعبية متواضعة فى المناصب الدينية ، بالاضافة إلى أنه يعتبر أن الطريقة «الرجعية» التى تمت بها اجراءات إصلاح وإعادة تنظيم الوظائف الدينية ، قد بدأت بالفعل فى عهد «توت عنخ آمون» . وأصبحت هذه الطريقة هى الأسلوب الذى انتهجه «حور محب» أيضا فى اصلاحاته الدينية كما أشار إليها فى قانونه ، حيث قام باختيار رجال دين جدد من بين الصفوة من رجال السلك العسكرى ، وعينهم فى وظائف الكهنة العاديين والكهنة المرتلين .

وقد حرص «حور محب» على تسجيل اصلاحاته الدينية فى نص المرسوم الخاص بتتويجه حيث قال :

«... وقام جلالته بتجديد كل معابد الآلهة . من أحراش الدلتا وحتى منطقة (تو – ستى TO - STI) فى الجنوب .. لقد قام بتعمير أماكن الآلهة التى كانت قد تحولت إلى خرائب فى هذه الأرض . وأعادها إلى ما كانت عليه فى العصور القديمة ..»

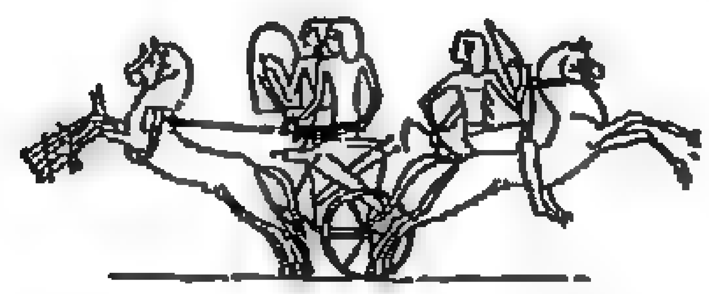
وبصرف النظر عن المبالغات التقليدية المعتادة التى وردت فى صياغة هذا النص ، إلا أننا يمكن أن نستنتج منه أن قصر الفترة التى قضاها كل من «توت عنخ آمون» و «آى» فى الحكم ، لم تتح لأى منهما أن يحقق اصلاحاً شاملاً لجميع العبادات والديانات المصرية القديمة ، فكان من المحتم أن يقوم «حور محب» باستكمال هذه الاصلاحات ، وانعاش الديانات والعبادات القديمة فى بقية انحاء البلاد .

ونحن نرى أن الشهرة والسمعة الطيبة التى اكتسبها «حور محب» وتبوأ بها تلك المكانة الرفيعة فى أعين الأجيال التالية لعهده ، حيث اعتبروه أول فرعون شرعى يتولى العرش بعد موت «امنحتب الثالث» ، كانت بسبب قيامه بهذه الاصلاحات الدينية التى شملت تجديد المعابد والهياكل المقدسة فى كل الديار المصرية ، إلى جانب جهوده الموفقة فى الاصلاحات الادارية والاقتصادية .

وعلى هذا يمكن القول بأن «حور محب» لم يكن أكثر رجعية من خلفائه من الملوك الذين تجاهلهم واضعو «القوائم الملكية» فى عصر الرعامسة .

وبالنسبة للأحوال الاقتصادية والسياسية التى سادت فى عهد «حور محب» ، فإن الأمر لا يغير كثيراً فى النتيجة التى تحققت بالنصر التاريخى الذى أحرزته الطبقة العسكرية على كهنة طيبة وحلفائهم من طبقة كبار الموظفين من نبلاء طيبة التقليديين فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر . هذا النصر الذى أتاح لطبقة العسكريين أن تهيمن على الحياة الدينية فى البلاد ، والذى انتهى باعتلاء ممثلى هذه الطبقة عرش البلاد .

ويخلو نص مرسوم تتويج «حور محب» كما يخلو أى نص آخر أو أثر آخر يرجع إلى عهده ، من أى دليل على حدوث أى استخدام للقوة فى انتقال السلطة إلى «حور محب» بعد موت الملك «آى» .



وقد قام «ر. هارى R. HARI» بدراسة أركيولوجية للآثار التى يرجع تاريخها إلى عهد «حور محب» وانتهى فيها إلى بعض النتائج التى قد تتعارض مع بعض ما هو معروف من المعلومات عن هذا العهد . فهو يبرىء «حور محب» تماماً من أى ادعاء بأنه قد اتخذ أية اجراءات مضادة ضد آثار أسلافه من الملوك . أو أنه قد اتخذ موقفا رجعيا ضد الهرطقة من بقايا أفكار ثورة العمارنة .

وانتهى «هارى» أيضا إلى دحض الفكرة القائلة بأن «حور محب» مدين فى توليه العرش إلى كهنة آمون بطيبة ، باعتبار أنهم هم الذين قاموا باختياره وتنصيبه ملكا على مصر ، وانه لأجل ذلك ، أمر بتدمير الآثار التى تركها ملوك العمارنة ، ومحو ذكرهم من الوجود بما فيهم الملك «آى»نفسه ، وذلك فيما عدا آثار الملك «امنحتب الثالث» .

ويهمنا فى هذا الخصوص أن نشير إلى النظرية التى قال بها «د. فيلدونج D. WILDUNG» عن تلك الظاهرة العامة التى كانت تحدث طوال التاريخ المصرى القديم حيث كان الملوك يغتصبون آثار خلفائهم وينسبونها إلى أنفسهم ، فهو يفسر تلك الظاهرة بأنها نوع من «استمرارية المُلْك والملكية» التى تنتقل من ملك إلى آخر .

ونحن نرى أن هذه الفكرة تتعارض مع الجدل القائم حول اتهام «حور محب» باغتصاب آثار «آى» و «توت عنخ آمون» ونسبتها إلى نفسه .

ويؤكد «هارى» أن «حور محب» ارتقى عرش مصر ، ولبس تاجى الوجه القبلى والوجه البحرى ، باعتباره ملكا شرعياً فى أعين معاصريه .

وبالرغم من انى اتفق مع «هارى» فى كثير من وجهات نظره ، إلا انى اختلف معه فيما انتهى إليه من تهوين أمر الدور الذى أداه الجيش فى عملية تنصيب «حور محب» ملكا على مصر . و «هارى» فى هذا الخصوص يعارض وجهات النظر والآراء التى قال بها كل من «ج. هـ. برستد J. H. BREASTED» و «ج. ويلسون J. WILSON» فى ابراز الدور الهام الذى شارك به الجيش فى الأحداث التى أدت إلى تنصيب «حور محب» ملكا على مصر . ولذلك فإن «هارى» يرى أن الوظائف المدنية العليا التى تولاها «حور محب» هى التى لعبت الدور الحاسم والأكبر فى تنصيبه ملكا . ويشير فى ذلك إلى النصوص المنقوشة على المقبرة التى أعدت «لحور محب» فى منطقة منف قبل تنصيبه ملكا ، حيث نجد أنه كان يشغل سبعة وثلاثين منصبا ، من بينها خمس مناصب فقط ذات طبيعة عسكرية .

ولكن هذه الفكرة محل نظر . ونشير إلى ما سبق أن ناقشناه من ظاهرة الزيادة الملحوظة فى المناصب والألقاب الشرفية التى كان يحرص على تسجيلها «الضباط» أو «كتبة

التجنيد» حين كانوا يتولون الوظائف العامة العليا بعد تركهم الخدمة العسكرية . وهوالاتجاه العام الذى ظهر منذ عهد «امنحتب الثالث» . وقد انتهينا من ذلك إلى أن حرص العسكريين على ذكر العديد من مناصبهم وألقابهم المدنية كان دلالة على ازدياد أهمية الطبقة العسكرية وازدياد نفوذها . كما رأينا أن المناصب والرتب العسكرية التى كان يشغلها هؤلاء الضباط وكتبة التجنيد ، قبل توليهم الوظائف العامة العليا ، كانت هى سندهم فى تقلد تلك الوظائف وتمتعهم بالتالى بالعديد من ألقاب التشريف والتبجيل .

وكذلك فإن مقبرة «حور محب» بمنطقة منف ، تتضمن العديد من المناظر العسكرية التى تعطى احساساً لاشك فيه بالمركز العسكرى الرفيع الذى كان يتقلده من انشئت المقبرة من أجله .

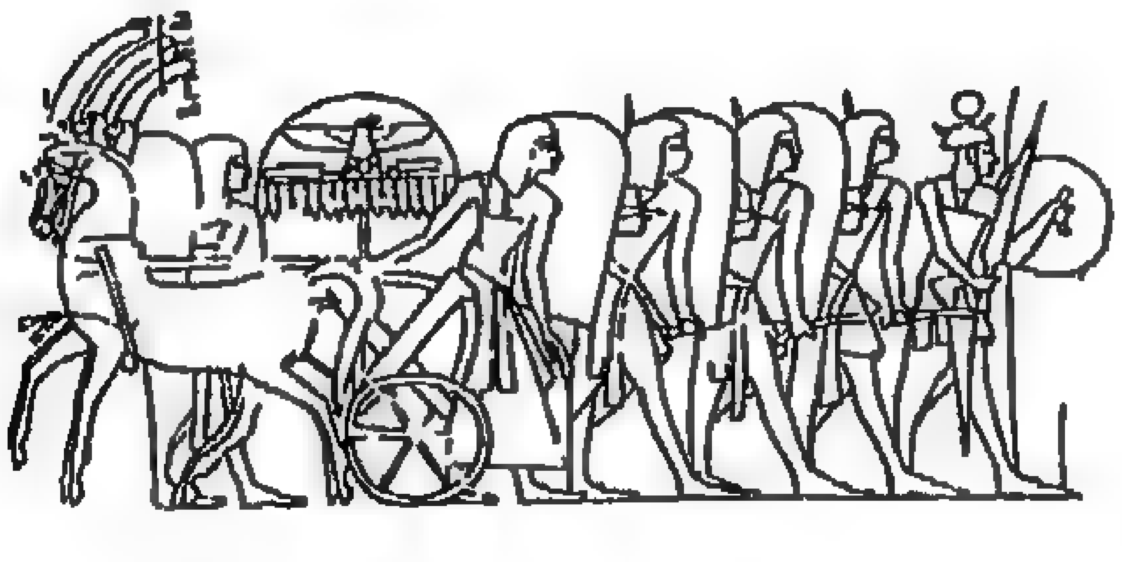
أما ما ذكره «هارى» من أن تقلد «حور محب» لمنصب «الوزير» كان سابقا على تقلده لمنصب «القائد العام للجيش» فيعتبر مخالفا للحقيقة التى تؤكد حدوث التطور الذى أدى إلى وصول أحد ضباط الجيش إلى تولى منصب «القائد العام» بعد أن كان حق تولى هذا المنصب قاصراً على أعضاء الأسرة المالكة ، وقاصراً بالذات على «ولى العهد» . إلى أن حدث التطور وتقلد «حور محب» هذا المنصب العسكرى الرفيع ، باعتباره أول واحد من غير أعضاء الأسرة المالكة يتولى هذا المنصب . كذلك فقد رأينا من قبل أن منصب «الوزير» قد أصبح قاصراً على الضباط العسكريين منذ تولى «راعموزا» هذا المنصب فى عهد «امنحتب الثالث» .

وعلى أية حال فإن الملاحظ بصفة عامة أن «هارى» قد استهان كثيراً بالدور الخطير الذى أداه ضباط الجيش . وكان يعتبرهم مجرد «مجموعة من الضباط» دون أن يضع فى الاعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية التى أدت إلى ظهور طبقة العسكريين وازدياد أهميتها بالتدريج . ومن الواضح تماماً أنه لم يقدر «حور محب» حق قدره ، باعتباره أحد أقطاب طبقة العسكريين ، وانه اعتلى منصب «القائد العام للجيش» كما شغل العديد من المناصب والوظائف العليا المدنية . ومع ذلك فقد توصل «هارى» إلى بعض النتائج التى تؤكد توافق سياسة التوظيف فى المناصب العليا بالدولة ، منذ انتهاء أزمة العمارنة وحتى تنصيب «حور

محب» ، مع مصالح وأهداف الطبقة العسكرية المتنامية ، والتى أخذت تخطف الضوء من طبقة أخرى أخذ نجمها فى الأفول ، وهى طبقة كهنة طيبة وحلفائها من النبلاء من كبار الموظفين التقليديين .

ونود أن نشير فى النهاية إلى نظرية «أرنولد توينبى A. TOYNBEE»فى نشوء وسقوط الحضارات حيث يقول : «أن السمات الأساسية للحضارة المصرية القديمة ، قد أخذت فى الأفول منذ عصر الاضمحلال الثانى – أى بعد سقوط الدولة الوسطى» .

ولكن لو وضعنا فى الاعتبار ذلك الدور الخلاق الذى قامت به الصفوة الممتازة من طبقة العسكريين ، والذى دفع بدماء جديدة تنساب بنشاط فى شرايين الحضارة المصرية ، حتى انهضتها من عثرة «عصر الاضمحلال الثانى» ودفعتها لأن تشق الطريق لتأسيس الامبراطورية المصرية فى عصر «الدولة الحديثة» فإن نظرية «توينبى» تصبح فى النهاية محلاً للمناقشة واعادة النظر ، لصعوبة قبولها فى ضوء كل هذه الاعتبارات .



الفصل الرابع

النتائج الدينية لثورة العمارنة

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : مصير عقيدة التوحيد .

المبحث الثانى : استعادة المركز «الالهى» للملك .

المبحث الثالث : تفسير المواقف الدينية والسياسية والاجتماعية ضد الديانة الآتونية .

المبحث الأول

مصير عقيدة التوحيد

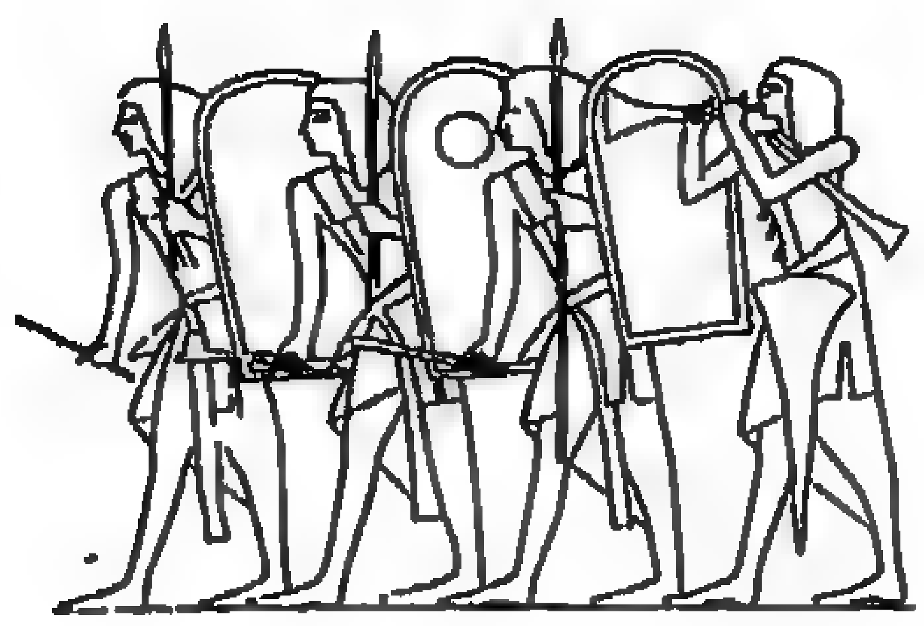
سقطت عقيدة «التوحيد MONOTHEISM» التى نادت بها الديانة الآتونية ، حين انهارت ثورة العمارنة ، وذلك دون أن يحس بها الشعب المصرى ، أو يدرك مضمونها وفحواها .

كانت الديانة الآتونية عقيدة تداولتها الصفوة المختارة من المثقفين المصريين ، دون أن يعرف الشعب عنها شيئا . بل وضاعت سدى كل المحاولات التى بذلت لاعادتها إلى الوجود مرة أخرى ، ولو حتى لكى تتعايش مع الديانات والعقائد المصرية الأخرى جنباً إلى جنب [صورة ٣٠] .

ومع ذلك فلا ينفى هذا أن هناك تجديداً قد لحق بديانة «رع» القديمة ، وأدى إلى إعادة تشكيلها وإدماجها – على يد «أخناتون» – فى مضامين الديانة الآتونية . ثم قامت الصفوة الممتازة من المثقفين الذين ينتمون إلى طبقة العسكريين بمساندة هذا التجديد الدينى فى العقيدة ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى نشوب نوع من الصراع بين ديانة «أوزيريس» وغيرها من الديانات والعبادات الشعبية ، وبين ديانات «الشمس» التى كانت تعتنقها الأسرة المالكة والصفوة المثقفة من طبقة العسكريين .

وعلى هذا يمكن القول بأن «عقيدة التوحيد» التى تضمنتها الديانة الآتونية ، كانت مجرد انقطاع تاريخى حدث لفترة قصيرة ، فى التيارات الدينية المتدفقة ، التى كانت تتصف بالديموقراطية والحرية الدينية (حرية العبادة) والتى سادت التاريخ المصرى القديم بأكمله .

وقد لعبت ديانة «آمون» دوراً قيادياً ، وتزعمت الديانات الأخرى فى صراعها مع ديانة «آتون» ، تلك الديانة التى يقول عنها «توينبى» : أنها كانت مجرد مبادرة فردية ، قام بها شخص عبقرى واحد هو «أخناتون» الذى قدم فيها نظرية فلسفية لتفسير الحياة والعقيدة وفكرة الألوهية ، إلى جانب رؤية مستحدثة فى الفن



المبحث الثانى

استعادة المركز «الالهى» للملك

فى رأيى أن ديانة «آتون» كانت إحياءً للصراع الدينى بين عقيدة الشمس ، فى صورتها التقدمية التى تضمنتها ديانة «آتون» ، وبين الديانات والعبادات الشعبية التى شاعت فى مصر منذ عهد الاضمحلال الأول (بعد سقوط الدولة القديمة) . فمنذ هذا العهد ، أصبحت الحقوق الدينية متاحة للشعب بشكل ديموقراطى يقوم أصلاً على فكرة «حرية العبادة» . وقد ظهر ما يثبت هذا الاتجاه ، فيما تضمنته النصوص المنقوشة على التوابيت ، والنصوص المكتوبة فى «كتاب الموتى» [1] والتى انتشرت فى خلال عصر «الدولة الوسطى» ثم فى خلال عصر «الدولة الحديثة» فيما بعد .

وقد شاع استخدام نصوص «كتاب الموتى» [صورة ٣١] على نطاق واسع فى عصر الدولة الحديثة . وظل هذا الانتشار قائماً حتى فترة نهاية التاريخ المصرى القديم . وهذا الكتاب الذى وضع كهنة «رع» أغلب نصوصه ، يتضمن نوعاً من حلول الوسط ، لتضييق هوة الخلاف بين حقوق الملك وحقوق الرعية فى العالم الآخر .

وعلى هذا يمكن النظر إلى الدعوة إلى عقيدة التوحيد ، باعتبارها إحياءً للصراع الدينى القديم الذى حدث فى أواخر عصر «الدولة القديمة» ، مستهدفاً تحقيق المساواة الدينية فى العالم الآخر .

أما الاله «آتون» نفسه ، فقد ظهر فى نصوص الأدب الدينى ، وظهرت عبادته منذ أيام «الدولة الوسطى» . ولكنه لم يحتل مكانة تذكر فى ضمير الشعب المصرى ، حيث اعتبروه مجرد اسم جديد لاله الشمس .

أما التطور الذى لحق بعبادة «إله الشمس» فى مفهوم الديانة الآتونية ، فقد بلغ قمته فى تحرير إله الشمس – «رع» أو أياً كانت الصور الأخرى التى اتخذها – من الارتباط أو الاقتران بأى إله من الآلهة المصرية الأخرى ؛ خصوصاً الارتباط الذى قام بينه وبين الاله «آمون» فى شكل الاله «آمون – رع» .

كما أن الديانة الآتونية قد أغفلت ، بل وألغت تماماً الدور الذى كان يؤديه الاله الشعبى «أوزيريس» فى الحياة فى العالم الأخر (فى عالم ما بعد الموت) . وقد تسبب ذلك فى جرح عواطف الجماهير واحساساتها ومشاعرها الدينية .

ولم يحدث طوال التاريخ المصرى القديم ، مثل هذا الذى حدث فى ثورة العمارنة ، حين شمل التحطيم والتدمير جميع الآلهة التقليدية المحبوبة القريبة من عواطف الجماهير ، خصوصاً الاله «آمون» الذى كان رمزاً براقا يمثل عظمة الامبراطورية المصرية ، ويمثل الشعار الذى بارك كل فتوحات الجيش فى البلاد الأجنبية ، بل والذى كان يعزى إليه أيضا ، مباركة المحاربين المصريين الذين قاموا بحرب التحرير ، وطردوا الغزاة الهكسوس خارج البلاد .

وقد رأينا من قبل أن نص المرسوم الاصلاحى المنسوب إلى «توت عنخ آمون» يعطينا صورة مأساوية محزنة ، للحالة التى وصلت إليها المعابد وهياكل الآلهة المصرية ، فى أعقاب ثورة العمارنة ، حيث كادت المعابد كلها أن تتوقف عن مباشرة وظائفها الروحية والدينية ، كما غلت أيديها عن مباشرة وظائفها الاقتصادية التى كانت تباشرها من قبل فى طول البلاد وعرضها .

ويرى كثير من المؤرخين أنه طوال تاريخ مصر الفرعونى ، لم يجسر أى فرعون آخر – عدا أخناتون – على معاملة آلهة وآلهات البلاد التقليديين مثل هذه المعاملة الجائرة ، أو يباشر ضدها مثل هذا التدمير والتحطيم والالغاء .



وكان الاعتقاد الدينى السائد بين الناس ، أن للفرعون مركزا «إلَهيا» وطبيعة «إلَهية» . وقد لعب هذا الاعتقاد دوراً فى غاية الأهمية طوال عصور الحضارة المصرية القديمة حيث كان تنصيب فرعون جديد فور موت الفرعون الذى كان يحكم ، يعتبر من الناحية الفلسفية ، شرطاً مسبقاً لمنع حدوث كوارث تصيب الطبيعة بأكملها كما تصيب الانسان على حد سواء .

وهذا الوضع الالهى الكونى الذى يكتسبه الفرعون بمجرد توليته عرش مصر ، يدخل فى مجريات الأمور بالحياه اليومية للمصريين . ويقول «سيدل SEIDL» فى ذلك : «فى جميع العقود أو الاتفاقات التى يلتزم فيها أحد الطرفين باداء التزام ما فى المستقبل فإن على الطرف (المدين) أن يقسم باسم الفرعون باعتباره إلهاً ، على أنه سيوفى بالالتزام على النحو المتفق عليه» .

وطبقا للمفاهيم التى كانت سائدة فى عقيدة «أوزيريس» فإن الاله يتجسد فى الفرعون باعتباره الجالس على عرش «الاله جب GEB» [٢] وعلى هذا فإن القوى الالهية للفرعون إنما تؤول إليه عن طريق الميراث الذى آل إلى أبيه «أوزيريس» فى حضور الاله «جب» .

وعلى أية حال فإن تأصيل وتفسير فكرة ألوهية الفرعون مازالت غامضة ، بسبب ندرة الوثائق القانونية أو المدنية التى تساعدنا فى التفسير والتوضيح . غير أن «هـ. فرانكفورت H. FRANKFORT» يقول فى هذا الخصوص : أن أوضح دليل على ألوهية الفرعون ، هو السلطات المطلقة التى كان يباشرها على الأرض وعلى الناس الذين يعيشون عليها .

وعلى هذا فإن «الملكية الخاصة» للأفراد ، أو المركز أو السلطة التى يتمتع بها فرد ما ، هى في حقيقة الأمر لاتعدو أن تكون «منحة» من الفرعون لهؤلاء الأفراد .

كذلك فلم يكن هناك وجود مستقل «للعدالة» أو «للقانون» خارج عدالة العرش والقوانين الصادرة عنه . وكان هناك دائما مبدأ عام متفق عليه ، وهو أن الفراعنة إنما يحكمون طبقا لمبادىء «ماعت MAÁT» [٣] المرادفة تماماً لفكرة العدل والحقيقة والصدق والصراط المستقيم .

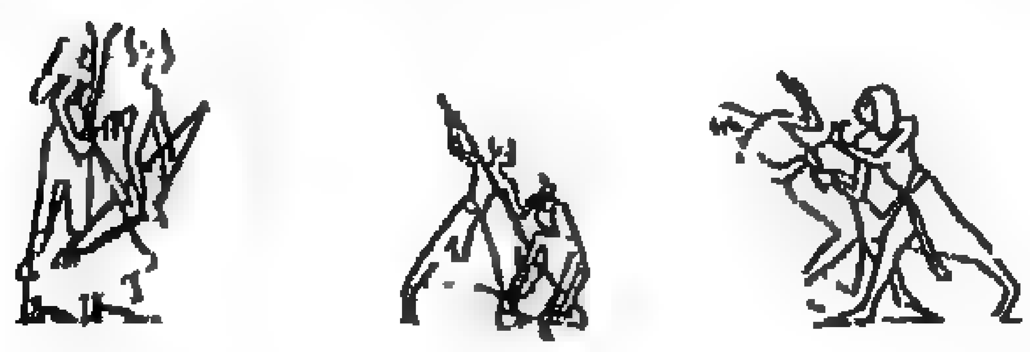
وكانت المسئوليات الواسعة التى يضطلع بها الفرعون وسلطته المطلقة فى الحكم ، تعود جميعها إلى منطق المفهوم التقليدى للألوهية المتجسدة فيه .

وفى نص يشير إلى الملك «امنحتب الثالث» نجد دعاء يقول للملك : «فلتجعل البلاد مزدهرة مثلما كانت فى قديم الزمان ، وليكن حكمك طبقا لتعاليم ماعت ..» .

كذلك فقد كان من المسلم به لدى المصريين أنهم يعيشون فى رعاية الملك وتحت حمايته ، بل وتثبت بعض الوثائق وجود اعتقاد راسخ بأن للفرعون أثراً كبيراً فى حدوث «الفيضان» وأن للفرعون الميت قدرة التحكم فى نهر النيل وأحواله .

وهناك كثير من الشواهد التى تشير إلى ظاهرة عبادة الفرعون كإله فى عصر الدولة الحديثة ، فهناك مناظر تصور تماثيل الفراعنة وهى تتلقى «القرابين» التى يقدمها «الكهنة المعينون لخدمة تماثيل الملك» . وكما حدث فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، فقد قام الشعب باقامة الصلوات الخاصة لعبادة بعض ملوك الأسرة مثل «تحوتمس الثالث» و «امنحتب الثالث» على وجه التحديد . ونشير هنا إلى أن هذين الفرعونين بالذات كانا من الفراعنة المحاربين ، وأن البلاد – فى عهد كل منهما – قد ازدهرت ازدهاراً كبيراً وامتلأت بالخيرات .

كذلك فقد قام بعض فراعنة الدولة الحديثة ببناء المعابد المكرسة لعبادتهم ، مثل المعبد الذى بناه «امنحتب الثالث» فى منطقة «صولب» بالنوبة ، والمعبد الذى بناه «توت عنخ آمون» فى منطقة «فرس FARAS» [1] بالنوبة أيضا .



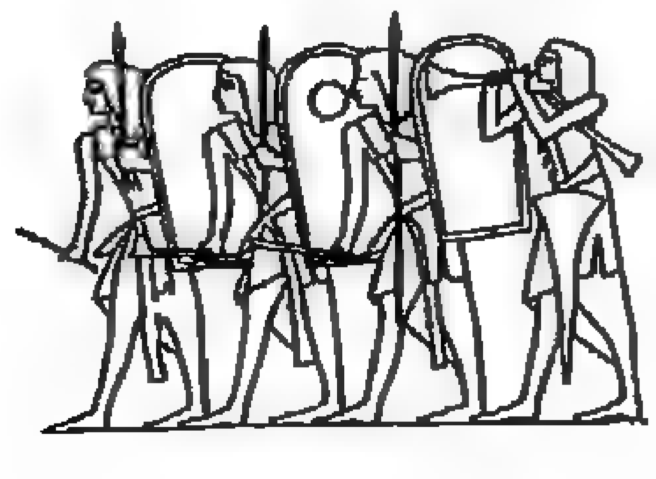
ذكرنا من قبل أن عقيدة التوحيد التى تضمنتها الديانةالآتونية ، والتى ساندتها الصفوة الممتازة من المثقفين الذين ينتمون إلى الطبقة العسكرية ، قد صدمت المشاعر الدينية لجماهير الشعب المصرى المحافظة .

ولم يحدث من قبل فى التاريخ المصرى القديم ، أن قام أحد فراعنة باستنزال اللعنات على فرعون آخر كان يجلس على عرش مصر فى يوم من الأيام ، ومع ذلك فقد حدث مثل هذا السلوك ضد «أخناتون» حيث أشار أحد الفراعنة فى إحدى الوثائق الهامة إلى أنه «عدو أخناتون» ، وبالتالى فإنه لا يعترف بتعاليمه ، ويعتبرها نوعاً من الهرطقة والكفر والمروق . كذلك لم تتعرض الآثار التى تركها أى فرعون من فراعنة مصر لما تعرضت له الآثار التى تركها «أخناتون» ، والتى لحقها التدمير والتحطيم الغاضب فى جميع المناطق التى أقيمت بها بداخل البلاد .

ومما هو جدير بالذكر ، أن مبدأ «ألوهية الفرعون» كان أحد الاسباب القوية التى منعت الفراعنة الذين تولوا العرش بعد سقوط «أخناتون» وحتى انتهاء عهد «حور محب» من انزال اللعنة على «أخناتون» لأنه كان قبل كل شيء فرعوناً يحكم مصر ، وله مركز الهى لا يمس .

ولكن هذه الحالة تغيرت تماماً عندما تولى عرش مصر الفراعنة الضباط الذين قاموا بتأسيس الأسرة التاسعة عشر حيث ظهرت بوضوح الاتجاهات التى تدين «أخناتون» وتلعنه باعتباره مارقا خرج عن حدود الدين .

وهذا الدمار الذى الحقته ثورة العمارنة بالروح المعنوية وبالمثل العليا المصرية ، أدى بالتالى إلى دمار مماثل فى الحياة الدينية والثقافية والسياسية التى سادت البلاد فى الفترة التى أعقبت سقوط الثورة . وعلى هذا فيمكن القول بأن فترة العمارنة كانت كابوساً ليلياً جثم على صدر البلاد ، ولكن ما أن انقضى هذا الكابوس وانتهى أمره حتى واجهت البلاد عالماً تغير وجهه ، وتغيرت فيه معالم كثيرة .



وفى أعقاب أزمة العمارنة ، حرص الفراعنة ، وخصوصاً فى بداية عصر الرعامسة ، على اعادة المركز الالهى للفرعون فى أعين الرعية .

ولعل ذلك هو السبب فى حرصهم على انشاء المعابد شديدة الضخامة التى تميز بها هذا العصر . ولأول مرة فى تاريخ العمارة الدينية المصرية ، تزين الصروح PYLONS الضخمة لبوابات المعابد بالنصوص والمناظر الحربية التى تسجل المعارك البطولية التى خاضها الملوك ضد اعداء البلاد . وتشير فى هذا الخصوص إلى انشاء «قاعة الأعمدة الكبرى» بالكرنك والتى يحتمل أن يكون بناؤها قد بدأ فى عهد «حور محب» ، بل وثمة رأى آخر يقول ان بناءها قد بدأ فى عهد «امنحتب الثالث» ثم استمرت عملية بناء هذه القاعة الكبرى فى عهد «رمسيس الأول» وعهد «سيتى الأول» إلى أن افتتحت بعد أن تم بناؤها تماماً فى عهد «رمسيس الثانى» .

وقد تميزت بداية عصر الأسرة التاسعة عشر بعودة الدعوة إلى تأليه «الملك الحى» وعبادته أثناء حياته . وقد ظهر هذا الاتجاه واضحاً فى عهد «سيتى الأول» الذى بنى لنفسه معبداً فى «أبيدوس» . كما أن «رمسيس الثانى» قد أعلن تأليه نفسه ، وأقام المعابد والآثار الدينية العديدة التى كرست لعبادته فى معظم مناطق مصر والنوبة .

وهناك كثير من النقوش والمناظر المرسومة على جدران بعض المعابد التى بناها «رمسيس الثانى» فى منطقة النوبة ، نرى فيها الملك باعتباره «الاله رمسيس» . وهناك مناظر أخرى تصور الملك «رمسيس الثانى» نفسه وهو يقوم بتقديم القرابين المقدسة إلى «الاله رمسيس» الذى لا يعدو أن يكون شكلاً «لرمسيس الثانى» فى صورته الالهية .

وهناك أيضا التماثيل المقدسة العديدة التى أقامها «رمسيس الثانى» لنفسه بداخل معظم المعابد التى بناها ، وكانت هذه التماثيل المقدسة على صورة الملك ، وتحمل اسماء خاصة متعلقة بالعبادة . وكانت جميعها محل تقديس وإجلال ، وتقام لها الصلوات بواسطة الملك نفسه ، وبواسطة المتعبدين من رعاياه .

أما التمثال الجرانيتى الهائل الضخامة ، والذى يصل وزنه إلى أكثر من ألف طن ، والذى أقامه «رمسيس الثانى» لنفسه بمعبد «الرمسيوم RAMESSEUM» (٥) فقد كان واحداً من العديد من التماثيل المماثلة – وإن كانت أقل ضخامة – والتى كان يطلق عليها اسم

مقدس هو «رع المتأله على الملوك والحكام» . الأمر الذى يعنى بالتأكيد أن هذه التماثيل قد أقيمت لتعبد ولتقام لها الطقوس من كل رعايا الملك .

وفى معبد «أبى سمبل» [٦] نجد تمثالاً «لرمسيس الثانى» وهو يتوسط الثالوث المقدس لآلهة طيبة . هذا بالاضافة إلى العديد من الآثار الأخرى التى ترجع إلى عهده والتى تدل بشكل قاطع على أنه قد أُلّه وعبد اثناء حياته . وعلى سبيل المثال ، المناظر المنقوشة على النصب التذكارية التى أقيمت بمنطقة «قنطير QANTIR» [٧] بشرق الدلتا ، والتى تصور «رمسيس الثانى» وهو يستمع إلى توسلات الرعية والتماساتها

ويعتبر اتجاه ملوك الرعامسة إلى تأليه أنفسهم ، من أوضح معالم الصراع الأيديولوجى الذى نشب بين الفراعنة وبين كهنة «آمون» . وقد عثر على نقش بمنطقة «دير المدينة» صور فيه «رمسيس الثانى» على قدم المساواة بالاله «آمون» نفسه . بل ولوحظ أن الحروف الهيروغليفية التى كتب بها اسم الملك ، أكبر حجماً من الحروف التى كتب بها اسم الاله .

ومن هذا كله يتبين لنا إلى أى حد كانت عقيدة التوحيد التى تضمنتها الديانة الآتونية سبباً فى اهتزاز وزلزلة فكرة المركز الالهى للملوك ، خصوصاً وأن «أخناتون» الذى دعى إلى هذه الحقيقة لم يكن رجلاً عادياً من عامة الناس ، بل كان سليل الملوك الكبار العظام ابناء الأسرة الثامنة عشر .

وحتى تعود فكرة تأليه الملوك إلى سابق عهدها ، لم يكن هناك بد من استنزال اللعنات عليه ، وتجريحه بشكل غير مسبوق فى تاريخ الفراعنة المصريين .

ولم يكن هناك بد أيضا أمام الملوك الذين تولوا العرش فى بداية عصر الرعامسة ، إلا أن يعيدوا هذا المركز الالهى المقدس التقليدى للفرعون ، على هذا النحو المبالغ فيه ، وأن يجعلوا للفرعون عبادة خاصة تقام فيها الصلوات وتجرى الطقوس .

المبحث الثالث

تفسير المواقف الدينية والسياسية والاجتماعية ضد الديانة الآتونية

كان التحول من الآتونية ، والعودة إلى التمسك بالديانات التقليدية القديمة ، يتم بالتدريج طبقا للسياسة الرسمية للدولة ، وفى نفس الوقت كانت جماهير الشعب قد اسقطت الآتونية من حسابها بصفة عفوية وتلقائيا .

وقد استغرقت «فترة الانتقال TRANSITION PERIOD» هذه بضع سنوات منذ عهد «سمنخ كا رع» حين ظهرت بعض البوادر الأولى لتحقيق نوع من التعايش بين الآتونية وغيرها من الديانات المصرية الأخرى .

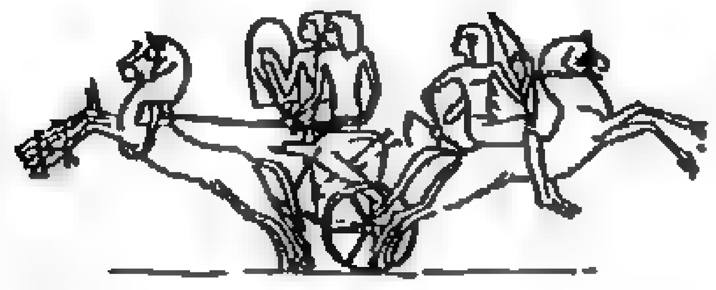
وفى المقبرتين رقم «٥٢٥» ، ورقم «٥٢٩» بمدافن العمارنة ، نرى اشارة إلى الاله «آمون» ، بينما كان صاحب كل مقبرة منهما مستظلاً برعاية وبركة الاله «آتون الحى» ويتخذ الالهة «إيزيس» كراعية له .

وقد ظل الاله «آتون» وكبار كهنته محتفظين بقدرهم ومراكزهم حتى السنة الثانية من حكم «توت عنخ آمون» ، كما تثبت ذلك بعض المدونات التى يرجع تاريخها إلى تلك السنة .

وهناك نصب تذكارى معروض بمتحف «برلين» ، يظهر فيه «توت عنخ آمون» باسمه الآتونى – وهو «توت عنخ آتون» – وأمامه الاله «آمون» والالهة «موت – سيدة الأرضين» .

ومن بين الآثار المعروضة بالقاهرة من كنوز «توت عنخ آمون» نجد العديد من الشواهد التى تؤكد محاولة تحقيق التعايش بين الاله «آتون» وغيره من الآلهة التقليدية للمصريين ، فقد نقش رمز الاله «آتون» على كرسى العرش وعلى صولجان الملك .

وفى رأيى أن ذلك كله يؤكد أن التحول الذى قامت به السلطات الرسمية بالدولة من الآتونية إلى العودة للتمسك بالأديان القديمة قد تم بالتدريج ، ولم يكن مصحوباً بأى مظهر من مظاهر العنف ، كما انه استغرق بعض سنوات قليلة ، أجريت فيها محاولات لتحقيق نوع من التعايش المشترك بين الآتونية وغيرها من الديانات المصرية الأخرى .



وليس من الصواب أن نقدم تفسيراً للآثار التى أحدثتها الديانة الآتونية ، دون أن نضع فى الاعتبار الظروف والأحوال العقائدية التى سادت فى البلاد ، فى فترة ما قبل الثورة ، والفترة التالية لها .

وبالنسبة لفترة ما قبل الثورة ، عثر فى مقبرة «تحوتمس الأول» على أول اشارة إلى ما يسمى «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى THE BOOK OF AMDUAT» [1] وفيه إشارة واضحة إلى إله الشمس «رع» باعتباره «سيد قرص الشمس آتون LORD OF THE DISK OF ATEN» كما وجد نص يقول : «...إن آلهة الصباح تقوم فى كل يوم جديد برفع قرص الشمس ، لتظهره بالافق الشرقى للسماء» [صورة ٣٢] .

كذلك فقد جاء فى هذا الكتاب وصف لعملية «التحول الجسدى» للاله «رع» ، حيث يتخذ شكل كائن جديد وهو الجعل أو «الجعران» الذى يدفع أمامه قرص الشمس .

ويقول «أ. بيانكوف A. PIANKOFF» أن الأسلوب الذى كتب به «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» والأفكار التى يتضمنها ، مشابه تماماً للأسلوب والأفكار واللغة التى يتحدث بها «الموحدون» فى الديانة الآتونية . كما أن كلاً من «عقيدة التوحيد» و «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» قد تجاهل تماماً أية اشارة إلى الاله «آمون» .

ولذلك فإن «بيانكوف» يرى أن الديانة الآتونية لم تتحول إلى «ثورة» إلا بعد أن حدث الارتباط بينها وبين القوى الاجتماعية والسياسية التى تعاظم شأنها ، وأثرها فى المجتمع المصرى .

ونحن نؤيد ما ذهب إليه «بيانكوف» من أفكار واستنتاجات ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أحوال الصراع الاجتماعى الذى نشب بين طبقة العسكريين الجديدة ، وطبقة كهنة «آمون» ونبلاء طيبة ، فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر . فبينما كانت هذه الطبقة الأخيرة تستند فى قوتها إلى الانتماء إلى الاله «آمون» ، كانت الطبقة الأولى تستند إلى الاله «رع» — أو على الأقل فى صورته التى أنتهى إليها فى العقيدة الآتونية .

ولاشك أن هذا الصراع الدينى والأيديولوجى الذى نشب بين هاتين الطبقتين ، كان المظهر الخارجى للصراع الحقيقى بينهما بعناصره الاجتماعية والاقتصادية .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن النصوص الأدبية فى كل من الديانة الآتونية و «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» ، كانت امتيازاً خاصاً بالملك والطبقة الارستقراطية ، بينما كانت الطبقات والفئات الشعبية الأخرى ، التى اكتسبت حقوقها فى المساواة الدينية والعقائدية منذ فترة عصر الاضمحلال الأول بعد سقوط الدولة القديمة ، تدين بكثير من الأديان والعقائد الشعبية الأكثر شيوعاً ، وعلى الأخص ديانة ، «أوزيريس» .

وتدل الشواهد على أن جماهير الشعب المصرى قد وقفت إلى جانب كهنة «آمون» ، وساندتهم فى صراعهم المرير ضد الديانة الآتونية ، وما ترتب عليها من آثار حاقت بالاله «آمون» وبقية الالهة القدماء الذين عانوا من نفس الاضطهاد .

وقد استمر ظهور نفس الأفكار والمبادىء التى قام على أساسها «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» فى كتاب آخر هو «كتاب البوابات THE BOOK OF GATES» [٢] الذى أشير إليه لأول مرة فى مقبرة «حور محب» الملكية فى طيبة الغربية . وهذا الكتاب الأخير يتجاهل أيضا وجود الاله «آمون» .

والجدير بالملاحظة أن التركيز على ذكر «الطبيعة الخفية» للاله «رع» باعتباره القوة التى تتخفى خلف قرص الشمس ، يعتبر نوعاً من التوفيق بين هذه الفكرة النابعة من أيديولوجية هليوبوليس ، وبين الفكرة التى يقول بها كهنة «آمون» ، حول الطبيعة الخفية المتمثلة فى الاله «آمون» باعتباره «الاله الخفى» .

هذا ويعتبر «الرمز» الذى ورد فى «كتاب البوابات» عن كيفية انتقال «القوى الملكية» من الملك المتوفى إلى الملك الذى يخلفه على العرش ، فى غاية الأهمية ، خصوصاً إذا وضعنا فى الاعتبار الظروف السياسية المعاصرة لعملية ارتقاء «حور محب» عرش مصر ، حين لعب الجيش دوره الحاسم فى تاريخ البلاد .

ويرى «ليسكو C.H. LESKO» أن النصوص الواردة فى «كتاب البوابات» تؤكد من جديد حق الملك فى الفوز بالمركز المتفوق فى الحياة الآخرة ، وهو مركز يتيح له التفوق فى المعاملة على جميع من هم دونه من الناس . وبطبيعة الحال فإن هذا الاتجاه يناقض تماماً المبادىء الديموقراطية والمساواة بين جميع الناس فى الحياة الآخرة ، وهى المبادىء التى ورد ذكرها كثيراً فى «نصوص التوابيت COFFIN TEXTS» [٣] التى يرجع تاريخها إلى عصر «الدولة الوسطى» . ويقول «ليسكو» أيضا أن الملوك لم يعودوا إلى الاهتمام بتدوين «نصوص الأهرام» [٤] التى شاع استعمالها كثيراً منذ أواخر عصر «الدولة القديمة» .

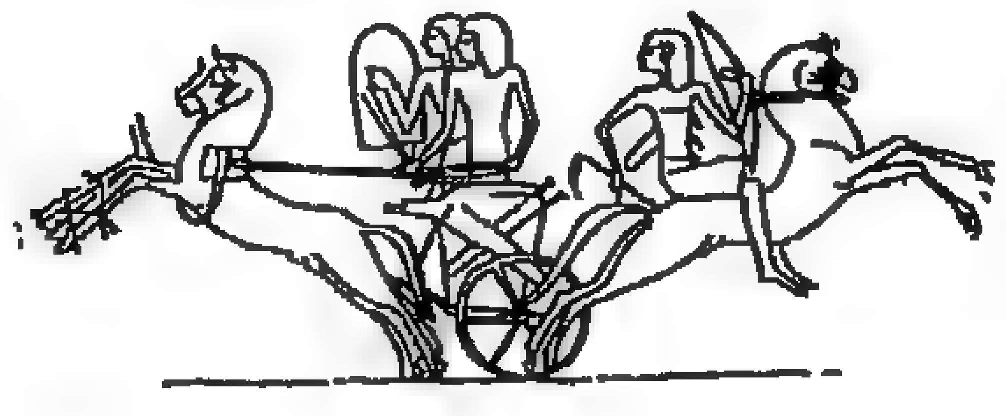
كما أن التركيز الواضح على الدور الذى كان يؤديه الاله «أوزيريس» فى العالم الآخر ، كما جاء فى «كتاب البوابات» ، يعتبر رد فعل طبيعياً للتهوين من شأن هذا الدور فى مفاهيم الديانة الآتونية التى بلغت قمتها فى خلال ثورة العمارنة .

ويلاحظ أن الموضوعات الدنيوية التى كانت تمثل الطابع العام للنصوص والمناظر المنقوشة على جدران مقابر النبلاء التى أقيمت فى خلال الفترة الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، قد بدأت بالتدريج تأخذ اتجاهاً دينياً يتعلق بالحياة الآخرة ، أكثر مما يتعرض لمناظر الحياة الدنيا التى كان يعيشها النبلاء أثناء حياتهم .

وهكذا تسللت العقائد والطقوس الشعبية التقليدية إلى فكر النخبة الممتازة من المثقفين المصريين ، وهذا ما يفسر لنا ظهور الكثير من الاشارات إلى المعتقدات الشعبية كعبادات الحيوانات ، أو الايمان بالقوى السحرية الكامنة فى التماثيل ، خصوصاً بالنسبة لمقابر النبلاء التى يرجع تاريخها إلى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وعلى هذا فيمكن القول بأن ارستقراطية الطبقة العسكرية الجديدة ، هى التى حملت لواء المعتقدات الشعبية التى دخلت فى الدين والعقيدة ، خصوصاً عندما قويت شوكة هذه الطبقة وتفوقها فى خلال فترة ما قبل ثورة العمارنة .

ومن الغريب أن هذه المعتقدات الشعبية التى أعتنقتها الطبقة العسكرية ذات النفوذ ، والتى ساندت الديانة الآتونية ، إنما تتعارض تماماً مع «عقيدة التوحيد» وتعاليم دين «آتون» التى لا تعترف بكل الديانات والعبادات الشعبية . وهذا الوضع فى حد ذاته ، يمثل أحد أوجه المتناقضات التى حفلت بها تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد ، كما يصور لنا إلى أى حد حدث الالتباس والاضطراب فى العقيدة التى كانت تعتنقها مختلف فئات الارستقراطية العسكرية الجديدة .



ومن الألقاب التى أطلقت على «أخناتون» اثناء حياته ، لقب «العائش فى الحقيقة» ، وهو لقب يساعدنا كثيراً فى فهم التجديدات التى أحدثتها ثورة العمارنة خصوصاً فى ابتكار «الأساليب الفنية» الجديدة . وقد لوحظ أن هذا اللقب لم يكن قاصراً

على «أخناتون» وحده ، بل أطلق أيضا على بعض الملوك الذين خلفوه على العرش ، مثل «توت عنخ آمون» . بل وأطلق أيضا على «رمسيس الثانى» وعلى «مرنبتاح MERENPTAH» (*) من ملوك الأسرة التاسعة عشر .

ولاشك فى أن هذا الاتجاه إلى التجديد فى الأساليب الفنية الذى تميز به عصر العمارنة ، والذى يقوم فى الأصل على فكرة المبالغة الشديدة التى تصل أحيانا إلى حد التحريف أو التشويه ، إنما يعتبر فى حقيقة الأمر طريقة للتعبير عن «حب الحقيقة» الذى كان يدعو إليه «أخناتون» [صورة ٣٣] .

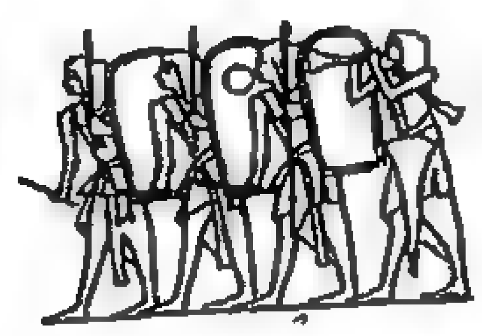
وبعد سقوط ثورة العمارنة ، حدث تغيير وتعديل فى تلك الأساليب الفنية الجديدة . إلا أن آثارها غير المباشرة تنعكس على الأساليب الفنية التى تميز بها عصر الرعامسة فيما بعد . وعلى سبيل المثال ، فإن المناظر التى تصور الحياة العسكرية والمعارك الحربية التى نقشت على الصروح الضخمة التى شيدت فى عصر الرعامسة ، إنما ترجع فى أصولها إلى مناظر مشابهة صورت فوق جدران بعض مقابر العمارنة .

أما التأثيرات المباشرة التى تركتها الأساليب الفنية الجديدة التى ظهرت فى عهد العمارنة ، فقد ظهرت بوضوح على ظهر «كرسى العرش» الخاص بالملك «توت عنخ آمون» حيث صور الملك وإلى جانبه الملكة «عنخ اسن آمون» تحت حماية قرص الشمس الذى تمتد منه أيادٍ بشرية ، كما يظهر خرطوشان يتضمنان اسميهما مصحوبا باسم الاله «آتون» [صورة ٣٤] .

ونلاحظ كذلك أن الرسوم المنقوشة على الوجه الخارجى للهيكل الثانى الذى كان يغطى مدفن الملك ، وكذلك الرسم الخاص بمركب الشمس المنقوش على الوجه الداخلى لهذا الهيكل ، قد رسمت كلها طبقا للأساليب الفنية الجديدة التى ظهرت فى العمارنة . كما أن سقف الهيكل الثالث يتضمن وصفاً مختصراً لقرص الشمس .

وبالرغم من هذا التأثر الواضح بالأساليب الفنية المستحدثة فى التعبير عن المناظر ذات الطبيعة الدينية فى بعض الآثار التى عثر عليها فى مقبرة «توت عنخ آمون» فإن نفس المقبرة تتضمن مناظر أخرى كثيرة مصورة بالإسلوب التقليدى للفن المصرى القديم ، وتعبر عن الطقوس والمراسم التقليدية التى أجريت فى الاحتفال بدفن الملك . وعلى سبيل المثال ذلك المنظر الذى يصور الملك «آى» باعتباره الملك الجديد ، وقد أخذ صورة الاله «حورس» وهو يقوم باداء طقوس عملية «فتح الفم OPENING OF THE MOUTH» (٦) لجثمان الملك المتوفى .

كذلك فقد لوحظ أن الآثار التى يرجع تاريخها إلى عهد «حور محب» قد ذكر فيها اسم «أخناتون» عشرة مرات .



ونحن نؤيد ما ذهب إليه «بيانكوف» من عدم وجود أية دلائل تشير إلى وقوع العداوة الحادة بين الاله «آمون» والاله «آتون» فى الفترة التى أعقبت سقوط «أخناتون» ، الأمر الذى يدل بالقطع على ضعف كهنة «آمون» وقلة نفوذهم .

وقد أصبحت كراهية الديانة الآتونية تشكل سياسة رسمية للدولة فى بداية عصر الرعامسة حين أصبح من الضرورى أن تتملق الدولة المشاعر والأحاسيس الدينية لجماهير الشعب ، بعد أن استعادت طبقة كهنة «آمون» ما كان لها من نفوذ غابر .

وفى عصر الرعامسة أيضا ، ظهرت بعض «قوائم الملوك» منقوشة على جدران بعض المعابد والمقابر بمنطقتى «أبيدوس» و «سقارة» ، أو مدونة ببعض البرديات مثل «بردية تورين» . وتدل هذه القوائم التى دونت بها اسماء الملوك القدماء الذين حكموا مصر ، على روح الاتجاه الذى ساد فى هذا العصر لتخليد الماضى ، وتعظيم التاريخ المصرى التليد .

وقد لوحظ على «قوائم الملوك» التى دونت فى عصر الرعامسة ، أنها أغفلت تماماً ذكر اسماء الملوك الذين تولوا عرش مصر فى فترة العمارنة وهم (أخناتون وسمنخ كا رع وتوت عنخ آمون وآى) وأنها بالتالى ذكرت «حور محب» كأول ملك يخلف «امنحتب الثالث» على العرش .

وفى رأيى أن الغرض الرئيسى من تدوين تلك القوائم فى عصر الرعامسة ، كان يهدف أولا وأخيراً إلى انعاش ذاكرة المصريين واعادة التعظيم والاجلال إلى ملوك مصر السابقين . ونشير فى هذا الخصوص إلى «حركة إحياء التراث المصرى القديم» التى تمت تحت اشراف الأمير «خع – إم – واس KHA EM WISE» الابن الأكبر «لرمسيس الثانى» والذى كان يتولى منصب «الكاهن الأكبر للاله بتاح» بمدينة منف .

ونشير كذلك إلى المواجهة التى جرت فى السنوات الأخيرة من عصر الأسرة الثامنة عشر ، بين طبقة العسكريين وطبقة نبلاء طيبة ، بكل ما كان فيها من صراعات وتناقضات ثقافية وعقائدية ، ساهمت إلى حد كبير فى اشعال حدة الأزمة . ولا يمكن إغفال الدور الحاسم النشيط الذى قامت به النخبة الممتازة من المثقفين الذين ينتمون إلى الطبقة العسكرية ، فى إحياء التراث الثقافى المصرى القديم .

ومن الطريف أن نذكر أن العديد من المناظر الواضحة للصراع الذى نشب بين الأفكار والفلسفات والعقائد الدينية ، تتجلى فى نصوص الأغانى الشعرية المعروفة بأغانى «عازف الهارب» [صورة ٣٥] .

وفى المقبرة رقم «٥٠» من مقابر طيبة ، الخاصة «بنفر حتب» نجد ثلاثاً من هذه الأغانى ، تتعارض نصوصها جميعا ، وتعبر كل واحدة منها عن اتجاه فلسفى أو عقائدى خاص . فبينما يعبر نص الأغنية الأولى عن مذهب «النزوع إلى الشك» فى مبادىء الدين الأساسية ، ويؤكد أن معرفة الحقيقة أمر غير مؤكد على وجه اليقين ، نجد أن النص الثانى يعبر عن لوم واضح لهؤلاء الذين لا يأخذون العالم الآخر مأخذ الجد ويسخرون مما يجرى فيه ، فى حين أن نص الأغنية الثالثة عبارة عن شعر تقليدى يعبر عن الايمان التقليدى بالمعتقدات الدينية المتعلقة بخلود الحياة الأبدية فى العالم الآخر .

وفى مقبرة «با آتون محب» التى بنيت فى عهد العمارنة ، نجد نصاً لأغنية «آنتف» الشهيرة التى تعبر عن «مذهب الشك» منقوشاً جنباً إلى جنب مع بعض الصور والمناظر التى يتضمنها الفصل رقم «١١٠» من «كتاب الموتى» مع الاشارة أيضا إلى الاله «آتون» .

ويشير «كاكوشى» أيضا إلى أن هذا التناقض الفكرى والعقائدى يظهر كذلك فى مقبرة أحد كبار كهنة «آمون» ، الذى عاش فى القرن الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد ، حيث كتب على جدران تلك المقبرة نصان لأغنيتين من أغانى عازف الهارب ، احداهما تعبر عن مذهب الشك ، والأخرى تعبر عن الاحترام التقليدى للدين .



وهكذا لم يعد «الموت» عبارة عن مجرد انتقال الانسان من الحياة الدنيا ودخوله إلى الحياة الأبدية . ولكن أصبحت فكرة الموت نفسها ، أكثر الأفكار إثارة للخوف والقلق .

وعلى سبيل المثال نذكر تلك المناظر والصور والنصوص المنقوشة على جدران المقبرة رقم «١٥٨» من مقابر طيبة ، الخاصة بـ «تا - نفر» والمأخوذه جميعها من «كتاب البوابات» . وفى رأيى أن تقديم مثل هذه الأفكار فى نصوص الأدب الجنائزى ذى الطابع الدينى ، يعتبر انعكاساً للسلبيات التى عكرت المزاج النفسى وصفو الروح المصرية ، والتى حدثت نتيجة للأحداث الدينية والسياسية الكبرى التى وقعت أثناء ثورة العمارنة وفى أعقابها .

لقد اختفت تلك الروح الشجاعة المملوءة بالتفاؤل والتى كانت تميز المناظر والنصوص المنقوشة على جدران مقابر النبلاء فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وحلت محلها روح قلقة ملتاعة ، تعبر عن المخاوف المهولة التى تمتلىء بها الحياة فى العالم الآخر ، حسبما تعبر عنه كآبة المناظر والصور والنصوص الجنائزية المنقوشة على جدران مقابر النبلاء فى فترة ما بعد سقوط ثورة العمارنة .

وفى هذا الخصوص نشير إلى الملاحظات الدقيقة التى ذكرها «السير آلان جاردنر» عن القيمة الفنية للاتجاه العام الذى ظهر على جدران المقابر فى عصر الأسرة التاسعة عشر بالنسبة للصور والنصوص الجنائزية . ويقول فى ذلك : «أن مقابر طيبة لم تعد تعرض المناظر البراقة المتفائلة التى تتضمنها مظاهر الحياة اليومية ، كما كان الحال بالنسبة لمقابر الأسرة الثامنة عشر ، بل أصبح التركيز على عرض المخاطر البشعة التى يواجهها المتوفى فى العالم الآخر . وأصبحت مناظر (محاكمة القلب) التى يقوم بها الاله (أوزيريس) ، ومناظر العقبات المخيفة الهائلة الواردة فى (كتاب البوابات) والتى تعترض الطريق الذى يجب أن يجتازه المتوفى فى رحلته الليلية فى العالم السفلى ، هى الصور والنصوص المفضلة لدى أصحاب المقابر التى بنيت فى عصر الأسرة التاسعة عشر» .

وثمة ملاحظة على جانب كبير من الأهمية تتعلق بالتحديد فى أسلوب «التصميم الهندسى» الذى اتبع فى بناء مقبرة «أخناتون» بالعمارنة ، وقد تبين أن هذا الأسلوب قد طبق كثيراً فى هندسة بناء المقابر الملكية التى بنيت فى خلال عصرى الأسرة التاسعة عشر والأسرة العشرين . وقد لوحظ أن هذه المقابر الأخيرة مصممة هندسياً على أساس محور يمتد مستقيما من أول مدخل المقبرة حتى آخر موضع فيها ، بينما كان التصميم الهندسى للمقابر الملكية الخاصة بملوك الأسرة الثامنة عشر ، يقوم على أساس تعدد المحاور التى تنحنى وتتداخل بزوايا قائمة ، فتتلوى بالتالى ممرات المقبرة حتى نصل إلى غرفة الدفن فى نهاية المقبرة ، فنجدها غارقة فى الظلام الذى يوحى بظلام العالم الآخر . أما اختيار «أخناتون» لأسلوب المحور المستقيم الذى يمتد من بداية مدخل المقبرة حتى غرفة الدفن ، فكان نتيجة منطقية للموقف الفلسفى «لأخناتون» الذى كان يرى أن إله الشمس هو رب الأحياء ورب الأموات أيضا . ولذلك فإن تصميم المقبرة على أساس المحور الممتد المستقيم يتيح لأشعة الشمس أن تدخل من مدخل المقبرة حتى تصل إلى غرفة الدفن فى آخر نقطة فيها . أما التصميم الهندسى على أساس المحاور المتعرجة بزوايا قائمة ، فلا يسمح لأشعة الشمس بالدخول إلى غرفة الدفن التى يشملها الظلام الدامس .

وفى النهاية نشير إلى انه بالرغم من وفرة الدراسات والمعلومات التى تم تحصيلها حتى الآن عن ثورة العمارنة والآثار العميقة التى احدثتها عقيدة التوحيد فى السلوك النفسى

واخلاقيات الشعب المصرى فى العصور التى تلت سقوط الثورة ، فإن هذه المعلومات مازالت غير كافية لالقاء الضوء على حقيقة تلك الأحداث ونتائجها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة .

ومازال الأمل كبيراً فى اجراء المزيد من الدراسات والتحليلات ، حتى نتعرف على وجه اليقين ، على كافة التأثيرات التى احدثتها عقيدة التوحيد ، التى نادت بها ثورة العمارنة ، على الحياة والأفكار الدينية بصفة عامة .



هوامش الجزء الثانى

هوامش الفصـل الأول

المبحث الأول

١ - الشوابتى أو الأوشابتى : هى (التماثيل المجسمة) أو (التماثيل المجيبة) . وهى عبارة عن تماثيل صغيرة كانت توضع فى مقبرة المتوفى على الاعتقاد بأنها تقوم بتلبية حاجياته فى العالم الآخر . وفى الدولة الوسطى كان يوضع تمثال اوشابتى واحد مع الميت . أما فى الدولة الحديثة فقد بلغ عدد التماثيل فى إحدى المقابر نحو ٧٠٠ تمثال . وكانت تصنع من الحجر أو الخشب أو البرونز أو الفيانس ، فى أشكال رائعة دقيقة الصنع . ومنها ما كان يصنع من الطين أو الطين المحروق .

٢ - هو والد الملكة «تى» زوجة امنحتب الثالث . أما زوجته هو فاسمها «تويا» وقد عثر على مقبرة يويا وتويا ، وهى مقبرة صغيرة بوادى الملوك . أصلة من أخميم . وكان كاهناً للاله مين ، وحمل لقب المشرف على خيول الملك (المركبات الحربية) وحمل أيضا لقب الأب الالهى .

٣ - راجع الهامش رقم (١٠) بالمبحث الثانى - الفصل الأول - الجزء الأول .

٤ - راجع الهامش رقم (٤) بالمبحث الأول - الفصل الأول - الجزء الأول .

٥ - له مقبرة بغرب طيبة (رقم ١٢٠) . وله تمثال معروض فى متحف تورين .

٦ - أحد أهم الهة مصر القديمة . إله منف وإله الخلق . وحامى الفنانين والحرفيين . وقد مثل على هيئة إنسان يقف على قاعدة داخل مقصورة . وكان يمثل الأب فى الثالوث المنفى ، فزوجته هى الالهة سخمت وابنه الاله نفر - أتوم .

المبحث الثانى

١ - نحاتان من مؤسسى المدرسة الفنية الحديثة التى عرفت باسم فن العمارنة . وعلى نصب تذكارى نحتاه فى صخور البر الشرق للنيل باسوان فى مواجهة جزيرة الفنتين سجل النحاتان قصة الأمر الملكى الذى أصدره لهما امنحتب الثالث ليشتركا فى عمل التمثالين الضخمين الشهيرين اللذين عرفا فيما بعد باسم «تمثالى ممنون» . وفى متحف برلين العربية تمثال نادر للفنان «بك» ومعه زوجته .

٢ – من آلهة التناسل والخلق ، على رأسه تاج له ريشتان . وكانت أخميم وقفط من أهم مراكز عبادته . ونظراً لأن قفط تعتبر المدخل إلى وادى الحمامات (الذى يقع بين قفط والقصير مجتازاً الصحراء الشرقية) فقد أصبح «مين» الهاً للصحراء الشرقية .

٣ – يعتبر هذا الأمير آخر امير ينتمى إلى الأسرة المالكة يتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، وهو المنصب الذى كان قاصراً على اولياء العهد . ثم انتقل المنصب بعد ذلك إلى طبقة العسكريين .

٤ – عددها ٣٧٩ رسالة ،مكتوبة على ألواح من الطين المحروق ومعظمها مكتوب بالخط المسمارى باللغة البابلية واثنتان منها باللغة الحيثية ، وواحدة بلغة ميتانى . وتشمل المراسلات التى تمت بين ملوك بابل وميتانى وأشور وخيتا ، وبين ملوك مصر امنحتب الثالث وأخناتون وتوت عنخ آمون . كما تشمل أيضا المراسلات التى تمت بين هؤلاء الملوك المصريين وأمراء سوريا وفلسطين . وللرسائل أهمية دبلوماسية تاريخية حضارية كبيرة .

٥ – يعتبر الحيثيون فرعاً من فروع الشعوب «الهندو – أوروبية» . وقد وفدوا إلى الأناضول فى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد . وكانت عاصمتهم «خاتو شاش» المعروفة حالياً باسم «بوغاز كوى» وهى تبعد نحو ٧٠ كيلو متراً شرق أنقرة بتركيا . ومن أعظم ملوكهم «خاتوسيل الأول» و «شوبيلوليوما» الذى مد نفوذه فى شمال سوريا وهدد «ميتانى» حوالى سنة ١٣٨٠ق.م. واستخدم الحيثيون لغتين هما : اللغة «النسيه NESITE» وهى لغة البيت المالك والطبقة الارستقراطية . واللغة «اللوفيه LUVITE» وهى لغة عامة الشعب . وكانت لهم مدن محصنة تحصينا قوياً ، ذات أسوار كبيرة وبوابات ضخمة . وقد مهروا فى الزراعة وتربية الحيوان ، واستغلوا المعادن ، وربما كانوا أول من عرفوا صناعة الحديد . وامتدت عناصر حضارتهم إلى ما وراء الأناضول فى شمال سوريا التى تأثرت بعض مدنها بتلك الحضارة وسقطت امبراطورية الحيثيين حوالى سنة ١٢٥٠ق.م وذلك إثر هجمة من هجمات شعوب البحر .

٦ – موقع أثرى خلف الجندل الثالث شرق دنقله . قام بتأسيسه امنحتب الثالث . وازدهر فى عصر الملك «طهرقا» وأصبح على درجة كبيرة من الأهمية فى عصر المروى ، إذ كان يتحتم على الملوك أن يقوموا بزيارته وهم فى طريقهم لاعتلاء العرش .

هوامش الفصل الثانى

المبحث الأول

١ – الاسم الذى يطلقه الأهالى بغرب الأقصر ، على الجبانة التى دفن بها ملوك الدولة الحديثة (وادى الملوك) . حيث كشف عن ٦٤ مقبرة منحوتة فى الصخر ، ضمنها مقبرة توت عنخ آمون بكنوزها الضخمة الشهيرة . ومن أجمل مقابر الجبانة المقابر الخاصة بامنحتب الثانى وحور محب وسيتى الأول ومرنبتاح ورمسيس الثالث والسادس والتاسع .

٢ – (١٣٥٠ ـــ ١٣٤٧ق.م.) وهو الملك الذى خلف اخناتون على العرش وتزوج ابنته مريت آمون ، وربما كانت مومياؤه هى التى عثر عليها فى المقبرة التى اعدت للملكة « تى » زوجة امنحتب الثالث .

٣ – حفظ لنا نشيد «آتون» الذى صاغه اخناتون شعراً فى كثير من مقابر تل العمارنة . وبالاضافة الى النص الكبير الشامل ، ورد النشيد فى بعض المقابر مكتوبا فى صيغة مختصرة .

المبحث الثانى

١ – كانت فى الأصل تمثل بالرخمة ، ثم مثلت فى هيئة أنثى . وهى زوجة الاله آمون وأم الاله خونستو . وهى بذلك تعتبر عضوا بالثالوث الطيبى . وقد عبدت فى اماكن كثيرة ، وكان لها معبد بالكرنك .

٢ – جزيرة بمجرى النيل أمام أسوان . كانت عاصمة المقاطعة الأولى للوجه القبلى . وحمل حكامهما لقب «حارس البوابة الجنوبية» الذى يتمشى مع دور الجزيرة كنقطة انطلاق للأعمال العسكرية والتجارية بالنوبة . وبها آثار عديدة ترجع إلى فترة تاريخية طويلة تمتد من عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر البيزنطى .

٣ – أحد ألقاب تحوتمس الأول (١٥٢٨ – ١٥١٠ ق.م راجع الهامش رقم (٤) بالمبحث الثانى – الفصل الثانى – الجزء الأول .

المبحث الثالث

١ – يرجع مفهوم هذه التسمية إلى روما القديمة حيث كان «البروليتارى» فى المجتمع الرومانى القديم هو الشخص المواطن الذى لا يملك شيئا ، وليس له دخل مضمون أو ثابت ، وتنحصر فائدته للدولة فى انجاب الذرية وزيادة العدد . أما النظرية الماركسية التى فصلها وتوسع فيها لينين ، فهى تقول أن انهيار النظام الاقطاعى أدى إلى ظهور طبقة معدمة من الفلاحين الذين اجبروا على بيع «عملهم» لقاء «الأجور» فى المراكز الصناعية . وهى تنادى

بأن «البروليتاريا» لابد أن تنتزع السلطة من الطبقة الرأسمالية ، وتحقق «دكتاتورية البروليتاريا» التى يجب أن تستمر فى الحكم إلى أن تحقق المجتمع اللاطبقى .

٢ – الزوجة الرئيسية للملك آى . وكانت مرضعة للملكة نفرتيتى . وهى غير الملكة «تى» الزوجة الرئيسية لامنحتب الثالث .

٣ – من أهم ملوك الحيثيين . وكان اعتلاؤه العرش (حوالى عام ١٣٨٠ق.م.) إيذاناً بانتهاء فترة ضعف مرت بها دولة الحيثيين . وقد صاحب والده الملك تود خالياش الثالث فى عدة حملات . وأغلب الظن أنه هو الذى شيد الحائط الضخم جنوب خاتوشاش العاصمة . حارب ميتانى وانقض على عاصمتها وتقدم إلى سوريا فى صراع مع النفوذ المصرى .

٤ - تقع شرق مدينة سوهاج . كانت عاصمة للمقاطعة التاسعة للوجه القبلى . لم يتبقى من آثارها سوى القليل ، وتوجد فى شمالها مقصورة صخرية بها نقوش للملك آى .

٥ - ورمزها يمثل بصقر فى مركب «عنتى nty» . وكانت عاصمتها «حوت نسو» - أى معبد الملك - وتقع جنوب الكوم الأحمر سوارس ، حيث يوجد معبد بطلمى ومقابر صخرية من عصر الدولة القديمة ، وحدها الشمالى بجوار قرية القيس وشمالاً حتى مركز ببا الحالى جنوب مدينة بنى سويف .

٦ - يمثل عادة برأس صقر وجسم انسان . ويمثل أحيانا فى شكل صقر . وكان الملك أو الفرعون يمثل الاله حورس كابن لأوزيريس وايزيس . وقد أتحد حورس مع الاله رع (رع - حور - آختى) . ويعتبر حورس من أقدم وأهم آلهة مصر القديمة . ومن صوره : حورس الأكبر ، وحربو قراط ، وحرماخيس . وقد عبد فى مناطق كثيرة أهمها إدفو .

٧ - منطقة إخميم .

٨ - (٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) وهو رابع ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وفى عصره هرب كثير من اليهود من فلسطين إلى مصر خوفا من الملك البابلى «نبوختنصر» . وقد أرسل إبريس مجموعة من الحملات العسكرية ضد صور وصيدا فى الشمال الشرق وضد ليبيا فى الغرب . وفى عصره التهب حماس المصريين ضد النفوذ اليونانى ، وانتهى ذلك بمقتل الملك إبريس واعتلاء أمازيس «أحمس الثانى» العرش بمعاونة المصريين .

٩ - سميت منذ القرن الماضى باسم مشتريها البريطانى هنرى وستكار . وتتضمن مجموعة من القصص التى استمع إليها الملك خوفو من ابنائه الذين كانوا يتلونها عليه . ونصوص البردية تعكس بعض جوانب التاريخ والحضارة المصرية القديمة ، مثل علاقة الآلهة بالبشر ، وكيفية انتقال الحكم من الأسرة الرابعة إلى الأسرة الخامسة ، وتقاليد القصر الملكى وأدب الحوار .

١٠ - كان كاجمنى وزيراً للملك «تتى» (أول ملوك الأسرة السادسة حوالى ٢٣٢٠ ق.م) . وقد بنى مصطبته شمال هرم مليكه بسقارة ، وتمتاز بجمال نقوشها ولاسيما مناظر الراقصات ومناظر الصيد فى أحراش الدلتا .

١١ - (٢٦٨٠ - ٢٦٥٦ ق.م) من أهم ملوك الأسرة الرابعة بالدولة القديمة . شيد هرمين بدهشور . أوفد اسطولاً مكوناً من ٤٠ سفينة لاحضار أخشاب الارز من لبنان . ارسل حملة عسكرية إلى بلاد النوبة وعدة حملات للتعدين إلى سيناء .

هوامش الفصل الثالث

المبحث الأول

١ – زوجة الملك حور محب . وربما كانت هى التى حملت فى العمارنة لقب «اخت الملكة» مما دعا بعض المؤرخين إلى اعتبارها أخت الملكة نفرتيتى . وفى الغالب تزوجها حور محب قبل أن يعتلى العرش . ولكن هناك رأى آخر يقول بأن الزواج قد تم بعد اعتلاء العرش .

هوامش الفصـل الرابع

المبحث الثانى

١ – ظهرت نصوص كتاب الموتى ى شكل برديات أو لفائف من الجلد ، مكتوبة بالهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية . وكانت توضع مع الميت فى صندوق ، أو تحشر فى لفائف المومياء . وهذه النصوص تعكس الكثير من المعتقدات المصرية القديمة عن العالم الآخر ، وتشمل مثلا قوائم من «التعاويذ» تكملها «مناظر الايضاح» . وكان يقرأها كاهن أثناء موكب الدفن . وتحوى على سبيل المثال عبارات تؤكد «حرية حركة الميت» . ويمكن تقسيم كتاب الموتى إلى فصول عديدة ، ويضم هذا الكتاب موضوعات مختلفة منها اناشيد تمجد الشمس ، والوسائل التى تكفل اتحاد الميت مع الاله أوزيريس ، وكسب جانب حراس البوابات فى العالم الآخر بندائهم باسمائهم .. الخ . وهناك تعاويذ تمنح الميت قلبا نقياً عند المحاكمة فى العالم الآخر ، وكل هذه الاحتياطات كانت ضرورية لحماية الميت فى العالم السفلى .

٢ – يمثل الاله جب فى هيئة انسان . وهو إله «الأرض» وزوج «موت» إلهة «السماء» ، وقد فصل عن السماء بواسطة «شو» إله الفضاء ، وكان يطلق على الملك لقب «وريث جب» .

٣ – تعنى «ماعت» فى الأصل «النظام» كأساس للعالم ولحياة البشر . وكانت لمبادىء ماعت أهمية قصوى لدى المصريين ، فالآلهة والبشر ولاسيما الملك «يعيشون على الماعت» . وقد نبعت الحاجة إلى نظام الملكية فى مصر

القديمة انطلاقا من أن الملك هو الشخص الوحيد الذى يدرك متطلبات «الماعت» ويستطيع بدوره توصيل ذلك إلى الآخرين .

٤ – تقع شمال وادى حلفا بالسودان وعثر بها على حصن يرجع تاريخه إلى عصر الدولة الوسطى ، ومقصورة يرجع تاريخها إلى بداية الدولة الحديثة للالهة «حتحور» ، وقد قام بتوسيعها كل من توت عنخ آمون ورمسيس الثانى . ولتوت عنخ آمون معبد آخر صغير قام بتشييده «حوى» نائب الملك فى النوبة الذى ربما كان مقيما فى «فرس» ، وبالمنطقة آثار عديدة أخرى ترجع إلى عصور مختلفة .

٥ – الاسم اللاتينى الذى أطلقه علماء المصريات فى القرن التاسع عشر على معبد رمسيس الثانى الجنازى بغرب طيبة . ويقع فى سفح هضبة الجبانة . وتدل بقاياه وآثاره على مدى ضخامة تماثيله ومنشآته المعمارية . وقد نقشت على حدرانه الكثير من المدونات المدنية والتاريخية ، كما نقشت مناظر كثيرة وبديعة عن معركة قادش . وقد عثر فى بعض المخازن والمنشآت الملحقة بالمعبد والمبنية من الطوب اللبن ، على مجموعة كبيرة من البرديات التى تعتبر من الوثائق التاريخية الهامة .

٦ – ابو سمبل : منطقة ببلاد النوبة تبعد بنحو ٢٨٠ كم جنوب أسوان . وبها معبدان منحوتان فى الصخر بناهما رمسيس الثانى . وقد خصص المعبد الأول «الأكبر» لعبادة الآلهة : رع حور آختى ، وبتاح ، وآمون رع ، ورمسيس الثانى بعد أن قام بتأليه نفسه . كما خصص المعبد الثانى «الأصغر» لعبادة الالهة حتحور ، وتكريما للملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى . وقد اكتشف المعبدين العالم السويسرى «يوهان لودفيج بورخاردت» لأول مرة فى سنة ١٨١٢ م ، ثم قام الايطالى «جيوفانى بلزونى» بازاحة الرمال التى كانت تغطى المعبد الكبير على مدى نحو ٣٠٠٠ سنة فحفظته بحالة جيدة ، إلى أن ظهرت التماثيل الأربعة الضخمة الشهيرة التى تمثل رمسيس الثانى جالساً ، والتى يبلغ ارتفاع كل منها نحو ٢٠ متراً . وللمعبد الكبير مدخل رائع ، وعلى أحد جوانبه سجل رمسيس الثانى قصة زواجه بابنة ملك «خيتا» التى تعتبر وثيقة هامة تسجل مظاهر وأوجه الحياة الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة آنئذ . وقد حفر المعبد نفسه فى عمق الصخر بنحو ٥٥ مترا ، وبه صالة رئيسية على جانبيها ٨ تماثيل لرمسيس الثانى فى هيئة أوزيريس ، بالاضافة إلى العديد من الحجرات ذات الجدران العالية والسقوف المرتفعه ، وتزدان بنقوش تصور الملك وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية ، ومناظر أخرى من معركة قادش وغيرها من المعارك الحربية المظفرة التى قادها الملك فى زمانه . أما المعبد الثانى فلا يبعد كثيراً عن المعبد الكبير ، وتقف على واجهته ستة تماثيل ضخمة يرتفع كل منها نحو عشرة أمتار ، منها تمثالان للملكة نفرتارى والتماثيل الأربعة الأخرى لزوجها رمسيس الثانى .

٧ – شمال مركز فاقوس بشرق الدلتا ، راجع الهامش رقم (٤) فى المبحث الثانى – الفصل الأول الجزء الثالث .

المبحث الثالث

١ – ويتضمن مجموعة من النصوص تصف تصور المصرى القديم للعالم الآخر والكائنات التى به ودورها . وهو يزود الميت بمعلومات عما يحدث فى العالم السفلى بعد غروب الشمس . والنصوص والمناظر مقسمه إلى اثنى عشر جزءاً تمثل ساعات الليل الاثنتى عشرة ، وموزعة طبقا للجهات الأصلية الأربع . ومن أمثلة ذلك وصف رحلة الشمس الليلية والحديث عن الحية الحامية ، والانتصار على عدو الشمس اللدود أبوفيس . وقد ازدانت مقابر ملوك الدولة الحديثة بهذه المناظر والنصوص ، ونجد أكملها فى مقابر تحوتمس الثالث وامنحتب الثانى وامنحتب الثالث .

٢ – يعتبر من الكتب التى تعكس تصور المصريين القدماء للعالم الآخر . ويصف الطريق الذى يسلكه إله الشمس فى رحلته الليلية من الغرب إلى الشرق فى العالم الآخر . ويركز على «البوابات» التى يحرسها الجان والحيات التى تنفث النيران . وهناك تفاصيل أخرى مثل تصوير قاعة المحاكمة وميزان العدالة ، حيث الاله أوزيريس ، أو بزوغ

الشمس من المياه الأزلية . وقد ازدانت مقابر ملوك الدولة الحديثة بمناظر من «كتاب البوابات» وصورت أجزاء كثيرة منه فى مقبرة الملك حور محب ، إلا أن بعض المناظر صورت أيضا فى مقابر غير ملكية مثل مقبرة سننموت من عصر حتشبسوت .

٣ – نصوص تكتب عادة على جوانب التوابيت الخشبية بالخط الهيراطيقى ، وجزء منها مستقى من نصوص الأهرام بعد اجراء بعض التعديلات ، وفى نفس الوقت انتقلت أجزاء كثيرة من نصوص التوابيت إلى كتاب الموتى بعد كثير من الاضافات والتغييرات ، وتعالج نصوص التوابيت موضوعات شتى ، فمن الأشكال المختلفة للخير وأقوال الآلهة ، إلى نصوص السحر التى يراد بها منفعة المتوفى . وعادة ما تذكر النصوص على لسان المتوفى كمتكلم .

٤ – مجموعة صيغ قصيرة كانت أصلاً مستقلة عن بعضها ، هدفها منفعة الملك فى العالم الآخر ، وأقدمها وجد فى هرم ونيس (أوناس) بسقارة ، وهو آخر ملوك الأسرة الخامسة . قد استمر تدوين هذه النصوص فى أهرام ملوك الأسرة السادسة ، كما دونت أيضا فى بعض أهرام الملكات . وقد وصلت إلينا من هذه النصوص أكثر من سبعمائة تعويذه ، احتفى بعضها بتطهير الملك الميت وتقديم القرابين إليه وحمايته من الجوع . وبعضها نصوص سحرية ضد الحيوانات الشريرة ، وبعضها يهدف إلى ضمان تجوال سعيد للملك فى العالم الآخر وصعوده إلى السماء .

٥ – ابن رمسيس الثانى . راجع الهامش رقم (٥) بالمبحث الثالث – الفصل الأول – الجزء الثالث .

٦ – طقوس الغرض منها أن تدب الحياة فى التماثيل أو الصور أو المومياوات ، وهناك بعض الاشارات إلى إقامة شعيرة فتح الفم فى الدولة القديمة ، ولدينا خمسة وسبعون منظراً تصاحبها النصوص الخاصة بشعائر فتح الفم ، يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر وحتى القرن الثانى بعد الميلاد . وكان الكاهن المرتل يلعب دوراً هاماً فى طقوس فتح الفم .

الجزء الثالث

الامبراطورية المصرية فى عصر الرعامسة

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول

إعادة تنظيم الامبراطورية

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : ارتقاء رمسيس الأول عرش مصر .
المبحث الثانى : الشئون الخارجية .
المبحث الثالث : ملاحظات حول معركة قادش .
المبحث الرابع : التحصينات العسكرية المصرية على طول الشاطىء .

المبحث الأول

ارتقاء رمسيس الأول عرش مصر

لا جدال فى أن ارتقاء اللواء «بارعمسيس» عرش مصر ، يؤكد مرة أخرى استقرار نظام الحكم العسكرى ، بعد أن وصل كبار قادة الجيش إلى ذروة سيطرتهم على كل ميادين النشاط بالدولة ، وأصبحوا يسيطرون على القطاع الكهنوتى ، كما أن مصير العرش الملكى قد أصبح فى أيديهم بصفة نهائية .

وتدل «لوحة الأربعمائة سنة» الشهيرة ، التى عثرعليها فى «تانيس TANIS» [1] ، على أن «بارعمسيس» كان ينتمى إلى أسرة عسكرية محترفة ، خدم أعضاؤها ، ومنهم «بارعمسيس» نفسه ، كضباط مقاتلين فى الجيش المصرى .

وهذا المنشأ الاجتماعى يماثل تماماً منشأ «حور محب» الذى كان يعتبر بدوره سليل أسرة عسكرية ترجع إلى أيام حكم «تحوتمس الرابع» . كما يماثل أيضا منشأ «آى» الذى كان ينتمى إلى أسرة عسكرية نشأت فى «اخميم» بصعيد مصر .

ويلاحظ أن هؤلاء الثلاثة (آى ، وحور محب ، وبارعمسيس) قد جمعوا بين منصب الوزارة إلى جانب اضطلاعهم بمهام مناصبهم العسكرية ، وهو تقليد يرجع إلى عهد «امنحوتب الثالث» حين تولى «رعموزا» منصب الوزارة . وعلاوة على ذلك فانهم جميعا كانوا قد شغلوا منصب «كاتب التجنيد» وكانوا يعتبرون من المثقفين الذين ينتمون إلى الصفوة الممتازة من طبقة العسكريين .

وقد عين «بارعمسيس» نائباً للملك فى عهد «حور محب» . وهو نفس المنصب الذى شغله من قبل كل من «حور محب» و «آى» . وقد رأينا أن هذا المنصب كان يتضمن كل عناصر السلطة والنفوذ ، التى كان العسكريون السابقون الذين شغلوا منصب «مر – بر – ور» يكافحون للحصول عليها بطريقة غير قانونية ، وذلك من خلال فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وقد عثر بالكرنك على تمثالين يصوران «بارعمسيس» فى هيئة الكاتب المصرى ، وقد حفرت عليها ألقابه الكهنوتية جنباً إلى جنب مع رتبه وألقابه العسكرية ، وأهمها لقب «قائد جيش سيد الأرضين» .

وعندما تولى «بارعمسيس» عرش مصر ، أسقطت أداة التعريف من اسمه ، وأصبح يعرف باسم «رمسيس الأول» [صورة ٣٦] . وكان آنئذ متقدماً فى السن ، فلم يستمر حكمه إلا عاماً واحداً أو أكثر قليلا . ومع ذلك فإن انتقال العرش بطريقة هادئة إلى ابنه «سيتى الأول» [٢] – وكان بدوره ضابطا مقاتلاً – يدل على مدى النفوذ الاجتماعى والسياسى الذى أصبح يتمتع به بالفعل القادة العسكريون .

ولقد كانت صفات «حور محب» كجندى محارب – رغم أنها لم تظهر فى أى نصر عسكرى كبير – ضرورية له حتى يتمكن من تنفيذ خططه الشهيرة فى الاصلاح الادارى ، ووضع أسس حكم سلمى طويل . وهناك نص يشير إلى «حور محب» بهذه العبارة : «**أنظر .. إن جلالته يقضى كل الوقت فى العمل على رخاء مصر ...**» .

وبعد استقرار الأوضاع بالبلاد على هذا النحو ، أصبح من الضرورى على ملوك الأسرة التاسعة عشر ، أن يعيدوا ترتيب الأوضاع فى الجبهة الداخلية بالبلاد حتى يتمكنوا من أحياء سياسة الفتوحات الامبراطورية فى الشرق . وبهذا أصبح من المقدر على «سيتى الأول» أن يستخدم مواهبه العسكرية كضابط مقاتل ، فى إعادة سياسة الفتوحات العسكرية من جديد ، الأمر الذى يدل على أن المغامرات العسكرية والاصلاحات السلمية على السواء ، كانت بحاجة إلى مواهب ومؤهلات العسكريين [صورة ٣٧] .

المبحث الثانى

الشئون الخارجية

سنتناول فى دراستنا للشئون الخارجية ، علاقة مصر بالأقاليم الآسيوية من امبراطوريتها السابقة ، وكذلك علاقتها بالامبراطورية الحيثية الجديدة ، التى قفزت إلى مسرح التاريخ كقوة عسكرية كبيرة منذ أيام العمارنة ، وأثرت على نحو خطير فى التوازن الاستراتيجى للعالم القديم .

أما فى النوبة ، فإن سياسة التمصير مضت بنجاح متواصل ، ولم تتوقف النوبة عن أن تكون مصدراً هاماً للقوة البشرية بالنسبة للجيش الامبراطورى المصرى ، كما استمرت فى إمداد مصر ، بعديد من المواد الاقتصادية الافريقية والنوبية الثمينة ، ولاسيما الذهب ، وذلك حتى فى خلال أحرج الأوقات اثناء أزمة العمارنة .

وتتضمن «رسائل العمارنة» (1) المراسلات الدولية التى تمت فى عهد كل من «امنحتب الثالث» و «أخناتون» – ومن المحتمل أيضا – فى عهد «توت عنخ آمون» .

وتمدنا هذه الرسائل بمعلومات كثيرة عن التدهور التدريجى للاوضاع بالممتلكات المصرية فى سوريا حيث حدثت تغيرات عميقة فى الجغرافيا السياسية للأقاليم السورية ، نتيجة للنشاط العسكرى والدبلوماسى للملك «شوبيلوليوما» (ملك الحيثيين) ضد الدويلات الصغيرة فى شمال سوريا . وكانت هذه التطورات معاصرة لفترة العمارنة ، حين أصبحت مناطق نفوذ الحيثيين فى سوريا تقوم أساساً على حساب المصالح الأستراتيجية لكل من دولتى مصر وميتانى .

وقد أدى اختفاء دولة ميتانى كقوة كبرى فى الشرق الأدنى إلى تجريد مصر من حليف قوى ، فى أواخر حكم «أخناتون» ، وتسبب فى مزيد من التدهور .

ونعرف من «حوليات شوبيلوليوما» التى سجل فيها تاريخه ، أن رد الفعل المصرى حدث فى نهاية حكم «توت عنخ آمون» أو على الأرجح فى أيام حكم «آى» ، حين هاجم المصريون «أيتاكاما AITAKAMA» – وهى محمية حيثية بمنطقة «قادش KADESH» . ورد «شوبيلوليوما» بهجوم خاطف على المصريين فى منطقة «أمكا AMKA»واحتل «قرقميش KARKEMISH» .

ومن المحتمل أن تكون الاشارة المصرية إلى هذه المعركة ، هى ما سجلته مقبرة «حور محب» فى منف ، حيث صور وهو يستعرض أسرى الحرب الحيثيين . كما ترتبط بهذه الأحداث أيضا الاشارة إلى انشاء مستوطنة لأسرى الحرب الحيثيين بالقرب من منف فى زمن حكم «آى» . ومما له دلالة كبيرة فى هذا الصدد ، استخدام «آى» للقب **«الذى أوقع الهزيمة بآسيا»** وكان بذلك أول ملك مصرى ، منذ أيام «امنحتب الثالث» يستخدم هذا اللقب .

وتذكر سجلات الحيثيين حدوث وباء كاسح ، انتشر فى كل أنحاء الشرق الأدنى ، الأمر الذى أدى إلى تجميد مؤقت للخطر الحيثى بعد اعتلاء «حور محب» عرش مصر ، مما اعطاه فرصة تاريخية ليبدأ اصلاحاته الاقتصادية والادارية ، التى جعلته ذا شهرة واسعة فى التاريخ المصرى . وفى نفس الوقت كان الصراع المرير بين الدويلات الصغيرة فى سوريا وفلسطين مستمراً . كما لم ينقطع البدو «الخابيرو HAPIRU» [٢] عن إثارة المتاعب العسكرية والسياسية فى كل المنطقة التى تفصل مصر عن الحيثيين فى آسيا .

ويمكننا أن نقول أن الخسائر الثقيلة التى منيت بها الامبراطورية المصرية فى آسيا ، لاترجع إلى ظهور الخطر الحيثى ، بقدر ما ترجع إلى عدم الاستقرار الداخلى والتدهور العام للامبراطورية المصرية التى ظهرت بوادره فى نهاية الأسرة الثامنة عشر ، وبدت مظاهره واضحة قرابة نهاية عصر الأسرة التاسعة عشر .

ومع ذلك فإن المد الذى احرزته القوة الحيثية فى سوريا قرابة النصف الثانى من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أرغم مصر على انتهاج استراتيجية الدفاع كبديل وحيد أمام قادتها العسكريين .

ومن المحتمل أن يكون «شوبيلوليوما» قد مات اثناء وباء الطاعون الذى اجتاح الشرق الأدنى ، وخلفه ابنه «مورشيلى MURSHILI» ، الذى عاصر حكمه عهد «حور محب» وامتد فى الغالب حتى نحو السنة الخامسة من حكم «رمسيس الثانى» .

ومما لاشك فيه أن اعادة تنظيم الشئون الداخلية فى مصر ، خلال حكم «حور محب» الطويل ، قد أمد الضباط الفاتحين الذين أسسوا الأسرة التاسعة عشر ، بجبهة داخلية قوية ، كانت ضرورية لانعاش استراتيجية مصر التوسعية فى الشرق .



وقد رفع «سيتى الأول» شعار «إعادة الميلاد» بمعنى «النهضة RENAISSANCE» . وأشار إليه فى السجل السنوى الخاص باحداث السنتين الأولى والثانية من حكمه ، كما أشار إليه أيضا باسمه الحورسى [٣] . الأمر الذى يدل على أنه كان ينظر إلى نفسه كحاكم مكرس لاعادة هيبة مصر التى تدهورت منذ فترة العمارنة .

كذلك فلم تكن الحملة التى قام بها «سيتى الأول» فى السنة الأولى من حكمه ، موجهة ضد الحيثيين مباشرة ، بقدر ما كانت تهدف بصفة رئيسية إلى ضمان أمن مصر ، ضد أى خطر محتمل فى فلسطين ، وفرض السيطرة على الطرق الاستراتيجية والتجارية مع لبنان وماوراء لبنان .

ويقدم النصب التذكارى الذى أقيم فى «بيسان BEISAN» ، والذى يتضمن سجلاً بأحداث العام الأول من حكم «سيتى الأول» صورة واضحة لاتجاه العمليات الحربية ، فنجد أن «فرقة آمون» قد وجهت صوب حماه ، وأن «فرقة رع» كانت معسكرة فى

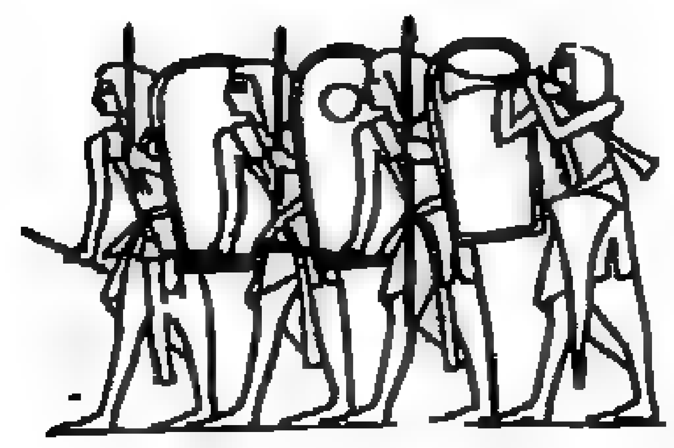
بيسان (وهى مركز عسكرى مصرى منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد) . أما «فرقة ست» فكانت مكلفة بصد أى هجوم مضاد من الحيثيين ، يحتمل أن يأتى من جهة الشمال .

ونعرف من نقوش الكرنك ، أن «سيتى الأول» فى السنة الثانية من حكمه ، استأنف عملياته الحربية فى اتجاه الشمال . فهاجم «قادش» ، المدينة الاستراتيجية الهامة على نهر «العاصى ORONTES» . ونجح فى إعادة فتح الطرق المؤدية إلى وادى العاصى الأعلى .

ثم قام «سيتى الأول» بحملة ثالثة ضد جيش الحيثيين ، أكدت على الأقل سيطرته على «كانتا QANTA» و «تونيب TUNIP» ونتيجة لذلك ، فمن المحتمل أن تكون قد وقعت «معاهدة» بين «سيتى الأول» والحيثيين ، تم فيها الاعتراف بمناطق النفوذ المصرى جنوبى «قادش» .

وكان بناء عاصمة جديدة باسم «بر – رمسيس PER - RAMSSES» (مكان تانيس أو ربما فى مكان قنطير QANTIR) – وهى المدينة التى ورد ذكرها فى التوراة [٤] – ضرورة استراتيجية بالنسبة «لرمسيس الثانى» الذى كان يهدف ، مثل أبيه ، إلى احياء الامبراطورية المصرية فى آسيا [صورة ٣٨] .

ولتحقيق هذا الهدف كان من المحتم شن هجوم كبير على الحيثيين . وفى العام الرابع من حكمه ، تحرك «رمسيس الثانى» للقيام بعمل عسكرى فى سوريا ، إذ يشير نص عن أحداث العام الرابع ، نقش على نصب تذكارى أقيم عند «نهر الكلب» بالقرب من بيروت ، إلى حملة عسكرية لا نعرف كثيرا عن تفاصيلها بسبب التشوه الشديد الذى حدث بالنقوش .



المبحث الثالث

ملاحظات حول معركة قادش

نظراً لما تتمتع به معركة قادش من أهمية بالغة ، باعتبارها نقطة تحول فى الموقف السياسى الجديد فى الشرق الأدنى ، وقمة للفن الحربى فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، فانها تستحق أن نكرس لها عدة صفحات بهدف توضيح بعض النقاط المتعلقة بمغزاها العسكرى .

من الجدير بالذكر أن المنجزات التى حققها النشاط العسكرى «لسيتى الأول» فى سوريا ، كان لها أثر مباشر عشية معركة قادش ، فإن ملك بلاد «امورو AMURRU» (١) بشمال سوريا ، فضل أن ينحاز إلى جانب القوات المصرية ، فى المعركة التى نشبت بالقرب من «قادش» فى وادى نهر العاصى ، فى العام الخامس من حكم «رمسيس الثانى» .

وقد كانت القوات التى استخدمت فى معركة قادش كبيرة العدد ، بحيث تعطينا شعوراً وتصوراً لما سبق المعركة من «التعبئة الوطنية» فى كل من الجانبين المتحاربين .

وقد شاركت فى المعركة عشرون ولاية على الأقل من الولايات والمحميات التابعة للحيثيين فى مناطق آسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأيونى ، وكانت قواتها جميعاً تحت قيادة «مواتاليش MUWATALLIS» .

وتقدر المصادر المصرية أن الموجة الأولى من الهجوم الذى شنه سلاح المركبات الحربية لجيش الحيثيين ، قد شاركت فيها «٢٥٠٠» مركبة حربية . كما اشتركت فى الموجة الثانية «١٠٠٠» مركبة حربية . ويقدر «شتورم J. STURM» أن عدد «المشاة» الحيثيين كان

يتراوح مابين ١٦ ألفاً و ١٨ ألف جندى . بالاضافة إلى «٣٥٠٠» مركبة حربية بينما يقدر «سير آلان جاردنر» عدد جنود المشاة الحيثيين بنحو ٣٧ ألفا ..

أما القوات المصرية فكانت تتكون من أربع فرق ، كل منها يحمل اسم إله من آلهة المصريين الرئيسيين وهم : (رع . آمون . بتاح . ست) . ويبلغ عدد قوات هذه الفرق نحو ٢٠ ألف محارب ، باعتبار أن كل فرقة كانت تتكون من خمسة آلاف جندى ، طبقا للتنظيم المعهود الذى كان معمولاً به فى تكوين الفرق والوحدات العسكرية فى عصر الرعامسة .

وإذا وضعنا فى الاعتبار «القوات الخاصة» التى كانت تعسكر فى بلاد «أمورو» والتى عبرت نهر «إيلوثيروس ELEUTHEROS» لتنضم إلى الجيش المصرى ، بالاضافة إلى الوحدات الأخرى التى كانت معسكرة فى المراكز العسكرية المصرية بمناطق فلسطين وسوريا ، وكذلك القوات المصرية التى كانت تلازم مؤخرة الجيش المصرى لحمايته من أى غارة أو هجوم يقوم به «البدو» اثناء تقدم القوات إلى قادش ، فإن العدد الكلى للقوات المصرية ربما يفوق بكثير العشرين ألفاً . وهو تقدير قال به كل من «كريستوف L.A. CHRISTOPHE» و «برستد J . H . BREASTED» .

وقد سجلت معركة قادش عدة مرات ، وبروايات مختلفة ، فى المصادر المصرية ، مما يعكس الأهمية التى كان ينظر بها المصريون إلى اهدافها الاستراتيجية . فقد كانت المشكلة الكبرى المتعلقة باحياء الامبراطورية المصرية فى آسيا ، والتى تأجلت رغم إرادة المصريين منذ أزمة العمارنة ، لايمكن ان تحل – فى نظر حكام مصر العسكريين ، إلا عن طريق حشد الامكانيات القومية المصرية على نحو هجومى .

ولذلك فقد كان هدف الخطة المصرية ، هو القضاء على قوة الحيثيين بهجوم مفاجىء ، يتم فيه الاستيلاء على قادش ، وهى المركز الاستراتيجى بالقرب من مخرج «وادى البقاع» بين لبنان وسوريا . وتدل على ذلك السرعة الهائلة التى تقدمت بها الجيوش المصرية ، حيث وصلت إلى التلال المشرفة على قادش بعد شهر واحد من عبورها حدود مصر الشرقية عند منطقة «سيلا SILE» [خريطة ٢] .

وفى اعتقادى أن الخطط الاستراتيجية المصرية كانت دقيقة بصفة عامة ، فى خطوطها العريضة ، حتى من وجهة نظر الفكر العسكرى الحديث ، فلم يكن هناك بديل آخر للتقدم الاستراتيجى إلى ميدان المعركة ، حيث كان على الجيش أن يجتاز وادى البقاع ، ليتجنب الطريق الساحلى الضيق الذى تعترضه مصبات الأنهار على طول الشاطىء الفينيقى .

أما الفكرة التى قال بها «شتورم» و «فولكنر R . O . FAULKNER» بأن القوات المصرية قد وصلت إلى وادى نهر العاصى عن طريق ممر قديم يقطع لبنان على طول خط الساحل متجنباً وادى الليطانى ، فإنها لاتتفق مع مواقع الفرق المصرية عشية المعركة ، طبقا للتصور الذى قدمه «إيديل E . EDEL» . وهو التصور الذى أصبح مقبولاً بوجه عام فى خطوطه الرئيسية .

وإذا افترضنا أن الفكرة التى قال بها «شتورم» كانت صحيحة ، فإن معنى ذلك أن إرسال تعزيزات من «القوات الخاصة»إلى شاطىء «أمورو» – ومن المحتمل أن يكون ذلك قد تم عن طريق البحر فى شكل عملية برمائية – يصبح مجرداً من أى مغزى استراتيجى . فما دام أن هناك طريقاً معبدا ، فسوف تنتفى الحاجة إلى العملية البحرية . وبالاضافة إلى ذلك فإن هذا التحرك كان من شأنه أن يعرض ميمنة القوات المصرية لأية غارات أو هجمات محتملة من جانب البدو المحليين ذوى الروح العدائية ، بينما الحال كان على العكس من ذلك ، حيث كانت جنبات ميمنة القوات المصرية محمية بغابات «را – ب – وى RA - B' - WI» التى تمتد حتى منطقة «شبتونا SABTUNA» على بعد نحو ١٠ كيلو مترات جنوبى قادش . وقد أيد «ويلسون J. WILSON» وجهة النظر القائلة بأن وصول القوات المصرية إلى وادى نهر العاصى قد تم خلال وادى الليطانى .

أما «مواتاليش» فقد تقدم بقواته جنوباً حتى مشارف قادش . واحتل بلاد «أمورو» . فجرد بذلك «رمسيس الثانى» من هذه الأرض الصديقة فى مؤخرة قواته ، وحرمه كذلك من المساعدة العسكرية الكاملة من حليفه «بنتشينا BENTESINA» ملك الأموريين .

وجمع «مواتاليش» قواته الرئيسية إلى الشرق من تل «نبيمند NEBIMEND» الذى تقوم عليه قادش ، واستخدم نهر العاصى كخط دفاع طبيعى ، مما اعطى ملك الحيثيين ميزة التحرك فى الوقت المناسب ، وطبقا لتطورات العمليات فى ميدان المعركة ، من تكتيكات الدفاع إلى الهجوم أو بالعكس . وهذه المرونة التكتيكية التى استخدمها «مواتاليش» مكنته من أخذ المبادرة فى اختيار أرض المعركة ، وكذلك تحديد موعد بدئها .



ان عدم مقدرة قوات الاستطلاع والتجسس المصرية على تحديد مواقع العدو تحديداً دقيقا ،أمر لا يمكن مغفرته ولا يمكن تفسيره ، حتى فى ضوء الثقة البالغة بالنفس التى كان يشعر بها الفرعون الشاب «رمسيس الثانى» .

وحتى المعلومات التى انتزعت من الجاسوسين الحيثيين عن المواقع الجديدة للقوات الحيثية وحلفائها شرق قادش ، فقد أمكن الحصول عليها فقط بعد أن عبرت فرقة «آمون» بقيادة «رمسيس الثانى» مخاضة نهر العاصى ، وعسكرت على مسافة بضعة كيلو مترات إلى الشمال الغربى من قادش حيث تتمركز القوات الحيثية الضاربة . وكان الوقت متأخراً جداً بكل المعايير بالنسبة للمصريين لأن يدخلوا أية تعديلات على مواقع فرقهم [صورة ٣٩] .

ولذلك فقد شن الحيثيون أول موجة قوية من الهجوم بواسطة المركبات الحربية فى اتجاه الجنوب ، على فرقة «رع» وهى تتقدم شمالاً وأثناء عبورها نهر «شبتونا» . وهذا الهجوم الخطير غير المتوقع ، كان من الممكن أن ينتهى بكارثة للجيش المصرى ، لولا ثلاثة عوامل منعت تعرض الموقف العسكرى المصرى للتدهور الكامل .

أول هذه العوامل كان ذا طبيعة استراتيجية : فإن فرقتى «بتاح» و «ست» اللتين كانتا تضمان نصف القوة الضاربة للجيش المصرى ، كانتا لا تزالان فى طريقهما نحو مسرح العمليات الحربية . وفور وصول المعلومات الصحيحة عن المواقع الحقيقية لقوات الحيثيين ، إلى القيادة العامة للقوات المصرية حين كانت فى منطقة الشمال الغربى من قادش ،

أرسل «رمسيس الثانى» وزيره على عجل إلى الجنوب لتنظيم تدخل هاتين الفرقتين فى القتال . وهكذا فإن ما بدا فى أول الأمر كخسارة تكتيكية ، نتيجة لغياب فرقتى «بتاح» و «ست» عن أرض المعركة ، لم يلبث أن ثبت أنه كان ميزة استراتيجية حاسمة [خريطة ٣]

ومن الواضح أن ملك الحيثيين الماهر ، قد أدرك أنه ليس فى موقف يمكنه من استخدام كل قوته الضاربة فى الموجة الأولى من الهجوم ضد فرقة «رع» على طول نهر العاصى . ولذلك فعندما شاهد الموقف الاستراتيجى للجيش المصرى وقواته الاحتياطية الجديدة الضخمة فى الجنوب ، لم يستطع أن يهجم بكل مركباته الحربية ، واضطر إلى ابقاء احتياطييه خارج المعركة .

ثم قام ملك الحيثيين باستخدام هذا الاحتياطى من المركبات الحربية فى هجومه الثانى ، عندما بدأ الهجوم المضاد المنظم لرمسيس الثانى ضد الجناح الشرقى الهزيل للمركبات الحربية المعادية على طول النهر ، يأتى بنتائج حاسمة .

ولكن بعد الالقاء بكل قوات الاحتياطى من المركبات الحيثية فى القتال الفعلى ، وبعد وصول فرقة «بتاح» إلى ميدان القتال فى نفس ليلة المعركة ، أدرك «مواتاليش» بوضوح أنه فقد آخر فرصة فى احراز نصر حاسم . ولذلك فقد أمر بسحب مركباته إلى مدينة قادش .

أما العامل الثانى الذى أخل بالخطط التكتيكية للحيثيين ، فكان وصول التعزيزات ، التى ربما كانت قد نقلت بطريق البحر وهبطت على شاطىء «أمورو» ، وهى نجدة من شباب «نع – رو – نا N - RU - NA» وصلت إلى ميدان المعركة تحت إمرة ضباط مصريين ، قادمة من الشمال عبر وادى «اليوثيروس» وشاركت فوراً فى الهجوم المصرى المضاد الذى قاده «رمسيس الثانى» بنفسه ، مما أدى إلى منع المركبات الحيثية من الاستفادة بنصرها المؤقت الذى أحرزته فى الهجوم الأول على فرقة «رع» .

ولاشك أن ظهور هذه القوات الجديدة قد ساهم على نحو كبير من رفع معنويات القوات المصرية بصفة عامة ، وقوات فرقة «رع» بصفة خاصة ، الأمر الذى مكن ضباط هاتين الفرقتين من انجاز المهمة العسيرة الخاصة باعادة تنظيم طوابيرهم المشتتة .

وهذا الموقف الاستراتيجى يمكن مقارنته بموقف القوات المتحالفة فى «معركة ووترلو WATERLOO» ضد «نابليون بونابرت» ، إذ بعد أن قام الفرنسيون بهجومهم العام ، تحدد مصير المعركة بوصول قوات الاحتياطى «البروسية» بقيادة الجنرال «بلوخر» .

ولعله من المفيد أن نذكر أن «تحوتمس الثالث» كان قد استخدم نفس هذه الخطة ، عندما أرسل قوات برمائية ، نقلت بطريق البحر ، ونزلت عند نقطة فى عمق أراضى العدو . ففى الحملة العسكرية الأولى التى قام بها «تحوتمس الثالث» فى سوريا ، وكذلك فى حملة العام الثالث والثلاثين من حكمه ، أرسلت قوة ضاربة خاصة بطريق البحر حتى وصلت إلى حلب . (وهى نفس الخطة الاستراتيجية التى استخدمها رمسيس الثانى فى قادش) .

أما العامل الثالث الذى ساهم فى تخفيف حدة الهجوم التكتيكى المفاجىء للقوات الحيثية ، فكان يتمثل فى الطريقة التى تصرفت بها القيادة المصرية العامة والفرعون «رمسيس الثانى» . فقد أبدى رمسيس وقواته بسالة نادرة فى اقتحام جيش العدو ، مع التوقيت الدقيق لشن الهجوم المضاد على الطابور الهزيل من المركبات الحربية الحيثية على طول نهر العاصى ، بدلاً من مواجهة جيش العدو المحتشد على الضفة الغربية ، مما أعطى القوة المقاتلة المصرية فى الشمال ، وفرقة «بتاح» فى الجنوب ، الوقت الكافى والملائم للتدخل فى المعركة [صورة ٤٠] .

وفى اعتقادى أن نجاح الهجوم المصرى المضاد عبر مخاضة نهر العاصى ، انما يرجع بصفة أساسية إلى خفة المركبات الحربية المصرية ، بالمقارنة بثقل المركبات الحربية الحيثية . فالمركبات المصرية الخفيفة ، كانت مزودة باثنين فقط من المقاتلين ، فى حين أن كل مركبة حيثية كانت تحمل ثلاثة محاربين ، مما جعل المركبات المصرية قادرة على المناورة السريعة [صورة ٤١ ، ٤٢] .

وقد وصف «برستد» التكتيكات التى استخدمت فى معركة قادش بقوله : «ان سهول سوريا ، قد شهدت فى ذلك الزمان البعيد ، نماذج بارزة من ذلك العلم الذى نفترض فيه الحداثة ، والذى بلغ به نابليون قمة الاكتمال ، وهو علم احراز النصر قبل أن تبدأ المعركة» .

كما أن العدد الكبير من المركبات التى استخدمها كل من الجانبين المتحاربين فى معركة قادش (٣٥٠٠ مركبة لدى الحيثيين وحدهم) إذا قورنت بالألف مركبة التى استخدمها الميتانيون والمصريون معاً قبل ذلك بنحو مائتى عام فى معركة «مجدو» [٢] ، فإنه يعكس مدى التطور الكبير الذى تم ادخاله على سلاح المركبات الحربية فى العالم القديم ، خاصة بعد انفصاله عن سلاح المشاة ، وأصبح فرعاً مستقلاً من فروع الجيش .

وطبقا للمصادر المصرية ، فقد طلب الحيثيون «الهدنة» فى اليوم التالى للمعركة . ومن الممكن أن يكون ذلك صحيحاً فى ضوء النتائج العامة العاجلة التى أسفر عنها القتال ، فإن الخسائر الجسيمة على الجانبين ، بالاضافة إلى الموقف العام للقوات ، لابد أن تكون قد أقنعت كلاً من «مواتاليش» و «رمسيس الثانى» بإن من المستحيل تحقيق أى هدف استراتيجى حاسم .

ونحن لسنا مضطرين لقبول ما زعمته «الواح بوغاز كوى BOGHAZKOY TABLETS» [٣] [صورة ٤٣] عن هزيمة المصريين . فالمصادر المصرية تشير إلى وصول رسالة من «مواتاليش» يطلب فيها السلام . ولم يتم انسحاب الجيش المصرى إلا بعد المفاوضات التى أعقبت المعركة .

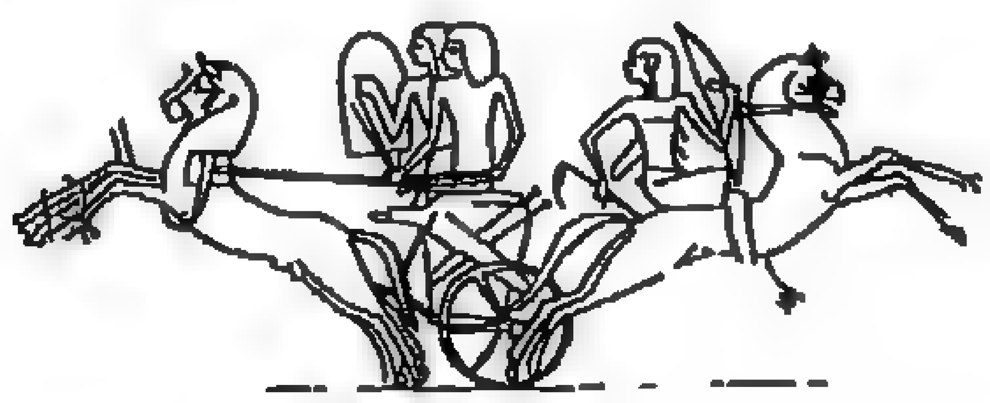
وفى منطقة «أوب UPE» بالقرب من دمشق ، أعيد تنظيم القوات المصرية قبل أن تبدأ رحيلها عائدة إلى مصر .. حقا لم ينجح المصريون فى احراز نصر حاسم ، ولكن الحيثيين أيضا ادركوا انهم يواجهون طموحات مصرية جديدة ، لانشاء حكم مصرى فى آسيا ، كما ادركوا تماماً أن السياسة المتخاذلة اثناء فترة العمارنة ، قد ولت وحلت محلها سياسة ذات طابع هجومى .

وفى فلسطين ، كان لابد من مواصلة الجهود العسكرية الكبيرة ، خلال العام السادس أو السابع من حكم «رمسيس الثانى» لاخماد الثورات التى قامت بها بعض المدن الصغيرة ضد السيطرة المصرية نتيجة للمؤامرات الدبلوماسية التى دبرها الحيثيون .

وبعد سنوات قليلة على معركة قادش ، استؤنف الصراع مرة أخرى فى العامين الثامن والعاشر من حكم «رمسيس الثانى» فى شمال «بيبلوس» (جبيل) وطرابلس . ومن الواضح أن هجمات الحيثيين التى شنوها من قادش على بلاد «أمورو» لم تحرز أى نجاح . وفى نفس الوقت قام المصريون بهجمات مضادة على بعض المدن فى «نهارينا» و «خاتى» (بلاد الحيثيين) .

ويمكننا أن نشير إلى عملية برمائية قام بها الجيش المصرى على شاطىء سوريا الشمالى بالقرب من «أمورو» ، مكنت «رمسيس الثانى» من أن يتغلغل بعمق فى دفاعات الحيثيين ، حتى غزا «قطنه QATNA» و «قادش» فى الشمال الغربى .

ومع ذلك فإن الجهد التاريخى الكبير الذى بذل لاسترداد مجد الامبراطورية المصرية كما كان فى خلال فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، والذى غطى فترة زمنية تبلغ حوالى ٣٥ عاماً خلال حكم كل من «سيتى الأول» و «رمسيس الثانى» ، لم يحقق نجاحاً حاسماً . وبهذا توصلت الدولتان الكبيرتان فى النهاية ، إلى ضرورة وضع حد للعداوة والعمليات الحربية ، وعقد معاهدة سلام تحدد العلاقات فيما بينهما .



لا جدال فى أن التفاهم الضمنى على تقسيم مناطق السيادة والنفوذ بين الامبراطوريتين المصرية والحيثية ، والشروط المتبادلة فى المعاهدة التى وقعت بينهما فى السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى ، إنما يعكس التوازن الاستراتيجى العام بين الجانبين .

ومن هذه الزاوية ، فإن «معاهدة قادش» تختلف كيفياً عن الاتفاقات التقليدية التى كانت تعقدها الدول الكبرى فى ذلك العصر مع غيرها من الدول الأخرى . مثل تلك المعاهدة التى عقدت فى عهد «تحوتمس الثالث» بين مصر والمدن السورية . أو مثل تلك المعاهدات التى عقدت بين خيتا (بلاد الحيثيين) والدويلات الصغيرة فى آسيا الصغرى وسوريا .

وقد لوحظ فى «معاهدة قادش» عدم التركيز على شخصية الملكين المتعاقدين كما كان شائعاً فى معاهدات العالم القديم ، وكما كان يظهر دائما فى الصياغة الدبلوماسية لهذه المعاهدات ، وكان التركيز فى معاهدة قادش منصباً على بنود المعاهدة ، التى قصد منها أن تستمر سارية المفعول ، حتى بعد وفاة الملكين المتعاقدين .

وكان انتقال السيادة تباعاً بين مصر وخيتا ، على مناطق النفوذ فى سوريا ، قبل توقيع المعاهدة ، قد أدى إلى حالة من عدم الاستقرار فى الشئون الداخلية والحياة السياسية للدويلات السورية الصغيرة ، وإلى تذبذب ولاء هذه الدويلات بالتالى بين الامبراطوريتين المسيطرتين . ولكن بمقتضى المعاهدة ، لم يعد اللاجئون السياسيون مهما كان مركزهم الاجتماعى ، يعاملون كمجرمين عند تسليمهم من جانب إلى الجانب الآخر .

وعلاوة على ذلك فإن «معاهدة قادش» تعد أكثر من مجرد ميثاق بعدم الاعتداء ، فقد رتبت على الطرفين التزامات بالمساعدة العسكرية المتبادلة ، فى حالة تعرض احداهما لعدوان خارجى .

ونتيجة للمعاهدة أيضا ، فقد «طُبّعت» العلاقات بين مصر والدويلات الصغيرة التى كانت قد تحالفت مع الحيثيين ضد مصر .

وكان الجانبان حريصين ، بعد توقيع المعاهدة ، على تطوير «السلام السيكولوجى» بينهما ، على حد تعبير «هلك» .

وبالرغم من عدم تحديد الحدود التى تفصل بين منطقتى النفوذ لكل من الامبراطوريتين تحديداً دقيقا ، إلا أن المصادر الأثرية دلت على أن «أوب» بالقرب من دمشق ، والمناطق الواقعة على الشاطىء السورى حتى «سيميرا SIMYRA» احتفظ بها المصريون ، فى حين استعاد الحيثيون قادش .

هناك أيضا ما يدل على نشاط حركة التجارة بين الدولتين ، بعد دخول المعاهدة مرحلة التنفيذ ، فقد ذكر أن «هيشميشارما HISMISARMA» ابن ملك الحيثيين قد اصطحب فى عودته إلى بلاده ، بعد أن زار مصر سفنا مليئة بالقمح المصدر إلى خيتا .

كذلك فقد توثقت عرى الصداقة بين الأسرتين المالكتين ، بالزيجات التى حدثت فى العام الرابع والثلاثين من حكم «رمسيس الثانى» . وتعطى الوثائق المصرية معلومات تفصيلية عن أحداث زواج «رمسيس الثانى» بالأميرة «ماع نفرو رع MA' NEFRURE» ابنة الملك «خاتوسيليس HATTUSILIS» . كما تم زواج آخر بين «رمسيس الثانى» وابنة ثانية لملك الحيثيين ، بعد العام الرابع والثلاثين . مما يؤكد زيادة الألفة والمودة بين الامبراطوريتين وأسرتيهما الحاكمتين .

ومن المحتمل إلى حد كبير ، أن تكون المعاهدة التى وقعت بين مصر وخيتا فى العام الحادى والعشرين من حكم «رمسيس الثانى» وما تلاها من علاقات ودية بين الدولتين الكبيرتين ، قد أملتها الضرورة التاريخية ، نتيجة لتراكم سحب المخاطر المقبلة من «شعوب البحر» [٤] .

وفى تقدير «هلك» ان خيتا قد سقطت نهائياً تحت ضربات «شعوب البحر» فى أواخر حكم الملك «مرنبتاح» [٥] (منفتاح) تقريبا . ويرفض «هلك» الفكرة التى قال بها «مالامات A. MALAMAT» من أن الانهيار النهائى للامبراطورية الحيثية قد حدث أثناء حكم «رمسيس الثالث» . وعلى أية حال فهناك من الشواهد ما يدل على أن «شعوب البحر» قد ظهرت بالفعل فى العام الثامن من حكم «رمسيس الثالث» على الحدود السورية بعد أن غزت خيتا ، واستقرت بعض الوقت فى بلاد «أمورو» .

ومن المهم أن نلاحظ فى هذا الصدد أن «مرنبتاح» أمر بارسال شحنات من القمح المصرى إلى خيتا ، لمواجهة المتاعب الاقتصادية التى كانت تحيط بالحيثيين فى ذلك الوقت . وأكثر من ذلك فإن من المحتمل أن يكون «مرنبتاح» قد أرسل قواته للدفاع عن «أوجاريت UGARIT» [٦] ضد «شعوب البحر» تنفيذا لنص الدفاع المشترك فى المعاهدة المصرية الحيثية التى وقعت فى العام الحادى والعشرين من حكم «رمسيس الثانى» .

هذا التحول الاستراتيجى بين سياسة الحرب ودبلوماسية السلام ، يمكن فهمه فى ضوء الموقف السياسى الجديد فى آسيا . فقبل ذلك كانت القوة الكاسحة للامبراطورية المصرية خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وخاصة أثناء حكم «تحوتمس الثالث» لا تتطلب استخدام هذا الاسلوب . ولكن هذه الاستراتيجية جاءت نتيجة للظروف الداخلية والدولية الحرجة التى أعقبت الأزمة الدينية فى مصر ، واستطاع أن يستخدمها بنجاح الزعماء العسكريون الذين برعوا فى الشئون العسكرية كما برعوا فى الشئون السياسية على حد سواء .

وفى معركة قادش يبدو تقدم الفن العسكرى واضحاً ، فى المناورات الاستراتيجية المتطورة ، وفى الاستخدام المكثف لسلاح المركبات الحربية .

ومن ناحية أخرى ، نجد أن المناورات الدبلوماسية التى تكللت بعقد معاهدة العام الحادى والعشرين ، قد وصلت إلى قمة من «البراجماتيه» السياسية لا نكاد نجد لها مثيلا فى التاريخ القديم .

وهذا التوفيق الدقيق بين الدبلوماسية والعسكرية ، يمكن أن نعتبره بمثابة ارهاصة مبكرة لفكر «مكيافيللى MACHIAVELLI» السياسى فى كتابه الشهير «IL PRINCIPE» ذلك الفكر الذى تطور فى الميدان العسكرى على يد «فون كلاوزفيتس C. VON CLAUSEWITZ» فى كتابه المعروف «فن الحرب» والذى أصبح بمثابة نظرية تهتدى بها بعض الحكومات الأوربية منذ القرن الماضى .

المبحث الرابع

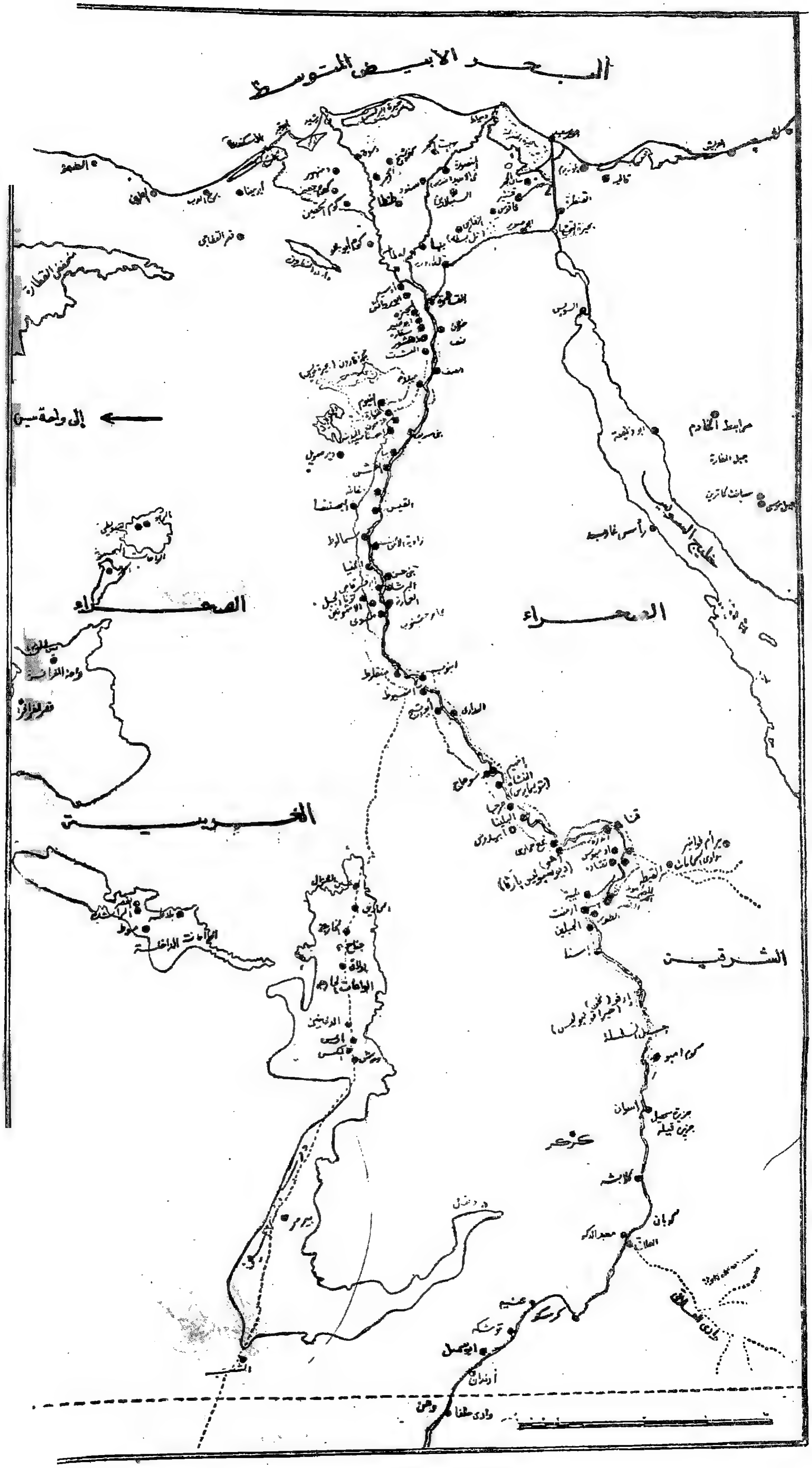
التحصينات العسكرية المصرية على طول الشاطىء الغربى

على النصف الغربى للحائط الشمالى الخارجى من قاعة الاعمدة الكبرى فى الكرنك ، تظهر مناظر لمعركة حربية ضد «التحينو TJEHNYU» الليبيين ، حدثت فى عهد «سيتى الأول» . وهى صورة لا نكاد نجد لها نظيراً منذ بداية الأسرة الثانية عشر (فى عصر الدولة الوسطى) .

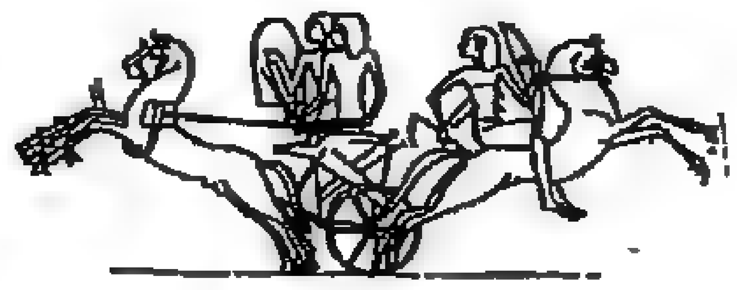
وفى وادى السبوع بالنوبة ، نرى مناظر أخرى لأسرى الحرب التحينو الليبيين ، وهم يستخدمون فى بناء معبد «لرمسيس الثانى» .

ولعل هذا يوضح لنا الخطر الذى كانت تتعرض له الحدود الغربية لمصر ، منذ السنوات الأولى للأسرة التاسعة عشر ، وهو الخطر الذى كان ينذر بالتهديدات المحتملة مستقبلاً من جانب القبائل الليبية : «الليبو LIBU» و «كيهيك KEHEK» و «مشوش MESHWESH» وحلفائهم من «شعوب البحر» الذين ظهروا لأول مرة على مسرح التاريخ فى العام الخامس من حكم «مرنبتاح» .

وهؤلاء الغزاة الذين ظهروا فى العام الخامس من حكم «مرنبتاح» والذين أوقفوا عند الحدود الغربية للدلتا ، كانوا ينوون الاستقرار بصفة دائمة فى وادى النيل ، مثلهم فى ذلك مثل حلفائهم المعروفين فى التاريخ باسم «شعوب البحر» ، والذين كانوا يهدفون إلى نفس الشىء عند قيامهم بهجراتهم الكبرى .


البحر الأبيض المتوسط
الصحراء
الصحراء
الشرقية
الغربية
خليج السويس
إلى واحة سيوة
القاهرة
أسيوط
أسوان
الإسكندرية
السويس
إسنا
الواحات الخارجة
الواحات الداخلة
أبو سمبل
وادي حلفا

وهكذا اضطرت مصر اثناء حكم «مرنبتاح» و «رمسيس الثالث» إلى اتخاذ موقف الدفاع مرة أخرى ، كما كان الحال اثناء أزمة العمارنة . ولكن الظروف السياسية الثقافية لمصر وكل العالم القديم ، كانت تختلف اختلافا أساسياً بين الحقبتين . وفى عهد «رمسيس الثالث» ومن قبله «مرنبتاح» كان الخطر يستهدف مصر بكل معنى الكلمة .



وتدل سلسلة التحصينات التى أقامها «رمسيس الثانى» على طول شاطىء البحر المتوسط لحماية الحدود الشمالية الغربية لمصر ، على أن هذا الخطر الوشيك كان بالفعل متوقعاً فى زمن «رمسيس الثانى» . بل ولعله كان عاملاً اضافياً وراء الجهود التى بذلت لتحقيق السلام مع الحيثيين .

وقد أشار «دى كوسون A. DE COSSON» فى دراسته عن «الحياة الزراعية فى مريوط» التى وضعها عام ١٩٣٥ ، إلى وجود عمود من الجرانيت لا يبعد بأكثر من ستين كيلو مترا إلى الغرب من الاسكندرية . وعلق عليه بقوله : «ان هذا العمود لم يفحص من قبل فحصاً دقيقا ، ولم يوصف ولم يصنف فى قائمة» . وقد عثر إلى جانب العمود على أطلال لأسوار كانت مبنية بالطوب اللبن المجفف بالشمس ، مما يدل على أن العمود كان يقوم فى بناء مقام بهذه المادة ولم يجلب إلى هناك من موقع آخر . وهذا العمود مزين بالنقوش على جميع جوانبه ، وله ثلاثة صفوف ، بكل صف منظران . وفى كل منظر منهما يبدو «رمسيس الثانى» وهو يقدم القرابين إلى أحد آلهة الشمس الذى يباركه .

واذا سرنا بضعة كيلو مترات تجاه الغرب ، فاننا نصل إلى منطقة العلمين التى اشتهرت بالعمليات الحربية الكبرى التى دارت فيها اثناء الحرب العالمية الثانية . ومما يثير الاهتمام ذلك التوافق فى اختيار هذا المكان بالذات لاقامة الخطوط الدفاعية عن مصر ، سواء فى الأزمنة القديمة أو الحديثة . فهذا المكان يتحكم تماماً فى الطريق الوحيد الممكن ، الذى يؤدى إلى وادى النيل ، حيث يوجد البحر المتوسط فى الشمال ، والتلال الرملية الخطرة فى الجنوب ، مما لا يسمح بوجود أى طريق بديل آخر .

وهناك ، عثر على أطلال قلعة فرعونية قديمة ، بها بقايا أسوار من الطوب اللبن والحجر الجيرى والجرانيت . ويمكن للقارىء الحصول على معلومات كافية عن هذه القلعة من نتائج الدراسات الحديثة التى قام بها الدكتور لبيب حبشى .



الفصل الثانى

الظاهرة العسكرية فى عصر الرعامسة

ويتضمن المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الطبيعة العسكرية للعصر .
المبحث الثانى : الحالة الاجتماعية لأفراد الجيش .

المبحث الأول

الطبيعة العسكرية للعصر

كان ارتقاء «رمسيس الأول» لعرش مصر ، استمراراً لتقليد بدأه «آى» . وقد اختير «رمسيس» من البطانة العسكرية «لحور محب» . وهى التى كانت تمثل النخبة الممتازة لطبقة العسكريين . هذا ولايمت رمسيس بأية رابطة عائلية بحور محب ، كان فقط مساعده ، وكان الاثنان يمتهنان مهنة الحرب . ويعد اعتلاؤه العرش أمراً بالغ الدلالة بالنسبة للتطور الاجتماعى العام للطبقة العسكرية خلال قرنين ونصف قرن من الزمان ، منذ انشاء الامبراطورية فى الدولة الحديثة .

ومن المستحيل افتراض أن تعاقب ثلاثة زعماء عسكريين على العرش المصرى خلال الثلاثين سنة الأخيرة التى مرت منذ وفاة «توت عنخ آمون» ، كان مجرد مصادفة تاريخية ، أو نتيجة لنفوذ فردى لبعض ضباط الجيش .

وكذلك فإن خلفاء «رمسيس الأول» الذين ينحدرون من أسرة من الضباط المقاتلين ، كانوا بالضرورة متأثرين نفسيا بهذه النشأة العسكرية . وكان العصر بأكمله مصبوغاً بالطابع العسكرى العميق ، حيث كانت تجرى عبادة الفراعنة المحاربين بعد وفاتهم ، بالاضافة إلى زيادة نمو الطبقة العسكرية نتيجة للحروب الهجومية والدفاعية الواسعة النطاق والتى حدثت فى عصر الرعامسة .

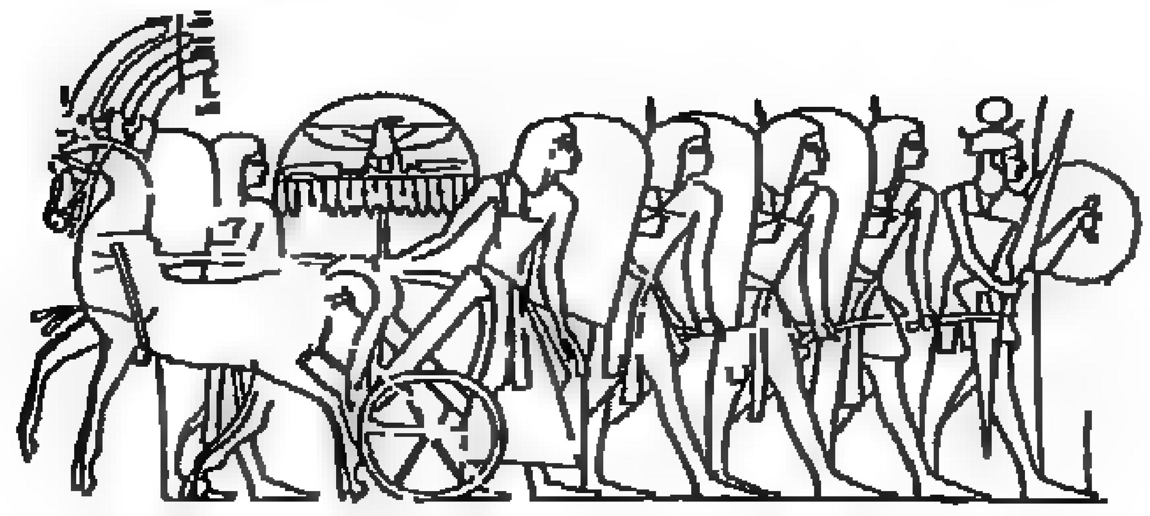
وقد سجلت المناظر العسكرية على الصروح الضخمة ، وتغطى مساحات كبيرة من جدران قاعات معابد الآلهة والمقابر فى أبيدوس والأقصر والكرنك والرمسيوم ومدينة هابو والنوبة ، ويبدو فيها الفرعون فى قمة قوته .

ولاجدال فى أن هذه المناظر تعكس اتجاه العصر الذى يذخر بالنبض العسكرى فالمعبد فى الدولة الحديثة ، وبخاصة فى عهد الأسرة التاسعة عشر ، كان يستلهم فى عمارته ونقوشه وتخطيطه الروح العسكرية البارزة .

وفى رأيى أن التعبير التقليدى عن عظمة الفرعون ، أصبح يقترن قصداً بكبرياء هذه الروح الجديدة التى ظهرت فى المناظر الحربية المرسومة على الصروح الضخمة والجدران ، بحيث تعطى تأثيراً قوياً فى المشاهدين ، حتى ولو على حساب القيمة الفنية للمنظر المرسوم .

وفى الجانب الشرقى للحائط الشمالى لقاعة الأعمدة الكبرى بالكرنك ، نرى أقدم مثال على تصوير ما يبدو كخريطة عسكرية كبيرة ، ويبدو فيها الطريق الذى اخترقه «سيتى الأول» وجيشه فى الزحف إلى شمال سوريا ، بما فى ذلك المحطات الحصينة المقامة على منابع ومصادر المياه فى هذا الطريق العسكرى ، التى كان لا غنى عنها للجيش ، وهى تظهر فى المنظر بشكل واقعى .

كذلك كانت المؤلفات الأدبية المتعلقة بالحرب والبطولة ، والتى تدور حول الشجاعة العسكرية فى ميدان القتال ، وما يشبه ذلك من موضوعات ، تنسخ وتقرأ على نطاق واسع ، وتمثل جزءاً من البرنامج التعليمى للتلاميذ . فمثلا من بين الموضوعات المحببة فى أدب الرعامسة ، قصة «الاستيلاء على يافا JOPPA» التى تعود إلى زمن الفتوحات العظيمة «لتحوتمس الثالث» وكذلك قصة «سقنن رع وأبوفيس» التى تسجل أحداث حرب التحرير الوطنية الكبرى ضد الهكسوس .



.وفى مرسوم «ناورى NAURI» الذى أصدره «سيتى الأول» نلاحظ كثرة عدد الضباط والمسئولين العسكريين ، بالمقارنة بالمسئولين الآخرين الذين يخاطبهم المرسوم . ومن هذه الوظائف والمناصب التى ورد ذكرها فى المرسوم : «الوزير . وكبار الموظفين . ورجال البلاط . والقضاة . ونائب الملك فى كوش . وقادة الوحدات العسكرية . والمشرفون على الذهب . والعمد ورؤساء القرى فى مصر العليا والوجه البحرى . ورجال سلاح المركبات الحربية . ورؤساء الاصطبلات الملكية . وحملة الرايات . وكل عضو فى بيت الملك . وكل شخص مرسل فى بعثة إلى كوش» .

وقد رأينا من قبل أن منصب الوزير كان يحتله – منذ عهد «امنحتب الثالث» ـــ مسئولون عسكريون مثل «رعموزا» الذى شغل هذا المنصب لدى «امنحتب الثالث» و «امنحتب الرابع» قبل انتقاله إلى العمارنة وتغيير اسمه إلى «أخناتون» . ومنذ عهد «توت عنخ آمون» كان القائد العام للجيش ، يقوم باعمال الوزير إلى جانب واجباته العسكرية .

ومن الطبيعى فى مجتمع يعيش فى حالة شبه دائمة من تجنيد قواه البشرية وحشد موارده الاقتصادية لخدمة الحرب ، أن يشغل منصب الوزير مسئولون لهم خلفية عسكرية سابقة . وفى هذا الصدد نشير إلى الدور العسكرى البحت الذى قام به الوزير الذى كان يرافق القوات المصرية فى قادش ، والذى أرسله «رمسيس الثانى» إلى الجنوب فور اكتشافه الموقع الحقيقى للقوات الحيثية خلف تلال قادش ، كى يقوم بتنظيم فرقة «آمون» وغيرها من الفرق التى كانت تقترب من ساحة القتال .

كما ذكرنا فى موضع سابق ، كان هناك بعض «نواب الملك فى كوش» أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، يحملون ألقابا عسكرية . وفى عهد «توت عنخ آمون» كان نائب الملك «حوى HUY» محارباً قديماً فى سلاح المركبات الحربية . وكان أبناؤه الثلاثة ضباطا فى نفس السلاح . وكذلك فإن المدعو «ستاو SETAU» وكان يشغل منصب نائب الملك فى كوش فى عهد «رمسيس الثانى» قد ذكر فى تاريخ حياته أنه كان «على رأس قواته» .

وقد شارك ضباط الجيش كقضاة فى المحاكمات الرسمية الهامة ، فتدلنا بردية« تورين TURIN» على أن عدداً من ضباط الجيش كانوا من بين القضاة الذين كلفوا بالتحقيق فى المؤامرة التى دبرت ضد «رمسيس الثالث» [1] .

وفى بردية «أبوت ABBOTT» نجد أن من بين أعضاء إحدى المحاكم قائداً مساعداً بالجيش ، وحامل راية لسفينة الطوارىء .

وتذكر بردية «ميونيخ MUNICH» تشكيل محكمة قضائية للتحقيق فى قضية رفعها نفر من المشاة ضد مسئول كبير ، فإلى جانب وزيرين فى رئاسة المحكمة نجد أن عضويتها شملت اثنين من القادة المساعدين بالجيش ، وقائد وحدة عسكرية ، واثنين من حملة الرايات ، واربعة من جنود المشاة الذين ينتمون إلى وحدة عسكرية تدعى «نجمة منف» .

وهذه القضية التى رفعها جندى مشاة بسيط ، ضد مسئول كبير ، ونظرت أمام محكمة تضم مثل هذا العدد الكبير من المسئولين والضباط العظام ، تدل على مدى الحماية الاجتماعية التى كان يتمتع بها المحاربون فى عصر الرعامسة .

وكذلك فقد اختير قائد مركبات وضابط من رتبة «حامل الراية» كأعضاء فى المحاكم التى شكلها «رمسيس التاسع» للتحقيق فى حوادث سرقة القبور التى حدثت فى عهده .

وفى بردية «بتلر BUTLER ٥٣٤» (المحفوظه فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٠٣٣٣) نجد مجموعة من المسئولين عددهم ٢١ شخصا وهم يقدمون القرابين إلى «أوزيريس — خنتى — امنتى OSIRIS - KHENTY - AMENTI» . وذكر أن منهم حامل راية ، وقائداً مساعداً بالجيش ، واثنين من قادة الكتائب ، وسبعة من جنود المشاة . وجميعهم مذكورون برتبهم العسكرية ، بينما الآخرون مذكورون باسمائهم المجردة . ويلاحظ أن محتويات هذه الوثيقة غير العسكرية ، تلقى مزيداً من الضوء على زيادة تمثيل العسكريين ، بالمقارنة بغيرهم من المسئولين فى ذلك العصر .

وفى معبد «سبيوس أرتميدوس SPEOS ARTEMIDOS» المكرس لالهة الحرب «بخت PHT» فى اقليم الغزالة [٢] نجد أن خرطوش اسم الملكة «حتشبسوت» قد رفع وحل محله خرطوش باسم «سيتى الأول» مما يدل على رغبة الأخير فى تسجيل اسمه فى معبد إلهة الحرب ، كما فعل من قبل القائد العسكرى العظيم ، سيد الامبراطورية ، «تحوتمس الثالث» .

وعلى النصب التذكارى الذى أقامه «سيتى الأول» فى «بيسان» نجد أن الفرعون يلقب «بالقائد الشجاع للجيش» وهو لقب لم يستخدمه من قبل سوى الفرعونين المحاربين العظيمين «تحوتمس الثالث» و «امنحتب الثانى» .

وملحمة قادش لم تكتف بتسجيل ما أبداه «رمسيس الثانى» من بطولة فحسب ، وانما تحدثت أيضا عن قدراته العسكرية على النحو التالى : «أنه هو الذى أنقذ مشاة جيشه فى يوم القتال . المعقل الحصين لسلاح مركباته الحربية . الذى عاد بكل تابعيه سالمين . منقذ جيشه ..» [صورة ٤٤] .

وهناك من الشواهد ما يدل على أن «رمسيس الثانى» كان يرافق والده « سيتى الأول» فى حملاته العسكرية ، عندما كان ولياً للعهد .

وهناك مجموعة من النصب التذكارية فى متحف «هلدسهايم HILDESHEIM» تصور «رمسيس الثانى» كملك مؤله فى شكل تمثال على هيئة إله الحرب «مونت MONT» وقد عثر عليها أصلاً فى «هوربيط HOREBEIT» وفى «قنطير QANTIR» [٣] ، وهى المستعمرة العسكرية التى أقامها الرعامسة فى شرق الدلتا ، وفيها كان الفرعون الحى المؤله ، يعبد أيضا فى شكل إله الحرب الشهير ، بواسطة جنوده المقيمين فى هذا المركز العسكرى بالقرب من حدود مصر الشرقية .

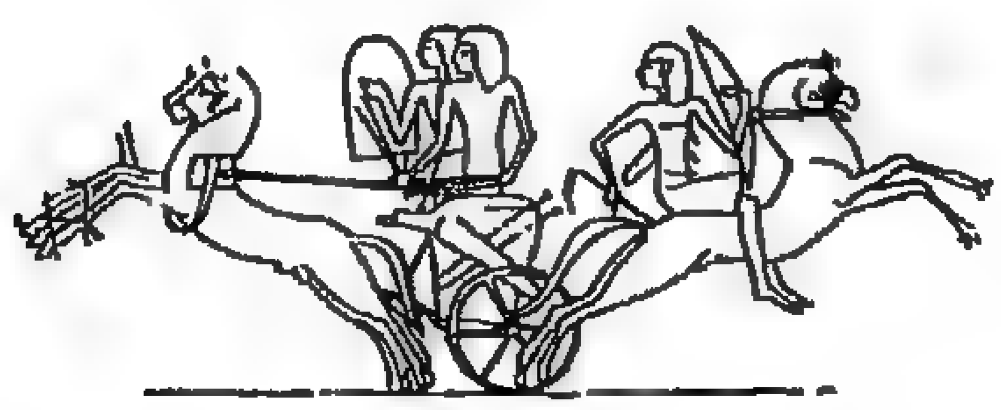
وهناك جزء من عضادة باب محفوظة بمتحف «فيكتوريا» فى أوبسالا ، ينتمى فى الغالب إلى هوربيط أو قنطير ، بسبب اسلوبه ومحتواه . وعلى هذا الجزء خرطوش للفرعون المؤله «رمسيس الثانى» مع لقب عسكرى لضابط غير معروف هو «قائد المركبات الأول

لجلالته» وأيضا «المبعوث إلى كل أرض أجنبية» ، مما يدل على أن التقليد الذى كان متبعاً فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، بتكليف الضباط العسكريين بمهام سياسية ودبلوماسية إلى البلاد الأجنبية ، ظل متبعاً أيضا فى عصر الرعامسة .

ويبدو النفاق للملوك جلياً فى أناشيد النصر التى كان ينشدها جنود كتيبة المشاة التى قادت أسرى الحرب الحيثيين ، وقامت بتسجيل مركباتهم بعد الاستيلاء عليها ، فقد كانوا يتغنون «بالصحبة العظيمة لأوسيما رع USIMA RE وستبن رع SETPEN RE [٤] ذى السيف القوى» .

وأكثر من ذلك فإن روح العصر تبدو واضحة فى بردية «اناستاسى الثالثة ANASTASI (3)» التى تمتدح إقامة «مرنبتاح» فى الدلتا ، حيث «مكان تصميم الخطط لمركباتك الحربية . مكان احتشاد جنودك . مكان رسو سفنك» .

وتعطى بردية «هاريس الأولى HARRIS (1)» صورة واضحة عن مدى «عسكرة MILITARIZATION» مصر تحت حكم «رمسيس الثالث» . إذ يقول الملك : «لقد جعلت مصر تنبض فى قلوب طبقات كثيرة من الشباب ، وخاصة خدم القصر ، وكبار الموظفين ، ومئات الألوف من المشاة ، وراكبى المركبات الحربية ، والشريدان والكيهيك SHERDEN AND KEHEK [٥] الذين لا يحصيهم العد ، وتابعيهم بعشرات الألوف» . ومن الجدير بالذكر أن «رمسيس الثالث» يشار إليه فى نقوش مدينة هابو بلقب «السيد البطل القوى ، العدّاء» .



وقد انتهج «رمسيس الأول» نفس التقليد الذى كان متبعاً فى عصر الأسرة الثامنة عشر حتى نهاية حكم «امنحتب الثالث» ، والخاص بتعيين «ولى العهد» فى منصب «القائد العام للجيش» . فأصدر «رمسيس الأول» قراره بتعيين ابنه «سيتى» فى هذا المنصب .

وعلاوة على ذلك فإن الألقاب العسكرية العليا التى كثيراً ما كانت تمنح للأمراء الملكيين فى الأسرتين التاسعة عشر والعشرين ، تعكس النزعة العسكرية للبلاط الملكى . فنجد فى معبد الأقصر ، على الحائط الجنوبى للقاعة الأولى الخاصة «برمسيس الثانى» صوراً لحفلة دينية أقيمت فى الغالب بمناسبة الاحتفال بعيد «أوبت OPET» (٦) ونرى على رأس موكب الاحتفال ثلاثة من أبناء «رمسيس الثانى» مذكورين بألقابهم العسكرية ، وهم يقودون الشخصيات الأخرى ، وأمامهم صورة تمثل معبد الأقصر .

ونلاحظ أن الأمير الأول واسمه «آمون – حر – خبش إف AMON HER KHEPSHEF» ، والأمير الثانى واسمه «رمسيس» يحمل كل منهما لقب «قائد الجيش» بينما الأمير الثالث واسمه «با – رع – حر – ونم – إف PA RE HER WENEM EF» كان يحمل لقب «قائد المركبات الحربية» . ومما له دلالة فى هذا الشأن أيضا أن اثنين من أبناء «رمسيس الثانى» كانا يرافقان أباهما فى معركة قادش .

وعلى الجدار الغربى لمقبرة الأمير «آمون – حر – خبش إف» (وهو ابن لرمسيس الثالث) نرى صوراً لهذا الأمير الصغير فى صحبة والده . وقد أشير إلى أن الأمير كان يحمل لقب «قائد سلاح المركبات الحربية» . وكذلك فى المقبرة رقم «٤٢» من مقابر وادى الملكات (٧) ، وهى المقبرة الخاصة بالأمير «با – رع – حر – ونم – إف» وهو ابن آخر «لرمسيس الثالث» (٨) نرى صوراً تمثل هذا الأمير وقد أشير إلى أنه كان يحمل لقباً عسكرياً هو «المشرف على اصطبلات رمسيس ، وحاكم أون ، وأمير البلاط ، الابن البكر لجلالته» . ويشار إلى أبناء «رمسيس الثالث» عادة بأنهم «يرافقون المركبات الحربية والحراس الشخصيون الذين يتبعون الملك إلى ميدان القتال» .

وعلى بعض جدران «مدينة هابو» (٩) نرى مناظر تصور «ولى العهد» متقلداً منصب «القائد العام للجيش» وهو على رأس ضباطه العسكريين ، ويقوم بتوزيع الأسلحة عشية المعركة ضد «شعوب البحر» . وكان يهتف فيهم بصيحات الحماسة والشجاعة والاقدام ، وهم يردون عليه هاتفين «سوف نفعلها .. (أى سننتصر) .. سوف نفعلها» .

كذلك نجد الأمير «منتو – حر – خبش إف MONTU HER KHEPESHEF» وهو ابن «رمسيس التاسع» مصوراً فى مقبرته بمدافن طيبة ، وأمامه إلهة الحرب «سخمت SHMT» . وقد أشير إلى أن هذا الأمير أيضا كان يحمل لقب «القائد العام للجيش» .



ولقد وصل الفن العسكرى إلى قمته فى عصر الرعامسة ، وخاصة أثناء الأسرة التاسعة عشر ، إذ تعتبر معركة قادش نموذجاً رائعا لتكتيكات الكر والفر ، وهى المعركة الكبرى التى استخدمت فيها الاستراتيجية الجديدة والمناورات التكتيكية للمركبات الحربية . كما أن المعارك الدفاعية الكبرى التى وقعت فى شمال الدلتا تحت قيادة «رمسيس الثالث» ضد شعوب البحر ، تعتبر أول عملية حربية كبرى لمواجهة «الابرار البحرى» للعدو ، فى التاريخ القديم .

كذلك فإن الحياة بأكملها ، كانت تنضح بالروح العسكرية الواضحة ، ونتيجة للحروب الطويلة فى ذلك العصر ، أخذت مصر مظهر «الدولة العسكرية» .

وعلى سبيل المثال ، نجد أن «اللغة» العسكرية قد تغلغلت فى النصوص الأدبية التى كتبت فى ذلك العصر . فصيغة «إو – تو iw - tw» التى كانت مستخدمة فقط اثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، على النصب التذكارية التى تسجل الأحداث العسكرية ، قد أصبحت تستخدم فى عصر الرعامسة فى تسجيل الاحداث غير العسكرية . فاللوحة الشهيرة التى تسجل زواج «رمسيس الثانى» بالرغم من طابعها المدنى ، فإنها تتضمن الصيغة العسكرية سابقة الذكر . وهناك لوحة أخرى «لرمسيس الثانى» تشير إلى بداية مباحثات السلام مع الحيثيين ، بعد انتهاء معركة قادش ، وتستخدم أيضا صيغة «إو – تو» بالرغم من انها لا تسجل حدثاً عسكرياً .

وفى عهد «رمسيس الثانى» تكونت فرقة عسكرية إضافية جديدة . وأصبح الجيش المصرى يضم أربع فرق رئيسية هى : «آمون ، ورع ، وست ، وبتاح» . وكل فرقة كانت تضم «٥٠٠٠» محارب .

وفى اعتقادى أن هذه الفرق كانت تتشكل فقط من الوحدات المقاتلة فى ميادين المعارك الفعلية . وكانت هناك بالضرورة وحدات أخرى ذات طابع ادارى ، تتكفل بتقديم المؤن والمهمات التى تحتاجها الوحدات المقاتلة .

وفى نص عثر عليه «بوادى الحمامات» [١٠] نرى تسجيلا لبعثة «لرمسيس الرابع» مكونة من وحدة عسكرية كانت تضم «٢٠٠» شخص . ويمكن أن نستخلص من اسمها الطبيعة الادارية التى كانت تختص بها تلك الوحدة ، إذ أشير إليها بأنها «جنود فرقة الصيادين فى المقر» . وهناك ألقاب عسكرية لها دلالات ادارية واضحة مثل : «الكتبة العسكريين ، وكتبة التوزيع ، وأمناء الامدادت والتموين ، والمعاونين» . مما يدل على وجود عناصر عسكرية معينة كانت مكلفة بهذه الخدمات المحددة .

وبالاضافة إلى ذلك فهناك بعض الوحدات التى أنيطت بها خدمات دائمة ، كالمرابطة فى القلاع والحصون المقامة على طول الشاطىء الشمالى ، أو فى مدن الحدود الشرقية ، أو فى النوبة . بالاضافة إلى الحاميات الدائمة والمراكز العسكرية اللازمة للمحافظة على الأمن القومى ، سواء داخل مصر نفسها ، أو فى الأقاليم السورية ، منذ الأيام الأولى للامبراطورية .

ونلاحظ على تقدير «كريستوف L. A. CHRISTOPHE» انه لا يشمل الوحدات البحرية التى تعمل فى النيل وفى أعالى البحار ، خاصة فى البحر المتوسط ، ولا الوحدات البرمائية المعدة المدربة على عمليات الابرار البحرى . وكذلك يمكننا أن نضيف القوات «شبه العسكرية» ذات الطبيعة الادارية والبوليسية ، واللازمة لحماية طرق التجارة فى الصحارى المصرية . وبناء على ذلك فإن رقم ٢٠ ألف جندى الذى قدره «كريستوف» وغيره من علماء الآثار ، لا يمثل كل الجيش المصرى ، بما كان يضمه من قوات عسكرية وشبه عسكرية .

وكان الجيش والضباط العسكريون يكلفون أحيانا بمهام نقل النصب التذكارية والأحجار اللازمة لاقامة مشروعات الفرعون ومعابده . وقد ازدادت هذه المهام فى عصر الرعامسة . وفى البعثة التى أشرنا إليها آنفاً ، والمسجلة فى وادى الحمامات ، نجد أدلة على النشاط المتزايد للجيش فى الانشطة الادارية والمعمارية . كما أن وجود الكاهن الأكبر للاله «آمون» مع البعثات العسكرية ، قد يؤكد العلاقات القوية بين الجيش والمعابد ، أو بمعنى آخر بين طبقة الضباط وطبقة الكهنة ، وذلك نتيجة للتطور الذى لحق بسلطات ونفوذ الطبقة العسكرية .

ونعرف ، استقراء لآثار ذلك العصر ، أن قائداً بالجيش يدعى «هاتياى HATIAY» كلف بمهمة عمليات النقل فى «أبيدوس» ، إذ نقرأ فوق لوحته ما يشير إلى انه كان «المشرف على أعمال البناء الخاصة برمسيس – ميامون فى بيت أوزيريس» و «المشرف على الأعمال فى مكان الحقيقة» و «قائد رماة السهام فى الجيش الشجاع» و «القائد الكبير للجيش» .

وفى تقرير كتبه أحد الكتاب إلى رئيسه يبلغه فيه بانجاز عمل معين متعلق بالجيش ، وهو جلب تمثال الفرعون إلى «بيت بتاح» ، يقول الكاتب : «لقد سمعت الرسالة التى أمر بها سيدى : إعط المؤن إلى الجنود وإلى العابيرو – الأجانب الذين يجلبون الأحجار إلى بناء (بخن BHN) الكبير فى ... رمسيس – ميامون له الحياة والقوة والسعادة . تحت إشراف رئيس المدجاى (أمن أمينت AMEN EMINET)» . فمن الواضح هنا ، أنه كانت هناك واجبات إضافية ذات طبيعة مدنية ، مكلف بها رئيس المدجاى هذا .

وفى نقش آخر بوادى الحمامات ، نرى قادة الفرق وهم يشرفون على الأعمال فى المحاجر وفى مناجم الذهب . ويشير النص المكتوب بأعلى المنظر إلى أن «العاملين فى فريق غسل الذهب مائة شخص» الأمر الذى يعطى انطباعاً بأن أعمال التعدين فى مناجم الذهب فى النوبة ومصر العليا ، كانت تحت الاشراف المباشر من الجيش .

وهذا ما يؤكده أيضا نقش «الرديسية REDESIYEH» [11] الذى يهيب فيه الملك بقادة الفرق العسكرية المصرية أن يشرفوا على «فريق غسل الذهب» .

وبالاضافة إلى كل تلك المهمات التى كان يقوم بها الجيش ، فقد كانت الوحدات العسكرية تدرب على القيام بعمليات «جباية الضرائب» الخاصة بالتاج . ففى بردية «هاريس» يقول الفرعون : «لقد خصصت لك سفينة مجهزة ومزودة بضباط (مشكب mskb) الذين دربتهم على عمليات جباية الضرائب من الأرضين ، ونقلها إلى معبدك» .

وكانت السلطات العسكرية المركزية تمارس نفوذها على العاملين فى المعابد وغيرها من الأجهزة المدنية . ففى بردية «بولونيا» ورد نص يشير إلى تجنيد ثلاثة شبان فى الجيش ، وكانوا يعدون أصلاً ليكونوا كهنة فى أحد المعابد . ويقول النص «أحضر الوزير ثلاثة شبان وقال : ضعوهم ليكونوا كهنة فى معبد (حتب – حر – ماعت – مرنبتاح) له الحياة والقوة والسعادة ، فى بيت بتاح ، ولكنهم أخذوا وأرسلوا إلى الشمال ، وقيل انهم سوف يكونون من رجال «المشاة» .

وفى نفس البردية نقرأ نصاً آخر عن ثلاثة أشخاص آخرين ، كانوا عاملين فى حقل ، من الواضح انه يخص أحد المعابد ، ثم جندوا فى الجيش . إذ يقول النص : «قلت لهم : جندوا هؤلاء الثلاثة العاملين فى حقل الرب ، ليكونوا مشاة فى الجيش» .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن التقليد المبكر الذى اتبع فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، والخاص باستخدام الجيش فى أعمال الادارة الداخلية ، سواء على مستوى كبير أو مستوى فردى ، قد استمر بكثافة فى عصر الرعامسة . وأن نواحى النشاطات المختلفة فى مصر ذات الطبيعة الادارية والاجتماعية ، قد أخذت طبيعة عسكرية أكثر مما كان لها من قبل .



المبحث الثانى

الحالة الاجتماعية لأفراد الجيش

على نصب تذكارى أقامه «سيتى الأول» فى منطقة السلسلة [١] ، سجل الملك بياناً بكميات المؤن التي أمر باعطائها إلى ألف من جنود الجيش أثناء مهمة كانوا يقومون بها ، وهى نقل آثار أبيه «آمون – رع – أوزيريس» [٢] مع تاسوعه الالهى .

وتدل هذه الكميات التى تبدو كريمة نسبياً ، على المستوى الاجتماعى المرضى الذى كان يتمتع به الجنود العاديون ، بصرف النظر عما كان يتمتع به الضباط من مزايا أخرى .

وتضم قائمة السلسلة بيانا بأنواع السلع والعطايا التى منحت لهؤلاء الجنود ، مثل : «الزيت ، ولحوم البقر ، والفاكهة ، وكميات كبيرة من الخضروات بلا حدود : وكل رجل منهم (قد أعطى) عشرين «دبن DEBEN» [٣] من الخبز كل يوم ، وثمار ، وخضر ، ولحوم محمرة ، و ... (هيكات) [٤] من القمح كل شهر ... لقد أخذوا لحوم بقر ، وزيت الأبدية المعطر ، وزيت سد sd ، وتيناً ، وعنباً ، وأسماكا ، وخضروات كل يوم ، وكذلك الهدايا العظيمة من الزهور والنباتات التى وصلت إلى جلالته من معبد الاله «سوبك SOBEK» [٥] إله السلسلة التى فرضت عليها الضرائب كل يوم ، والأقمشة الكتانية التى جاءت إلى مخزن حامل راية جيش جلالته» .

وإذا قمنا باجراء أية دراسة مقارنة بين المركز الاجتماعى للجنود والضباط فى عصر الرعامسة ، وغيرهم من قطاعات الطبقات الاجتماعية مثل الفلاحين وابناء الطبقة العاملة ، فسوف تبدو الفروق الاجتماعية واضحة جلية .

وقد قام «تشيرنى J. CERNY» بدراسة حول «مستوطنة دير المدينة» [1] تضمنت تحليلاً اجتماعياً لفئات الوظائف والمراكز المتصلة على نحو مباشر أو غير مباشر بالعاملين فى بناء المقابر الملكية لفراعنة عصر الرعامسة فى جبانة طيبة .

ولاشك فى أن هؤلاء العاملين فى بناء المقابر الملكية بدير المدينة كانوا يحيون حياة مميزة نسبيا ، نظراً لأهمية العمل الذى كانوا يقومون به ، والذى كان يشرف عليه الوزير شخصياً ، بحكم لقبه «المشرف على الأعمال فى أفق الأبدية» .

ومع ذلك فقد كانت المؤن التى تصرف يومياً لهؤلاء العمال وأسراتهم ، تقتصر على الجعة والطعام وكميات محدودة من الاسماك . وكانت هذه الاشياء تدفع لهم كأجور عينية ، بينما كانت اللحوم تقتصر على غذاء الأثرياء فى ذلك العصر ، كموظفى المعابد .

وكانت الأعمال المساعدة فى المقابر الملكية ، يقوم بها «عمال السخرة» . وبالرغم من أن هؤلاء العمال كانوا ملحقين بالمقبرة ، إلا أنهم كانوا لا يشكلون جزءا من مجتمع عمال المستوطنة . ولابد أنهم كانوا أساساً من الفلاحين . وكانوا على حد ملاحظة «تشيرنى» أفقر من أن يحصلوا لأنفسهم على مكان خاص بهم بين مقابر عمال دير المدينة .

وهؤلاء العاملون بالسخرة ، كانوا يقومون بوظائف وأعمال متنوعة ، فمنهم زارعو البساتين ، وقاطعو الأخشاب ، وحاملو المياه ، والصيادون ، والحمالون ، والفلاحون . وفى هذا الصدد نشير إلى وثيقة من عصر الرعامسة تقدم صورة درامية للأحوال الاجتماعية التى كان يحياها الفلاح العادى . إذ نقرأ فى هذه الوثيقة : «.. لقد نزل جابى الضرائب على شاطىء النهر . سوف يقوم بتسجيل المحصول . الحراس يحملون العصى . والسود (نحسى NEHESY) معهم الحبال المجدولة من ألياف النخيل . وقالوا : قدم قمحاً .. ولكن لم يكن هناك شىء منه . ولذا فانهم ضربوه (الفلاح) بشدة» [صورة ٤٥] .

وهناك أدلة كثيرة تشير إلى أن بعض أعضاء مستوطنة عمال البناء فى دير المدينة ، كانوا ينتمون إلى الطبقة العسكرية . فاللقب العسكرى «وعو W W» كان يطلق على كثير من العمال والكثير من رؤسائهم . وهذا اللقب فى تفسير «فولكنر R. O.

FAULKNER» يعنى «الجندى» . وهو يطلق على الجندى البسيط ولا يطلق على الضابط . ولاشك فى أن إطلاق هذا اللقب على العمال وبعض رؤسائهم ، يدل على أنهم كانوا جنوداً سابقين أنهوا خدمتهم العسكرية بالجيش .

ويعتقد «تشيرنى» أن هبوط قوة العمل فى بناء المقابر بدير المدينة فى السنة الثامنة من حكم «رمسيس الحادى عشر» يرجع إلى تجنيد هؤلاء الرجال للمشاركة فى الحرب الأهلية التى نشبت فى ذلك الوقت .

وهناك احتمال آخر يمكن اقتراحه فى ضوء الطبيعة العسكرية لتنظيم مجتمع دير المدينة والظروف التاريخية التى نشأ فيها بعد فترة العمارنة . فهذا المجتمع العمالى أعيد تنظيمه بعد أحداث العمارنة ، فى عهد «حور محب» وأطلق عليه اسم «إيسوت ISWT» ، وهو تعبير معناه «طاقم المركب» . ويقول «تشيرنى» أن اطلاق تعبير ملاحى على هذه المجموعة من العمال يدل على الطبيعة العسكرية لهذه المجموعة على وجه الخصوص ، كما يدل على الاتجاه العام نحو عسكرة مختلف جوانب العمل الادارى للدولة بعد أزمة العمارنة .

ومما له دلالة كبيرة فى هذا الشأن ، أن نجد رئيس عمال فى دير المدينة يدعى «نفر حتب NEFER HOTEP» له ثلاثة ابناء ضباط فى الجيش ، بينما الابن الرابع وهو الأكبر ، انضم إلى فريق العمل فى منصب أبيه . وكان أحد هؤلاء الابناء يحمل لقب «كاتب جيش سيد الأرضين والضابط فى جيش جلالته» . وكان الابن الثانى يخدم كضابط «نقل» .

وكان هؤلاء العمال ، ويطلق عليهم «أولاد المقبرة» يجندون أحياناً فى صفوف الجيش . إذ نجد أن أحد كتبة الجيش يشكو من أن عدداً من «أولاد المقبرة» قد تغيبوا عن الحضور ، ويطلب احضارهم لاعادة تجنيدهم فى الجيش على حد اعتقاد «تشيرنى» .

ويمكننا طبقا لذلك ، أن نفترض أن التجنيد فى الجيش كان إجباريا ، لا تعفى منه أية شريحة اجتماعية . وانه كان مفروضاً كخدمة عامة بلا تمييز ، بالاضافة طبعاً إلى «التطوع الاختيارى» فى صفوف الجيش .

تمدنا بردية «ويلبور WILBOUR» ، التى كتبت فى عهد «رمسيس الخامس» بمعلومات عن نظام الملكية الزراعية للطبقة العسكرية فى عصر الرعامسة . وهذه البردية تعد أطول نص مصرى غير دينى ، وتسجل نتائج عمليات المسح الزراعى فى منطقة زراعية تمتد من شمال الفيوم إلى «طهنة TIHNA» أى على طول ١٤٠ كيلو مترا تقريباً .

وقد قام «السير آلان جاردنر» بترجمة هذه الوثيقة ، وهى تسجل أسماء الملّاك ووظائفهم ، وأمام كل منهم القطعة الزراعية التى يمتلكها . وهذه الحقول كانت فى الأصل منطقة زراعية يمتلكها أحد المعابد ، أو ربما كانت أوقافا دينية ، ثم منحها الفرعون لأفراد أدوا خدمات للدولة .

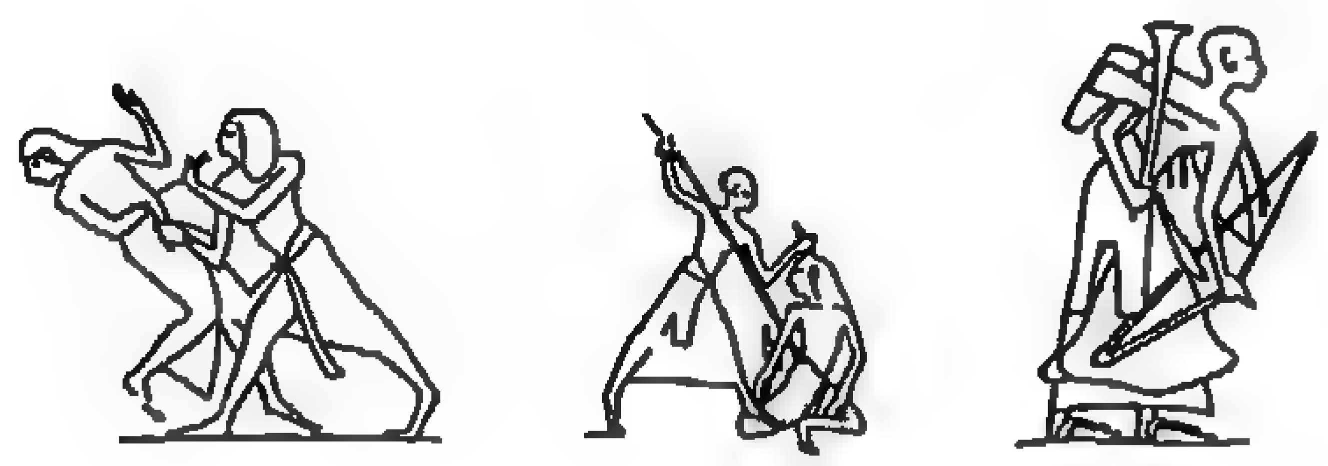
ومن الملاك العسكريين الذين منحوا قطعا زراعية : جنود مشاة ، وراكبو مركبات حربية ، ورؤساء اصطبلات ، وجنود أجانب من الشردن SHERDEN ممن تم تجنيدهم فى الجيش المصرى .

وتتراوح مساحات القطع الزراعية التى منحت لهؤلاء الملاك العسكريين ، ما بين ثلاث وخمس «أرورات» . وبالرغم من أن هذه المنح لم تكن ملكية فردية بالمعنى القانونى الدقيق ، إلا انها كانت تخضع لقواعد التوريث المعمول بها فى المجتمع المصرى فى ذلك العصر . وكان التوريث قاصراً على «حق الانتفاع» بالأرض .

ومن بين المنتفعين بهذه القطع نجد بعض أسماء لنساء ، ربما كن أرامل ، وأسماء لابناء صغار (من أسر شهداء المعارك) . وقد كتبت أسماؤهم جنبا إلى جنب مع أسماء المنتفعين العسكريين ، كما وزعت عليهم مساحات مماثلة للمساحات الممنوحة للعسكريين ، الأمر الذى يؤكد أن هؤلاء النساء والأبناء كانوا أرامل وأيتام الجنود الذين سقطوا فى ساحات القتال خلال الصراع الطويل ضد شعوب البحر ، أو فى الحروب الأهلية التى نشبت نتيجة للصراع على العرش بعد موت ، أو ربما اغتيال «رمسيس الثالث» .

وهناك معلومة أخرى ذات دلالة ، يمكن اشتقاقها من بردية «ويلبور» تتعلق بتلك العلاقة العضوية بين المنتفعين العسكريين والممتلكات الخاصة بالمعابد ، وكما سنرى فيما بعد ، فإن وظائف الكهنوت فى المعابد المصرية ، أصبح يحتلها العسكريون بصفة متزايدة منذ عهد «حور محب» وربما منذ عهد «آى» . مما يدل على ازدياد الاتجاه نحو سيطرة الطبقة العسكرية على كل مصادر الثروة .

وثمة نوع آخر من القطع الزراعية ، نصت عليه الفقرة «ا» من بردية «ويلبور» يتميز بصغر مساحته المقاسة بالذراع المربع (الذراع المربع يساوى $\frac{1}{100}$ من الأرورا أو الفدان) . وتتراوح هذه القطع الزراعية ما بين ستة إلى مائتين ذراع مربع . وقد منحت لفئات مختلفة من الناس ، معظمهم من الكهنة والكتبة والعمال الزراعيين . ويبدو الفرق الاجتماعى واضحاً ، إذا أجريت أية مقارنة بين هؤلاء الموظفين المدنيين والمنتفعين العسكريين ، وغيرهم من أرامل وأيتام العسكريين الذين شملتهم الفئة الأولى .



ويشير «شولمان» إلى أنه فى زمن السلم ، كان العسكريون يحالون إلى الاحتياطى ، ويستدعون إلى الخدمة العاملة فى زمن الحرب فقط ، ولم يكونوا دائما تحت السلاح . وتبين بردية «ويلبور» أن الجندى العادى كان يحتل الأرض الممنوحة له ويزرعها بنفسه .

ويقول «موللر W. M. MULLER» أن نقوش «حور محب» فى الكرنك ، تبين أن جنود مصر كانوا قسمين كبيرين ، وأن تصنيف المحاربين فى الفترة المتأخرة من التاريخ المصرى إلى قسمين (هما كلاسيريان KALASIRIANS وهرموتبيان HERMOTYBIANS) على النحو الذى أشار إليه «هيرودوت» يرجع على الأقل إلى الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر .

وكان الابن الأكبر يرث المنصب العسكرى الذى كان يحتله أبوه ، بكل الامتيازات الملحقة بهذا المنصب . وفى حالة عدم وجود وريث مناسب ، فإن الحكومة تعين شخصا آخر يحتل المنصب . ويؤكد «شولمان» أن المناصب العسكرية أصبحت وراثية عادة ، بشرط أن تتحقق شروط معينة تتعلق باللياقة لأداء الخدمة العسكرية .

وقد تدعم مبدأ الوراثة هذا مع مرور الزمن ، حتى أصبح فى الفترة المتأخرة أمراً معتاداً ، على النحو الذى وصفه المؤرخون الأغريق القدماء . ويشير «موللر» إلى أن هذا النظام العسكرى فى جوانبه الاجتماعية ، يشابه إلى حد ما النظام العسكرى الذى كان سائداً فى عصر المماليك فى مصر خلال القرون الوسطى .

ويلاحظ أن النظام القائم على المحاربين المحترفين كان مطبقا بمصر منذ أيام الفراعنة العظام فى الدولة الوسطى . ولكن من الواضح أنه لم يكن هناك وقت كافٍ كى يتطور ، ولذا فانه لم يصمد أمام غزو الهكسوس الكاسح . ومع ذلك فإن استمرار هذا النظام خلال الفترة الانتقالية الثانية فى الأقاليم الجنوبية من مصر العليا ، وفر الظروف العسكرية والاجتماعية الاساسية لأمراء الأسرة السابعة عشر ، لشن حرب التحرير الكبرى ضد الهكسوس .

وقد تطورت نواة هذا النظام بسرعة اثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، على النحو الذى شرحناه آنفاً ، حتى وصل إلى النضج الكامل فى عصر الرعامسة . ونحن نعرف من بردية «ساليبه SALLIER رقم ١ ، ٧ ، ٣» أن تعبير «العسكرية المتوارثة» كان كثيراً ما يستخدم . إذ تذكر البردية اسم «مالك اصطبل» يمثل الطبقة العليا من «القوات المتوارثة» . وتشير البردية إلى انه فى حالة ما إذا «تركته خيوله» فإنه ينتقل إلى «الطبقة المتوارثة» . وهى هنا المشاة .

كما أن «القوة المتوارثة» للفرعون ، قد ذكرت فى بردية «بولونيا» ، كما ذكرت أيضا ضباط «القوات المتوارثة» وهناك مناظر منقوشة فى مدينة هابو تشير فى الغالب إلى الجنود المتوارثين وهم يتعلمون كيفية اداء واجباتهم على أيدى بعض الكتبة العسكريين .

ولاشك أن الدرجة الكبيرة من الرخاء التى بلغتها مصر فى النصف الأول من عصر الرعامسة ، والتى بلغت ذروتها فى عهد «رمسيس الثانى» ، إذا أخذنا ضخامة المعابد كمعيار لاذدهار المملكة ، ترجع بصفة أساسية كما هو واضح إلى حالة الاستقرار الداخلى ، وتفوّق القوة الثقافية فى بداية عصر الرعامسة ، وتحسن الموقف فى آسيا . فقد كان لكل ذلك انعكساته الاجتماعية . وتمدنا النصب التذكارية الخاصة والنقوش الكثيرة التى يرجع تاريخها إلى تلك الفترة ، بأدلة إضافية على حالة الرخاء التى كانت تتمتع بها الطبقة المتعلمة على الأقل [صورة ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨] .

ويمكننا التحقق من درجة ثراء الطبقة العسكرية ، وبخاصة كبار ضباطها وقادتها . ففى نقش على النصب التذكارى المعروض بمتحف «شتراسبورج» تحت رقم «١٣٧٨» ، يسجل أحد الضباط تبرعه بمساحات كبيرة من الأراضى الزراعية ، إلى معبد «آمون رع» على النحو التالى : «لقد أعطيت حقلاً مساحته ٥٠ أرورات كقربان مقدس «لآمون رع» فى قلعة (بخن BHN) ... كما أعطيت حقلاً مساحته ٢١ أرورات لعمال السخرة (؟) .. وبالمثل حقلاً من عشر أرورات بالاضافة إلى ثلاثة أرورات لعمال السخرة (؟) (الهاتياى HATIAY)» .

ويعبر أحد مدربى المركبات الحربية عن مستوى حياة الضباط العسكريين ، والكبرياء التى توحى بها مهنته ، فى خطاب أرسلة إلى زوجته يقول فيه : «الآن ، انظرى ، عندما كنت أعلّم جيش فرعون له الحياة والقوة والسعادة ، وأذرب رجال مركباته الحربية ، جعلتهم يزحفون على بطونهم من أجلك ، وهم يحملون كل شيء طيب ، من أجل أن يقدموه إليك» .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد ، أن الرتب والألقاب المستخدمة فى سلاح المركبات الحربية ، بدأت تظهر فى بروتوكولات تعيين الضباط منذ عصر العمارنة وكان من أكبر طموحات الشبان المصريين ، أن يصبحوا من مقاتلى المركبات الحربية باعتبار أن ذلك من أرفع وأميز المناصب العسكرية .

وتدل أكثر من وثيقة من عصر الرعامسة ، على تفوّق المناصب العسكرية ، وخاصة مناصب الضباط ، على المناصب المدنية . إذ جاء فى النصب التذكارى المسجل عليه زواج «رمسيس الثانى» ، نص العبارة التالية : «... وبعد أن تلقى الملك الانباء . أعد جيشه وكبار الموظفين . لتلقى واستقبال الوفود الاجنبية» . فهو هنا يذكر الجيش قبل كبار الموظفين .

وأكثر من ذلك ، فإن الهدايا والهبات الكبيرة التى كانت تمنح لآلهة مصر ، وفى مقدمتهم جميعا الاله «آمون» تعكس بالضرورة وبطريقة غير مباشرة ، رخاء الطبقة العسكرية . فمثلا كانت الوحدات البحرية العاملة فى البحر المتوسط ، متخصصة فى نقل الجزية من الأقاليم الآسيوية فى عهد «رمسيس الثانى» ، إلى معبد «سيتى الأول» فى «أبيدوس» .

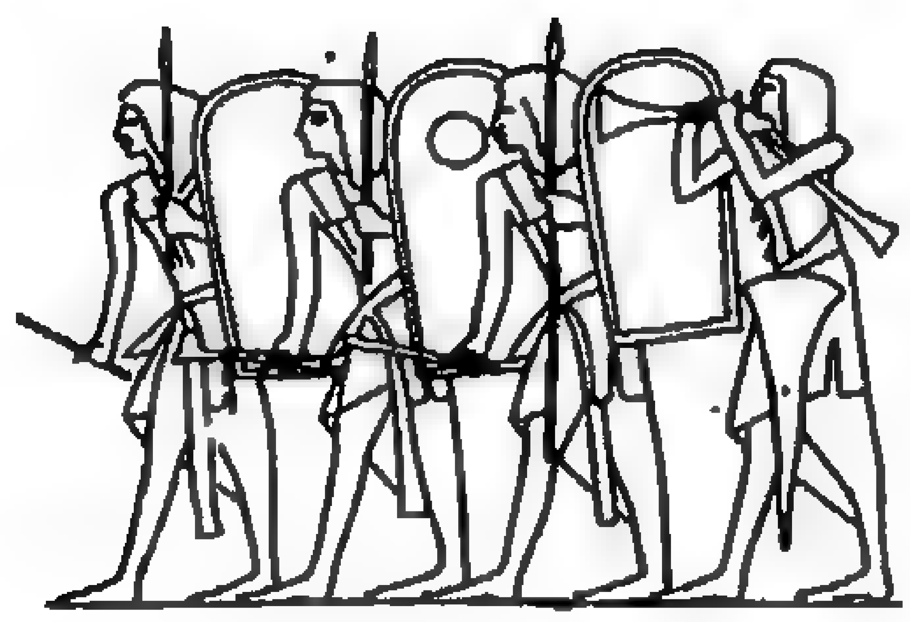
وكانت هناك مجموعة من الأساطيل مخصصة لمعابد «آمون ورع وبتاح» ، وتقوم بجلب الجزية من سوريا وبلاد بونت . ففى بردية «هاريس» الأولى ، يسجل «رمسيس الأول» أنه أمر ببناء سفن وقوارب مزودة بالمحاربين المسلحين والضباط ، من أجل معبد الالهة «موت» فى الكرنك . كما كانت الوحدات العسكرية مكلفة بحراسة ثروات وممتلكات معابد «رع» وغيره من الآلهة فى هليوبوليس .

هذا المستوى المتميز لمعيشة أفراد الطبقة العسكرية فى مجتمع الرعامسة ، أدى بالضرورة ، وخاصة فى زمن السلم ، إلى التوسع فى تجنيد الأجانب فى الجيش المصرى ، كما سنبين فيما بعد .

وفى اعتقادى أن بعض الأعمال الأدبية فى عصر الرعامسة التى تتضمن نصوص الشكوى من متاعب الحياة فى الجيش ، لم تكن تؤخذ مأخذاً جدياً . ومثل هذه التصريحات المتعلقة بمشقة الحياة العسكرية ، لم تكن تركز فقط على المشاة ، وانما تمتد كذلك إلى سلاح المركبات الذى كان يضم النخبة الممتازة من طبقة العسكريين .

ولاشك أن جنود المشاة كان لهم الحق فى الشكوى ، لأنهم يعيشون مع التراب والعرق والدم . وفى الغالب أدت الرفاهية النسبية وطريقة الحياة السهلة ، إلى التأثير فى القدرة على تحمل النظام الصارم والحياة العسكرية الشاقة ، خاصة بعد أن خبت عظمة الامبراطورية ، وولى عصر الأمجاد والانتصارات الحربية ، بعد أن تحقق النصر على شعوب البحر .

ويعتقد «شولمان» أن الاشارات الخاصة بجوانب الشقاء فى الحياة العسكرية ، مبالغ فيها إلى حد ما ، فالنظام العسكرى لم يكن يقوم على القسوة بالرغم من العقوبات التى كانت توقع أحياناً كالضرب المبرح الذى ظل معمولاً به فى الجيوش الحديثة حتى أوائل القرن العشرين .



الفصل الثالث

تدهور الامبراطورية المصرية

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : تغيرات عنصرية وچيوبوليتيكية فى خريطة العالم القديم .

المبحث الثانى : الطبقة العسكرية والمعابد فى عصر الرعامسة .

المبحث الثالث : الأمراء والوزراء العسكريون .

المبحث الرابع : تقلد الضباط للوظائف الادارية والكهنوتية فى المعابد ، ونمو الطبقة الكهنوتية العسكرية .

المبحث الخامس : أسرة «رمسيس نخت» كبير كهنة آمون .

المبحث السادس : تجنيد الأجانب فى جيش الرعامسة .

المبحث السابع : الأزمة الاقتصادية فى أواخر الدولة الحديثة .

المبحث الأول

تغيرات عضوية وچيوبوليتيكية (١) فى خريطة العالم القديم

مما لاشك فيه أن الموارد الاقتصادية لمصر قد أنهكت إلى حد كبير ، خلال الكفاح الدفاعى المستميت ، ضد الهجمات العنيدة المتوالية لشعوب البحر .

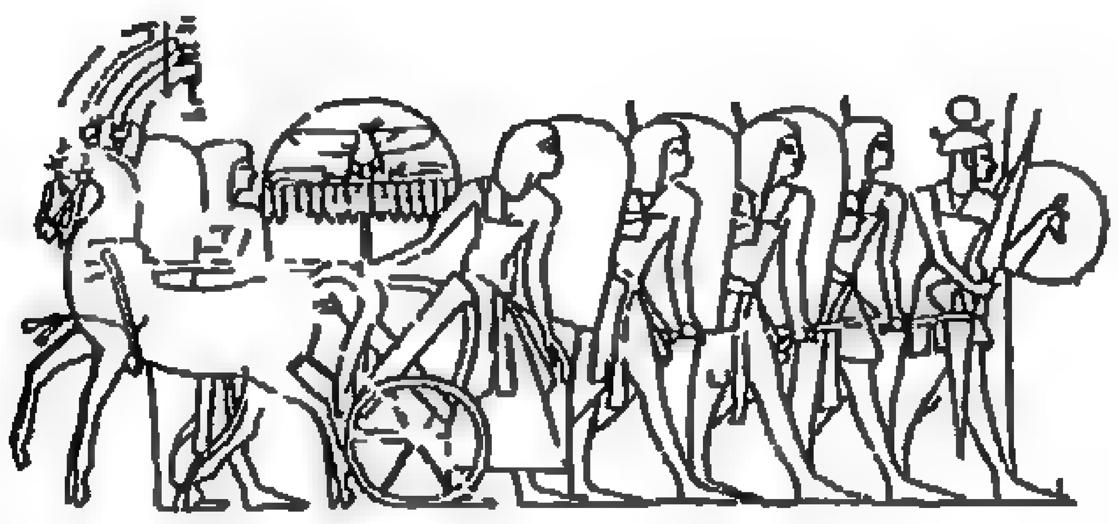
ولم تكد مصر تنجو من هذا الخطر ، حتى بدأت هيبة الامبراطورية المصرية فى الهبوط بسرعة فى عهد «رمسيس الثالث» . إذ تدل لوحة «مرنبتاح» – التى ورد فيها ذكر اسرائيل لأول مرة – على أن الأقاليم السورية كانت بالفعل خارج السيطرة المصرية . ولم تذكر فى هذه اللوحة من الأقاليم التابعة لمصر ، سوى الأقاليم والمدن الفلسطينية .

ويمكننا أن ندرك مدى خطورة الموقف الذى تسببت فيه حركة الهجرة للشعوب القادمة من الشمال ، من كلام «رمسيس الثالث» نفسه ، إذ يقول مشيراً إلى هذا الاجتياح : «لم يستطع أحد أن يقف أمامهم من خيتا ، وكود KODE وقرقميش ، وارفد ARVAD ، وألاسا ALASA .. لقد تبعثروا ...» [صورة ٤٩] .

لقد تأثرت كل منطقة الشرق الأدنى تأثيراً عميقا ، نتيجة لغزوات وهجرات شعوب البحر ، وحدث تغيير مفاجىء فى الخريطة العنصرية والجيوبوليتيكية للعالم القديم . وقد تعرضت مصر لغزوتين كبيرتين من شعوب البحر ، كانت أولاهما فى عهد «مرنبتاح» ، وحدثت الثانية بعد ذلك بنحو ثلاثين عاماً ، حيث ظهر الخطر على حدود مصر الشرقية والغربية ، بالاضافة إلى الشواطىء الشمالية . وبهذا كانت مصر فى موقف بالغ الخطورة .

وإلى جانب ما أصيبت به مصر من جراح خطيرة مست حيويتها فى صراعها المرير من أجل الحياة ، بدأت أيضا عوامل التدهور الداخلى تتغلغل فى هيكل الحضارة المصرية ، فتحول الدور الايجابى الذى قامت به النخبة الممتازة من طبقة العسكريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، إلى نشاط سلبى يقتصر على استغلال موارد مصر الداخلية الدينية والاقتصادية .

وحاول أجانب كثيرون – كانوا بصفة اساسية مجندين فى الجيش – أن يندمجوا ثقافياً فى المجتمع المصرى . وبدأت التغيرات العنصرية تطرأ على الحياة الدينية والاقتصادية ، وتؤدى إلى حالة من القلق السياسى الدائم ، إلى أن تدهورت القيم الاخلاقية فى النهاية . كما أدت الفتن والحروب الأهلية إلى انحلال وحدة الجيش ، وتفكيك الدولة وسلطتها المركزية .



المبحث الثانى

الطبقة العسكرية والمعابد فى عصر الرعامسة *

ذكرنا فيما سبق أنه كان هناك مثلان استثنائيان فقط ، فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، حاول فيها العسكريون احتلال المناصب الكهنوتية .

ولكن منذ قيام الأسرة التاسعة عشر ، حدث تغير هام فى هيكل طبقة الكهانة المصرية . وفى اعتقادى أن نص تتويج الملك «حور محب» يمثل أول مظهر رسمى لنشأة هذا النظام الجديد ، إذ أن هذا النص يعلن شغل كل المناصب الدينية الشاغرة فى المعابد والأضرحة المقدسة للآلهة ، فى كل أنحاء مصر ، بواسطة الكهنة العاديين والكهنة المرتلين الذين جاءوا من صفوف الجيش .

والواقع أن جذور هذه السياسة الدينية الجديدة للدولة تكمن فى فترة العمارنة ، عندما أدى الاضطهاد الذى انصب على آلهة مصر وبخاصة الإله «آمون» ، إلى تصفية الطبقة العليا للكهانة التقليدية المحافظة .

ومن المحتمل أن الطبقات الدنيا من الكهنة انضموا إلى الجيش بحثاً عن ملجأ بين صفوفه وعندما بدأت العودة إلى النظام المحافظ القديم ، وأعيد افتتاح وتنظيم المعابد ، اقترن ذلك بحركة واسعة النطاق من جانب العسكريين ، لشغل الفراغ فى المناصب الكهنوتية .

وبطبيعة الحال فإن زعماء الطبقة العسكرية الذين كانت لهم السلطة العليا فى البلاد منذ عهد «آى» كانوا يدركون أن السيطرة الكاملة على الأنشطة الكهنوتية أمر لا غنى عنه لدوام سيادتهم فى مصر .



وبالاضافة إلى ذلك ، فإن سياسة الرعامسة كانت تهدف إلى فرض التوازن بين الآلهة الرئيسية فى مصر ، لتجنب عودة «آمون» إلى نفوذه القوى القديم ، ولمنع طبقة الكهنة فى طيبة من الحصول على النفوذ المطلق . ولذلك فقد أقيم مركز دينى ثان للاله «آمون» فى مدينة تانيس ، لتحقيق التوازن مع آمون» فى طيبة . كما أن تكريس معبد رائع جديد للاله «أوزيريس» فى أبيدوس ، كان خطوة أخرى فى هذا الاتجاه من أجل استغلال الشعبية الكبيرة التى كان يتمتع بها إله العالم الآخر فى أوساط الجماهير الشعبية الورعة .

ويلاحظ «أنتس R. ANTHES» أنه بالرغم من أن الاله «آمون»قد استعاد مركزه كإله للدولة ، فقد كان عليه أن يشارك النفوذ مع «رع – حور – آختى» فى هليوبوليس و «بتاح» فى منف .

ومما له دلالة فى هذا الشأن أن ملوك الرعامسة ، مثلهم فى ذلك مثل كل فراعنة ما بعد فترة العمارنة ، لم يضيفوا اسم «آمون» إلى اسمائهم ، باستثناء وحيد هو «توت عنخ آمون» .

وكان تتويج الملوك منذ «حور محب» لا ينفرد به «آمون» فى طيبة ، وانما يلعب فيه الاله «حورس» أيضاً دوراً لا يقل أهمية . وفى معبد «سبيوس ارتميدوس» نص يشير إلى أن تتويج «سيتى الأول» لعب فيه الاله «تحوت THOT» دوراً معينا . كما أن الاله «بتاح» هو الذى وعد الملك «مرنبتاح» بالنصر على الليبيين ، مع أن تلقى الوحى من الآلهة كان قاصراً من قبل على الاله «آمون» وحده .

وسوف نبحث فيما بعد ، تنفيذ سياسة الرعامسة فيما يتعلق بتوظيف ضباط الجيش فى وظائف الكهانة المصرية ، والخطر الذى نشأ عن الخلط بين المؤسستين الكبيرتين فى الدولة ، وهما الجيش والمعابد . ذلك الخلط الذى أصبح واضحاً فى نهاية الدولة الحديثة .

ومن المؤكد أن ظهور الضباط فى وظائف الكهنة أثناء عصر الرعامسة ، كان المقدمة التاريخية لظهور «الملوك الكهنة» و «الدولة الثيوقراطية THEOCRATIC STATE» (1) فى الأسرة الحادية والعشرين .



المبحث الثالث

الأمراء والوزراء العسكريون

إلى جانب قيام «سيتى الأول» بواجباته العسكرية «كقائد عام للجيش» فى عهد أبيه «رمسيس الأول» كان أيضا يحمل هذه الألقاب : «المشرف على كهنة كل الآلهة» و «الكاهن المرتل للالهة أوتو UTO» [1] و «بذرة أبيه الاله سوكر SOKAR» [2] وهو لقب كان يمنح لكبار كهنة منف . وذكر أيضا باعتباره «رئيس احتفال منديس» والذى قام بالمراسم الدينية فى هذه المناسبة . كما قام بنفس الدور الدينى فى عيد الاله «ست» فى تانيس ، كما تشير إلى ذلك لوحة الأربعمائة عام .

ومن المحتمل إلى حد كبير أن «خع - إم - واس» ابن «رمسيس الثانى» كان له دور سابق قبل أن تستغرقه نشاطاته الدينية والأثرية ، فقد اشترك هذا الأمير فى الاحتفالات اليوبيلية «حب - سد HEB - SED» فى الأعوام «٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢» من حكم أبيه . وكان يشغل منصب الكاهن الأعلى فى منف . فى حين أن أخاه الأمير «مرى - آتوم MERIATUM» عين كاهناً أعلى للاله رع فى أون (هليوبوليس) .

وقد قام «خع - إم - واس» بنشاط بارز فى مجال المحافظة على التراث وترميم الآثار والمعابد القديمة ، مثله فى ذلك مثل سلفه الضابط العسكرى الكبير «أمنحتب بن حابو» ، إذ رمم عدداً من المعابد والمبانى الدينية التى يرجع تاريخها إلى زمن الدولة القديمة ، مثل هرم «أوناس UNAS» بسقارة ، وهرم «ساحو رع SAHU RE» ومصطبة «شبسسكاف SHEPSESKAF» . بالاضافة إلى منشآت أخرى يرجع تاريخها إلى الدولة الوسطى . كما ساهم فى انشاء معبد مدينة «بر - رعمسيس» فى الدلتا [3] ، حيث كان يقيم ملوك الرعامسة . وهذا المعبد يحمل سمات المعابد القديمة .

ويشير نص بطلمى ، إلى أن الكتب التى نسخت بواسطة «أمنحتب بن حابو» قد اكتشفت بواسطة «خع – إم – واس» . وعلى هذا فإن الاهتمام الثقافى بالآثار ، الذى ظهر فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، قد تضاعف فى عصر الرعامسة . وكان «خع – إم – واس» أبرز الشخصيات فى هذا المجال .



وفى الأسرة التاسعة عشر ، كان كل الوزراء يمثلون الفراعنة فى أداء المراسم الدينية فى عيد الاله «آمون» . وكان كل واحد منهم يحمل لقب «رئيس احتفال آمون» . وهو دور قام به من قبل «سننموت» فى عهد الملكة «حتشبسوت» وكان ضابطا مقاتلا فى عهد «تحوتمس الأول»و «تحوتمس الثانى» . وقام بنفس الدور أيضا «أمنحتب بن حابو» فى عهد «امنحتب الثالث» .

كما أن «باسر PASER» ، وكان وزيراً فى طيبة فى عهد «سيتى الأول» قد عين فيما بعد «كاهنا أعلى للاله آمون فى أون الجنوبية» وأصبح يحمل لقب «ور – مآو - wr m3w» (٤) ولقب «الكاهن المرتل للاله بتاح» فى طيبة .

وكان «نب – آمون NEB AMUN» وزير «سيتى الأول» فى منف سليل أسرة من الكهنة . وكان أخوه يشغل منصب الكاهن الأعلى فى أبيدوس .

كما أن الوزير «رع حتب RA HOTEP» فى عهد «رمسيس الثانى» كان فى الغالب ضابطا عسكرياً سابقاً كما يدل على ذلك لقبه «مبعوث الملك إلى بلاد الحيثيين» . وهو لقب كان يحمله الضباط العسكريون . ويعتقد «كيس H . KEES» أن من المحتمل أن يكون «رع حتب» قد أشترك فى مباحثات معاهدة الصلح التى وقعت فى العام الحادى والعشرين من حكم «رمسيس الثانى» .

وينتمى «رع حتب» إلى واحدة من أقوى العائلات نفوذاً فى عصر الرعامسة . وكان اعضاؤها يشغلون مناصب عليا فى الجيش والكهنوت . وهى ظاهرة مميزة للأسر الكبيرة فى عصر الرعامسة . وكان هو شخصياً يحمل ألقاب «الكاهن الأعلى» و «الكاهن المرتل للاله بتاح» فى منف ، و «كبير كهنة رع – آتوم RE ATOM» . وقد دفن «رع حتب» فى مقبرة أسرته فى «جبل سيدمنت GEBEL SEDMENT» (٥) بجبانة «هيراكليوبوليس HERAKLEOPOLIS» مع عدد من اعضاء أسرته ، ومع أخيه «با –رع حتب PA RA HOTEP» ، وكان أيضا وزيراً فى عهد «رمسيس الثانى» . ومن بين أعضاء أسرته أيضا ، ضابطان بحريان يحمل كل منهما لقب «قائد سفينة» ، وضابط ثالث يحمل لقب «قائد الفرسان» وضابط رابع يحمل لقب «مبعوث الملك» وهو لقب عسكرى .

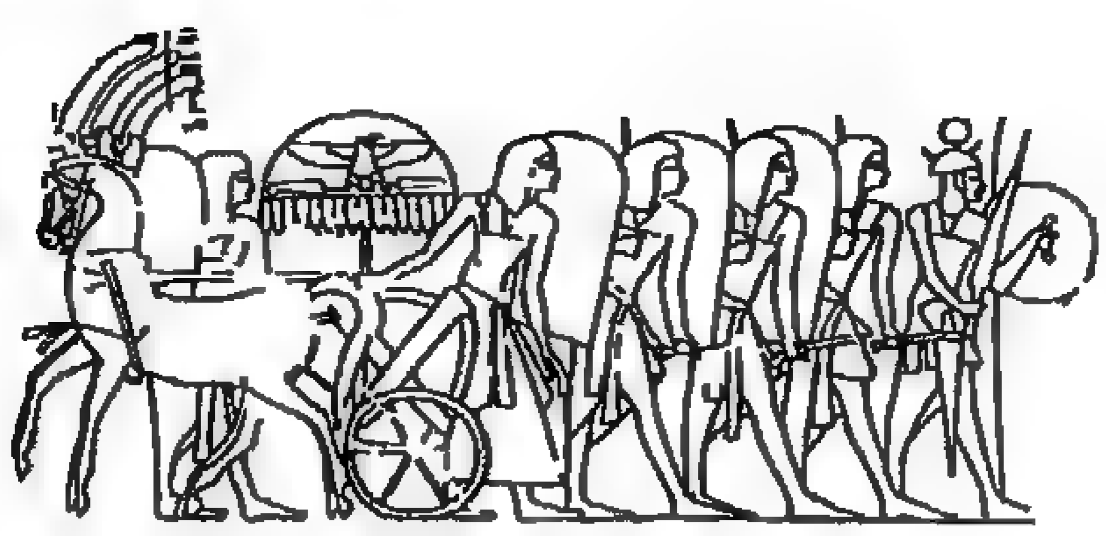
والتقليد الذى بدأته الأسرة الثامنة عشر بشأن منح لقب «المشرف على كهنة كل آلهة مصر العليا والسفلى» للشخصيات العسكرية ، مثل كاتب التجنيد «حور محب» فى عهد «تحوتمس الرابع» ، ومثل «رعموزا» فى عهد «امنحتب الثالث» ، قد استؤنف فى أوائل الأسرة التاسعة عشر . فقد لوحظ أن القائد «با رعمسيس» وزير «حور محب» ومؤسس الأسرة التاسعة عشر ، كان يحمل هذا اللقب المنقوش على تمثاله الشهير بالكرنك .

كذلك فقد كان «سيتى الأول» كقائد عام للجيش ووزيراً فى عهد أبيه «رمسيس الأول» يحمل نفس اللقب فى لوحة الأربعمائة عام .

وكذلك «نفر – رع – نبت NEFER - RE - NPT» الذى شغل منصب الوزير حتى العام الستين من حكم «رمسيس الثانى» كان يحمل نفس اللقب إلى جانب ألقاب أخرى مثل «الكاهن الأعلى» و «الكاهن المرتل للاله بتاح» و «رئيس احتفال آمون» . وكذلك فإن «نب نيترو NEB NETRU» الوزير والكاهن الأعلى للاله «آمون» ، كان يتمتع بنفس اللقب ، وربما كان أخاً «لباسر» وزير منف .

وكانت هذه السياسة الدينية متبعة منذ عهد «تحوتمس الرابع» وهى تعكس احتدام الصراع بين الضباط العسكريين ونبلاء طيبة خلال فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وقد استؤنفت هذه السياسة فى بداية عصر الرعامسة ، فكان ملوك الأسرة التاسعة عشر يعملون على فرض سيطرتهم المباشرة على القطاع الدينى ، ويريدون فى نفس الوقت أن يحدوا من النفوذ التقليدى لكهنة «آمون» . ومما له دلالة فى هذا الصدد أن الكاهن الأكبر للاله «آمون» ، كان يعين وزيراً للملك أثناء فترة الرعامسة .



المبحث الرابع

تقلد الضباط للوظائف الادارية والكهنوتية فى المعابد ونمو الطبقة الكهنوتية العسكرية

أصبح توظيف الضباط فى المعابد ، سواء فى المناصب الادارية أو فى المناصب الدينية المقدسة ، تطبيقا شائعاً ، ظهرت آثاره الخطيرة فى أواخر الأسرة العشرين .

وقد استقرت فى العاصمة وفى الأقاليم المصرية ، عائلات يرتبط فيها العسكريون والكهنة برباط الدم ، وأصبح ذلك الأمر ظاهرة مميزة للمجتمع المصرى فى عصر الرعامسة . وكانت تقوم بين هذه العائلات المختلفة روابط قوية عن طريق التزاوج بين أعضائها . وبالتالى فقد نشأت طبقة جديدة قوية تتمتع بسيطرة حاكمة .

ومن المعروف أن تنظيم المعابد والألقاب الكهنوتية يرجع إلى أقدم العصور الفرعونية ، فى حين أن الألقاب العسكرية العديدة مثل كتبة التجنيد ، وكتبة الجيش ، والألقاب المتعلقة بمستويات الخدمة بسلاح المركبات الحربية ، ظهرت فقط فى عصر الامبراطورية .

وعلى ذلك يمكننا أن نتوقع أن المسئولين العسكريين بعد أن يعينوا فى وظائفهم الكهنوتية الجديدة ، كانوا أكثر افتخاراً بهذه الألقاب الكهنوتية التقليدية المحترمة . وقد كانت الجندية والكهانة ، هما المهنتين المفضلتين لدى الطبقة المصرية الحاكمة فى عصر الرعامسة .

وهكذا كان فراعنة أواخر الأسرة العشرين ، يواجهون طبقة كهنوتية ذات طبيعة مختلفة تماماً ، إذ تؤيدها عناصر عسكرية متصلة بها بروابط الدم أو العلاقات الطبقية ، وفى نفس الوقت ، فقد هؤلاء الفراعنة حليفهم القوى المتمثل فى الطبقة العسكرية الطموحة ، على نحو ما كان عليه الحال فى الأسرة الثامنة عشر .

وهكذا استوعب الكهنة المصريون ، وخاصة كهنة «آمون» ، الدرس التاريخى لأزمة العمارنة . وأخذوا يسعون للسيطرة على الحكم بأنفسهم ، وهذا ما تحقق بقيام الأسرة الحادية والعشرين التى أسسها الكاهن الجنرال «حريحور» والتى أقامت فى طيبة حكماً «ثيوقراطياً» – دينيا – للملوك الكهنة . ولقد كانت هذه نتيجة تاريخية لتطور الطبقة العسكرية ، وتحولها إلى طبقة مختلطة جديدة من الكهنة والعسكريين فى أثناء عصر الرعامسة .

كما أن عادة استخدام الضباط والموظفين العسكريين فى ادارة المعابد واملاكها فى الأسرة الثامنة عشر ، قد ازدادت بشكل واضح فى عصر الرعامسة . مع فارق هام ، هو أن الألقاب العسكرية أصبحت ترتبط غالباً بالوظائف ذات الطبيعة الادارية . وهى ظاهرة تدل على تزايد نفوذ العسكريين ، حتى لقد أصبح من العسير أحياناً ، أن نعرف ما إذا كان هؤلاء الموظفون العسكريون لا يزالون فى الخدمة العسكرية العاملة أم أنهم قد تركوها نهائياً بعد أن احيلوا إلى الاستيداع أو التقاعد . ولكن فى بعض الحالات يمكننا أن نتأكد من أن حامل اللقب العسكرى لا يزال فى الخدمة العاملة ، إذا كان مكلفاً بأداء مهمة معينة ، وتحت قيادته وحدات عسكرية .

فى عهد «حور محب» ، كان القائد العام للجيش المدعو «آمون إمونيت AMEN EMONET» يحمل ألقاباً تدل على نشاطه الادارى فى مختلف المعابد ، فهو «المشرف على أعمال بيت رع» فى هليوبوليس ، و «المشرف على المعبد الجنازى لتحوتمس الثالث» و «المشرف على الخزانة الملكية» .

وهناك مسئول آخر يدعى «حويا HUYA» ، كان قائداً لقوات الشرطة فى عهد «رمسيس الثانى» وربما استمرت خدمته أيضا حتى عهد «مرنبتاح» . وكان يحمل

ألقاب «المشرف على أملاك بيت رمسيس» فى منف ، و «المشرف على مبانى جلالته» فى أحد معابد منف على الأرجح .

وهناك ضابط شرطة آخر يدعى «آمون إموبيت AMEN EMOPET» فى عهد «رمسيس الثانى» كان مكلفاً بمسئوليات إدارية فى بعض المعابد بالنوبة . وضابط آخر يدعى «حيكا – إن – حاب HEKA EN HAB» ، يعتقد أنه كان «مشرفاً على الأعمال» فى منف ، و «رئيساً لاحتفال الاله بتاح» . فهناك أيضا «تى – يا TI YA» وهوكاتب ملكى كان ينتمى إلى أسرة عسكرية فى عهد «مرنبتاح» وكان والده «كاتب تجنيد» وكان هو نفسه موظفا عسكرياً . كما كان هناك ضابط يحمل لقب «حامل درع الفرعون» اسمه «حورى HORI» وكان ينتمى إلى أسرة من الكهنة .

وقد قام «رمسيس الثانى» فى مناسبة الاحتفال بعيد «أوبت» بالكرنك ، فى السنة الأولى من حكمه ، بأداء المراسم الدينية التى يقوم بها الكاهن الأعلى «لآمون» ، وكان يحمل لقب «الكاهن الأول لآمون ملك مصر العليا والسفلى رمسيس» .

وفى وقت مبكر جداً من حكمه ، عين «رمسيس الثانى» «نب – ونن – إف NEB WENEN EF» فى منصب الكاهن الأعلى «لآمون» فى طيبة ، بعد استيحاء الاله وطلب مشورته . ونلاحظ أن تعيين الكاهن الأعلى بعد استشارة الاله ، كان تقليداً يعمل به فى بعض الأحيان . فنحن نعرف مثلا أن «مرى بتاح MERY - PTAH» قد عين فى عهد «حور محب» فى منصب الكاهن الأعلى للاله بتاح ، بعد استيحاء إرادة الاله وطلب مشورته . ومع ذلك فإن «نب – ونن – إف» لم يتم اختياره من بين مجموعة كهنة «آمون» فى طيبة .

بل وقد لاحظنا أيضا أن «نب – ونن – إف» كان يتبع اسمه بلقب عسكرى هو «القائد» أو «الجنرال» . ومن المهم أن نذكر فى هذا المجال أن لقب «قائد الجيش» كان من ضمن قائمة المرشحين التى قدمت إلى الاله فى مناسبة تعيين «نب – ونن – إف» فى منصب الكاهن الأعلى للاله «آمون» .

يعد اقتران اللقب العسكرى «القائد» أو «الجنرال» بالألقاب الدينية لكبار كهنة «آمون» وغيره من الآلهة ، بمثابة نغمة جديدة تذكرنا بالتقليد القديم الذى كان يتبعه أمراء الأقاليم المصرية فى الدولة الوسطى ، عندما كانوا يقدمون فرقهم العسكرية إلى الفرعون فى زمن الحرب .

ولأول مرة منذ الدولة القديمة ، عندما كان كبار كهنة هليوبوليس ، يسمى الواحد منهم «قائد الجنود» استؤنف هذا التقليد القديم الذى يربط بين الألقاب العسكرية والألقاب الكهنوتية . وهذا يدل على بداية علاقة «ديناميكية» جديدة بين الجيش والمعابد ، خاصة فى زمن الحملات العسكرية الكبرى فى آسيا ، فى السنوات الأولى فى الأسرة التاسعة عشر .

لقد قامت رابطة قوية بين المؤسستين الكبيرتين فيما يتعلق على الأقل بتقديم المؤن والمهمات وتجنيد الجنود للجيش . ونحن نعرف ضابطاً عسكرياً كبيراً هو الجنرال «أمون – إم – أوبت» كان يحمل لقب «المشرف على المجندين فى أملاك آمون» .

وهناك كاتب تجنيد كلف بالقيام بواجباته فى تجنيد الاشخاص والخدم فى معبد الرمسيوم . وكان «ريجا RIGA» وهو كاتب تجنيد يشغل مناصب ادارية ودينية فى أبيدوس وقفط . وثمة كاتب تجنيد آخر أمضى جزءاً من خدمته العسكرية فى البحرية وسلاح المركبات الحربية ، كان يشغل منصب « الكاهن الأكبر لأونوريس فى ثنيس (طينه) THINIS» ويرى «كيس» أن الكاتب الملكى «ندجم NUDJEM» كان ضابطاً عسكرياً على أساس انه كان يحمل لقب «مبعوث الملك إلى كل بلد أجنبى» وكان يشغل مناصب إدارية فى الرمسيوم فى عهد «مرنبتاح» .

وكان «بتاح موسى» الكاهن الأعلى للاله بتاح فى عهد «رمسيس الثانى» يحمل لقب «القائد العام» . وهناك مسئول عسكرى يدعى «سن –نوفر SEN NUFER» كان – فى تقدير كيس وهلك – كاهنا أعلى «لآمون» فى «حنت – نفر HNT - NFR» ، وهى مركز لعبادة «آمون» بالقرب من منف ، وكان يحمل لقب «رئيس احتفال بتاح» ولقب «المشرف على كهنة (مين) سيد إخميم» .

ومن المحتمل ، فى اعتقادى ، انه كانت هناك علاقة عضوية فى عصر الرعامسة بين الجيش والمعابد ، كتلك القائمة بين الضباط والكهنة . ومثل هذه العلاقة كانت تطوراً منطقيا حدث داخل نظام ذى طبيعة عسكرية ، وكنتيجة للتوسع فى توظيف الضباط فى الوظائف الدينية والادارية فى المؤسسات الدينية .

ونشير فى هذا الصدد إلى الوحدات البحرية المسلحة التى كانت تلحق أحياناً بادارة المعابد ، فمن المعروف أن «رمسيس الثانى» أمر بتخصيص بعض السفن لنقل الجزية من سوريا إلى معبد «سيتى الأول» فى أبيدوس .

وفى بردية «هاريس» الأولى ، يذكر «رمسيس الثالث» أنه أمر بتخصيص بعض السفن والقوارب المزودة بالمحاربين وحملة السهام والضباط البحريين للمعابد . وعلاوة على ذلك ، كانت المعابد المصرية فى عهد «رمسيس الثالث» تملك أكثر من «٥٠٠» ترسانة لصناعة بناء السفن .

وكان «ون – نوفر WEN NOFRE» الكاهن الأعلى «لآمون» فى عهد «رمسيس الثانى» ينتمى إلى أسرة نمطية لعصر الرعامسة ، يشغل أعضاؤها مناصب فى الكهانة وفى الجيش . فأخوه «مين – موسى MIN MOSE» كان كاهناً أعلى للاله «مين» والالهة «إيزيس» فى إخميم ، ومن المحتمل انها مسقط رأس عائلته . بينما كان أخوه الثانى يشغل منصب «قائد حملة السهام» فى النوبة .

وكان «حورى» ابن «ون – نوفر» يشغل منصب «الكاهن الأعلى» فى تانيس . بينما كان ابنه الثانى «خع – إم – واس» يحمل لقب «كاتب وحى الاله» فى معبد «آمون» . وكان ابنه الثالث «امون – إم – أوبت» يحمل لقب «قائد قوات الشرطة» ولقب «المشرف على الاعمال الخاصة بعمائر ومبانى جلالته» ربما فى معابد النوبة .

كذلك فقد كان «ون – نوفر» له إبنا أخ أحدهما يدعى «أمون – إم – أوبت» وهو كاهن أعلى فى هليوبوليس ، ويدعى الثانى «باسر» وكان «نائبا للملك فى كوش» وضابطاً على الأرجح ، كما تدل على ذلك وظيفته .

ومما يستحق الذكر كذلك أن زوجة «ون – نوفر» كانت تنتمى لأسرة مختلطة من الضباط وكهنة «آمون» .

ونذكر فى هذا المجال أيضا أسرة وزير «رع حتب» ذات النفوذ القوى فى عهد «رمسيس الثانى» . وقد كان أعضاؤها يتقلدون أيضا مناصب فى الجيش والسلك الكهنوتى ، كما تدل على ذلك مقبرة الأسرة فى «جبل سيد منت» .

وقد بدأ «باك – إن – خونس BEK EN KHONS» الكاهن الأكبر الشهير «لآمون» فى عهد «رمسيس الثانى» حياته كجندى فى قوة التدريب بسلاح المركبات الحربية ، قبل أن ينخرط فى السلك الكهنوتى «لآمون» بالكرنك . ويؤكد «إنجلباك R. ENGELBACH» و «كيس» انه ينتمى إلى أسرة عسكرية ، وان والده هو الجنرال «أمون – إم – أوبت» الذى كان «مشرفاً على التجنيد» فى مقاطعات «آمون» على نحو ما ذكرنا آنفا .

وكان «راما – راى RAMA-RAY» الذى شغل منصب الكاهن الأكبر «لآمون» قرب نهاية الأسرة التاسعة عشر ، يحمل اللقب العسكرى «قائد آمون» كما كان يحمل لقب «المشرف على كهنة جميع الآلهة فى مصر العليا والسفلى» . كما يعتقد «برستد» و «كيس» انه كان ابن أو حفيد «باك – إن –خونس» كبير كهنة «آمون» فى عهد «رمسيس الثانى» مما يدل على المنشأ العسكرى لأسرة «راما – راى» حيث أن مؤسسها الأكبر هو الجنرال «امون – إم – أوبت » . وقد شغل ثلاثة من أبناء «راما – راى» مناصب عليا فى كهنوت «آمون» .

ويبدو من المحتمل أن معظم الأسر العسكرية الكهنوتية فى مجتمع الرعامسة ، تنحدر من أجداد ذوى أصل عسكرى ، كحالة أسرة «باك – إن – خونس» ، وأسرة «راما – راى» اللتين توليتا كهانة «آمون» . وتؤكد هذا الافتراض ثلاث حقائق تاريخية رئيسية فى هذا العصر :

الحقيقة الأولى هى ما بحثناه آنفا ، وهى أن معظم المسئولين فى عصر الرعامسة الذين تقلدوا مناصب كهنوتية ، بما فى ذلك كهانة «آمون» ، كانوا ينحدرون من أصول تنتمى إلى منف أو إلى مناطق الوجه البحرى ، وذلك طبقا لسياسة الرعامسة الدينية فى الأسرة التاسعة عشر .

والحقيقة التاريخية الثانية ، هى التوسع فى توظيف الضباط فى المناصب الخالية بالمعابد للكهنة المرتلين والكهنة العاديين ، بعد أزمة العمارنة ، كما يدل على ذلك نص تتويج «حور محب» . وإذا وضعنا مبدأ الوراثة فى الاعتبار ، يمكننا أن نقول باطمئنان أن ذرياتهم كانوا يتوارثون هذه المناصب .

أما الحقيقة الثالثة ، فهى اختفاء طبقة كهنة «آمون» التقليدية فى طيبة ، التى كانت قائمة قبل فترة العمارنة ، كنتيجة لاضطهاد «أخناتون» لها ، والانتصار النهائى للطبقة العسكرية فى كفاحها الطويل للوصول للسلطة .

ونشير فى هذا الصدد إلى دراسات الأنساب التى تحلل التكوين الأفقى والعمودى المتشابك لبعض العائلات المصرية فى عصر الرعامسة . وفيما أعلم ، لا يوجد حتى الآن أى بحث فى هذا المجال يمكنه أن يزعم امتداد أصول أية أسرة إلى فترة ما قبل العمارنة ، باستثناء حالة واحدة . فدراسة الأنساب التى قام بها «بييربرير M. L.BIERBRIER» لعائلات كبار كهنة «آمون» فى طيبة ، أو عائلات بعض أعضاء مستوطنة دير المدينة ، تدل بوضوح على انه لم يكن هناك تسلسل أنساب بين هذه العائلات التى عاشت فى أواخر أيام الدولة الحديثة ، وبين العائلات القديمة السابقة ، إلا فى حالة واحدة تم فيها التعرف على جد لاحدى العائلات النمطية المختلطة فى عصر الرعامسة ، إذ كان أعضاؤها من العسكريين والكهنة فى أحد الأقاليم ، وثبت أن هذا الجد كان يعيش فى عصر «امنحتب الثالث» ، وكان ضابطاً يدعى «نب ماهى NIB MAHE» ويحمل اللقب العسكرى «حامل الراية» ، وهو الجد الأعلى للمدعو «خونس – تو KHONS - TO» كبير كهنة المعبد الجنازى «لتحوتمس الثالث» فى «هيرمونتيس» [1] فى عصر «رمسيس الثانى» .

وقد صوّر «خونس – تو» على جدران مقبرته مع عدد من أعضاء أسرته ، منهم «أخان» وابن «لخونس – تو» كانوا يشغلون مناصب كهنوتية فى المعابد الجنازية لكل من «تحوتمس الثالث» و «امنحوتب الثانى» .

هذا وقد تم التعرف على عدد من الضباط من أعضاء أسرة «خونس – تو» وهم : ضابط فى سلاح المركبات الحربية يدعى «رى – يا RI YA» فى عهد «رمسيس الثانى» وحامل راية يدعى «أوسر مونت USER MONT» وضابط آخر فى البحرية . وقد صوروا جميعاً مع جدهم حامل الراية «نب – ماهى» فى المقبرة الخاصة بأسرة «خونس – تو» .

وبالاضافة إلى ذلك ، هناك ضابط عسكرى يدعى «امون موسى AMEN MOSE» ينحدر من أسرة عسكرية ، وكان له ابن يدعى «يوبا YOBA» اشترك فى الاحتفال اليوبيلى «حب سد» الذى تم فى العام الرابع والخمسين من حكم «رمسيس الثانى» وكان يحمل لقب «المشرف على الخزانة» ولقب «رئيس احتفال آمون» .

وفى «أبيدوس» كان «ون – نوفر» الكاهن الأعلى «لأوزيريس» رأساً لأسرة من الكهنة والضباط فى عصر الرعامسة ، وكان ابنه «رعموزا» يحمل اللقب العسكرى «كابتن المركبات الحربية» وله ابناء آخرون وأحفاد يشغلون مناصب عسكرية وكهنوتية .

وكان «تى جاى TI JAI» الذى يحمل لقب «الكاهن الأعلى لحورس» ولقب «أعظم الخمسة فى معبد تحوت» إبنا لضابط شرطة فى «هرموبوليس HERMOPOLIS» [٢] يدعى «باكا PAKA» .

وكان المسئول العسكرى والكاتب الملكى «آمون – ان – محب AMEN EN MHAB» فى عهد «رمسيس سيبتاح» [٣] يشغل وظيفة ادارية فى ممتلكات معبد «رمسيس الثانى» . وهو أيضا ابن «سيتى» نائب الملك فى كوش . وهناك أيضا كاهن أعلى لحورس وأوزيريس فى قفط و «الأب الالهى لآمون» كان ابنا لقائد فى الجيش .

وهناك أيضا «ون – تو – وات WEN TU AUT» وهو ضابط عسكرى كان يشغل منصب «الكاهن الأعلى فى الرمسيوم» قرب نهاية الأسرة العشرين ، إلى جانب منصب «قائد مركبات المقر» . وكان أخوه يشغل أيضا منصباً كهنوتياً عاليا فى نفس المعبد .



ويقول «كيس» أن الألقاب الكهنوتية أصبحت لها قيمة كبيرة ، وصارت تجب الألقاب الدنيوية التى لم تعد مطلوبة . وأكثر من ذلك يشير «كيس» إلى أن سلطة كهنة «آمون» ، امتدت إلى كهنة الأقاليم الذين أصبحوا يخضعون لهم .

وفى هذه المرحلة من التطور ، بدأت الطبقة العسكرية التى تكونت فى الأسرة الثامنة عشر والتى تحولت فى عصر الرعامسة إلى عائلات كبيرة ذات طبيعة مزدوجة ، تفقد تماسكها بالتدريج . كما أن السلطة المركزية التى يمثلها الفرعون نفسه ، والتى تواجه طبقة الكهنة والضباط القوية ، أخذت تضعف بشكل حاد ، حتى أن الكاهن الأعلى «لآمون» فى عهد «رمسيس التاسع» قد منح حق جمع الضرائب مباشرة من الرعية . وبذلك يكون قد اغتصب اختصاص التاج فى هذا المجال .

وعلاوة على ذلك فإن الثروات الهائلة التى وهبت لمختلف المعابد ـــ وخاصة معابد آمون ـــ كما تدل عليها بردية «هاريس» الأولى ، أدت إلى اضعاف السلطة المركزية للدولة لصالح العائلات الكهنوتية العسكرية القوية . ونلاحظ أن خاتمة بردية «هاريس» الأولى الموجهة إلى المسئولين والضباط العسكريين تحثهم على الولاء للفرعون الجديد «رمسيس الرابع» مما يدل على بداية تدهور المركز المقدس للملك ، حتى أن حادثاً بسيطاً كابعاد وزير فى «اتريب ATHRIBIS»[٤] أثار المتاعب للسلطات المركزية .

ومما لاشك فيه أنه كان هناك نوع من المنافسة الاجتماعية داخل هذه الأسرة المختلطة ، وداخل أجهزة الدولة نفسها ، كما تدل على ذلك الحوادث التاريخية منذ عهد «رمسيس الثالث» . وهذه العائلات المختلطة القوية كانت الارهاصة الاجتماعية والسياسية للدولة الدينية التى أقامتها الأسرة الحادية والعشرون فى طيبة ، والتى أسسها ممثل أحدى العائلات فى عصر «الكهنة الضباط» .

لقد زالت الطبيعة الدنيوية للضباط كما عرفته الأسرة الثامنة عشر ، وحلت محلها طبيعة دينية . واختفت القيم والفضائل الاخلاقية التى كان يتحلى بها المحاربون القدماء ، وبدأ «الكهنة الضباط» الجدد ينغمسون فى المغامرات الداخلية الطموحة ، وكانوا يعيشون حياة الرفاهية ، ولا يتحلون بالصفات الاخلاقية للضباط العسكريين المثقفين الذين عرفتهم الأسرة الثامنة عشر .

وقد اجرى «كيس» مقارنة بين «امنحتب بن حابو» والضابط الكاهن «حريحور» مؤسس الأسرة الحادية والعشرين فى طيبة ، تصور بطريقة درامية الفروق الجوهرية بين هذين النوعين من الضباط الذين تفصل بينهم حقبة الرعامسة . وأصبح أهم ما يشغل بال الطبقة الحاكمة الجديدة أن تستغل الثروات المحلية بقدر ما تستطيع ، لا سيما بعد ضياع الممتلكات الآسيوية ، التى فقدت اثناء حكم «رمسيس السادس» .

وقد انغمس الزعماء العسكريون فى الصراع على السلطة والثروة فى أواخر أيام الدولة الحديثة ، ولم يعودوا بمثابة نخبة مثالية ممتازة تلهم من هم تحت قيادتهم من الجنود والناس ، بل تدهورت لديهم القيم الاخلاقية ، حتى اننا نجد ان كاتباً فى الجيش واخاه قد حقق معهما بتهمة التآمر على سرقة مقبرة .

وتدل بردية «أبوت ABBOTT» وبردية «أمهرست AMHERST» على أن سرقة المقابر أصبحت شائعة فى أواخر الأسرة العشرين . ونجد سؤالا مكتوباً على قطعة شقافة صغيرة فى دير المدينة ، كان موجهاً إلى كاهن وحى (متنبىء بالغيب) يقول : «هل سرقها رجال من الجيش ؟» . وفى رأيى أن هذا سؤال هام يعكس الأزمة الاخلاقية وانعدام الثقة فى الجيش .

المبحث الخامس

أسرة «رمسيس نخت» كبير كهنة آمون

شغل «رمسيس نخت RAMESSE NAKHTE» منصب الكاهن الأعلى «لآمون» فى طيبة منذ السنوات الأولى من حكم «رمسيس الرابع» ، واستمر فى منصبه على الأقل حتى العام العاشر من حكم «رمسيس التاسع» أى حوالى سبعة وعشرين عاماً .

وكان أبوه كاتباً ملكيا و «مشرفاً على كل كهنة هرموبوليس» ويدعى «مرى باستت MERI BASTET» ويحمل لقب «ع – إن – شت 3nst» الذى يدل على علاقة بالعمل فى المحاجر أو بالضرائب طبقا لما اقترحه «السير آلان جاردنر» .

ومن المحتمل أن تكون أسرة «رمسيس نخت» قد حصلت على مركزها المتفوق نتيجة لجهود الأب «مرى باستت» فى المحاجر ، ومساهمته فى إنشاء مدينة هابو فى عهد «رمسيس الثالث» عندما كانت كل الامكانيات الوطنية مكرسة للنضال البطولى ضد شعوب البحر . بل ومن المحتمل أيضا أن «مرى باستت» كان ضابطاً سابقاً ، ثم كلف بمهام جديدة كما هو المعتاد بالنسبة للموظفين العسكريين فى تلك الفترة .

وكان «رمسيس نخت»أيضا يشغل قبل تعيينه كاهناً أعلى «لآمون» ، عدة . مناصب ادارية من تلك التى يقوم بها الضباط ، حيث كان يحمل لقب «المشرف على الأعمال» فى الكرنك . وكانت له علاقة بادارة ممتلكات معبد الرمسيوم . وتحت اشرافه قامت حملة إلى محاجر وادى الحمامات فى العام الثالث من حكم «رمسيس الرابع» كانت لها طبيعة عسكرية مميزة أكثر من أية حملة أخرى مماثلة سابقة . فقد كانت هذه الحملة تضم رجال

مركبات حربية ، وكتبة جيش ، وقادة فرسان ، وامناء امدادات وتموين بالجيش وقوات «مدحاى MEDJAI» . أى أن نسبة كبيرة جداً من أعضاء البعثة عسكريون ، وهذه البعثة تؤكد مرة أخرى العلاقة العضوية بين الجيش والمعابد فى عصر الرعامسة .

ومن المحتمل أن يكون «نسى آمون NESI AMUN» ابن «رمسيس نخت» قد خلف أباه فى منصبه . أما ابنه الثانى ويدعى «امنحتب» فكان أول ظهوره ككاهن أعلى «لآمون» ، فى عهد «رمسيس الحادى عشر» . ومن الواضح أن منصب الكاهن الأعلى «لآمون» أصبح وراثياً منذ أسرة «باك – ان – خونس» وأسرة «راما – راى» .

وقد تميزت الفترة الزمنية التى تسلطت فيها أسرة «رمسيس نخت» بالقلاقل الاجتماعية والاضرابات ، وانتشار سرقة المقابر والحروب الأهلية والتضخم الاقتصادى الحاد . وهذه كلها مظاهر تعكس أزمة الامبراطورية المصرية قرب نهاية الدولة الحديثة .

ولم يعد الفرعون الحى يبدو فى أعين رعاياه ذا طبيعة مقدسة ، كما كان عليه الحال من قبل ، بدليل أن «امنحتب» كبير كهنة «آمون» ، صور على جدران معبد الكرنك فى نفس حجم الفرعون «رمسيس التاسع» وهى اساءة لم يرتكبها أحد الرعايا من قبل ، وتتناقض على طول الخط مع المبادىء المستقرة فى الدين والفن بمصر القديمة .

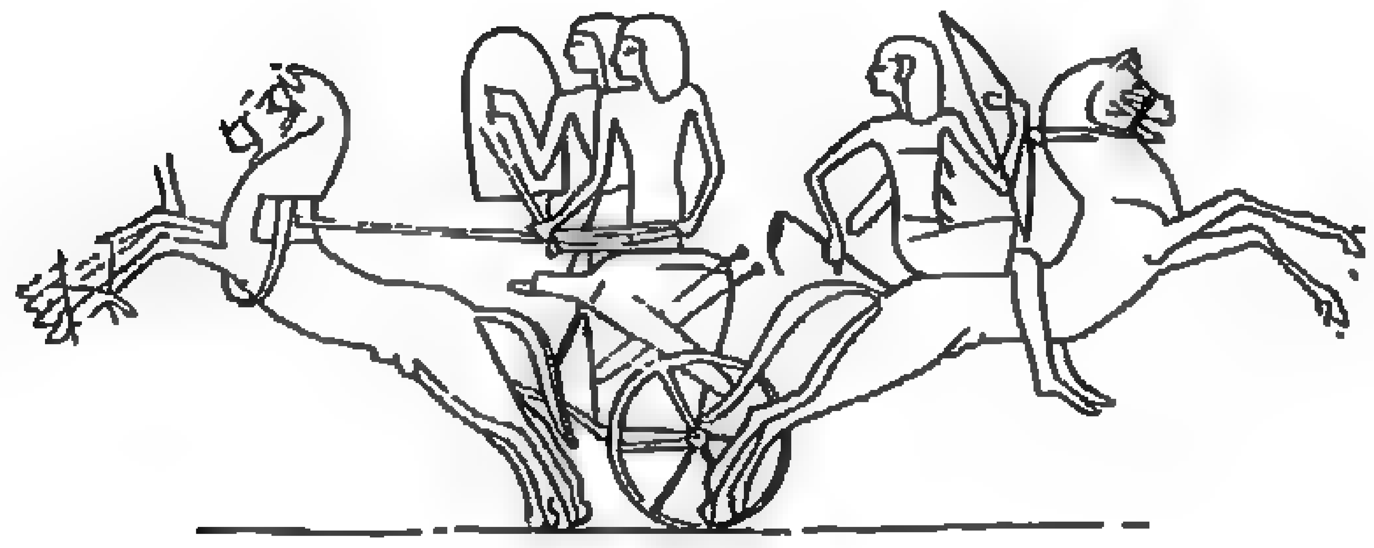
وهناك اشارات متفرقة فى بردية «ماير – أ MAYER - A» إلى «حرب الكاهن الأكبر» و «الحرب فى الأقليم الشمالى» . و عندما دمر «بانحسى PINHASI» «هرداى HARDAY» . وكلها تشير إلى الفوضى التى نشبت فى حوالى العام الخامس عشر من حكم «رمسيس الحادى عشر» . ومن الواضح أن سببها هو الصراع الداخلى على السلطة والنفوذ ، حيث كان كهنة «آمون» ورجال الجيش يقومون بالأدوار الرئيسية فى هذا الصراع .

ومن المحتمل أن يكون خفض عدد العمال فى مستوطنة دير المدينة فى العام الثامن من حكم «رمسيس الحادى عشر» يرجع إلى تجنيد هؤلاء الرجال للاشتراك فى الحرب الأهلية التى تفجرت فى نهاية الأسرة العشرين .

وقد أسس «حريحور HERIHOR»الأسرة الدينية فى طيبة ، التى دفعت إلى عرش مصر «بالكهنة الملوك» حكام الأرض الجنوبية ، والمعروفة بالأسرة الحادية والعشرين .

وتؤيد دراسة «كيتشن K. A. KITCHEN» عن الكهنة الضباط فى الأسرة الحادية والعشرين ، الطبيعة العضوية للعلاقة بين الكهنة والضباط ، وبين المعابد والجيش ، خاصة قرب نهاية الدولة الحديثة . فقد كان والد الملك «بى نجم الأول PINUDJEM» المدعو «بى عنخ PI ANKHY» يشغل عدة مناصب منها «الكاهن الأعلى لآمون» و «قائد الجيش» و «القائد» فى العام السابع من (عصر النهضة) فى عهد رمسيس الحادى عشر – ويعادل العام الخامس والعشرين من حكم ذلك الملك .

ومنذ عهد «حريحور» الذى جمع بين الألقاب العسكرية والدينية ، أصبح ذلك عرفاً سائداً اتبعه من جاءوا بعده من الملوك الآخرين .



المبحث السادس

تجنيد الأجانب فى جيش الرعامسة

أصبح التقليد الخاص بتجنيد أسرى الحرب فى الجيش المصرى ظاهرة معتادة فى عصر الرعامسة . وقد كان هذا التجنيد ضرورياً لزيادة عدد قوات الجيش ، نتيجة لتكوين فرقة جديدة فى أوائل حكم «رمسيس الثانى» هى فرقة «بتاح» وذلك بمناسبة المشروعات العسكرية الكبرى فى آسيا .

وقد ذكر اسم «شردان SHERDEN» لأول مرة فى بداية حكم «رمسيس الثانى» باعتبارهم «قراصنة» كانوا يأتون بسفنهم الحربية من وسط البحر ، وتم أسرهم وتجنيدهم فى الوحدات العسكرية المصرية منذ عهد «رمسيس الثانى» وصوروا فى النقوش وهم يوقعون الهزيمة بالعدو فى معركة قادش .

وتذكر بردية «اناستاسى» الأولى ، التى كتبت فى عهد «سيتى الثانى» وجود هؤلاء المجندين الأجانب فى سياق اشارتها إلى مسألة حسابية : إذ تفترض أن وحدة عسكرية تضم «١٩٠٠» جندى مصرى ، و «٥٢٠» شردان ، و «١٦٠٠» كيهيك ، و «٨٨٠» زنجيا ، و «١٠٠» مشوش . ويقول «كريستوف» أنه بالرغم من أن هذه الوثيقة تقدم تمريناً حسابياً ، إلا أنه من المحتمل أنها مبنية على حقائق تاريخية من ذلك العصر .

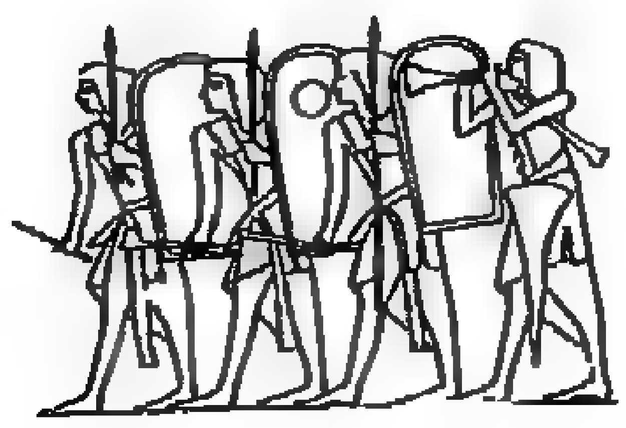
ويعتقد «سير آلان جاردنر» أن معظم هؤلاء الجنود الأجانب ، كانوا أسرى حرب ، أو أبناء أسرى حرب تمت تربيتهم فى مصر ، وليسوا من المرتزقة الذين لم يكونوا قد استخدموا بعد فى الجيش المصرى فى ذلك الوقت .

ومما لاشك فيه أن إدخال هذه العناصر الأجنبية فى الجيش ، وبالتالى فى المجتمع ، لم يكن فقط نتيجة للعمليات العسكرية المتعاقبة فى الأسرة التاسعة عشر وبداية الأسرة العشرين ، وانما يرجع أيضا إلى مرحلة التطور التى بلغتها الطبقة العسكرية فى عصر الرعامسة حيث كان الضباط والجنود المحاربون يوظفون على نطاق واسع فى ادارة المعابد والممتلكات ككهنة وكتبة ومشرفين على الأعمال واداريين وحراس .. الخ .

وعلى ذلك فقد كان من الضرورى أن يحل محلهم جنود أجانب . هذا بالاضافة إلى التوسع فى مشروعات بناء المعابد والمدافن والمراكز العسكرية الجديدة والمحطات الحربية ، واقامة عاصمة جديدة فى تانيس ، مما استتبع بالضرورة استخدام وحدات عسكرية كاملة تحت قيادة الضباط ، للعمل فى المحاجر وللقيام بعمليات النقل وأنشطة البناء . كما أننا نعلم أن الضباط والحراس المسلحين كانوا يلحقون بالمعابد لدواعى الأمن الواجب توفيرها للمنشآت الكبيرة ، كما يدل على ذلك «مرسوم ناورى» الصادر فى عهد «سيتى الأول» .

كذلك فقد كان أسرى الحرب يستخدمون كرقيق فى أعمال البناء والتشييد تحت اشراف الجيش . وتسجل نقوش معبد «رمسيس الثانى» «فى وادى السبوع» والذى أقامه فى العام الرابع والأربعين من حكمه ، أن أسرى الحرب «التيمحو TEMHU» [1] قد ساهموا فى إقامة المعبد .

وقد اشترك الجنود الأجانب ، وبخاصة «الشردان» الذين قدموا من البحر ، فى الحروب الدفاعية الكبرى فى الأسرة التاسعة عشر وبداية الأسرة العشرين . وإليهم تشير بردية «أناستاسى» الثانية بهذه الكلمات : «ان الشردان الذين جاءوا من البحر الأخضر الكبير وأصبحوا أسرى لجلالته ، له الحياة والقوة والسعادة ، قد تزودوا بكل أسلحتهم فى القاعة الفسيحة» .



والواقع أن حركة الهجرة الكبيرة لليبيين وشعوب البحر الذين كانوا يهدفون للاستقرار فى مصر مع عائلاتهم ، كانت مصدراً هائلاً للأسرى بالاضافة إلى ما تم استرقاقه من أبنائهم وزوجاتهم . ويقول «رمسيس الثالث» فى هذا الصدد : **«لقد تسببت فى أنهم (أى الليبيين) توقفوا عن أن يطئوا حدود مصر . والذين نجوا من سكينى ، سقتهم كأسرى عديدين مربوطين كالطيور أمام خيولى ومعهم زوجاتهم وأبنائهم بمئات الألوف . لقد أوقعتهم فى الأسر . وجعلت منهم رقيقاً . ودمغتهم باسمى . وفعلت بنسائهم وابنائهم نفس الشيء . وقدمت قطعانهم إلى بيت آمون ، ليكونوا له كالماشية إلى الأبد»** .

وهكذا كان هؤلاء الأسرى بمثابة مستودع استراتيجى للقوة البشرية لمصر ، كى تستخدمهم فى المعابد وفى الجيش .

ويعتقد «ويلسون J. WILSON» أن الأجانب قد جندوا فى الجيش المصرى لسد النقص فى المحاربين الوطنيين الذين أصبحوا ملاكاً للأراضى الزراعية وأصبحوا يكرسون اهتمامهم فى ادارة اقطاعياتهم وأراضيهم .

كما استخدم الأجانب أيضا فى بناء المعابد والقيام بخدمتها ، خاصة مع ازدياد نفوذ الكهنة منذ الأسرة العشرين . وإلى هذه الحقيقة يشير «رمسيس الثالث» فى بردية «هاريس» الأولى بقوله : «لقد بنيت لكم (يخاطب الآلهة) صروحاً ومعابد منقوشة عليها اسماؤكم إلى الأبد . واعدت لكم فرقا من العاملين . وزودتها بأناس عديدين . اننى لم آخذ عمالاً من معابد الآلهة كما كان يفعل الملوك لتجنيدهم فى سلاح المشاة أو سلاح المركبات الحربية» .

ونحن نعرف أن بعثة وادى الحمامات ، والتى كانت تحت قيادة «رمسيس نخت» الكاهن الأعلى للاله «آمون» فى عهد «رمسيس الرابع» كانت تستخدم «٨٠٠» من «العابيرو APIRU» ، و «٥٠» من «المدجاى» .

وفى بردية «هاريس» الأولى ، تصريح «لرمسيس الثالث» يلقى مزيداً من الضوء على الأعداد الكبيرة للجنود الأجانب فى الوحدات العسكرية المصرية . إذ يقول النص : «لقد جعلت مصر تتواجد فى طبقات كثيرة من الشباب : خدم القصر . وكبار الموظفين . واعداد غفيرة من رجال المشاة ورجال المركبات الحربية بمئات الألوف . والشردان والكيهيك بلا عدد . وتابعين بعشرات الألوف . وفرق العمل الخاصة بمصر» .

ولانكاد نعثر على أى منظر عسكرى منذ بداية عصر الرعامسة ، يخلو من صور الوحدات أو الجنود الأجانب . وكانوا يشكلون جانبا من الحرس الشخصى للفرعون سواء فى زمن الحرب ، كما فى قادش ، أو حتى فى زمن السلم ، حيث صوروا وهم يرافقون الفرعون فى رحلة صيد الأسود .

وفى مدينة هابو ، بمناسبة الحرب الليبية الثانية ، صورت أربعة طوابير من الجنود : الطابور الأول من المصريين ، والثانى من النوبيين ، والثالث من الشردان والفلسطينيين الجنوبيين ، أما الطابور الرابع فيتألف من مجموعة غير معروفة من الأجانب .

ولاشك فى أن استخدام هؤلاء الأجانب فى الحروب المصرية منذ قادش ، وبالذات فى الحروب الدفاعية الكبرى فى عهد «مرنبتاح» و «رمسيس الثالث» قد قوى مراكزهم ونفوذهم داخل البلاط الملكى ، وفى الجيش ، وفى المجتمع المصرى فى عصر الرعامسة على وجه الاجمال ، فلقد حاربوا جنبا إلى جنب مع القوات الوطنية المصرية فى سوريا وفلسطين كما يبدو ذلك من صورهم فى معركة قادش ، وفى الاستيلاء على بعض المدن الفلسطينية مثل «دبير DEBER» و «كيد KEDE» ، وفى القتال ضد شعوب البحر .

وقد تم اندماج هؤلاء الأجانب بالتدريج فى الطبقة العسكرية المصرية وأصبحوا يمنحون قطعاً من الأرض الزراعية ، وتحولوا من الناحية الاجتماعية إلى ملاك أراضى .

ويمكننا أن نعرف ظروفهم الاجتماعية كمحاربين من عبارة «رمسيس الثالث» التى يقول فيها : «... لقد سمحت لرجال المشاة والمركبات الحربية بالاقامة فى منازل فى عهدى . والشردان والكيهيك فى مدنهم ينامون ملء جفونهم . وليس لديهم سبب للخوف» .

وفى مقبرة الأمير «مونتو – حر – خبش – إف MONTHU HER KHEPSH EF» ابن «رمسيس التاسع» فى وادى الملوك ، نجد علامة «ور wr» من المجموعة الهيروغليفية «اميرا – مشع – ور imy - r - ms - wr» والتى تشير إلى منصبه العسكرى الرفيع «كقائد عام للجيش» . وكان الأمير مصوراً كأجنبي ، بملابس أجنبية ، وملامح ولحية أجنبية ، وفوق رأسه الريشة التى كان يحملها الأجانب أصلاً . وهذه الصورة الغريبة تبين مدى الدور الهام الذى كان يلعبه الأجانب فى الجيش المصرى .

وبالتدريج أيضا ، أصبح هؤلاء المحاربون الأجانب يشغلون المناصب المدنية سواء فى الادارة أو الكهانة ، وهذا تطور آخر له دلالته فى نطاق الطبقة العسكرية . ففى تانيس ، تعود «رمسيس الثالث» أن يشغل المناصب الكهنوتية فى منشآته الدينية بأبناء الأجانب الذين جلبوا واعدوا للخدمة العسكرية .

ومن المعتقد أن «أمون موسى AMEN MOSE» «حامل المروحة على يمين الملك» و «المشرف على الأعمال فى مدينة هابو» فى عهد «رمسيس الثالث» كان ينتمى إليهم .

وفى حالة «نفر – رنبت NEFER RENPET» وهو وزير «لرمسيس الثانى» فإن اسم أبيه غير معروف ، ولكن اسم أمه «كفليت KAFLITH» يدل على أصلها الأجنبى ، وكان يشغل مناصب فى كهانة «بتاح» و «آمون» على السواء .

وهناك كاتب تجنيد فى سلاح المركبات الحربية ، ومترجم للملك ، يشغل منصب الكاهن الأعلى «لأوزيريس» فى «ثينيس THINIS» ، من المحتمل أيضا انه كان أجنبيا حسبما يعتقد «كيس» . وقد أقام مقبرته بالقرب من معبد يحتمل أنه كان يشغل فيه منصبه .



وكان فراعنة الرعامسة يجلون الآلهة الآسيوية ويرغبون فى الحصول على قواهم الخارقة للمساعدة فى اخضاع شعوب الجزء الآسيوى من الامبراطورية المصرية . ففى عهد «سيتى الأول» أعطيت وحدة عسكرية إسم «عنات راضية ANAT IS SATISFIED» (وعنات هى إلهة الحرب الآسيوية) .

كذلك فقد أشار «رمسيس الثانى» إلى نفسه فى إحدى الحالات باعتباره «تلميذ عنات» ربة الحرب الآسيوية .

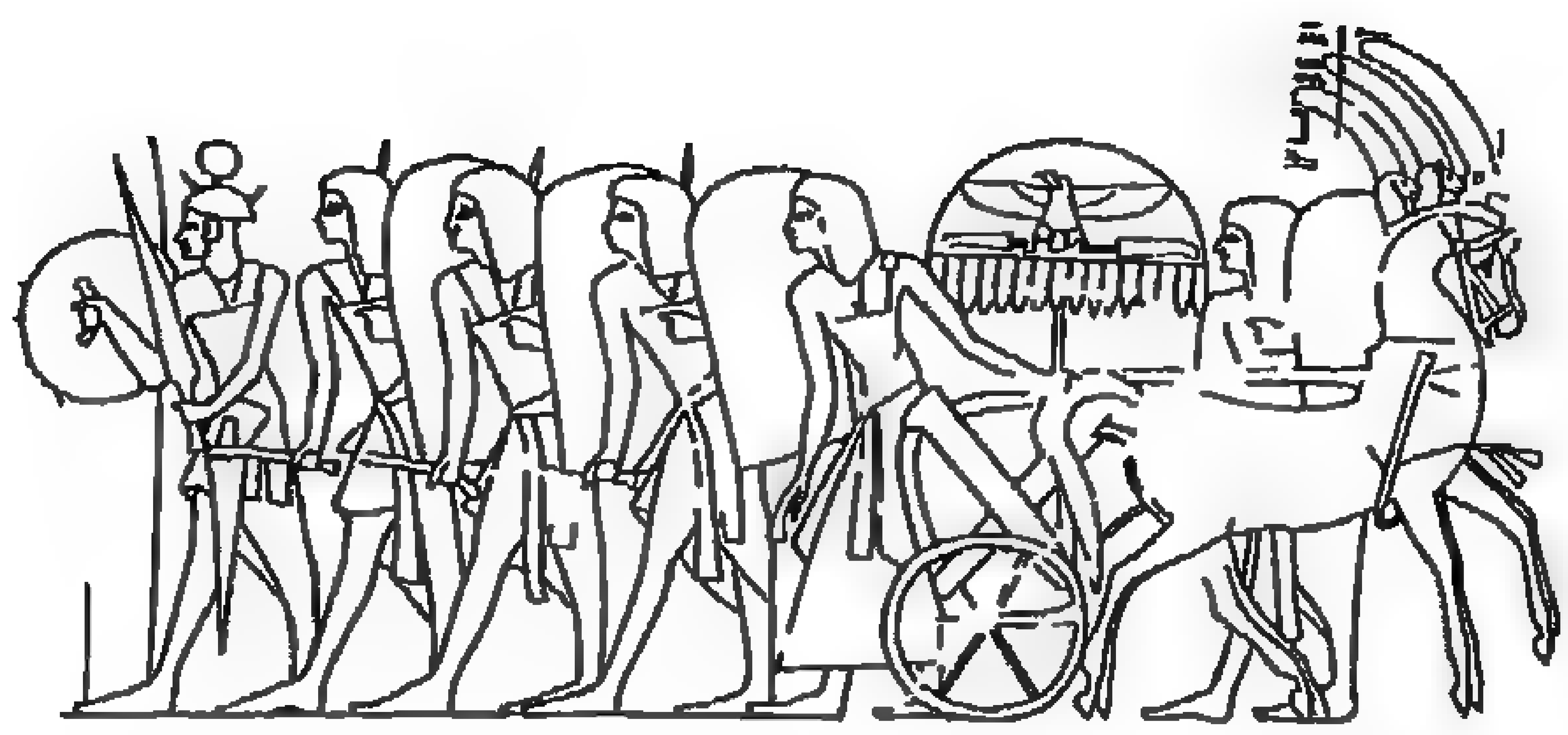
كما أن الدور الهام الذى لعبه «ست SETH» الاله الرئيسى لمقر رمسيس فى تانيس بالدلتا ، يعود إلى زمن الهكسوس ، عندما كان يعبد فى صورة الاله الآسيوى «بعل BAʿAL» .

وقد دخلت الآلهة الآسيوية المعابد المصرية فى عصر الدولة الحديثة ، كما تدل على ذلك النصب التذكارية الكثيرة التى أقيمت تكريما لها ، وإشعاراً بانتشار نفوذها ، حتى اننا نجد مصرياً يدعى «باشيد PASHED» ابن «حورى HORI» الكاهن الأعلى الشهير للاله «بتاح» ، كان يشغل منصباً كهنوتيا فى معبد الاله الآسيوى «بعل» فى منف .

وهذا المركز الرفيع ، يرجع إلى التغلغل الكبير للأجانب فى الجيش والمجتمع المصرى . كذلك فقد دخلت العبارات الكنعانية فى اللغة المصرية ، كما انتشرت الأساطير والأدبيات السورية بين الشعب المصرى .

ولكن مما لاشك فيه ، أن الثقافة المصرية الأكثر تطوراً ، كانت أكبر تأثيراً فى الأجانب الذين استقروا فى مصر ، فقد اعتنقوا الديانة واللغة والاسماء والتقاليد المصرية ، وأصبح من الصعوبة بمكان تقصى أصولهم الأجنبية .

وقد أمدتنا البعثة الأثرية الألمانية التى وصلت إلى مصر فى عام ١٩١٢م بقيادة «بورخاردت L. BORCHARDT» لتسجيل آثار الشعوب الأجنبية على الآثار المصرية ، بمعلومات ثمينة فى علم الأجناس ، معظمها يتعلق بالدولة الحديثة ، وخاصة فى عصر الرعامسة .

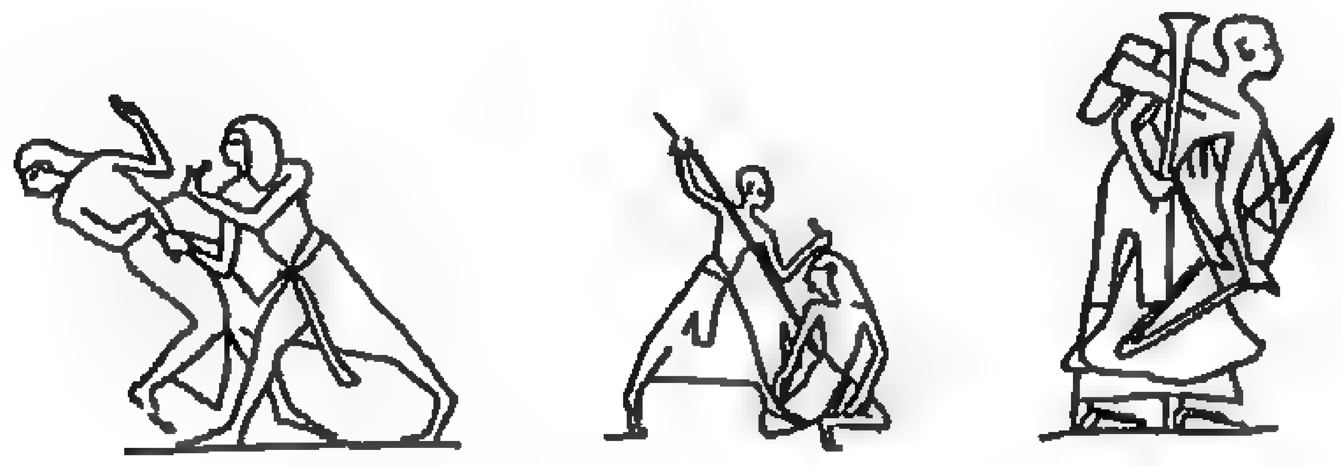


وفى اعتقادى أن دخول الأجانب فى الجيش والمجتمع المصرى ، كان من العوامل الحاسمة التى أدت إلى الانحطاط التدريجى للامبراطورية والمجتمع المصرى . وإلى جانب الآثار السلبية التى احدثوها فى الاقتصاد والحياة السياسية الداخلية ، والتى سنبحثها فيما بعد ، نجد أن تسللهم إلى الجيش والمجتمع المصرى ، وهم يحملون ثقافات أقل تطوراً ، قد ساهم فى الانحلال العام للقيم الأخلاقية والمعنوية للمصريين . وقد كان هذا الانحلال الثقافى نتيجة حتمية لتطور الدولة العالمية للدولة الحديثة وشكلها الامبراطورى .

ان شخصاً سورياً يدعى «بيجا BIJA» كان رجلاً سياسيا ذا نفوذ كبير عاش قرب نهاية الأسرة التاسعة عشر ، وقد لعب دوراً معينا فى اسقاط الملك «سى بتاح SI PTAH» ، وذلك فى زمن كثرت فيه القلاقل الداخلية . كما أن هناك اشارة إلى «حرب» ما ، وكان «بيجا» يحمل لقب «هذا الذى أجلس الملك على مقعد أبيه» . وهو لقب له دلالة كبيرة ، إذ من المؤكد تقريبا على حد اعتقاد «سير آلان جاردنر» أن هذا الموظف الأجنبى فى البلاط الملكى ، كان هو «صانع الملك» الحقيقى .

ونحن نعرف أنه منذ عهد «رمسيس الثانى» دخلت الأميرات الحيثيات والنساء السوريات إلى البلاط والحريم الملكى . وكانت هناك أميرة مصرية تدعى «بنت عنات BENT ANAT» ، لها بالرغم من اسمها الثانى ، أم مصرية تدعى «إيزيس – نوفرت - ISIS NOFRET» .

وهناك مشرف على الحريم من المحتمل أنه كان أجنبيا من «تو – رو – ش - TU - RU - S» وهى قبيلة من شعوب البحر التى كانت متحالفة مع ليبيا ضد مصر ، فى العام الخامس من حكم «مرنبتاح» . ولاشك فى أن هذه الأوضاع أدت إلى زيادة نفوذ الأجانب فى البلاط الملكى وفى دوائر الدولة ، كما تدل على ذلك الأحداث التاريخية قرب نهاية الأسرة التاسعة عشر .



وخلال الفترة الانتقالية التى تفصل بين سقوط الأسرة التاسعة عشر وقيام الأسرة العشرين ، لعب الأجانب دوراً رئيسيا فى القلاقل السياسية التى حدثت فى تلك الفترة ، بل أن شخصاً سورياً يدعى «أرسو ARSU» استطاع أن يغتصب السلطة ويفرض حكمه على مصر ، إلى أن تمكن الفرعون القوى «ست نخت SETH NAKHTE» من انهاء الاضطرابات وسفك الدماء وأسس الأسرة العشرين .

ومن المفيد أن نقتبس هنا بعض العبارات التى ذكرها «رمسيس الثالث» والتى تشير إلى هذه الأحداث الدرامية : «.. كانت مصر كالسفينة الغارقة تترنح بلا هدى . وكل رجل كان يصنع قانونه بنفسه . ولم يكن لديهم قائد لسنين كثيرة سابقة . حتى جاء زمن آخر تمزقت فيه أرض مصر بين الأمراء ورؤساء القرى . وكان الرجل يذبح زميله سواء أكان أعلى منه أو أقل منه . ثم جاء بعد ذلك زمن آخر من السنين الفارغة . حيث كان (أرسو) السورى قد أعلن نفسه أميراً . وجعل البلاد كلها تحت سيطرته» .

والتفاصيل المعقدة المتعلقة بهذه الفترة ، نجدها فى بعض الوثائق من عصر الرعامسة ، وأولها بردية متحف «تورين رقم ١٨٧٥» ، والتى تقص أحداث المؤامرة ضد الفرعون «رمسيس الثالث» والتى أدت على الأرجح إلى اغتياله ، وهى تعكس حالة التدهور السياسى والأخلاق التى سبقت الأزمة العامة فى آخر عهد الأسرة العشرين .

ومن الأمور ذات الدلالة ، أننا نجد بين المتآمرين والقضاة الذين كلفوا بتحقيق المؤامرة ، عدداً من الأجانب . كذلك فقد اشتركت فى هذه المؤامرة عناصر أجنبية مثل قائد عسكرى يدعى «بايس PAIIS» خطط لاثارة ثورة فى النوبة . بالاضافة إلى لفيف آخر من المتهمين منهم الزوجة الملكية «تى TIYE» وابنها الأمير «بنتاو رع PENTAWE RE» وبعض النساء فى الحريم ، وساق من خدم القصر ، ومسئولون فى البلاط ، وقائد قوات من كوش ، وكتبة ، ومشرف على الأعمال وبعض مساعديه ، ورجال بلاط من أصل أجنبى . وجميعهم شاركوا فى المؤامرة ضد فرعون .

كما عوقب اثنان من القضاة ، واثنان آخران من المسئولين ، بعقوبات شديدة بتهمة الفساد والانحراف فى تنفيذ واجباتهم المتعلقة بالتحقيق فى المؤامرة ، كما تعرض ضابط برتبة «حامل راية» للتوبيخ الرسمى كذلك .

وقرب منتصف الأسرة العشرين ، أخذ التغلغل الليبى يبدو واضحاً فى مصر ، بل لقد وصل الليبيون حتى مصر العليا ، كما تدل على ذلك صور جنود «المشوش» و «الليبو» فى منطقة طيبة . وهذا التغلغل كان على الأرجح سلمياً على وجه الاجمال .

وقد احتل الليبيون غرب الدلتا ، وأقاموا هناك عدة امارات تحت حكم رؤسائهم . وخلال حكم الأسرتين العشرين والحادى والعشرين ، أخذوا يتغلغلون بكثرة فى صفوف الجيش ، وزاد نفوذهم تبعاً لذلك زيادة هائلة ، حتى تمكنوا أخيراً من اعتلاء العرش الفرعونى وتأسيس الاسرة الثانية والعشرين

ويعتقد «كيس» أن المؤرخين المحدثين لم يعطوا هذا التغلغل الليبى فى الجيش والمعابد اثناء عصر الرعامسة ما يستحقه من الاهتمام ، مما جعل اعتلائهم عرش مصر يبدو كمفاجأة .

وهناك نصب تذكارى فى «أبيدوس» ، يلقى الضوء على شجرة أنساب مؤسسى الحكم الليبى ، فهو يذكر أن «نمرود NEMRUT» ، والد «شيشنق الأول SHESHENK 1» قد سمح له فى عهد «بسوسينيس الثانى PSUSENNES» أن يضع تمثالاً جنازيا فى حرم معبد «أوزيريس» فى «أبيدوس» ، وأن أربعة أجيال على الأقل قبل «نمرود» – وهم «الرؤساء» الليبيون أو «عظماء ما MA» كانوا يحملون اللقب الكهنوتى «خادم الاله» «هارسافس HARSAPHES» . وعملوا تحت «الملوك الكهنة» فى طيبة ، وهم الملوك الذى اسسوا الأسرة الحادية والعشرين «كقادة للجيش» فى اقليم «هيراكليوبوليس HERAKLEOPOLIS» .

ومما هو جدير بالذكر ، أن هؤلاء الامراء الليبيين فى الأسرة الحادية والعشرين ، كانت لهم نفس السمات المميزة للطبقة الحاكمة فى عصر الرعامسة ، كالعائلات المختلطة من الكهنة والضباط ، وكانوا يحملون بدورهم ألقاباً كهنوتية وعسكرية . ولكن يبدو أن صفاتهم العنصرية كانت قد اختفت إلى درجة ما ، وانهم قد «تمصروا» بالكامل تقريبا فى الأسرة الحادية والعشرين ، مما يعنى أن وجودهم فى مصر يمتد إلى آخر عصر الرعامسة .

كذلك فقد لعب الأجانب دوراً معينا فى الحرب الأهلية التى نشبت أثناء حكم «رمسيس الحادى عشر» عشية قيام الدولة الدينية فى طيبة (الأسرة الحادية والعشرين) . والغالب أن القائد العسكرى «بانحسى PANEHSI» نائب الملك فى كوش ، الذى تدخل على رأس جنوده لصالح الفرعون ، ضد الكاهن الأعلى للاله «آمون» المدعو «امنحتب» ، كان مواطناً من أبناء «عنيبة ANIBA» بالنوبة ، حيث عثر هناك على قبر أعد له .

وهذه الأحداث الجسام التى شهدتها تلك الفترة مرتبطة بصفة عامة بالاشارات إلى القوات الأجنبية التى اشتركت فى القتال الذى كان ممتداً من منطقة طيبة إلى مصر الوسطى .

المبحث السابع

الأزمة الاقتصادية فى أواخر الدولة الحديثة

من المستحيل التعرف على سمات الأزمة الاقتصادية التى حدثت أثناء المرحلة الأخيرة من الدولة الحديثة ، ما لم نحاول أولاً أن نتفهم طبيعة الهيكل الاقتصادى للمجتمع المصرى ، وخاصة فى مرحلته الامبراطورية .

ويجب أن نذكر أولا : أن النقوش الفرعونية لا تمدنا بالكثير من المعلومات عن النواحى الاقتصادية ، كما لاحظ ذلك بحق «ويلسون» و «يانسن» لأن المصريين القدماء ركزوا بصفة أساسية على صميم طبيعة حضارتهم ، أى الديانة والأدب والادارة ، ولا تعطى مصادرهم سوى معلومات ضئيلة للغاية عن الشئون الاقتصادية .

ونذكر ثانيا : أن الوثائق الادارية اللازمة لأية بحوث اقتصادية ، تكون مليئة فى الغالب بالأرقام غير الدقيقة ، ويستبعد «يانسن» امكان اعتماد البيانات الاقتصادية التى يمكن العثور عليها من الأزمنة التاريخية المتأخرة ، البطلمية أو الرومانية ، لمعرفة الأوضاع الاقتصادية فى العهود الفرعونية حيث أنه قد حدثت تغييرات أساسية منذ الأسرة العشرين ، خاصة فى مجال الملكية الزراعية .

وعلى أية حال ، فان مرحلة التطور الاقتصادى للمجتمع الفرعونى ، تحمل بعض السمات الشائعة ، مما يسميه العلماء «بالنظام الاقتصادى الاشتراكى للمجتمعات الفلاحية» كذلك الذى كان سائداً فى الهند والصين قبل أن يتأثرا بالنفوذ الأوربى .

ومما لاشك فيه أن عقلية المصرين القدماء كانت أيضا عاملاً هاماً للغاية فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية ، فبغض النظر عن بعض الأفكار المعينة مثل الفكر الاسطورى الشاعرى ، وظاهرة ما يسمى بتعدد المداخل ، والروح الجماعية العامة التى تناقض الفردية ، وفكرة «ماعت» البالغة العمق فى الاخلاقيات المصرية ، فإن كثيراً من جوانب الحياة الروحية للحضارة المصرية القديمة لم يفهم بعد كما يجب .

ومع ذلك ، ففى رأيى أن هناك معيارين يمكن تطبيقهما بقدر من الاطمئنان ، فى تناول الظاهرة الاقتصادية الفرعونية وهما : اقتصاد العظمة PRESTIGE - ECONOMY ونظرية اعادة التوزيع التى قال بها «مورينز S. MORENZ» و «يانسن» . فالمعياران يتجاوبان مع جوانب هامة للاقتصاد والحضارة المصرية .

أما المعايير الاقتصادية الأخرى مثل عامل الربح ، وانتاج السلع ، والعرض والطلب ، فلم يكن لها مثل هذه الأهمية الكبيرة التى تتمتع بها فى الاقتصاد المعاصر . ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى نظام احتكار الدولة ذى الطبيعة المتشددة .

وليس ثمة دليل كاف يشير إلى احتمال وجود نشاط تجارى فردى على مستوى كبير . والأدلة الضئيلة التى تذكر وجود تجار معينين فى خدمة المعابد وكبار المسئولين ، تشير كما هو محتمل إلى الأنشطة التجارية المتعلقة بتلك المعابد وغيرها من مؤسسات الدولة .

ويعتقد «منير مجلى M. MEGALLY» و «مورينز» أن التجارة الداخلية كانت احتكاراً للدولة . أما فى حالة التجارة الخارجية ، فاننا نواجه هنا فكرة أن هذه البضائع ما هى إلا جزية يجلبها الاجانب للفرعون ، وهى وجهة نظر اسطورية وهمية تتمشى مع اعتبار أن الفرعون يحكم العالم .

لقد كانت كل أجهزة الدولة ، الدينية والعسكرية والادارية ، تعتمد على خدمات يؤديها جيش هائل من الموظفين والعمال من مختلف القطاعات ، وهؤلاء كانوا يتلقون أجورهم «عيناً» ، وكان هذا بالطبع يتطلب عمليات معقدة تسجل جمع البضائع واثباتها فى وثائق وسجلات مكتوبة بواسطة الدولة وأجهزتها المختلفة .

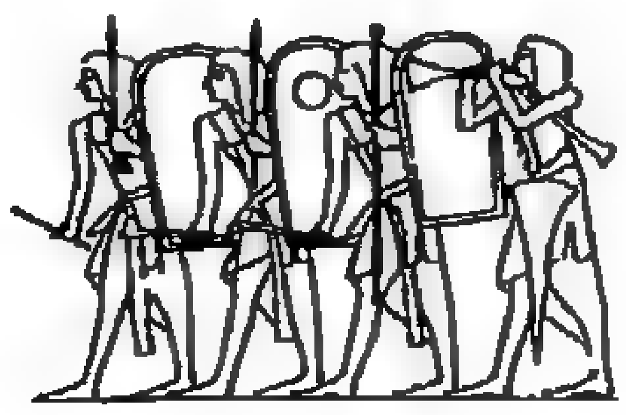
كما أن هذا النظام كان يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الدولة والمعابد ، فمثلا المؤن المطلوبة للعمال فى الجبانة الملكية غرب طيبة ، كانت تجلب من مخازن الحبوب الملكية ومخازن المعابد الجنازية على السواء .

وعلاوة على ذلك ففى مجتمع يلعب فيه الدين مثل هذا الدور الهام ، لابد أن يتأثر الهيكل الاقتصادى بالرغبة العميقة فى اشباع الحاجات الروحية للطبقة الحاكمة والشعب .

وفيما يتعلق بالأزمة الاقتصادية التى حدثت فى أواخر الدولة الحديثة ، علينا أن نفرق بين نوعين من العوامل الاقتصادية : النوع الأول عوامل ذات طبيعة ثابتة أو بيئية ، مثل نظام الرى ومساحة الأرض المزروعة ، ووسائل النقل وهذه بطبيعتها عوامل ليست معرضة لتغيرات كبيرة . وعلينا أن نعتمد فى تحليل هذه الأزمة على النوع الثانى من العوامل ذات الطبيعة المتغيرة ، مثل كثافة السكان ، ونفقات الدولة ، والسياسة العسكرية .. الخ .

لقد استمرت مشروعات البناء الطموحة العظيمة فى كل أنحاء أرض مصر ، ولكن بمعدل متضائل تدريجيا ، طوال عصر الرعامسة . وكان الهدف من إقامة هذه المبانى الدينية إظهار العظمة واتاحة التعبد للجماهير ، وتجنب المتاعب السياسية بارضاء الكهنة الأقوياء ، خاصة فى عهد «رمسيس الثالث» .

وعلى ذلك فقد أقيمت المعابد فى كل أنحاء مصر والنوبة ، وكذلك فى الصحارى والواحات ، لضمان تقديم خدمات العبادة فى كل مكان ، وتأكيداً لنفوذ الفرعون على رعاياه .



ومنذ عهد «تحوتمس الثالث»حدث تغير جوهرى فيما يتعلق بطبيعة ثروات المعابد والمنح الملكية ، فنحن نعلم أن «احمس» قد وهب معبد الكرنك هدايا بسيطة مثل الأوانى الفضية والتماثيل الخ ، ولكننا نقرأ على البرج الجنوبى للصرح السادس فى الكرنك قائمة المنح

التى أهداها «تحوتمس الثالث» إلى الاله «آمون» وتشمل ثلاث مدن فى آسيا ، وضيعة زراعية ، مما يدل على تغير أساسى فى نوعية المنح والعطايا الملكية وممتلكات المعابد .

ومن الواضح أن السياسة الدينية للرعامسة ، كانت امتداداً لسياسة «تحوتمس الثالث» فى هذا المضمار . وكانت المعابد الاقليمية تحصل أيضا على نصيبها من الثروات التى تمنح للآلهة المصرية ، فالذهب الذى كان يمنح فقط «لآمون» أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر أصبح فيما بعد يمنح أيضا للآلهة الآخرين على السواء .

وقد أمر «سيتى الأول» فى «مرسوم ناورى»الذى أصدره ، باعطاء انتاج مناجم الذهب فى«وادى عباد ABBAD» فى النوبة ، إلى معبد «أوزيريس» فى «أبيدوس» [صورة ٥٠] .

وفى تقدير «ويلسون» ان ممتلكات المعابد فى عهد «رمسيس الثالث» تمثل ما بين ٢٠٪ و ٣٠٪ من مجموع الأراضى الزراعية فى مصر ، كما تسيطر على ما بين ١٥٪ و ٢٠٪ من القوة العاملة . وقد بلغت حصة «آمون» من القمح ٢٠٥ آلاف «خار KHAR» [1] وذلك بمناسبة أعياده السنوية فى عهد «رمسيس الثالث» .

وكانت مؤسسات المعابد ، وخاصة معابد «آمون» ، تملك مصانعها ومناجمها وترساناتها البحرية وضياعها الخاصة . ومن الواضح أن هذه النفقات الباهظة لتمويل مثل هذه الأنشطة العمرانية الضخمة ومنح هذه الثروات الكبيرة ، قد اثقلت بشدة موارد الاقتصاد المصرى .

وعلاوة على ذلك ، فإن زيادة الخدمات الدينية تطلبت التوسع فى استخدام الكهنة والاداريين والعمال من مختلف الأنواع ، وهؤلاء كانوا يتلقون أجورهم عينا من الثروات التى تمتلكها المعابد .

وتلقى وثيقة من أواخر عصر الرعامسة الضوء على زيادة نسبة شاغلى المناصب الكهنوتية فى المجتمع ، فهى تذكر أسماء «١٨٢» من ملاك المنازل فى طيبة الغربية ، منهم «٤٢» كاهناً . ونحن نعرف ما لا يقل عن مائة لقب من ألقاب الخدم والموظفين فى معبد «آمون» بالكرنك .

ومن الواضح أن هذا القطاع الكبير نسبياً من السكان الموظف فى الخدمات المتصلة بالمعابد ، لم يكن له دور انتاجى فى اقتصاد مجتمع الرعامسة ، مثله فى ذلك مثل طبقة الجند من الوطنيين والأجانب على السواء .

ولم يكن الرقيق فى مصر يستخدمون فى الزراعة على نطاق واسع ، لأن هذه المهمة كانت متروكة للفلاحين الوطنيين المرتبطين بالأرض ، والذين لا يستطيعون تغيير مركزهم الاجتماعى ، أو الانتقال إلى مكان آخر .



وفى عصر الرعامسة كان الرقيق يستخدمون أساساً فى مشروعات البناء وفى صناعة السلع الترفية اللازمة للبلاط الملكى والمعابد والطبقة الحاكمة الجديدة . وكان الرقيق ، ذكوراً وأناثا ، مملوكين لأعضاء الطبقة الحاكمة ، بل وأحيانا كانوا مملوكين لأعضاء الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة .

وفى أواخر الدولة الحديثة ، بدأ الليبيون يتسللون إلى مصر دون أى التزام عليهم بالالتحاق بفرق السخرة أو العمل الجبرى ، وذلك نتيجة لضعف السلطة المركزية للدولة . وهكذا ظهرت طبقة جديدة من الرقيق والأجانب ليست لها طبيعة انتاجية ، مما شكل عبئاً إضافيا على الاقتصاد فى عصر الرعامسة .

وتدل الدراسة التى أجراها «أوكونور D. OĆONNOR» على محتويات بردية «ويلبور» على وجود تركيز فى استيطان العمال الزراعيين حول عواصم الأقاليم ، وذلك نتيجة لسياسة متعمدة من جانب الحاكم من أجل السيطرة على الزراعة ، وتسهيل جمع فائض المحاصيل .

وهذا التوزيع المنظم للسكان يدل ، فى رأيى ، على الأهمية الكبرى لنظام جمع السلع والمنتجات ، وإعادة توزيعها بين السكان ، مما يشكل العمود الفقرى للعملية الاقتصادية فى مصر القديمة .

كما أن هناك ما يدل على انه بالرغم من قلة معلوماتنا عن عواصم الرعامسة مثل بر رعمسيس ومنف وطيبة ، كانت هناك احياء سكنية خاصة بالعمال والصناع فى منف وطيبة . وهذا التمركز للطبقة الحاكمة النامية وتابعيها فى العواصم ، أدى إلى زيادة صعوبة النظام المركزى الخاص بإعادة التوزيع .

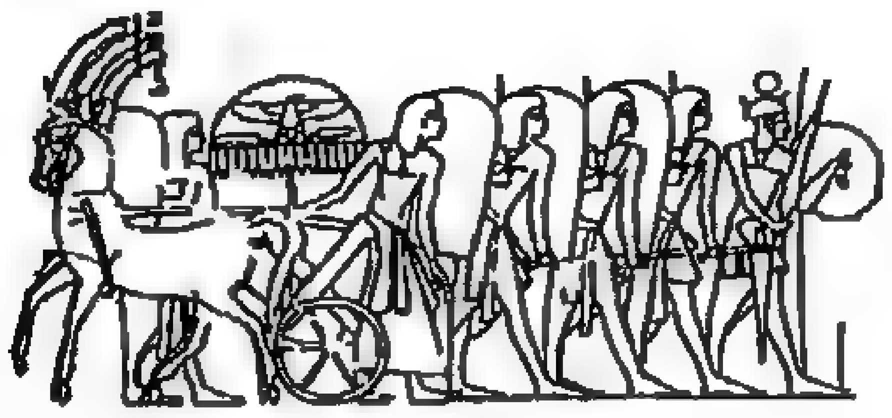
ولا شك فى أن تمزق مركزية الدولة نتيجة لتدهور قوتها وتدهور المركز المقدس للفرعون ، خاصة قرب نهاية الأسرة العشرين ، وظهور مراكز قوى جديدة يمثلها كهنة «آمون» فى طيبة ، كانت له نتائج خطيرة على الاقتصاد الذى يعتمد على نظام مركزى لجمع السلع وإعادة توزيعها بين موظفى الدولة وبقية السكان .

وكانت الملكية الزراعية فى نظام احتكار الدولة فى العصر الامبراطورى مجرد وظيفة اجتماعية . وهذه حقيقة تدل على أن الملاك كانوا ، على نحو أو آخر جزءاً من نظام إعادة التوزيع الاقتصادى .

وقد بين «ويلسون» أن التضخم الذى أثر بشدة على أسعار القمح ، كان السبب الرئيسى لسقوط الأسرة العشرين . ويمكننا أن نشير فى هذا الصدد إلى اضرابات عمال دير المدينة فى عهد الأسرة العشرين ، بسبب قلة مخصصاتهم الشهرية من المؤن . ولم تنته هذه الاضرابات إلا بتدخل الوزير «تو TO» . ومع ذلك فانه لم يستطع أن يقدم إلا نصف الكمية

المطلوبة . وتقول النصوص أن العمال كانوا «كسالى» لأن مخصصاتهم من القمح تأخرت شهرين ، وأنهم كانوا «جوعى» .

ونحن نعتقد أن الأزمة الاقتصادية التى حدثت فى أواخر الدولة الحديثة ، كانت ترجع بصفة أساسية إلى نقص السلع ، وخاصة القمح ، نتيجة لزيادة احتياجات الطبقات غير المنتجة التى نمت فى مجتمع الرعامسة من جانب ، وانحلال نظام جمع السلع وإعادة توزيعها من جانب آخر .



وهناك أسباب إضافية للأزمة الاقتصادية ، ترجع إلى عوامل اقتصادية أخرى ، فأثناء عصر الرعامسة ، وبعد التدهور التدريجى للامبراطورية المصرية فى آسيا بدأت مصر تستخدم الذهب لتمويل تجارتها الخارجية مع سوريا وجزر البحر المتوسط ، فى حين أن الذهب وغيره من السلع ، كان على العكس يحمل إلى مصر أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر كجزية من الممتلكات الآسيوية .

وفى نفس الوقت ، حدث انخفاض حاد فى الانتاج المحلى من الذهب فى مناجم النوبة وقفط بمصر العليا فى عصر الرعامسة ، بالمقارنة بالكميات التى كانت تنتج فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

ويدل على ذلك أن «تحوتمس الثالث» قدم أثناء حكمه إلى معبد «آمون» بالكرنك كمية من الذهب تبلغ نحو ١٤ ألف كيلو جرام ، استخرجت طبقا لسجلاته من مناجم النوبة ، فى حين أن كل كميات الذهب التى قدمها «رمسيس الثالث» إلى معابد مصر بما فيها معبد «آمون» ، لم تتجاوز طوال فترة حكمه «٧ر٢٣٢» كيلو جراماً فقط .

وكذلك النحاس الذى كان معياراً معتاداً للقيم فى عصر الرعامسة ، لم يعد من المستطاع الحصول عليه بكميات اقتصادية نتيجة لاجهاد مناجم النحاس القديمة فى سيناء ، إلى درجة أن سلاحاً نحاسياً كان محلاً لدعوى قضائية فى أواخر الدولة الحديثة .

وهذا التقرير المؤثر الذى قدمه المسئول الطيبى «ون آمون WEN AMUN» عن بعثته إلى سوريا فى أواخر عهد الأسرة العشرين ، للحصول على الأخشاب اللازمة لصنع سفينة الاله «آمون» المقدسة بالكرنك ، يلقى الضوء على مدى تدهور الأحوال المالية لمصر ولمركزها فى سوريا على السواء ، فإن عدم الأهتمام الذى تلقى به أمير جبيل (بيبلوس BYBLOS) شكاوى مبعوث «حريحور» الكاهن الأعلى «لآمون» ، يؤكد أن المجد الامبراطورى لمصر قد زال ، وأن مصر أصبحت تقف آنئذ فى عالم مختلف تماماً .

وعلاوة على ذلك فإن الحروب الدفاعية الكبرى التى خاضها «مرنبتاح» ضد الليبيين ، والتى خاضها «رمسيس الثالث» ضد الليبيين وشعوب البحر ، كانت لها بالضرورة آثارها السلبية على اقتصاديات الرعامسة . ونذكر فى هذا الصدد المعاهدة التى وقعها «رمسيس الثانى» فى العام الحادى والعشرين من حكمه مع الحيثيين ، وما نصت عليه من الالتزام بالدفاع المشترك فى مواجهة أى تهديد بالخطر ، مما ألزم «مرنبتاح» بارسال قواته للدفاع عن شمال سوريا ، وارسال شحنات من القمح إلى آسيا الصغرى لمساعدة الحيثيين فى صراعهم المرير ضد شعوب البحر .

ويعتقد «ويلسون» أن بداية استخدام الحديد أثناء الأسرة العشرين ، كان من العوامل الحاسمة فى سقوط الدولة الحديثة ، فإن انهيار امبراطورية الحيثيين تحت ضغط «الفريجيين PHRYGIANS» [٢] الذين ينتمون إلى شعوب البحر فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وكذلك سقوط الامبراطورية المصرية فى شمال سوريا ، جعل من المستحيل بالنسبة لمصر ، كما يقول «ويلسون» أن تبادل الحبوب والذهب فى مقابل الحديد الذى تنتجه «خيتا» (بلاد الحيثيين) . ويقول «ويلسون» أن هيبة مصر الامبراطورية فى آسيا ، كانت معاصرة لسيطرة النحاس فى العالم القديم .

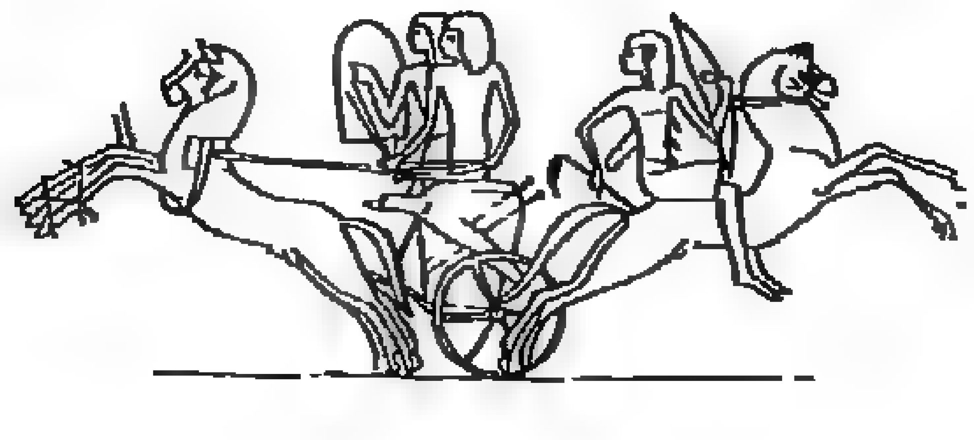
وفى اعتقادى أنه من الصعب أن نجد أية علاقة بين تدهور قوة مصر فى الأسرة العشرين ، وبين بداية عصر الحديد ، إذ ليس هناك دور واضح للحديد فى أواخر الدولة الحديثة ، حيث أن المصادر الأثرية التى يرجع تاريخها إلى تلك الفترة ، لا تذكر شيئا فى هذا الصدد .

وبالاضافة إلى ذلك ، فإن هجمات شعوب البحر ضد مصر قد فشلت تماماً ، بالرغم من أن المهاجمين كانوا يستخدمون على الأرجح الأسلحة الحديدية . فى حين أنهم نجحوا فى اجتياح آسيا الصغرى ، حيث كان الحيثييون ينتجون الحديد .

ومن المعروف جيداً أن خام الحديد كان موجوداً بمصر ، ولم يكن من العسير على المصريين القدماء أن ينشئوا صناعة الحديد بمساعدة فنية من حلفائهم فى آسيا الصغرى ، إذا كان الحديد له مثل هذه الأهمية الاستراتيجية الحيوية فى ذلك الزمن .

ومن الأوفق أن نعزو تدهور قوة مصر بصفة رئيسية إلى الانحلال الداخلى التدريجى للحضارة المصرية أثناء عصر الرعامسة كنتيجة للتطور العام فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية . لقد انهارت مركزية ووحدة الديانة والثقافة والدولة ، كما كانت فى العصر الامبراطورى السابق ، وانحلت السلطة المركزية للدولة نتيجة لعوامل التطور سالفة الذكر .

ومما لاشك فيه ، أن طبقة العسكريين التى نشأت فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، والتى تحولت إلى طبقة حاكمة طموحة فى عصر الرعامسة ، وبدأت تمتزج مع الكهانة المصرية فى طبقة اجتماعية واحدة ، كانت عاملاً بارزاً فى هذا التطور الطويل البالغ التعقيد .



الفصل الرابع

الحياة الدينية فى عصر الرعامسة
وانهيار الامبراطورية المصرية

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول

الصراع بين العسكريين وكهنة طيبة

فى الصفحات التالية سوف نعالج بعض مشاكل الحياة الدينية ، ذات الصلة الوثيقة بالتطورات السياسية والظروف الاجتماعية المعاصرة لعصر الرعامسة . أما تقديم صورة شاملة للديانة فى هذا العصر ، فأمر يخرج عن نطاق هذه الدراسة . ولذلك فسوف نركز على الاتجاهات التى تمثل تغيرات أساسية ، بدأت منذ عهد «امنحتب الثالث» سواء فى الدين نفسه ، أو فى السياسة الدينية بصفة عامة . والواقع أن فهم ديانة الرعامسة يتطلب الرجوع تاريخيا إلى عدة عقود سابقة على عهد «أخناتون» .

وقد أشرنا من قبل إلى أن المظاهر المبكرة للأزمة الدينية فى فترة العمارنة ، ترجع إلى أيام حكم «تحوتمس الرابع» . وهى فى اعتقادى ، نتيجة للصراع الاجتماعى والأيديولوجى بين فئتين اجتماعيتين رئيسيتين ، هما : العسكريون الذين قامت الامبراطورية على اكتافهم ، وكهنة «آمون» فى طيبة فى عصر الأسرة الثامنة عشر . وكانت هذه الخصومة الأيديولوجية بين الجانبين تخفى وراءها الصراع الحقيقى بينهما ، والذى يتمثل فى الحصول على الحظوة لدى الملك ، والتمتع بالمراكز الرئيسية فى ادارة الدولة والمعابد ، مما كان يعنى السيطرة على الحياة السياسية والاقتصادية والروحية فى مصر .

ولاشك أن هذا الصراع الذى بدت مظاهره فى صورة تغير أيديولوجى عميق ، يمثل علامة بارزة فى مجرى التطور الدينى والثقافى والاجتماعى فى عصر الرعامسة . وقد تأثر هذا الاتجاه فيما يبدو ، بالتأثيرات الأيديولوجية القادمة من هليوبوليس ومنف فى الشمال .

وتدل الشواهد على أن الاله «آتون ATEN» قد ذكر كثيراً فى النقوش الخاصة بالمسئول العسكرى الكبير «أمنحتب بن حابو» الذى كان وزيراً «لامنحتب الثالث» . كما كان لعبادة «آتون» مكان إلى جانب عبادة «آمون» فى البلاط الملكى وفى طيبة فى عهد نفس الملك .

ومما هو جدير بالذكر ما أشار إليه «كاكوشى» من أن كبار كهنة منف ، كان لهم دور فعال فى تصعيد هذه الخصومة الدينية فى عصر الأسرة الثامنة عشر . تماما مثلما فعلوا فيما بعد أثناء ازدهار عصر الرعامسة . مما يعد نقطة تحول أخرى فى التطور الدينى للدولة الحديثة .

ومن المعروف أن الأمير «تحوتمس» ابن «امنحتب الثالث» كان كبيراً لكهنة منف ، وأنه كان يبدى تعاطفاً ازاء الديانات والعقائد الشعبية .

كذلك نجد فى أحد الأناشيد البديعة الموجهة إلى الاله «رع» والتى تعود إلى عهد «امنحتب الثالث» أدلة على الاتجاهات والأفكار التوحيدية ، وهو النشيد المنقوش على النصب التذكارى الخاص بالأخوين المهندسين «سوتى SUTI» و «حور HOR» فى طيبة .

وقد رأينا من قبل أن الموظفين العسكريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، كانوا ينتمون إلى أصول اجتماعية متواضعة ، وأنهم قد ساهموا كمثقفين فى الحركات الدينية التى سبقت عصر العمارنة ، بل وكانوا مسئولين أيضا عن ادخال الديانات والعقائد الشعبية تدريجيا فى النشاط الدينى الرسمى للدولة .

وهذا التغيير الاجتماعى والثقافى العميق الذى أحدثته هذه الطبقة خلال تطورها فى عصر الرعامسة ، مع تحول شريحتها العليا إلى ارستقراطية جديدة ذات طبيعة كهنوتية عسكرية مركبة ، قد أدى فيما بعد إلى تمهيد الطريق نحو انحلال الدولة الحديثة وانهيارها فى النهاية . وقد حملت هذه الطبقة ، عبر نفوذها المتنامى ، مسئولية ظهور أول حكومة «ثيوقراطية» (دينية) فى التاريخ المصرى .

المبحث الثانى

التوحيد وتعدد الآلهة فى الامبراطورية المصرية

قامت الدولة بتشجيع الاتجاهات التوفيقية داخل «البانثيون PANTHEON» (مجمع الآلهة) المصرى ، وذلك كنظير دينى لمركزية الدولة الفائقة المتمثلة فى المركز الشخصى المقدس للفرعون .

وقد رفع الاله «آمون» ، باعتباره إله البيت المالك فى طيبة ، إلى مستوى الاله الأكبر ، ولكن دوره الرئيسى فى حياة الامبراطورية أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان منسجماً بصفة عامة مع غيره من الآلهة ، داخل الاطار العريض لأفكار «الوحدانية الناقصة HENOTHEISM» (أى عبادة إله واحد دون انكار لوجود الآلهة الآخرين) .

وكان معبد الاله «آمون» فى طيبة ، يحتل مكاناً مرموقاً فى الحياة الدينية ، يعادل نفس مركز البلاط الملكى فى عاصمة البلاد .

وهناك نشيد «لآمون» مسجل بالبردية رقم «٥٨٠٣٨» المحفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة ، والتى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وهى تحمل سمات مشابهة للاتجاه التوحيدى فى نشيد «آتون» الشهير ، وفى النشيد المدون بتلك البردية ، يمتدح الاله الأكبر «آمون» باعتباره صاحب السلطة العليا ، والقوة الخالقة للحياة ، فهو : «أقدم من فى السماء ، وأول من وجد على الأرض» وهو «إله كل ما يكون ، الباقى فى كل شىء» . وهو «الفريد فى طبيعته ، والذى يسرى فى كل الآلهة» . وهو «الاله الحق والأب لكل الآلهة» . وهو «الذى صنع البشرية وخلق الوحوش» .

وهكذا كانت الطبيعية العالمية للاله «آمون» تناسب تماماً دوره الجديد فى العصر الامبراطورى ، فالآلهة الأجنبية تخضع له كما تخضع له الآلهة المصرية ، وإليه يعزى الفضل فى قمع الثورات التى كثيرا ما كانت تنشب فى الممتلكات المصرية فى آسيا والنوبة .

وفى هذا الخصوص يقول النشيد : «أن كل البلاد الأجنبية تهتف بانتصارك» .. «أن آلهة بابل فى ابتهاج» .. «أن اتباعهم يهللون فى سرور وهم يرون القضاء على التمرد» .. «أن عينه هى التى تقضى على التمرد» .

وحصل «آمون» على وظائف وسمات الاله «رع» التى أصبحت بمثابة صفاته الخاصة ، مؤكدة بذلك مبادىء «الوحدانية الناقصة» التى سادت فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

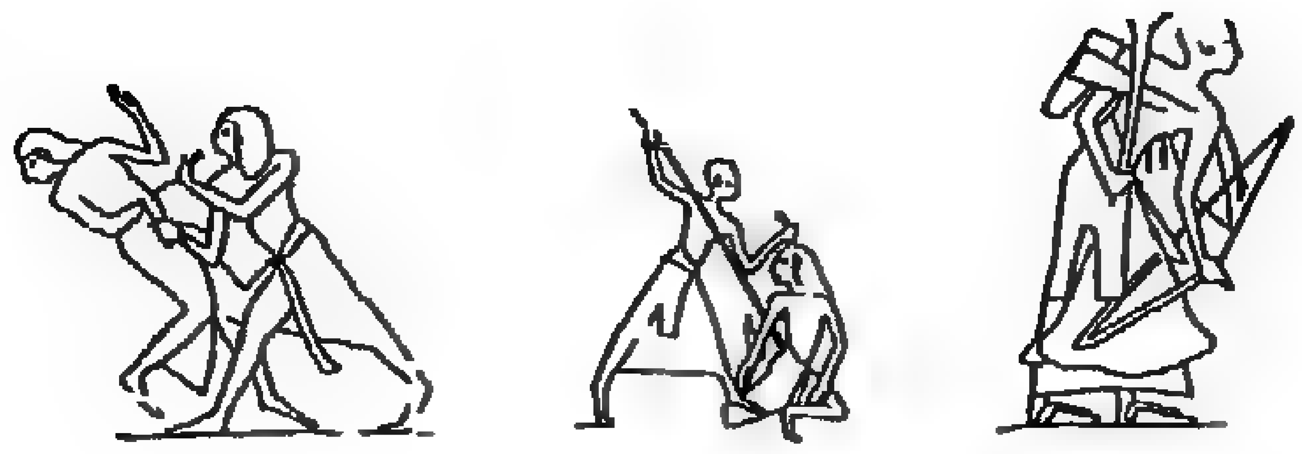
وأصبحت مخاطبة الاله «آمون» تتضمن عبارات مثل : «أنت الواحد الأحد الذى صنع الكل» .. «من عينيه جاءت البشرية ، ومن فمه خرجت الآلهة» .

ومن الجدير بالملاحظة أن دور «أوزيريس» فى العالم الآخر ، الذى ألغى تماماً فى ديانة العمارنة ، كان يقوم به «آمون» أيضا ، إذ يقول عنه النشيد : «أنه رب الخلق فى أرض الصمت» .

وفى هذا النشيد وضع اسم «آمون» داخل خرطوش ملكى ، وهو نفس ما اتبعه «اخناتون» فيما بعد ، حيث كان يضع اسم «آتون» داخل خرطوش ، بل ان المركز الدينى «لآمون» ازداد توسعاً ، إذ يقول النشيد : ان الآلهة تخدمه كالكلاب» . ومع ذلك فإن «الوحدانية الناقصة» فيما قبل فترة العمارنة ، وبالرغم من قوتها الظاهرة ، لم تكن متعارضة مع التقاليد الدينية المصرية .

ويرى «هورنونج» ان المصرى القديم ، عندما كان يصلى لأحد الآلهة ، كان يعزو إليه كل صفات العظمة والقوة ، بغض النظر عن وجود أى إله آخر . ومع ذلك وبالرغم من

نعوت الثناء التى كانت تكال للآلهة ، كانت قوى الآلهة ، ينظر إليها فى مصر على أنها ، محدودة فى المكان والزمان .



ومنذ عهد «امنحتب الثالث» كما يلاحظ «ويلسون» أخذت الظروف العالمية والاتصالات الدولية تدفع العقيدة المصرية نحو التوحيد ، فانشئت عبادة «لآتون» فى طيبة فى عهد «امنحتب الثالث» . ومن أوضح الأمثلة على ذلك الاتجاه الراديكالى ، كما ذكرنا آنفا انشودة إله الشمس للأخوين المهندسين «سوتى» و «حور» . وهذا الاتجاه المبكر نحو الوحدانية كان لا يزال مما يسمح به فى نظر الكهنة والشعب فى طيبة ، مادام انه لا يهاجم الأفكار الدوجماتية المتعلقة بالبانثيون المصرى .

ولاشك أن أوجه الشبه بين نشيد «آتون» وسابقه نشيد «رع» للأخوين المهندسين جلية واضحة . ولكن عندما فرضت الوحدانية «الآتونية» غير المتسامحة وجودها ، تراجعت الوحدانية الناقصة المتسامحة مؤقتا إلى خلفية الصورة .

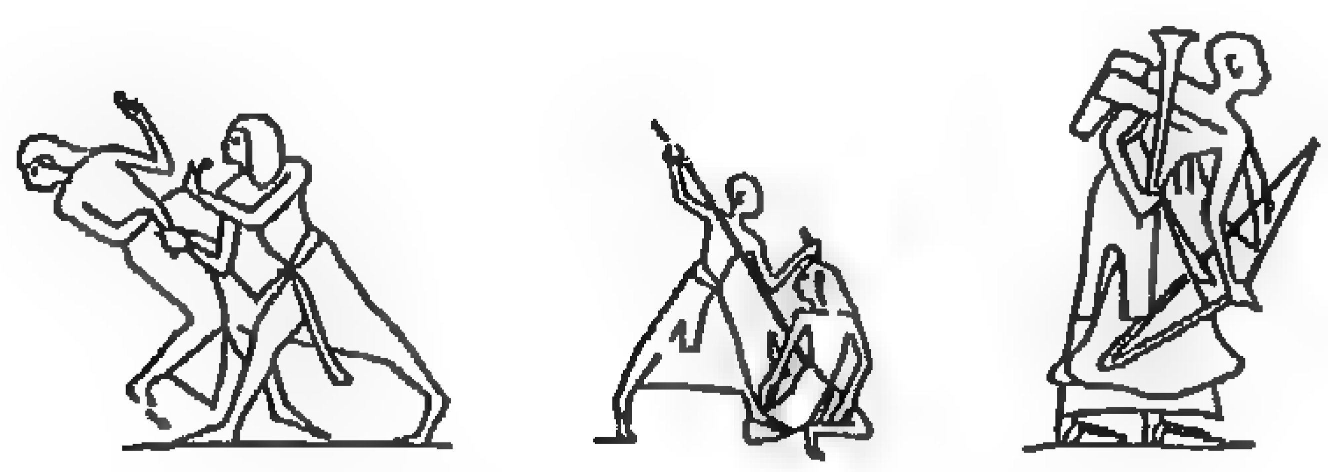
وكما ذكرنا فيما سبق ، كانت هذه الوحدانية الناقصة مقترنة ومتلازمة مع النظام الامبراطورى للدولة . وعندما سقط هذا التلازم ، كان المسمار الأول فى نعش الامبراطورية المصرية قد دق بالفعل . وهذا هو الجانب المأساوى فى تاريخ الطبقة العسكرية ، التى أنيطت بها تلك المهمة العظيمة ، وهى إقامة الامبراطورية ، فقد كان قدرها أن تكون هى نفسها الطبقة المسئولة عن بداية انهيار الامبراطورية .

ومن الواضح أن المراكز الثقافية فى الشمال ، فى محاولتها استعادة نفوذها الذى تضاءل نتيجة لوحدانية طيبة الناقصة وجدت فى طبقة الضباط المثقفة ، حصان طراودة الذى يسهل لها النفاذ بأفكارها التقليدية إلى البلاط الملكى .

ومع ذلك فإن هذا الهدف لم يتحقق إلا فى عهد «أخناتون» بأفكاره الوحدانية غير المتسامحة ، إذ أصبح «آتون» يمثل اله الشمس فى هليوبوليس . وهكذا أصبح «رع – حور – آختى RE HOR AKHTY» [(١)] وكذلك الاله «شو SHU» [(٢)] يحتلان موقعاً مفضلاً فى عقيدة العمارنة ، على الأقل فى مرحلتها الأولى بطيبة وأصبحا يمثلان فى شكل إله الشمس القديم ، ذى رأس الصقر ، والذى أعطى الاسم التعليمى الجديد : «رع – حور – آختى يبتهج فى الأفق باسمه (شو) الذى هو آتون» .

وسواء أكان هذا الشكل المبكر من تعاليم العمارنة يمثل مجرد نوع من التوفيقية ، أم كان تعبيراً عن وحدانية ناقصة جديدة ، فقد اختفى على أية حال بظهور «آتون» فى شكل قرص الشمس الذى تتدلى منه الأياد البشرية ، وذلك بعد العام السادس من حكم «أخناتون»

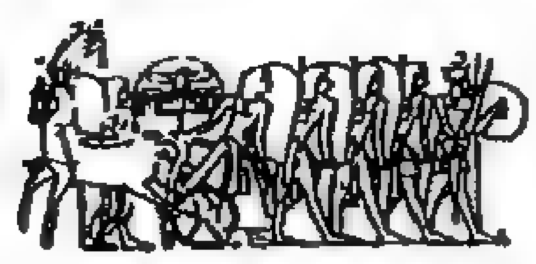
وعندئذ ، حققت التعاليم «الآتونية» جوهرها التوحيدى فى الشكل والمحتوى ، وتم تطهير «آتون» من أية سمات أخرى لا تناسب طبيعته . وتجوهلت تماماً فى نشيد «آتون» ، كل العناصر الميثولوجية ، وكذلك كل الآلهة الأخرى .



وكان أبرز عنصر فى الديانة «الآتونية» القائمة على التوحيد ، هو تنزيه الاله «آتون» عن التجسيد . ولذلك فقد قامت حركة نشطة لتحطيم تماثيل وصور الآلهة ، بل وحرم استخدام صيغة الجمع لكلمة «نتر ntr» (أى إله) . فليس هناك سوى إله واحد فقط هو «آتون» ، ووسيطه ونبيه هو «أخناتون» .

وهكذا كان التوحيد الذى نادى به «أخناتون» مناقضاً بصفة أساسية للأفكار التقليدية المصرية ، وكان فى نفس الوقت شكلا من الدين لا يناسب الامبراطورية .

ويشير «ويلسون» إلى أن التعاليم «الآتونية» ، رغم أن طبيعتها التوحيدية كانت لا تزال محل نقاش ، فانها حاولت الانفصام التام عن طرق الحياة المصرية التقليدية الجامدة فى الدين والسياسة والفن والأدب . وكان أعضاء بلاط «أخناتون» وأسرته ، هم وحدهم الذين يعبدون «آتون» ، بينما الأغلبية الساحقة للمصريين ، يجهلون أى شيء عن هذه العقيدة الجديدة ، أو يقفون منها موقفاً عدائيا .



وبعد فترة العمارنة ، لم يؤد استئناف العقيدة القديمة إلى إحياء ديانة طيبة بشكل آلى ، فإن الدوائر العليا للطبقة العسكرية المنتصرة ، امتنعت بالرغم من سقوط «أخناتون» عن أية سياسة محلية من شأنها أن تمهد الطريق ، لعودة نفوذ «آمون» وكهنته الذين تم تقليم أظافرهم ، وتم نقل المقر الملكى بعد هجر العمارنة إلى منف ثم إلى برعمسيس فى شرق الدلتا ، وبذلك حرم كهنة «آمون» فى طيبة من التأييد السياسى المباشر الذى كانوا يتمتعون به فى عهد الملوك الأوائل من الأسرة الثامنة عشر .

وعلى أية حال ، فقد ظلت العقيدة «الآتونية» تؤثر فى روح وألفاظ الأناشيد الدينية التى كتبت فيما بعد فى عصر الرعامسة ، وخاصة بالنسبة للأناشيد التى كتبت لعبادة وتمجيد «آمون – رع AMEN - RĒ^c» .

وبردية «لايدن LEIDEN»رقم «٣٥٠» ، وهى بالتأكيد من نتاج الأسرة التاسعة عشر ، تحوى انشودة «لآمون – رع» يمكن وصفها بروح الوحدانية الناقصة . وفى بعض أجزائها توجد ميول وحدانية خالصة ، فالاله يوصف فيها بأنه الاله الوحيد ، أو المبدىء الأول لكل الأشياء .

كذلك فقد أصبحت الآلهة الرئيسية الثلاثة لمصر ، وهم : «آمون ورع وبتاح» ، يمثلون نوعاً من التثليث الوحدوى ، حيث أنهم صنفوا جميعاً تحت إله واحد فقط منهم ، وهو الاله «آمون» . وهذه فكرة تثليثية عن الاله الأعلى .

وهناك فقرة فى نشيد «لايدن» تقول : «كل الآلهة الثلاثة آمون ورع وبتاح ، ولا يوجد ثان لهم» . وفقرة أخرى تقول : «لا أحد يعرف اسمه (آمون) ولكن وجهه (رع) وجسده (بتاح) ، ومدنهم خالدة للأبد ، طيبة وهليوبوليس ومنف» .

ويبدو أنه حدثت تسوية أو حل وسط بين الاتجاهات الوحدانية فى تعاليم العمارنة وبين الأفكار التعددية الدوجماتية التقليدية ، إذ تحتوى بردية «شستر بيتى CHESTER BEATTY» على أناشيد ترفع مختلف الآلهة المصرية : «آمون رع ، وبتاح ، ورع حور آختى ، وأتوم» ، إلى مستوى الطبيعة الكونية العالمية ، وتعاملهم وكأنهم مندمجون فى شخصية واحدة ، وتخاطبهم بصيغة المفرد .

ويرى «ويلسون» أنه من الممكن اعتبار هذه الأناشيد توحيدية تحمل ملامح توفيقية . فالتسوية المشار إليها واضحة ، ويعبر عنها النص بقوله : «لك المجد ياآمون – رع – أتوم – حور آختي . يامن تكلمت بفمك فجاء إلى الوجود كل الناس والآلهة والماشيه الكبيرة والصغيرة فى أبديتهم . وكل ما يطير وينير بصفة عامة» . ويمضى النص ويذكر «بتاح» أيضا .

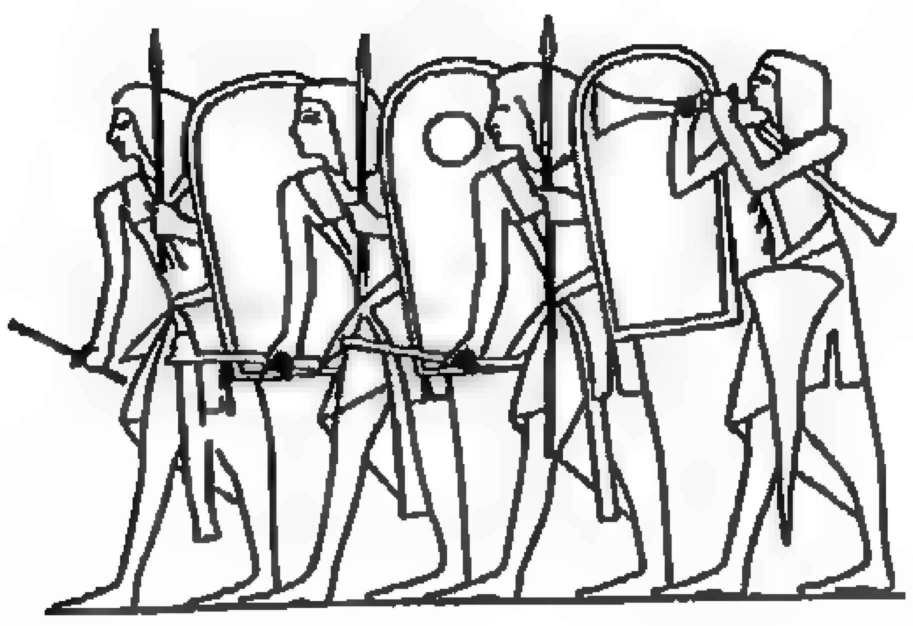
وهناك نشيد توحيدى توفيقى «لبتاح» ، يرجع إلى نفس الفترة ، يتحدث عن الاله باعتباره «خالق الآلهة وخالق الأرض» .

وقرب أواخر الدولة الحديثة ، يناشد «رمسيس التاسع» فى نشيد لاله الشمس ، أن يحميه الاله باعتباره «كفيل كل الآلهة الأخرى لأنه ملكهم» .

وحتى الآلهة المحلية الصغيرة ، أصبحوا يخاطبون وكأنهم آلهة رئيسية ، ويحملون ألقابا وصفات مثل : «ملك الآلهة» و «رب الأرباب» . وكان «حورس» وهو الاله الذى لعب دوراً فى تتويج «حور محب» يحمل لقب «ملك الآلهة» . وذلك طبقا للنص المنقوش على جدران مقبرة الفرعون بطيبة .

وكذلك الحال بالنسبة للالهة «باخت PAKHET» [٣] إلهة «بنى حسن» فى مصر الوسطى ، فقد كانت تحمل لقب «رئيسة كل الآلهة» ، وإله محلى آخر يدعى «أنوريس ONURIS» [٤] كان يحمل أيضا لقب «سيد الآلهة» . وهناك من مثل هذه الألقاب عدد كبير .

ولكن الاله «آمون» ، بدأ يستعيد قواته تدريجيا ، وتدل بردية «لايدن» التى تحوى نشيداً «لآمون»، من عهد «رمسيس الثانى» بوضوح ، على نمو قوة «آمون» وتزايدها .



المبحث الثالث

عبادة أوزيريس فى عصر الرعامسة

استمر «أوزيريس» واحداً من أهم الآلهة فى مصر فى عصر الدولة الحديثة . وقد امتزجت صفاته وجوانب اختصاصاته المتعددة ، بالعناصر الاسطورية خلال تطور الميثولوجيا المصرية ، فكان هو الماء الذى يجلبه الفيضان السنوى للنيل فى كل عام ليحيى الأرض بعد مواتها ، وهو إله الموتى والبعث والنشور فى صورة الفيضان الذى يمثل فى أعين المصريين دراما الحياة والموت .

ومن المعروف أن السمات الملكية «لأوزيريس» ، ترجع إلى عصر الدولة القديمة ، فهو من هذه الناحية يسبق «آمون – رع» ، و «آتون» ، فى الدولة الحديثة .

ونجد فى مقبرة بطيبة ، لواحد من كبار كهنة «آمون» فى عصر الرعامسة ، اشارة إلى «أوزيريس» باعتباره «ملك الملوك» . وهو لقب من الصعب تفسيره بأية خلفية سياسية ، خصوصاً فى طيبة .

ولم يكن «أوزيريس» معتبراً «إله الموتى» فقط ، وانما هو أيضا «إله الأحياء» أو «ملك الأحياء» .

وتدل العبارات المصاغة عن «أوزيريس» ، والمنقوشة على النصب التذكارى الذى أقامه «رمسيس الرابع» فى «أبيدوس» ، على رفع وتصعيد مستوى هذا الاله إلى مستوى الاله الكونى العام ، مما يدل على المركز الرفيع الذى كان يحتله «أوزيريس» كواحد من أكبر الآلهة المحبوبة لدى فراعنة الرعامسة .

وفى اعتقادى أن الاضطهاد الذى لقيه «أوزيريس» فى فترة العمارنة ، حيث تجوهل تماماً دوره التقليدى كإله للموتى ، قد أدى إلى رد فعل عكسى فى صورة زيادة شعبيته بين جماهير الناس وأصبح اسم «أوزيريس» عنصراً لا يتجزأ من السياسة الدينية فى عصر الرعامسة ، وبناء على هذه الشعبية الواسعة النطاق أقام «سيتى الأول» – وكان من أنصار «أوزيريس» – معبداً عظيما باسمه فى «أبيدوس» .

وفى النص السابق ذكره والخاص «برمسيس الرابع» نجد أن «أوزيريس» يتطابق تماماً مع الاله «رع» فهما يتوحدان معاً فى روح واحدة ، إذ يقول النص : «يامن تدعى الروح الموحدة» . ويصور النص «أوزيريس» وهو يعطى تعليماته لربة المصير والقدر . وهو يتواجد فى السماء كما يتواجد على الأرض . كما أن العالم الآخر خاضع له . وهو النيل الذى يعيش على خيراته الناس والآلهة على السواء ، وهو البدر فى علاه . ويستطيع أن يظهر فى أية صورة يرتأيها .

ويقول «كاكوشى» فى هذا الصدد ، أن طبيعة الجوهر المقدس للاله لا يمكن توضيحها بشكل تام ، وخاصة بالنسبة «لأوزيريس» ، الذى يبدو فى كل وقت ، وله جوانب جديدة متعددة .

ومن الجوانب الغريبة فى جوهر «أوزيريس» ، طبيعته المحاربة وميله إلى القتال ، وهى التى نجد تعبيراً عنها فى الضريح الرابع «لتوت عنخ آمون» حيث ترد إشارة إلى قلب «أوزيريس» كما يلى : «ان قلب «أوزيريس» هو الذى يحدث كل المذابح» .

وهناك اشارة مشابهة لذلك ، وردت أيضا فى الفصل السابع عشر من كتاب الموتى ، مع اختلاف واحد ، هو أن كاتب نص «توت عنخ آمون» حاول أن يؤكد أن المذبحة دبرت داخل قلب «أوزيريس» نفسه .

وترجع هذه الفكرة إلى اسطورة الصراع الذى حدث بين «حورس» و «ست» إذ أرسل «أوزيريس» ، من حيث يقيم فى العالم الآخر ، رسالة تحذير إلى «رع – حور – آختى» اثناء النزاع بين الآلهة حول تقسيم تركة «أوزيريس» . وقد ذكر «أوزيريس» فى تلك

الرسالة أن مساعديه (زبانيته) الذين يقيمون معه فى العالم الآخر ، يستطيعون أن يحضروا إليه عندما يأمرهم قلب أى كائن . وقد كانت هذه الرسالة التحذيرية نقطة فاصلة فى قصة الصراع بين الآلهة ، إذ حكم الآلهة عقب عرض الرسالة عليهم ، باعطاء عرش مصر إلى «حورس» لأنهم خافوا من زبانية «أوزيريس» فى العالم الآخر .

وقد نتسائل عما إذا كان هذا الجانب القتالى من طبيعة «أوزيريس» ، هو الذى أدى إلى توقيره المتعمد فى عصر الرعامسة ، كإله ذى روح حربية؟

وعلى أية حال فإن الخلفية العامة لعبادة هذا الاله ، لا تشجع على تحويله إلى إله محارب . والواقع أن هذا الجانب القتالى ، لم يكن بارزاً فى أى وقت ، وظل الخوف من «أوزيريس» متعلقاً بطبيعته الشيطانية فى العالم السفلى .



المبحث الرابع

العرافة والعقائد الشعبية فى عصر الرعامسة

ان ظهور سمات الحكم «الثيوقراطى» (الدينى) فى أواخر الدولة الحديثة ، يعود إلى تطور طويل لعدة عوامل ذات طبيعة مختلفة .

ومن هذه العوامل ، زيادة نفوذ الدور الذى تقوم العرافة أو النبوءات أو استيحاء الآلهة وطلب مشورتهم ، فضلاً عن انتشار العقائد الشعبية بوجه عام .

وقد أدى ضعف السلطة المركزية للدولة إلى فتح الطريق أمام سلطة الكهنة ، لاغتصاب السلطات التنفيذية للفرعون ، وتوجيه سلطاته فى اتخاذ القرارت .

وفى اعتقادى أن أهم هذه العوامل ، يكمن فى تحول الشريحة العليا من الطبقة العسكرية منذ عصر الرعامسة ، إلى قوة اجتماعية جديدة ، تمثل الطبقة الحاكمة فى عصر الرعامسة ، وتفرض سيطرتها على المعابد المصرية ، بل وعلى الدولة نفسها .

ومن المعروف انه منذ عهد «امنحتب الثالث» أخذت العبادات والعقائد الشعبية تجنى مزيداً من القوة والانتشار ، بل وحصلت على الاعتراف الرسمى من الدولة وتأييدها المادى .

وفى اعتقادى أن الاتجاهات التوحيدية والتأثير الثقافى القادم من الشمال ، فى فترة ما قبل العمارنة مباشرة ، انما يرجع إلى التأثير المتزايد للنبلاء العسكريين فى البلاط الملكى وفى دوائر الدولة ، فهؤلاء بحكم أنهم جاءوا أساساً من أصول متواضعة ، قد حملوا معهم عقائد الشعب وعاداته وممارساته الدينية إلى الدوائر العليا بالدولة .

ونحن نعرف أن «أمنحتب بن حابو» كتب على تماثيله فى الكرنك ، أن الفرعون قد رفعه ليكون رسولاً «لآمون» ، وانه كان الوسيط بين الاله وبين المؤمنين به فى طيبة .

وهناك تماثيل أخرى تحمل عبارات مشابهة ، تعزى إلى اثنين آخرين من الضباط العسكريين ، نالا نفس الشرف ، وقاما بنفس دور الوسيط بين الاله والشعب .

وأول هذين الضابطين هو الأمير «تحوتمس» الكاهن الأعلى فى منف ، وابن «امنحتب الثالث» . وقد أمر ببناء أول مقبرة معروفة للعجل المقدس «أبيس APIS» فى سقارة ، وكان ذلك نزولاً بالطبع على المعتقدات الشعبية فى تقديس الحيوان . كذلك فهناك مثل آخر على نفوذ عبادة الحيوان الشعبية ، يتمثل فى ابقاء قطيع من الكباش ، وهو الحيوان المقدس «لآمون» ، فى معبد «امنحتب الثالث» فى صولب بالنوبة . كما أن الحيوان المقدس لاله الشمس ، قد ذكر على لوحة من لوحات الحدود التى اقيمت حول «آخت آتون» .

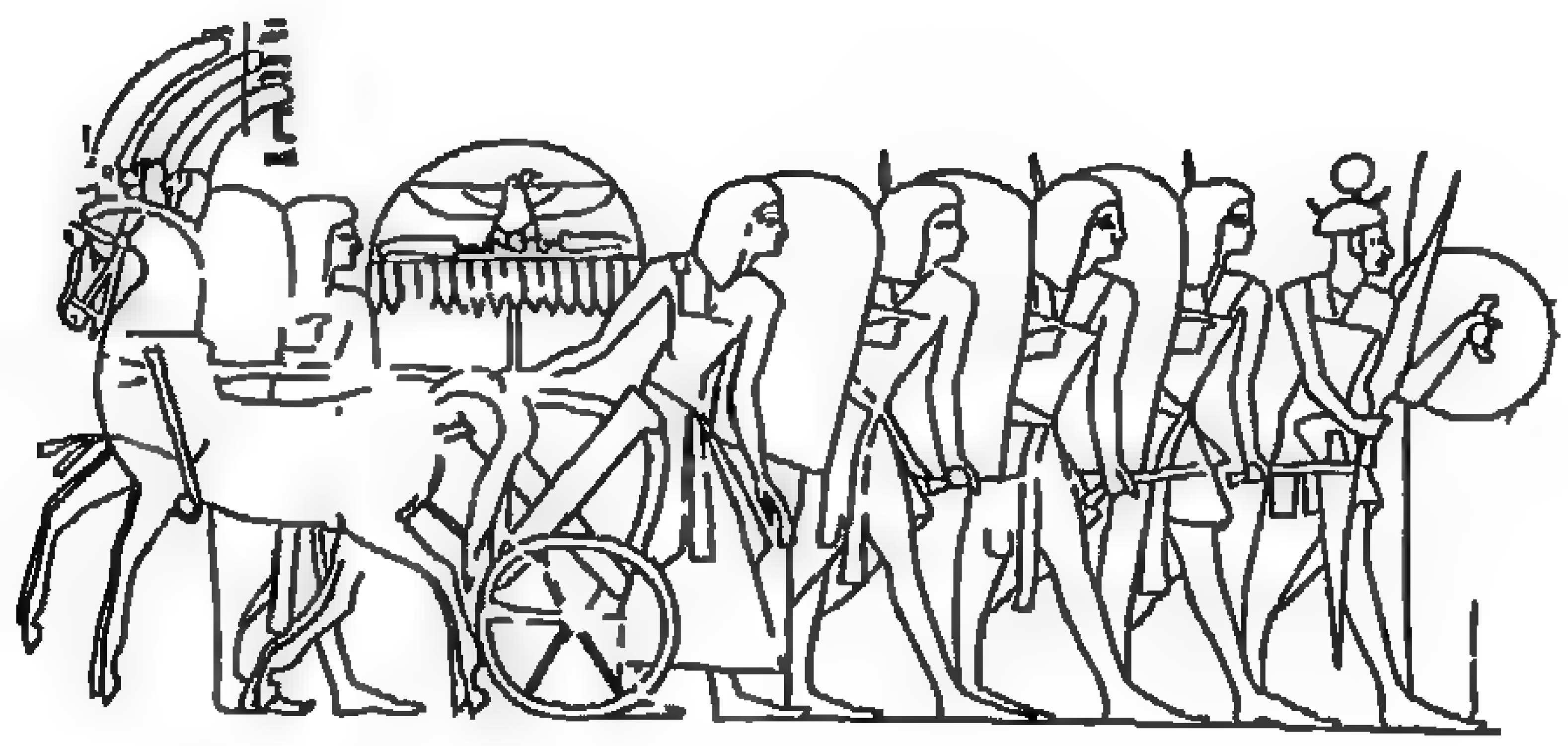
أما الضابط الثانى فهو الأمير «خع – إم – واس» وكان أيضا من كبار كهنة منف ، وهو ابن «لرمسيس الثانى» وكان له نشاط دينى وثقافى واسع النطاق ، يدل على تزايد الاهتمام بالعقائد الشعبية داخل الدوائر العليا بدولة الرعامسة . وقد أمر «خع – إم – واس» ببناء ضريح شعبى لأبيس فى منف .



أما بالنسبة للسحر ، فقد زاد الاهتمام به فى عصر الرعامسة بالمقارنة بما كان عليه الحال قبل فترة العمارنة . وتحتوى الوثائق الطبية التى وصلتنا من عصر الرعامسة ، وأولها ما اسميت ببردية «لندن الطبية السحرية» ، على وصفات سحرية لشفاء الامراض ، أكثر مما تحتويه أية نصوص طبية أخرى من الأزمنة السابقة .

وفى قضية المؤامرة على «رمسيس الثالث» نعلم أن المتآمرين طلبوا من أحد الكتبة ، أن يعد بعض التماثيل من الشمع ، لتهريبها إلى حريم «رمسيس الثالث» لكى تستعمل كعمل من أعمال السحر ، فى المؤامرة ضد الملك . كما وصلنا من عهد «رمسيس الثالث» أيضا تمثال من تماثيل الشفاء مغطى بالنصوص السحرية .

ومما هو جدير بالذكر إيضا ، أن أول اشارة إلى «حورس فوق التماسيح» كعبارة سحرية ، ترجع إلى أواخر الدولة الحديثة .



المبحث الخامس

نفوذ الكهنة وملامح الحكم الدينى
فى أواخر الدولة الحديثة

يبدو أن العرافة أو استيحاء الاله وطلب مشورته قد ظهرت متأخرة نسبيا فى التاريخ الفرعونى ، فقد ظهرت أول اشارة إليها فى عصر الدولة الحديثة . ويبدو أيضا أن نبوءات «آمون» ، أثناء الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر ، لم تكن تقليداً شائعاً ، وانما كانت قاصرة على مسائل السياسة العليا للدولة .

ومن الأمثلة المبكرة لظهور ارادة الاله على نحو مباشر ، ما حدث فى عهد الملكة «حتشبسوت» عندما استشارت الاله «آمون» فى إرسال بعثتها الشهيرة إلى بلاد «بونت» .

وكذلك ما فعله «تحوتمس الرابع» بمناسبة حدوث تمرد فى النوبة ، اذ استشار الاله «آمون» أيضا .

وعلى الأجمال ، فاننا نجد أن الأمثلة على نبوءات «آمون» التى حدثت فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، أقرب إلى الغموض فى وصفها ، ولا نعرف على وجه الدقة طبيعة الاجراءات التى كانت تستخدم بصددها .

وفى خلال فترة النصف الأول من الدولة الحديثة كان «آمون» هو الاله الوحيد الذى يتقدم الملوك لاستشارته . وهذا له دلالته الخاصة فيما يتعلق باستمرار الايمان بصحة نبوءات «آمون» ، فيما بعد انهيار الدولة الحديثة .

ولكن بالرغم من هذا الشكل المبكر لعرافة «آمون» والاشارات المتكررة إلى ارادته المقدسة فى المسائل السياسية وشئون الدولة ، فإن ذلك لم يحوّل الدولة إلى النظام الثيوقراطى (الدينى) القائم على حكم رجال الدين .

وبعد العمارنة ، تم تجاهل عرافة واستشارة الاله «آمون» تماماً ، وذلك حتى لا ينتعش نفوذ كهنته . ومع ذلك فإن نص تتويج «حور محب» يذكر أن موافقة الاله «آمون» كانت ضرورية لتأكيد اختياره ملكا .

وفى مناسبة تعيين «نب – ون – انف» كبيراً لكهنة «آمون» ، وجد «رمسيس الثانى» أن من الضرورى بالنسبة له ، أن يستشير الاله قبل اتخاذ هذه الخطوة واصدار قرار التعيين .

ومنذ بداية الأسرة العشرين ، بدا واضحاً أن عادة العرافة قد دخلت عليها تغييرات عميقة ، فقد أصبح الفلاحون والعمال وسكان القرى فى جبانة طيبة ، وخاصة فى مستوطنة دير المدينة ، يتقدمون إلى الآلهة الرئيسية فى المناطق المجاورة ، بما فيهم الاله «آمون» ، لطلب مشورتهم ونصائحهم وقرارتهم الشرعية فيما يعرض لهم من متاعب وهموم . وهكذا ارتبط الاله ارتباطا وثيقاً بحياة الناس العاديين .

ومن الثابت أن معابد «آمون» المحلية فى قرى جبانة طيبة ، كان الناس يلتجئون إليها للحصول على نبوءات الاله . وقد عثر على مالا يقل عن مائة شقافة صغيرة فى حفريات دير المدينة ، وعليها أسئلة مكتوبة لتقديمها إلى الاله طلبا للعرافة ، والمشورة ، كما كانت نبوءات «آمون» تزاول فى عديد من المعابد الاقليمية بمصر فى عصر الرعامسة .

ومما لاشك فيه أن انتشار عرافة «آمون» على هذا المستوى ، مع غيره من الآلهة ، بين الشعب العامل والفلاحين ، كان معاصراً لزيادة قوة ونفوذ كهنة «آمون» فى الدولة الحديثة .

وقد ازدادت قوة ونفوذ كهنة «آمون» ازدياداً كبيراً ، نتيجة للثروات الكبيرة التى كانت تمنح لمعبده . وفى نفس الوقت ، فقد مهد اضمحلال سلطة الملوك ، الطريق أمام كهنة «آمون» ، للحصول على مزيد من القوة والنفوذ .

وكانت ثروات مؤسسات «آمون» منذ الأسرة العشرين ، تتألف أساساً من الأراضى الزراعية والقرى وترسانات السفن وامتلاك العبيد ، مما يدل على مدى القوة التى بلغها كبار كهنة «آمون» فى ذلك الوقت .

ومن الواضح أن العائلات الكبيرة التى تشكل الطبقة الحاكمة الجديدة فى عصر الرعامسة ، كان لها دور رئيسى فى هذا التطور .

وقرب نهاية الأسرة التاسعة عشر . نجد «راما – روى RAMA - ROY» وكان الكاهن الأعلى «لآمون» وسليلاً لاحدى العائلات البارزة ، مصوراً على جدران معبد الكرنك . فى حين أن ذلك لم يكن مسموحاً به من قبل إلا للملك وحده .

وبعد حوالى نصف قرن من عهد «راما – روى» نجد كبيراً آخر لكهنة «آمون» ، وكان أيضا سليلاً لأسرة بارزة ، وهو المدعو «امنحتب» . وكان بدوره مصوراً على جدار بالكرنك فى نفس حجم صورة الملك . وأكثر من ذلك فإن تقديم القرابين إلى الآلهة ، والذى كان يحدث من قبل باسم الملك وحده ، أصبح من اختصاص «امنحتب» هذا .

والأهم من ذلك ، أن الضرائب صارت تجبى بواسطة السلطات التنفيذية لمعبد «آمون» مباشرة . وبذلك أصبح معبد «آمون» بمثابة دولة داخل الدولة .

وقبل العام التاسع عشر من حكم الملك «رمسيس الحادى عشر» وقعت «حرب» أو ربما «إخماد ثورة» استطاع اثناءها «امنحتب» كبير كهنة «آمون» أن يجند جيشاً خاصاً يقف فى وجه الجنرال «بانحسى PANEHSI» نائب الملك فى كوش ، الذى قدم

على رأس قواته للتدخل فى الفتنة ، وهذا يؤكد العلاقة القوية بين الجيش والمعابد فى ذلك الوقت . وهى العلاقة التى تعكس ، فى رأيى ، طبيعة العلاقة والصلات بين الضباط والكهنة الذين كانوا يمثلون معاً العائلات المختلطة الكبيرة فى مجتمع الرعامسة .



وقد كان نظام العمارنة نوعاً من الحكومة الثيوقراطية حيث كان «أخناتون» هو نبى «آتون» وكاهنه الأول . وخلال فترة العمارنة ، كان اسم «آتون» يحيط به خرطوشان ملكيان كرمز لسلطته على الأرض .

كذلك فقد كان «آتون» – طبقا للنصوص المنقوشة على لوحات الحدود المحيطة بآخت آتون – هو الذى اختار مقره المقدس فى هذه العاصمة الجديدة .

ويشير «بونيت H. BONNET» إلى أن ديانة العمارنة ؛ قد اختصرت المسافة بين الاله والانسان ، وان المسئولية الانسانية فى هذا الشكل المبكر من ديانة التوحيد قد أخمدت . وهو أيضا يقرر انه بالرغم من أن الملك المصرى كان يعتلى العرش بارادة الآلهة ، باعتباره ابنا للاله أو تجسيدا للاله ، إلا أن هذا لم يكن يعنى ان السلطة الملكية كانت ذات طبيعة ثيوقراطية (دينية) بنفس المعنى الذى كان يفهمه كهنة طيبة .

وليس من قبيل الصدف أن أساس الحكومة الثيوقراطية التى نشأت فى طيبة فيما بعد ، قد ارتبط من الناحية التاريخية بسقوط الامبراطورية ، وانحلال السلطة المركزية المدنية من جانب ، وتحول طبقة الرعامسة الحاكمة إلى مزيج من العائلات الكهنوتية العسكرية من جانب آخر .

وكان «حريحور» وهو ضابط محترف ، هو الذى تدخل فى الأحداث التى وقعت فى عهد «رمسيس الحادى عشر» وأسس حكم الكهنة الصريح فى طيبة باسم الاله . وكان «حريحور» يحمل ألقاب : «كبير كهنة آمون . ونائب الملك فى كوش . والوزير» . وقد وصف الفترة التى اغتصب فيها السلطة ، قبل وفاة «رمسيس الحادى عشر» بالتعبير القديم «عصر النهضة» . وكان لقبه الكهنوتى يوضع داخل خرطوش ملكى . كما انه كان يستعمل كل ألقاب الملك التقليدية .

وكان ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، الذين يحكمون فى تانيس بالجزء الشمالى من البلاد ، يحملون أيضا لقب «كبير كهنة آمون» متأثرين ، كما هو واضح ، بالفكرة السائدة عن سلطة «آمون» المطلقة .

وابتداء من ذلك الوقت ، أخذت عرافة نبوءات الاله ، والتى كانت تلقى احتراماً بالغاً ، تمتد لتشمل كل أوجه النشاط فى الشئون الادارية والتشريعية بالدولة على حد سواء .

وحتى البركات التى يمكن الحصول عليها فى العالم الآخر ، كان يمنحها «آمون» . وهكذا أصبح حكم الاله يتحقق على الأرض وفى العالم الآخر .

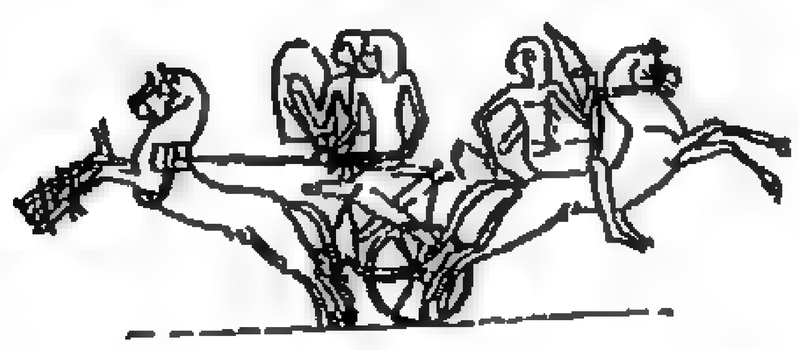
وفى الواقع ، كان كهنة «آمون» يتبعون فى ذلك – سواء عن وعى أو دون وعى – مثل «أخناتون» . ولاشك أن هذا النظام الثيوقراطى الذى يهدف فى الحقيقة إلى تحقيق أهداف سياسية ، كان بمثابة قناع يخفى الحكم المطلق للطبقة الحاكمة .

والمعتقد أن «حريحور» كان ضابطاً محترفاً ، ولم تكن له خلفية كهنوتية . ولكن «ماير» يعتقد انه كان كاهنا فى سابق حياته . وإذا كان هذا صحيحاً ، فإنه يوضح مرة أخرى الاساس المشترك للدور الذى كانت تلعبه العائلات الكهنوتية العسكرية ، التى تمثل الطبقة الحاكمة فى عصر الرعامسة .

ولم تكن «الأيديولوجية» الثيوقراطية قاصرة على مصر العليا وحدها ، بل اننا نلمس نفوذها فى الشمال أيضا . أما فى الجزء الجنوبى من البلاد (النوبة) فقد كانت لها أيضا نفس الأهمية .

وعندما أرسل «بعنخى PIANKHY» ملك «نباتا NAPATA» [1] جيوشه ضد مصر ، حض هذه الجيوش على إظهار الولاء «لآمون» فى طيبة ، وأن يطلبوا مساعدته لاحراز النصر .

وهكذا كان من مفارقات القدر ، ان الاله الذى كان رمزاً للامبراطورية المصرية ، أصبح من المتوقع منه ، أن يساعد اتباعه من أهل «نباتا» على أخضاع البلد الذى سمى فيه يوماً «ملك الآلهة» .



خاتمـــة

ينقسم تاريخ الدولة الحديثة فى مصر إلى فترتين طويلتين ، تختلف كل منهما اختلافا كبيراً عن الأخرى فى كثير من النواحى : إحداهما تسبق عهد «أخناتون» والثانية هى عهد الأسرة التاسعة عشر والأسرة العشرين .

ولكن بالرغم من هذه الخلافات الكبيرة بينهما ، فقد كانت هناك عدة عوامل اجتماعية مشتركة ، تؤدى دورها فى هاتين الفترتين على السواء .

وكان أهم هذه العوامل ، كما حاولنا بيانه ، هو نمو النفوذ السياسى والاجتماعى للموظفين العسكريين فى عدد من مجالات ادارة الدولة . فقد أصبح الجيش فى الدولة الحديثة ، خلافاً لما كان عليه الحال فى الحقب السابقة ، عاملاً فعالاً ، ليس فقط فيما يتعلق بحفظ هيبة مصر فى أعين الدول الأخرى بالشرق الأدنى ، وانما كان له أيضا دور مؤثر فى الشئون الداخلية للامبراطورية .

وهذا أمر يمكن تصوره ، إذا وضعنا فى الاعتبار ان الجيش نفسه ، كان محكوماً بمؤسسة تنظيمية يديرها الضباط ، الذين كانوا يتطلعون إلى مد سلطاتهم خارج النطاق العسكرى . واستطاعوا فى الواقع أن ينجحوا تدريجياً فى السيطرة على القطاع المدنى من السلطة . وقد بلغت هذه العملية ذروتها فى فترة «ما بعد العمارنة» ، عندما اعتلى الزعيمان العسكريان «آى» و «حور محب» عرش مصر .

وقد كان هدفى ، فى هذه الدراسة ، أن أفسر خلفية بعض عناصر هذا التطور ، وبخاصة تلك التى تبدو متعارضة فيما بينها لدى الوهلة الأولى . وفى هذا الصدد يجب ان نضع فى الاعتبار أن الطبقة العسكرية الحاكمة لم تكن محافظة أو متجمدة فى عقليتها ، بل على العكس ، كان موقف أعضائها المرن هو الذى ساعدهم على مواجهة المواقف الحرجه بكفاءة .

ومن هذه المواقف ، الاصلاحات التى اعلنها «أخناتون» فى عقيدة التوحيد . فعندما تحقق العسكريون من أن إصرارهم على العقيدة «الآتونية» ، التى أيدها فى البداية بعض الشخصيات العسكرية البارزة ، سوف يؤدى إلى إشاعة الفوضى العامة ، عملوا على إيجاد وسائل المصالحة السياسية «والأيديولوجيه» مع كهنة طيبة . وفى نفس الوقت كانوا حريصين بما فيه الكفاية ، على عدم ترك ميزان القوى يميل بشدة فى صالح كهنة «آمون» .

ولكن هذا الموقف بدأ يتغير فى بعض العهود التالية ، إذ تشهد المصادر التاريخية على وجود علاقة وثيقة ، بل واندماج بين العائلات التى تضم كبار العسكريين وكبار الكهنة .

وإذا وضعنا ذلك فى الاعتبار ، فإن أية دهشة تتبدد إذا رأينا فى نهاية هذا التطور قائداً للجيش ، هو «حريحور» ، يستولى لنفسه على العرش الملكى إلى جانب مقعد كبير كهنة «آمون» .

وقد فطن «ف. هلك» إلى أهمية دور الزعماء العسكريين فى تاريخ مصر الاجتماعى . وقد استخدمت فى سياق بحثى كثيراً من الأدلة التى ساقها وبعض النتائج القيمة التى توصل إليها ، رغم اختلافى أحياناً مع وجهة نظره . وكذلك فقد قمت بتحليل بعض المصادر التى لم يتناولها أحد بالبحث حتى الآن ، وفى كثير من الحالات كانت آرائى تختلف اختلافاً بيناً مع آراء الباحثين السابقين .

ومع ادراكى لخطورة التعميم ، فقد اعتبرت أن كل التغييرات التى حدثت فى الدور الذى لعبه الموظفون العسكريون ، بمثابة واحد من العوامل الهامة فى التطور الاجتماعى فى تلك الفترة . وهذه العملية كانت محكومة إلى حد كبير بالموقف الاقتصادى العام لمصر حينئذ .

ولذلك فقد تناولت بسرعة بعض السمات الرئيسية لمجتمع الدولة الحديثة ، حيث لم تكن الحياة الروحية والدينية ، بمنأى عن تأثير التغييرات الاجتماعية والسياسية العميقة ، التى تكمن وراء اتجاهات الصراع بين مختلف التيارات الدينية . فقد كانت المسائل المحورية التى

تشغل بال العقول المفكرة فى ذلك الوقت ، هى العلاقة بين الاله الأعلى والآلهة الاخرى الادنى منه فى المرتبة ، ومشكلة ما إذا كان هناك إله شمس واحد ، أم أن هناك آلهة متعددة يمكن أن تجمعها وحدانية ناقصة مرنة . إلى غير ذلك من المسائل العقائدية .

هذه هى المسائل الرئيسية التى قصدت معالجتها بشىء كثير أو قليل من التفصيل ، دون أن أدعى أننى وفيت أى مجال حقه الكامل ، فإن وفرة المادة المتاحة ، تجعل من المستحيل إيفاء هذا الموضوع حقه ، حتى فى عدد من المجلدات الكبيرة .

ومن طبيعة البحث التاريخى ان نتائجه تثير دائما مناقشات جديدة ، وغالباً ما تكون محلاً للاعتراض . وهذه الدراسة ليست بالطبع استثناءً من تلك القاعدة ، ومع ذلك فانى آمل أن تجذب هذه الدراسة الانتباه إلى أهمية وضرورة وجود المزيد من الدراسات الجديدة ، لتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية فى تلك الفترة من تاريخ مصر القديمة .



ملحق

شواهد من جبانة طيبة

أود أن أشير فى النهاية ، إلى بعض الحقائق اللازمة لتحقيق الفهم الكامل لخلفية بعض المشاكل التى بحثناها فى هذا الكتاب ، فليس من الضرورى أن نفترض أن كل ضابط كبير كان له منصب كهنوتى أو العكس بالعكس ، رغم أن ذلك كان أمراً كثير الحدوث .

لقد حدث فى مجرى التطور أن فقدت الطبقة العسكرية تجانسها الذى كان يميزها خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وتحولت بالتدريج إلى طبقة حاكمة من العائلات المختلطة الكبيرة التى تسيطر على المناصب الكهنوتية والمناصب العسكرية معاً .

وهذه الظاهرة تناولها بعض علماء المصريات ، وكانت مساهمتى المتواضعة تنصب على تفسير هذه الظاهرة فى ضوء المحيط الكلى للتطور الاجتماعى والثقافى والسياسى .

والآن ينبغى أن أقول انه إذا كانت نظريتى سليمة ، فإن جبانة طيبة يجب أن تعكس ذلك على نحو ما ، بالتحديد توضح لنا نتائج الحكم العسكرى ، وتدهور الارستقراطية الطيبية القديمة ، حيث حلت محلها طبقة حاكمة ذات طبيعة مغايرة .

ومنذ فترة العمارنة ، أخذت المراكز الثقافية والسياسية فى الشمال ، تنمو من حيث النفوذ ، بينما توقفت طيبة عن أن تكون مقراً للبلاط الملكى وعاصمة للامبراطورية ، ونتيجة لذلك كما يقول «هلك» فقدت جبانة طيبة كثيراً من أهميتها ، ابتداء من عهد «توت عنخ آمون» . وانتقلت هذه الأهمية إلى «سقارة» بجوار منف . ولكن المومياوات الملكية فقط ، استمر دفنها فى غرب طيبة ، أثناء عصر الرعامسة ، وذلك تمسكاً بعادة عميقة الجذور بدأت منذ الأسرة الثامنة عشر ، وربما قبل ذلك .

وكذلك استمر دفن كبار كهنة «آمون» والآلهة المحلية الأخرى ، فى جبانة طيبة ، كما استمر دفن كبار الموظفين المحليين ، فهؤلاء هم أصحاب المقابر فى غرب طيبة فى عصر الرعامسة .

ونشير إلى حالة «حور محب» باعتبارها حالة هامة فى هذا المجال ، فعندما كان يعمل باعتباره الرجل الثانى أو الثالث تحت حكم «توت عنخ آمون» و «آى» أعد لنفسه مقبرته الشهيرة فى سقارة ، ولكنه بعد أن اعتلى العرش بدأ يقيم لنفسه مقبرة ملكية أخرى فى وادى الملوك بطيبة .

وعلى ذلك فإن المعلومات التى تعطيها جبانة طيبة اثناء عصر الرعامسة ، لا يمكن اعتبارها مصدراً لأية معلومات عامة تتعلق بالأوضاع الاجتماعية لطبقة كبار الموظفين فى تلك الفترة .

أما الوثائق التى يمكن أن تعتمد عليها أية دراسة للعلاقات الاجتماعية أو الأنساب ، فيجب أن تشمل دراسة النصوص المنقوشة فى مقابر سقارة ، وقنطير ، وتانيس ، وجبل سيدمنت ، والجبلين ، وارمنت ، وقفط ، والنوبة . كما يجب أن تشمل أيضا دراسة سير الحياة الذاتية والنذور المسجلة على النصب التذكارية ، والبرديات ، والتماثيل ، وشظايا الفخار (الأوستراكا) فى مختلف المواقع الأثرية . أما جبانة طيبة فهى ذات أهمية بالغة ، ولكنها ذات طبيعة محلية .

ولكن بالرغم من المعلومات الجزئية وغير الكاملة التى تعطيها مقابر طيبة الغربية فى عصر الرعامسة ، فإن الاحصائيات المتعلقة بالمركز الاجتماعى لأصحابها ، قد تلقى ضوءاً جديداً على ظاهرة العائلات المختلطة الكبيرة التى تضم الكهنة والضباط ، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :

(١) : هناك على الأقل «٥٣» مقبرة من مجموع مقابر الرعامسة فى طيبة ، تخص العمال الذين كانوا يقيمون فى مستوطنة دير المدينة ، لتنفيذ المقبرة الملكية للفرعون الحاكم ، أو الحرفيين

والصناع فى ورش المعابد أو ممتلكات المعابد فى طيبة مثل : النجارين ، وحراس الأبواب ، وصناع النسيج ، والمساحين ، وصانعى الأحذية .. وهذه المقابر تحمل الأرقام التالية :

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١٣ - ٤٥ - ٧٠ -
١٣٣ - ١٣٨ - ١٨٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ -
٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٥٠ - ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٩٠ -
٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٦ - ٣٢٨ -
٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٥٥ - ٣٥٦ -
٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٧٢ - ٣٧٨ .

(٢) - وهناك حوالى «٢٧» مقبرة يملكها كهنة عاديون أو كهنة مرتلون تابعون للاله «آمون» أو غيره من الآلهة المحلية فى طيبة . وهاتان الفئتان من الكهنة تنتميان إلى الطبقة السفلى من الهرم الكهنوتى فى مصر ، وتحمل مقابرهم الأرقام التالية :

١٤ - ١٦ - ٣٠ - ٤١ - ٤٤ - ٦٨ - ١٠٥ - ١١٢ - ١١٣ -
١٣٤ - ١٣٥ - ١٤١ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٩ - ١٨٣ - ٢٠٢ - ٢٠٣ -
٢٠٨ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٧٢ - ٢٧٧ - ٢٨٤ - ٢٨٧ - ٣٠٥ - ٣٦٣ .

(٣) - وهناك مجموعة ثالثة حوالى «٤٢» مقبرة ، أصحابها من الكتبة المحليين والموظفين الذين كانوا يتولون مناصب فى المعابد أو ممتلكات المعابد مثل كتبة القرابين وكتبة حصر الماشية والمتاجر .. الخ . ولم يظهر بينهم فى عصر الرعامسة أى موظف كبير ينتمى إلى السلطة المركزية للدولة ، أو أى موظف فى البلاط الملكى .

ومما تجدر ملاحظته أن بعض هؤلاء الكتبة والموظفين ، لم يكن فى مقدورهم نحت مقبرة لحسابهم الخاص ، فاغتصبوا مقابر من عصر الأسرة الثامنة عشر . وكان هؤلاء الموظفون والكتبة يمثلون المجموعة الدنيا من الجهاز الادارى فى طيبة ، ويمكن اعتبارهم من اعضاء الطبقة المتوسطة . ومقابرهم تحمل الأرقام التالية :

٣٠ - ٦٥ - ١١١ - ١٣٦ - ١٤٩ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٧٠ -
١٧٣ - ١٧٧ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٨ - ٢٠٧ - ٢٣٢ - ٢٣٣ -

٢٥٩ – ٢٦٤ – ٢٧٣ – ٢٨٤ – ٢٨٥ – ٢٨٨ – ٢٩٦ – ٣٠١ – ٣٠٢ –
٣٠٤ – ٣٢٤ – ٣٤١ – ٣٤٢ – ٣٤٧ – ٣٥٢ – ٣٧٠ – ٣٧٣ – ٣٧٤ –
٣٨٢ – ٣٨٧ – ٤٠٦ – ٤٠٩ – ١٧أ – جـ٧ – جـ٨ .

(٤) – أما بقية المقابر الخاصة بعصر الرعامسة ، وهى بالكاد فى حدود «٤٠» مقبرة ، فيمكن القول باطمئنان أن أصحابها ينتمون إلى الطبقة الحاكمة ومنهم «١١» على الأقل يحملون ألقاباً عسكرية ، ويشغلون وظائف مالية وادارية واشرافية فى المعابد . وأرقام هذه المقابر هى :
٢٣ – ٢٦ – ٢٨ – ١٥٦ – ١٧٠ – ٢٢١ – ٢٦٦ – ٢٨٢ – ٣٤٦ –
٣٥١ – ٣٨١ .

وأمكن التعرف على خمسة فقط من كبار كهنة «آمون» لا يحملون ألقابا عسكرية . ومع ذلك تفيد بعض المصادر الأخرى ، أن ثلاثة على الأقل من هؤلاء الكهنة الخمسة يحملون ألقاباً عسكرية . فإن «باك – إن – خونس» صاحب المقبرة رقم «٣٥» ، وهو كبير كهنة «آمون» فى عهد «رمسيس الثانى» ، كان ضابطا فى وحدة تدريب للفرسان فى مقتبل حياته . وكذلك «نب – أون – إنف» صاحب المقبرة رقم «١٥٧» ، وهوأيضا كبير كهنة «آمون» فى عهد نفس الملك ، كان يحمل لقب «جنرال» . وكذلك «راما – راى» صاحب المقبرة رقم «٢٨٣» وكان أيضا كبيراً لكهنة «آمون» فى أواخر الأسرة التاسعة عشر ، وكان أيضا يحمل لقب «جنرال» .

ومما هو جدير بالذكر أن والد «باك – إن – خونس» وجد «راما – راى» ويدعى «امين – إم – أوبت» كان «جنرالاً» كذلك ، وكان يشغل مناصب عليا فى إدارة بعض المعابد الأقليمية .

أما «رمسيس – نخت» صاحب المقبرة رقم «٢٩٤» ، فيمكن التعرف على صفته العسكرية من حقيقة انه قاد شخصيا بعثة إلى وادى الحمامات فى عهد «رمسيس الرابع أو الخامس» وكان كل أعضاء هذه البعثة من العسكريين . هذا بالاضافة إلى أنه كان يشغل

منصب كبير كهنة «آمون» . وقد شغل ابنه «امنحتب» نفس المنصب الكهنوتى من بعده . وقد استطاع ابنه هذا ان يجند مجموعة من المتطوعين ، ويحارب لمدة ستة شهور ، ضد الوحدات العسكرية التى أرسلت لمواجهته من جانب السلطة المركزية فى تانيس ، على أرجح الآراء .

وعلاوة على ذلك ، فقد كانت أسرة «رمسيس نخت» متصلة برابطة الزواج مع أسرة «باك – إن – خونس» و «راما – راى» . فإن الكاهن الثانى أو الثالث «لآمون» المدعو «جينافا TGINAFA» وهو عضو فى أسرة «رمسيس نخت» كان متزوجاً من «نفرتارى» حفيدة «باك – إن – خونس» .

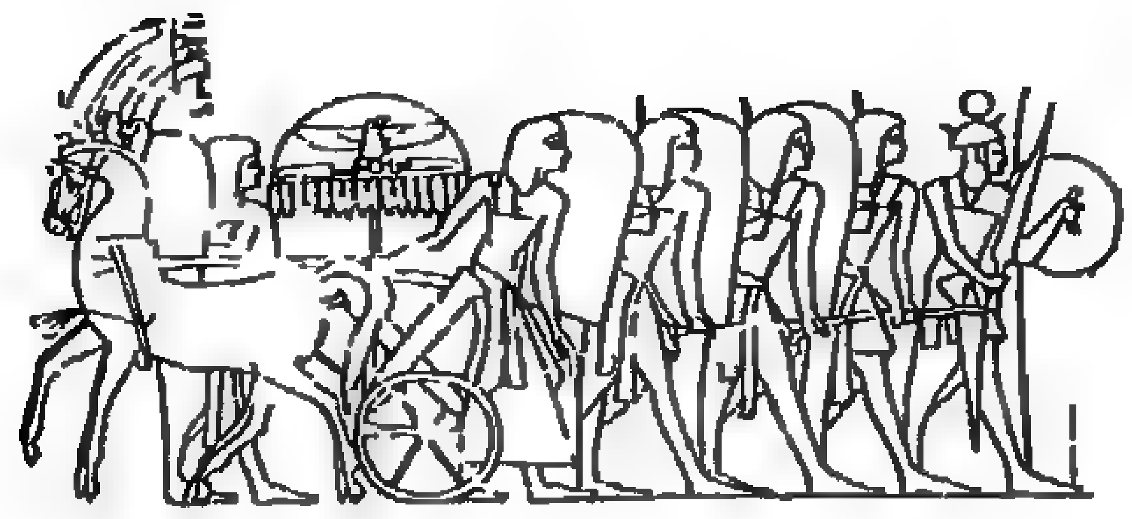
وهناك أربعة من «نواب الملك فى النوبة» لهم مقابر فى غرب طيبة ، اثنان منهم يحملان ألقابا عسكرية ، وهما «نخت» صاحب المقبرة رقم «٢٨٢» ، و «بن ساتانى PANNE SATTANI» صاحب المقبرة رقم «١٥٦» . كما ثبت أن «ستاو SETAU» نائب الملك وصاحب المقبرة رقم «٢٨٩» ، كان يشغل منصبا عسكرياً طبقا لدراسة حديثة تناولت سيرة حياته الذاتية كما نقشها على نصبه التذكارى .

أما «خونس – تو KHONS - TO» صاحب المقبرة رقم «٣١» فقد كان يشغل منصب الكاهن الأول لأحد المعابد الجنازية ، وكان ينتمى إلى أسرة نمطية لعصر الرعامسة ، تضم عسكريين وكهنة .

وكذلك الحال بالنسبة لصاحبى المقبرتين رقم «٣٢٤» ورقم «٣٣١» ، وهما «هاتياى HATIAY» و «بن نوت PEN NUT» وكل منهما كان يشغل منصب كبير كهنة «مونتو وخونسو MONTU AND KHONS» وكانا أيضا اعضاء فى أسرة تقليدية كبيرة من أسر عصر الرعامسة ذات الطبيعة المختلطة .

وكان «باسر PASER» وهو من نبلاء المدينة الجنوبية (أى طيبة) ، وصاحب المقبرة رقم «١٠٦» ، ابن أخ «ون نوفر WEN NOFRE» كبير كهنة «آمون» ورئيس أسرة بارزة من الضباط والكهنة .

وهكذا يتبين لنا أن ظاهرة الأسر الكبيرة المختلطة ، من الكهنة والضباط ، فى عصر الرعامسة ، واضحة فى نحو «٢١» مقبرة على الأقل من «٤٠» مقبرة فى طيبة ينتمى أصحابها إلى الطبقة الحاكمة فى عصر الرعامسة . وبذلك يكون الدليل المشتق من طيبة – إذا فصلنا بين الطبقتين الوسطى والعليا – مؤيداً تماماً للنتائج التى توصلنا إليها من المصادر التاريخية .



هوامش الجزء الثالث

هوامش الفصل الأول

المبحث الأول

١ — حاليا : صان الحجر . تقع فى شرق الدلتا . وكانت مقراً لعبادة الاله «ست» فى عصر الهكسوس . وعثر بها على آثار من عصور مختلفة ، أهمها مقابر الأسرة الحادية والعشرين والتى تتضمن حلياً ذهبية وفضية ذات ذوق فنى رفيع بالنسبة لعصرها .

٢ — ابن رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشر . كان ضابطا مثل أبيه . وأمضى سنوات طويلة فى الخدمة العسكرية بحصن «ثارو» على حدود مصر الشرقية . ثم أصبح قائداً للفرسان وسلاح المركبات الحربية . حارب الحيثيين وصور معاركه ضدهم على جدران الكرنك . خلف آثاراً عديدة أهمها بالكرنك ، ومعبده الجنازى بالقرنة ، ومعبده بأبيدوس ، ومقبرته الفخمة بوادى الملوك . وتمتاز آثاره المعمارية بالذوق الرفيع .

المبحث الثانى

١ — أنظر هامش ٤ من المبحث الثانى ، الفصل الأول ، الجزء الثانى .

٢ — جماعة مازال أصلها واشتقاق اسمها ومدى صلاتها بالعبرانيين محل جدل ونقاش بين المؤرخين . وجاء ذكرهم منذ الأسرة الثامنة عشر (المقابر ٣٩ ، ١٥٥ بغرب طيبة) . كما جاء ذكرهم عدة مرات فى رسائل العمارنة . وفى عهد سيتى الأول حدثت حرب ضدهم . وقد ذكروا عدة مرات كعمال محاجر فى مصر .

٣ — كان لملوك مصر القديمة عدة اسماء تصل إلى خمسة . والمقصود بالاسم الحورسى أو الحورى ، أن الملك يعتبر ممثلاً أرضياً للإله حورس .

٤ — تقع فى شرق الدلتا شمال مركز فاقوس ، وإلى الجنوب منها بنحو ١٧ كيلو مترا (الختاعنة) عثر على بقايا قصر فاخر لرمسيس الثانى ، مما قد يرجح أن قنطير هى پر رمسيس التى بناها رمسيس الثانى واتخذها عاصمة للبلاد .

المبحث الثالث

١ — جاء ذكر هذه البلاد عدة مرات فى رسائل العمارنة كدويلة كانت تمتد من بيبلوس «جبيل» بجوار بيروت ، وحتى أوجاريت بجوار اللاذقية بشمال سوريا . وبالرغم من تبعيتها للامبراطورية المصرية منذ الأسرة الثامنة عشر ، إلا أنها

كانت تتمتع بقدر من الاستقلال إلى حد ما فى سياستها الخارجية . وقد جاء ذكرها أيضا فى تقرير الانتصارات الخاص بالملك سيتى الأول . ومن الطريف أن الكتابات التى كان يتدرب عليها التلاميذ فى عصر الرعامسة ، قد أشارت إلى «الخشب والبلسم» الوارد من بلاد أمورو

٢ – راجع الهامش رقم (٣) بالمبحث الأول – الفصل الأول – الجزء الأول .

٣ – تقع قرية بوغاز كوى على منحنى نهر «الحاليس» (حاليا نهر كيزيل إيرماك بتركيا) . وفى هذه المنطقة كانت تقع المدينة القديمة «خاتوشاش» عاصمة الحيثيين . وقد عثر بها على ألواح هامة تضم الأرشيف الملكى ، مكتوبة باللغة الأكدية بالخط المسمارى ، وقد تضمن أحد هذه الألواح نصوص المعاهدة المبرمة بينهم وبين رمسيس الثانى .

٤ – مجموعة من الشعوب ذات الأصول الهندو – أوربية . تدفقت موجات هجراتها إلى آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه وشمال أفريقيا . وقد ذكرت النصوص المصرية مجموعات مختلفة منهم . ويميل كثير من المؤرخين إلى مقارنة أسماء هذه المجموعات بأسماء مشابهة فى العالم الهلينى مثل : الشكلش (الصقليين) والشردن (سكان جزيرة سردينيا) .

٥ – هو الابن الثالث عشر لرمسيس الثانى (١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م) . صد هجوما ضخما لليبيين فى العام الخامس من حكمه . وفى نفس العام أيضا أرسل كميات كبيرة من الحبوب إلى الحيثيين الذين كانوا يعانون من المجاعة والقحط ، مما يؤكد استمرار معاهدة قادش التى عقدها معهم رمسيس الثانى . خلف آثاراً كثيرة أهمها فى منف وطيبة ومقبرته بوادى الملوك .

٦ – جوار اللاذقية بشمال سوريا .

هوامش الفصل الثانى

المبحث الأول

١ – فى أواخر عهد رمسيس الثالث . قامت سيدة تدعى (تيى) – ربما كانت زوجة للملك – بتدبير مؤامرة لاغتيال الملك عندما أحست بأنه لا ينوى تعيين ابنها ولياً للعهد . وقد أشترك معها فى المؤامرة عدد من كبار موظفى القصر وعدد من الحريم . وقد تم القبض على المتآمرين وحوكموا .

٢ – بمحافظة المنيا .

٣ – تقع هوربيط فى شرق الدلتا إلى الغرب من قنطير .

٤ – اسماء لرمسيس الثانى .

٥ – انظر الهامش رقم (٤) بالمبحث الثالث – الفصل الأول – الجزء الأول .

٦ – كانت عبارة «عيد أوبيت الجميل» تطلق على الاحتفال السنوى لزيارة الاله آمون ، قادماً من الكرنك محمولاً فى المركب المقدس ، لمعبد الأقصر .

٧ – يقع وادى الملكات فى غرب طيبة . ومعظم المقابر ترجع إلى عصر الأسرتين التاسعة عشر والعشرين . وبالوادى أكثر من ٧٠ مقبرة إلا أن الكثير منها لم يتم الانتهاء من نقشه . ومن أجمل المقابر مقبرة الملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ومقبرتى الأميرين «آمون حر خبش إف» و «خع ام واس» .

٨ – لاحظ تشابه وتماثل اسماء ابناء رمسيس الثانى ورمسيس الثالث .

(٩) – تقع فى الجزء الجنوبى من غرب طيبة ، وبها آثار ترجع إلى فترة تاريخية طويلة ، تمتد من الأسرة الثامنة عشر وحتى العصر البيزنطى . وأهم عمائرها المعبد الجنازى الشهير الخاص برمسيس الثالث .

(١٠) – يقع بالصحراء الشرقية بين قفط والقصير . وكان به العديد من المحاجر التى استغلها المصريون القدماء منذ عصر الدولة القديمة . وحفظت لنا صخور وادى الحمامات الكثير من النصوص التى تصف لنا ظروف وحجم بعثات جلب الأحجار الفاخرة من هذه المنطقة .

(١١) – قرية تقع جنوب إدفو . واطلق اسمها على معبد لسيتى الأول (معبد الرديسية) الذى يقع فى وادى عبّاد ، على بعد حوالى ٥٠ كيلو مترا شرق إدفو .

المبحث الثانى

١ - شمال أسوان .

٢ – يقصد الإله .

٣ – وحدة وزنية . (نحو ٣٠ درهما) .

٤ – مكيال للحبوب .

٥ - يمثل برأس تمساح وجسم انسان وعبد فى مناطق كثيرة أهمها الفيوم وكوم امبو .

٦ – انظر الهامش رقم (٥) بالمبحث الثانى من الفصل الثانى بالجزء الأول .

هوامش الفصل الثالث

المبحث الأول

١ - الجيوبوليتيكا : هى علم السياسة الطبيعية ، ومجاله دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية (من حيث كثافة السكان وتوزيعهم) فى سياسة الدولة الخارجية والاجراءات الحكومية المبنية على هذا العلم .

المبحث الثانى

١ - الدولة الثيوقراطية هى الدولة الخاضعة لحكم رجال الدين .

المبحث الثالث

١ - تمثل على شكل حية ، أو امرأة على رأسها تاج الوجه البحرى . وكانت تعتبر الالهة الحامية للوجه البحرى ، ومركز عبادتها فى (بوتو) بمركز دسوق .

٢ - إله جبانة منف (سقارة) . ويمثل على هيئة رجل محنط له رأس صقر ، وقد اتحد مع الإلهين بتاح وأوزيريس (بتاح - سوكر - أوزيريس) .

٣ - راجع الهامش رقم (٤) بالمبحث الثانى - الفصل الأول - الجزء الثالث .

٤ - ويعني الرائى الأعظم أو كبير الناظرين (إلى السماء) وذلك لرصد النجوم والكواكب . ويعتبر حامل هذا اللقب رئيساً للفلكيين فى منطقته . ويمثل الملك فى المعبد .

٥ - يقع فى منطقة الفيوم . وكان يمثل جبانة واسعة تمتد نحو أربعة كيلو مترات ويتاخم هيراكليوبوليس (اهناسيا حالياً) . وعثر بالمنطقة على مقابر هامة يرجع تاريخها إلى عصور مختلفة تمتد من عصر الأسرة الثانية وحتى العصر المتأخر .

المبحث الرابع

١ – أرمنت : جنوب غرب الأقصر .

٢ – الاشمونين : بمحافظة المنيا .

٣ – أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر .

٤ – بشمال شرق بنها .

المبحث السادس

١ – منذ عصر الدولة القديمة ، ذكرت النصوص «بلاد التمحو» . وفى قصة «سنوهى» ، التى يرجع تاريخها إلى بداية الدولة الوسطى ، تحديد لبلاد التمحو كمنطقة تقع إلى الغرب من الدلتا . ومنذ عهد حور محب أطلق على أهل تلك البلاد اسم «التمحى» بجانب كلمة «التمحو» ، وكانوا يتجولون على حدود مصر فى شمالها الغربى ، وجنوباً حتى مرتفعات وادى السبوع بالنوبة ، ويندرج التمحو تحت الاصطلاح الأعم الذى يشمل الليبيين .

المبحث السابع

١ – زكيبة .

٢ – فى حوالى سنة ١٢٠٠ق.م. استقرت بعض القبائل المهاجرة من أوروبا إقليم «فريجيه» وهو إقليم قديم يقع بوسط آسيا الصغرى . وقد أطلق عليهم اسم «الفريجيون» نسبة لهذا الاقليم .

هوامش الفصل الرابع

المبحث الثانى

١ – مع بداية الأسرة الخامسة ، أصبح رع رب أون ، الإله الرئيسى للدولة . وقد تمت فيما بعد عملية اتحاد ومزج بين رع وآلهة أخرى كثيرة أهمها «حور آختى» الذى يعنى حورس المنتمى للأفق ، وهو أيضا أحد آلهة أون . وفى نصوص الأهرام ذكر رع وحور آختى جنبا إلى جنب ، وسرعان ما اتحدا معاً وأصبحا «رع حور آختى» .

٢ - يمثل على هيئة انسان وعلى رأسه ريشة . وكان له دور فى نظرية بدء الخليقة طبقا لمذهب أون (عين شمس) . وأهم مركز لعبادته كان فى ليونتوبوليس (تل المقدام - مركز ميت غمر) .

٣ - تمثل على هيئة لبؤة . وفى جزيرة فيله ، لقبت بربة الواحات الشرقية .

٤ - يمثل على هيئة انسان وعلى رأسه أربع ريشات . وكان مركز عبادته فى «ثنى» (طينة : ولم يعرف بعد مكانها على وجه التحديد) وهى تقع بالمقاطعة الثامنة بالوجه القبلى . وقد اتحد هذا الإله مع الإله شو .

المبحث الخامس .

١ - يعتبر بعنخى (٧٥١ - ٧١٦ق.م) من أعظم ملوك الكوشيين (النوبيين) الذين أسسوا الأسرة الخامسة والعشرين . وخلف آثاراً عديدة فى شمال وجنوب وادى النيل . وبالنسبة لمدينة نباتا ؛ راجع الهامش رقم (٧) بالمبحث الثانى من الفصل الأول بالجزء الأول .

الفهارس

١ – الأعلام

٢ – المدن والبلاد والاماكن

المراجع

المراجع العربية

بهاء الدين ابراهيم ١٩٧٤ – المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية – رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٤ (تحت الطبع) .

سليم حسن – ١٩٤٠ : ١٩٤٩ مصر القديمة من الجزء الأول حتى الجزء السادس القاهرة من عام ١٩٤٠ حتى ١٩٤٩ .

شفيق شحاته ١٩٥٠ – تاريخ القانون الخاص فى مصر – الجزء الأول : القانون المصرى القديم – الطبعة الثانية القاهرة عام ١٩٥٠ .

ضيا أبو غازى ١٩٦٦ – رع فى الدولة القديمة – رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٦ (تحت الطبع) .

عبد العزيز صالح ١٩٦٦ – التربية والتعليم فى مصر القديمة – القاهرة عام ١٩٦٦ .

المراجع الأجنبية

W. F. Albright 1927: The date of the foundation of the early Egyptian temple of Byblos, ZÄS 62(1927) 62-63.

--- 1961: The archaeology of Palestine, London 1961.

C. Aldred 1957: The end of el-Amarna period, JEA 43(1957) 30--41.

--- 1968: Akhenaton, the Pharaoh of Egypt, London 1968.

A. Alt 1959: Kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel, München 1959.

ANET -- Ancient Near Eastern Text, Princeton 1955[2].

R. Anthes 1963: ... in seinem Namen und im Sonnenlicht", ZÄS 90(1963) 7-10.

M. Asfour 1956: The relations between Egypt and Nubia, Liverpool 1956.

J. Assmann 1969: Liturgische Lieder an den Sonnengott, Berlin 1969 (MÄS 19).

A. Badawy 1946: Zwei Denkmäler des grossen Gaugrafen von Memphis, Amenophis Ḥwjj, ASAE 44(1946) 181-206.

--- 1947: Memphis als zweite Landeshauptstadt im Neuen Reich, Cairo 1947.

J. Baikie 1932: Egyptian antiquities in the Nile valley, London 1932.

A. M. Bakir 1952: Slavery in Pharaonic Egypt (Supplement of ASAE) Cairo 1952.

BAR -- J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. I-V, Chicago 1906-1907.

J. von Beckerath 1951: Tanis und Theben, Glückstadt 1951 (ÄgFo 16).

--- 1971: Abriss der Geschichte des alten Ägypten, Darmstadt 1971.

M. L. Bierbrier 1975: The Late New Kingdom in Egypt (c. 1300--664 B. C.) Warminster 1975.

F. W. von Bissing 1937: Das angebliche Weltreich der Hyksos, AfO 11(1937) 325-335.

A. M. Blackman 1941: The stela of Shoshenk, great chief of the Meshwesh, JEA 27(1941) 83-95.

P. A. A. Boeser 1905-1920: Beschreibung der aegyptischen Sammlung des niederländischen Reichsmuseums der Altertümer in Leiden, The Hague 1905-1920.

H. Bonnet 1926: Die Waffen der Völker des alten Orients, Leipzig 1926.

--- 1952: Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte, Berlin 1952.

L. Borchardt 1907: Ein Onkel Amenophis' IV. als Hoherpriester von Heliopolis, ZÄS 44(1907) 97.

U. Bouriant 1894: Tombeau de Harmhabi, Mémoires Mission V (1894) 413-434.

J. H. Breasted 1908: A history of the ancient Egyptians, New York 1908.

--- 1909-1910: The royal feud in the Wadi Halfa temple: a rejoinder, AJSL 26(1909-1910) 162-168.

J. Brinton 1942: Some recent discoveries at el-Alamein, Bulletin Societé Royale d'Archéologie 35, vol. XI, 2 (1942) 78-81, 163-165.

H. Brugsch 1883-1891: Thesaurus inscriptionum Aegypticarum, Leipzig 1883-1891.

A. de Buck 1937: The juridical papyrus of Turin, JEA 23(1937) 152-164.

H. Carter 1923-1933: The tomb of Tut.Ankh.Amen, London 1923-1933.

J. Černý 1935: Questions adressées aux oracles, BIFAO 35(1935) 41-58.

--- 1942: Nouvelle série de questions adressées aux oracles, BIFAO 41(1942) 13-24.

--- 1965: Egypt. From the death of Ramesses III to the end of the twenty-first dynasty (CAH vol. II, ch. XXXV), Cambridge 1965.

--- 1973: A community of workmen at Thebes, Cairo 1973.

--- 1973a: The Valley of the Kings, Cairo 1973.

J. Černý - A. H. Gardiner - T. E. Peet 1952-1955: The in-

scriptions of Sinai, part I: London 1952, part II: London 1955.

J. Černý - T. E. Peet 1927: A marriage settlement of the twentieth dynasty. An unpublished document from Turin, JEA 13(1927) 30-39.

L. A. Christophe 1957: L'organisation de l'armée égyptienne à l'époque ramesside, Revue du Caire 39/No. 207(1957) 387-405.

J. J. Clère 1968:Deux statues 'gardiennes de porte' d'époque ramesside, JEA 54(1968) 135-148.

A. De Coson 1935: Mareotis: country life, 1935.

S. Curto 1971: The military art of ancient Egyptians, Torino 1971.

N. de G. Davies 1903-1908: The rock tombs of El Amarna, Vols. I-VI, London 1903-1908.

--- 1923: The tombs of two officials of Thutmosis the fourth (Nos. 75 and 90), London 1923.

--- 1925: The tomb of Tetiky at Thebes (No. 15), JEA 11(1925) 10-18.

--- 1930: The tomb of Ḳen-Amun at Thebes = The Metropolitan Museum of Art Egyptian Expedition Publications, V, New York 1930.

--- 1941: The tomb of the vizier Ramose, London 1941.

--- 1943: The tomb of Rekh-mi-Re at Thebes, New York 1943.

N. M. de G. Davies - A. H. Gardiner 1926: The tomb of Ḥuy, viceroy of Nubia in the reign of Tut^c^ankh-amūn (No. 40), The Theban Tombs Series, IV, London 1926.

N. M. de G. Davies - N. de G. Davies 1933: The tombs of Menkheperrasonb, Amenmose, and another (Nos. 86, 112, 42, 226), Theban Tombs Series, V, London 1933.

Th. M. Davis 1922: The tomb of Harmhabi and Touatânkhamonou, London 1912.

E. Drioton 1944: La cryptographie par perturbation, ASAE 44 (1944) 17-33.

E. Drioton – J. Vandier 1952: L'Egypte, Paris 1952[3].
E. Edel 1948: Neue keilschriftliche Umschreibungen ägyptischer Namen aus den Bogazköy-Texten, JNES 7(1948) 11-24.
--- 1951: Zur historischen Geographie der Gegend von Kadeš, ZA NF 16(1951) 253-258.
--- 1953a: KUB III 63, ein Brief aus der Heiratskorrespondenz Ramses II, JKF 2(1953) 262-273.
--- 1953b: Weitere Briefe aus der Heiratskorrespondenz Ramses II: KUB III 37+KBo I 17 und KUB III 57, in: Festschrift A. Alt, Tübingen 1953, 29-63.
--- 1960: Der geplante Besuch Hattušiliš III in Ägypten, MDOG 92(1960) 15-20.
--- 1974: Zwei Originalbriefe der Königsmutter Tuja in Keilschrift, SAK 1(1974) 105-146.
--- 1976: Ägyptische Ärzte und ägyptische Medizin am hethitischen Königshof, Göttingen 1976.
W. B. Emery 1965: Preliminary report on the excavation at North Saqqara, 1965-5, JEA 51(1965) 3-8.
R. Engelbach 1940: Material for a revision of the history of the heresy period of the XVIIIth dynasty, ASAE 40(1940) 133-165.
A. Erman 1900: Geschichtliche Inschriften aus dem Berliner Museum, ZÄS 38(1900) 112-126.
--- 1904: Die Sphinxstele, SPAW 1904, 428-444.
--- 1923: Die Literatur der Ägypter, Leipzig 1923.
--- 1923a: Der Leidener Amonshymnus, Sb Berlin 1923.
--- 1934: Die Religion der Ägypter, Berlin – Leipzig 1934.
A. Erman – H. Ranke 1923: Ägypten und ägyptisches Leben im Altertum, Tübingen 1923.
W. F. Edgerton 1949: The government and the governed in the Egyptian empire, JNES 6(1949) 152-160.
R. O. Faulkner 1934: A statue of a serpent-worshipper, JEA 20(1934) 154-156.
--- 1941: Egyptian military standards, JEA 27(1941) 12-18.
--- 1942: The battle of Megiddo, JEA 28(1942) 2-15.
--- 1946: The Euphrates campaign of Thutmosis III, JEA 32

(1946) 39-42.
--- 1953: Egyptian military organization, JEA 39(1953) 32-47.
--- 1966: Egypt: from the inception of the nineteenth dynasty to the death of Ramesses III, CAH II ch. XXIII, Cambridge 1966.
--- 1964: A concise Dictionary of middle Egyptian, Oxford 1964,
G. Fecht 1967: Zur Frühform der Amarna-Theologie, Neubearbeitung der Stele der Architekten Suti und Hor, ZÄS 94 (1967) 25-50.
H. Frankfort 1948: Kingship and the gods, Chicago 1948.
A. H. Gardiner 1905: The inscription of Mes, Leipzig 1905.
--- 1905a: Hymns to Amon from a Leiden papyrus, ZÄS 42(1905) 12-42.
--- 1911: Egyptian hieratic texts, Leipzig 1911.
--- 1916: The defeat of the Hyksos by Kamōse: the Carnavon tablet, no. 1, JEA 3(1916) 95-110.
--- 1938: The house of life, JEA 24(1938) 157-179.
--- 1949-1952: The Wilbour papyrus, Oxford 1941-1952.
Sir Alan Gardiner 1948: Ancient Egyptian onomastica, Oxford 1948.
--- 1953: The coronation of Haremheb, JEA 39(1953) 13-31.
--- 1961: Egypt of the Pharaohs, Oxford 1961.
H. Gauthier 1907-1917: Le livre des rois d'Egypte, vols. I-V, Le Caire 1907-1917.
S. R. K. Glanwille 1931-1932: Records of a royal dockyard of the time of Tutmosis III: Papyrus British Museum 10056, ZÄS 66(1931) 105-121, ZÄS 68(1932) 7-41.
F. Gomaa 1973: Chaemwese Sohn Ramesses II und Hoherpriester von Memphis, Wiesbaden 1973.
--- 1974: Die libyschen Fürstentümer des Deltas, Beihefte zum Tübinger Atlas, Reihe B, Nr. 6, 1974.
A. Goetze 1929: Zur Schlacht von Qadeš, OLZ 32(1929) 832-838,
F. Ll. Griffith 1927: The Abydos decree of Seti I at Nauri, JEA 13(1927) 193-208.
H. G. Güterbock 1956: The deeds of Suppiluliuma as told by his son Mursili II, JCS 10(1956) 41 ff., 75 ff., 107 ff.

Labib Habachi 1955: Découverte d'un temple-fortresse de Ramsès II, Revue du Caire 175(1955) 62-65.
--- 1969: Features of the deification of Ramesses II, Glückstadt 1969.
--- 1972: The second stelae of Kamose and his struggle against the Hyksos-ruler and his capital, Abh DAI Kairo 8, 1972.
--- 1974: Three large rock-stelae carved by Ramesses III near quarries, JARCE 11(1974) 69-75.
--- 1977: Le tombeau de Naÿ à Gournet Mar^cei (No. 271), Le Caire, 1977 (Mémoires Membres t. 97).
--- 1980: The military posts of Ramesses II on the costal road and the Western part of the Delta, BIFAO 80(1980) 13-30.
R. Hari 1965: Horemheb et la reine Moutnedjemet, Genève 1965.
J. R. Harris 1968: How long was the reign of Ḥoremḥab? JEA 54 (1968) 95-99.
S. Hassan 1929: Le poème dit de Pentaour et le rapport officiel sur la bataille de Qadesh, Le Caire 1929.
--- 1953: The great sphinx and its secrets, Cairo 1953.
W. C. Hayes 1938: A writing-palette of the chief steward Amenhotpe and some notes on its owner, JEA 24(1938) 9-24.
--- 1957: Varia from the time of Hatshepsut, MDAIK 15(1957) 78-90.
--- 1966: Egypt: the internal affairs from Tuthmosis I to the death of Amenophis III, CAH II, ch. IX, 2, Cambridge 1966.
W. Helck 1939: Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastie, Leipzig 1939.
--- 1956: Zur Verwaltung des Mittleren und Neuen Reiches, Leiden 1956.
--- 1962: Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien in III. und II. Jahrtausend v. Chr., Wiesbaden 1962.
--- 1968: Geschichte des alten Ägypten, HO Abt I, Bd 1, 3 Abschn., Leiden 1968.
--- 1973: Probleme der Zeit Haremhebs, CdE 48(1973) 251-265.
A. Hermann 1935: Das Grab eines Nachtmin in Unternubien, MDAIK

6(1935) 1-40.

E. hornung 1964: Untersuchungen zur Chronologie und Geschichte des Neuen Reiches, ÄgAbh 11, Wiesbaden 1964.

--- 1967: Neue Materialien zur ägyptischen Chronologie, Wiesbaden 1967.

--- 1971: Das Grab des Haremheb im Tal der Könige, Bern 1971.

--- 1971a: Der Eine und die Vielen, Darmstadt 1971.

U. Hölscher 1912: Das Grabdenkmal des Königs Chephren, Leipzig 1912.

O. J. Jalles 1943: On war, 1943.

J. J. Janssen 1975: Prologomena to the study of economic history of Egypt during the New Kingdom, SAK 3(1975) 127-185.

--- 1975a: Commodity prices from the Ramessid period, Leiden 1975.

L. Kákosy 1964: Ideas about the fallen state of the world, Acta Orientalia 17(1964) 205-216.

--- 1966: Prophecies of ram gods, Acta Orientalia Hungarica 19(1966) 341-358.

--- 1967: Zur Vorgeschichte der Errichtung des thebanischen Gottesstaates, Acta Antiqua 15(1967) 369-376.

--- 1968: Imḥotep and Amenḥotep son of Ḥapu as patrons of the Dead, Acta Orientalia Hungarica 21(1968) 109-117.

--- 1973: Die weltanschauliche Krise des Neuen Reiches, ZÄS 100(1973) 35-41.

--- 1976: Some remarks on Tutankhamon's tomb, in: Tutankhamon i jevo vremja, Moskau 1976, 31-34.

--- 1977: Ein literarisch-mythologisches Motiv: Osiris als Gott des Kampfes und der Rache, in: Fragen an die altägyptischen Literatur, Wiesbaden 1977. Studien zum Gedanken E. Otto.

H. Kees 1928: Religionsgeschichtliches Lesebuch, Tübingen 1928.

--- 1933: Ägypten, Handbuch der Altertumswissenschaft, 3. Abt., 1. Teil, 3. Bd., München 1933.

--- 1937: Die Laufbahn des Hohenpriesters Onhurmes von Thinis, ZÄS 73(1937) 77-99.
--- 1944: Tanis: Ein kritischer Überblick zur Geschichte der Stadt, NachrGött 1944, Nr. 7, 145-182.
--- 1953: Das Priestertum im ägyptischen Staat von Neuen Reich bis zur Spätzeit, Probleme der Ägyptologie 1, Leiden 1953.
--- 1956: Der Götterglaube im alten Ägypten, Berlin 1956[2].
--- 1964: Die Hohenpriester des Amun von Karnak bis zum Ende der Äthiopenzeit, Leiden 1964.
--- 1968: Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, NAWG I, NF Bd II, I, Göttingen 1968.
K. A. Kitchen 1960: Four stelae in Leicester City Museum, Orientalia 29(1960) 18-23.
--- 1973: The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C.) Warminster 1973.
--- 1975-1976: The great biographical stela of Setau, viceroy of Nubia, Orientalia Louvaniensia Periodica 6/7(1975-1976) 295 ff.
H. Klengel 1965-1970: Geschichte Syriens im 2. Jahrtausend v. u. Z. I-III, Berlin 1965-1970.
Ch. Kuentz 1925: La stéle de mariage de Ramsès II, ASAE 25 (1925) 181-238.
--- 1928: La bataille de Qadesh, Le Caire 1928.
G. A. Knudtzon 1915: Die Amarna-Tafeln, II, Leipzig 1915.
E. von Komorzynski 1938: Die Trompete als Signalinstrument im altägyptischen Heer, Archive für ägyptische Archäologie 1(1938) 155-157.
LD - C. R. Lepsius: Denkmaeler aus Aegypten und Aethiopien, Abt. I-VI, Berlin 1849-1859.
G. Lefèbvre 1929: Histoire des grands prêtres d'Amon de Karnak jusqu'à la XXIe dynastie, Paris 1929.
C. H. Lesko 1972: The ancient Egyptian Book of Two Ways, California 1972.
U. Luft 1978: Beiträge zur Historisierung der Götterwelt und der Mythenschreibung, Studia Aegyptiaca 4, Budapest 1978.

Luxor 1979: The Luxor Museum of ancient Egyptian art, Catalogue Cairo 1979.

A. Malamat 1971: The Egyptian decline in Canaan and the Sea-Peoples, in: B. Mazar (ed.), The world history of Jewish people, Vol. III., Jerusalem 1971, 23-38, 294-300.

A. Mariette 1869-1880: Abydos. Description des fouilles, Paris 1869-1880.

--- 1882: Le Serapeum de Memphis, Paris 1882.

G. T. Martin 1976: Excavations at the Memphite tomb of Harem-heb (1975), Preliminary report, JEA 62(1976) 5-13.

M. Masali - B. Chiarelli 1972: Demographic data on the remains of ancient Egyptians, The Journal of Human Evolution 1 (1972) 161-169.

G. Maspero 1889: Momies royales de Deir el Bahari, MemMiss 1 (1889) 511-787.

Medinet Habu 1930: Earlier historical records of Ramses III, Chicago, Illinois 1930.

R. S. Merilles - J. Winter 1972: Bronze Age trade between the Aegean and Egypt, Miscellania Wilbouriana 1(1972) 101-133.

E. Meyer 1913: Bericht über eine Expedition nach Ägypten zur Erforschung der Darstellungen der Fremdvölker, Sb Berlin 38, 1913.

--- 1928: Gottesstaat, Militärherrschaft und Ständewesen in Ägypten, SPAW Berlin 1928.

R. Mond - O. H. Myers 1940: Temples of Armant: A preliminary survey, London 1940.

S. Morenz 1969: Prestige-Wirtschaft, SBAW München 1969.

A. Moret 1920: Histoire de l´Orient, Paris 1920.

W. M. Müller 1888: Erklärung des grossen Dekrets des Königs Har-m-ḥebe, ZÄS 26(1888) 70-94.

--- 1906-1920: Egyptological researches, Washington 1906-1920.

E. Naville 1894-1908: The temple of Deir el Bahari, Vols. I-VII, London 1894-1908.

P. E. Newberry - F. Ll. Griffith 1895: El Bersheh, London 1895

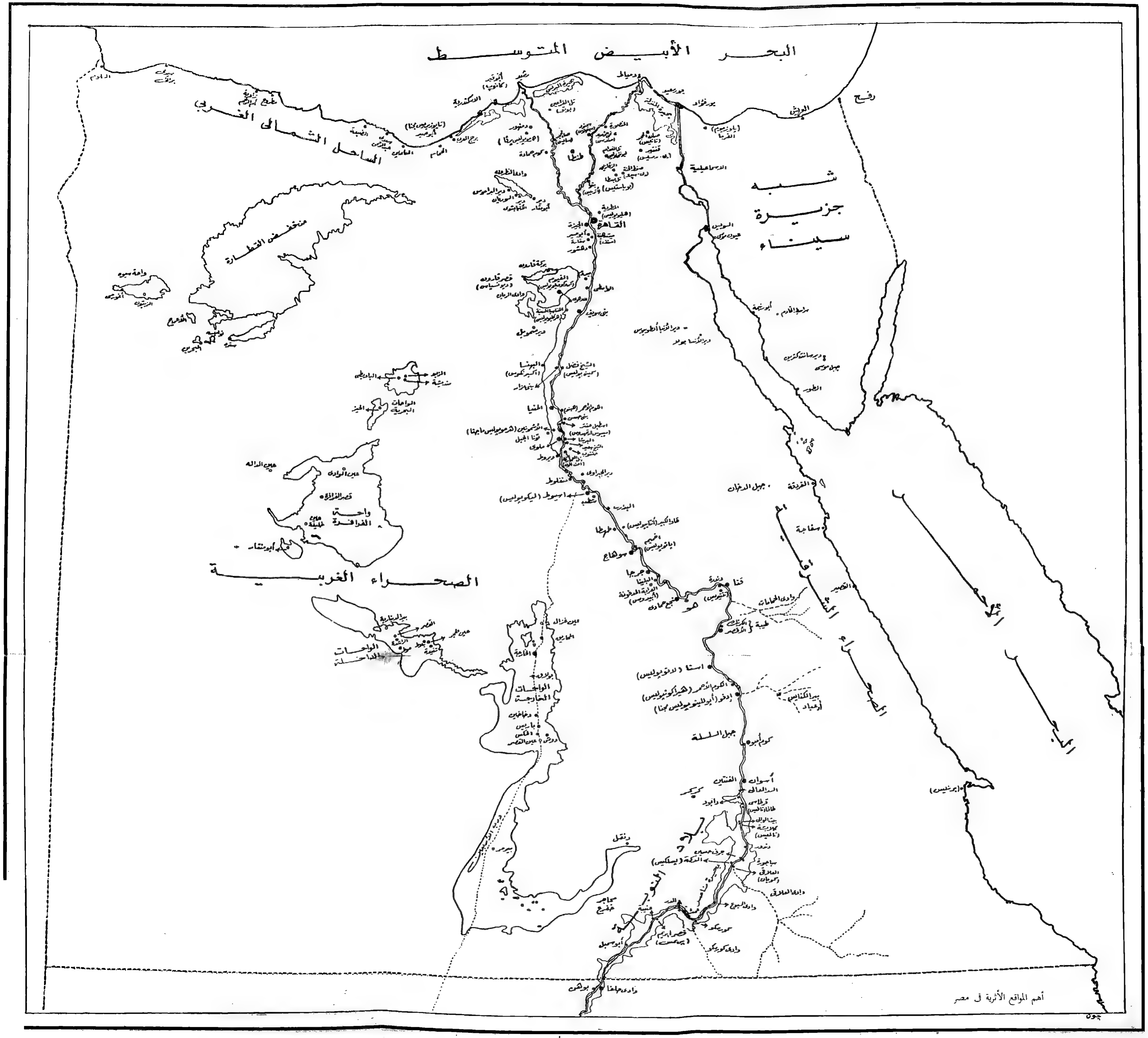
P. E. Newberry 1932: King Ay, the successor of Tut^c^ankhamūn,

JEA 18(1932) 50-52.
M. Noth 1941: Ramses II in Syrien, ZDPV 64(1941) 39-74.
D. O'Connor 1972: A regional population in Egypt to circa 600 B. C., in: Population growth: Anthropological implications, ed. by B. Spooner, Cambridge, Mass. - London, 1972, 78-100.
--- 1972a: The geography of settlement in ancient Egypt, in: Man, settlement and urbanism, London 1972.
R. A. Parker 1962: A Saite oracle papyrus from Thebes, Providence, Rhode Island 1962.
T. E. Peet 1930: The great tomb-robberies of the twentieth Egyptian dynasty, Oxford 1930.
T. E. Peet - C. L. Woolley 1923: The city of Akhenaten, Part I, London 1923.
W. Fl. Petrie 1902-1904: Abydos, Vols. I-III, London 1902-1904.
Sir Flinders Petrie 1925: A history of Egypt, London 1925[3].
K. Pflüger 1936: Haremhab und die Amarnazeit, Zwickau 1936.
--- 1946: The edict of king Haremhab, JNES 5(1946) 260-276.
A. Piankoff 1955: The shrines of Tut-ankh-amon, New York 1955.
J. Pirenne 1932: Histoire des institutions et du droit privé de l'Ancienne Égypte, Bruxelles 1932.
PM -- B. Porter - R. L. B. Moss: Topographical bibliography of ancient Egyptian hieroglyphic texts, reliefs and paintings, Vols. I-VII, Oxford 1927-1951; 2nd edition since 1960 in collaboration with E. Burney.
G. Posener 1956: De la divinité du Pharaon, Paris 1956.
J. E. Quibell 1915: Excavations at Saqqara, London 1915.
A. Radwan 1974: Ein Relief der Nachamarnazeit, Orientalia 43(1974) 393-397.
H. Ranke 1920: Keilschriftliches, ZÄS 56(1920) 69-75.
--- 1931: Das Grab eines Chefs der Zentralverwaltung Ägyptens unter Haremheb, ZÄS 67(1931) 78-82.
G. A. Reisner 1920: The viceroys of Ethiopia, JEA 6(1920) 28-55, 73-88.

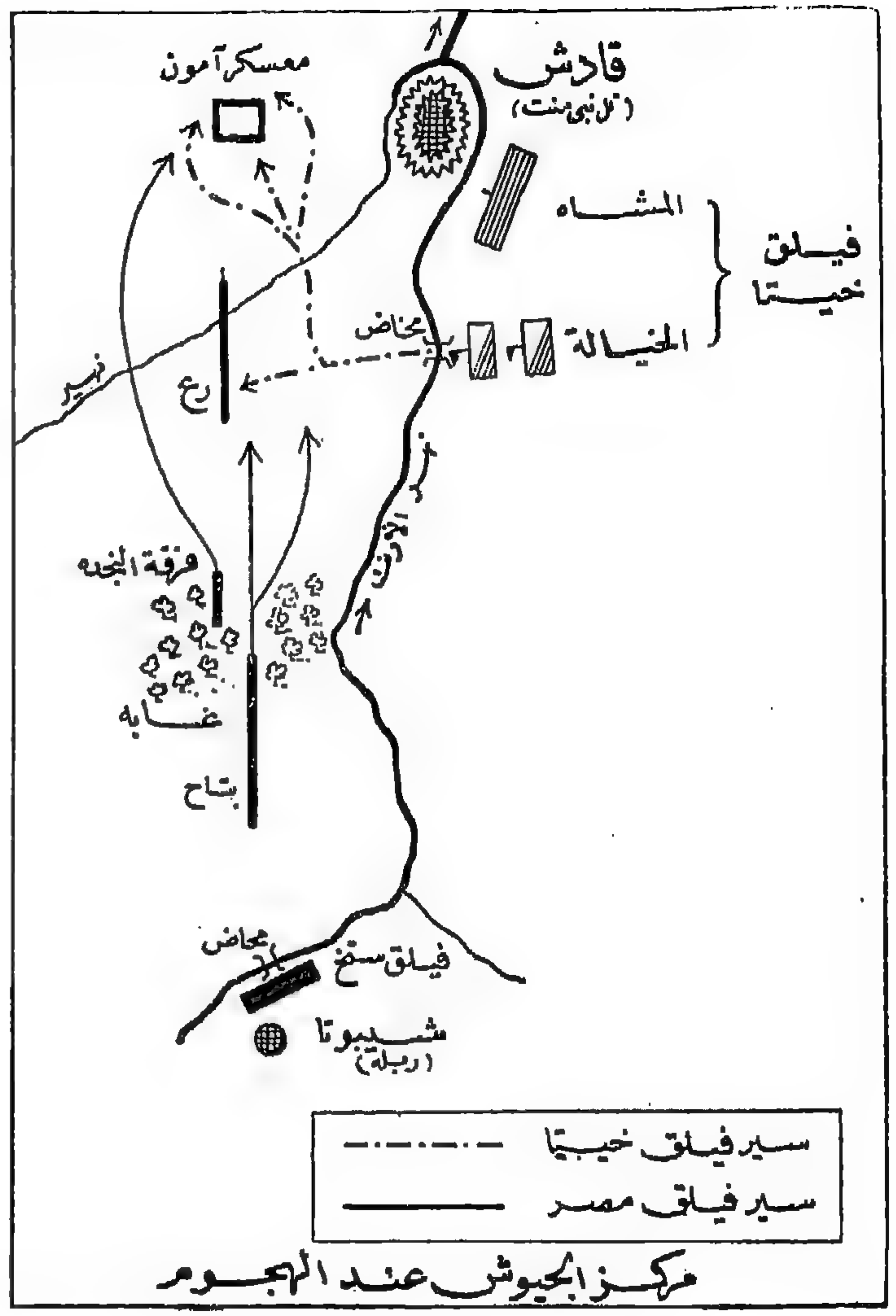
E. Revillont 1912: Les origines égyptiennes du droit civil romain, Paris 1912.
G. Roeder 1926: Ramses II als Gott. Nach den Hildesheimer Denksteinen aus Horbêt, ZÄS 61(1926) 57-67.
G. Roux 1972: Ancient Iraq, Harmondsworth 1972.
A. Rowe 1948: A history of ancient Cyrenaica, CASAE 12, Le Caire 1948.
J. Samson 1972: Amarna. City of Akhenaten and Nefertiti, London 1972.
C. E. Sander-Hansen 1940: Das Gottesweib des Amun, Copenhagen 1940.
M. Sandman 1938: Texts from the time of Akhenaten, Bruxelles 1938.
S. Sauneron 1957: Les prêtres de l´ancienne Egypte, Bourges 1957.
T. Säve-Söderbergh 1941: Ägypten und Nubien, Lund 1941.
--- 1944: The navy of the eighteenth Egyptian dynasty, Uppsala 1944.
--- 1945: Einige ägyptische Denkmäler in Schweden, Uppsala 1945.
H. Schäfer 1934: Die Simonsche Holzfigur eines Königs der Amarnazeit. Mit drei Anhängen: Zum Ehrengold. Zur "blauen Krone". Zum Wesen der Amarnakunst. ZÄS 70(1934) 1-25.
A. Scharf 1934: Ein Denkstein des Veziers Rahotep aus der 19. Dynastie, ZÄS 70(1934) 47-51.
M. Schiff-Giorgini 1964: Soleb. Campaignes 1961-63. Kush 12 (1964) 87-95.
H. D. Schneider 1977: Shabtis I, Leiden 1977.
A. R. Schulman 1958: The military establishment of the Egyptian empire, The University of Chicago, dissertation, 1958.
--- 1964: Military rank, title and organization in the Egyptian New Kingdom, MÄS 6, Berlin 1964.
K. Seele 1955: King Ay and the close of the Amarna age, JNES 14(1955) 168-180.
E. Seidl 1947: Law in the legacy of Egypt, London 1947.

K. Sethe 1902: Imhotep der Asklepios der Ägypter, Leipzig 1902.
--- 1907: Die Berufung eines Hohenpriester des Amun unter Ramesses II, ZÄS 44(1907) 30-35.
--- 1909: Die Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie, UGAe V, 2, Leipzig 1909.
--- 1910: Altägyptische Ordensauszeichnungen, ZÄS 48(1910) 143-145.
--- 1930: Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Ära von Tanis, ZÄS 65(1930) 85-89.
--- 1934: Das Wort für . Vorleserpriester , ZÄS 70(1934) 134.
H. S. Smith 1976: The fortress of Buhen. The inscriptions, London 1976.
A. J. Spalinger 1973: Aspects of the military documents of ancient Egypt, Yale University New Heaven, dissertation, 1973.
R. Stadelmann 1967: Syrische-palästinische Gottheiten in Ägypten, Leiden 1967.
--- 1968: Die Abwehr der Seevölkers unter Ramessees III, Freiburg-München 1968.
G. Steindorff 1928: Die Kunst der Ägypter, Leipzig 1928.
G. Steindorff - W. Wolf 1936: Die thebanische Gräbwelt, Glückstadt 1936.
J. Sturm 1939: Der Hettiterkrieg Ramses´ II, WZKM, Beiheft IV, 1939.
W. W. Tarn 1961: Hellenistic civilization, London 1961.
S. Tawfik 1979: Was Aton, the god of Akhenaton only a manifestation of the god Re?, in: Papers of the 1st International Congress of Egyptology, Berlin 1979, 641-643.
A. Toynbee 1966: Muḫtasar derasa at-tariḫ (Arab version of A Study to History), Cairo 1966.
J. Vendier 1949: Le religion égyptienne, Paris 1949[2].
--- 1958: Manuel d´archéologie égyptienne III, La statuaire égyptienne, Paris 1958.

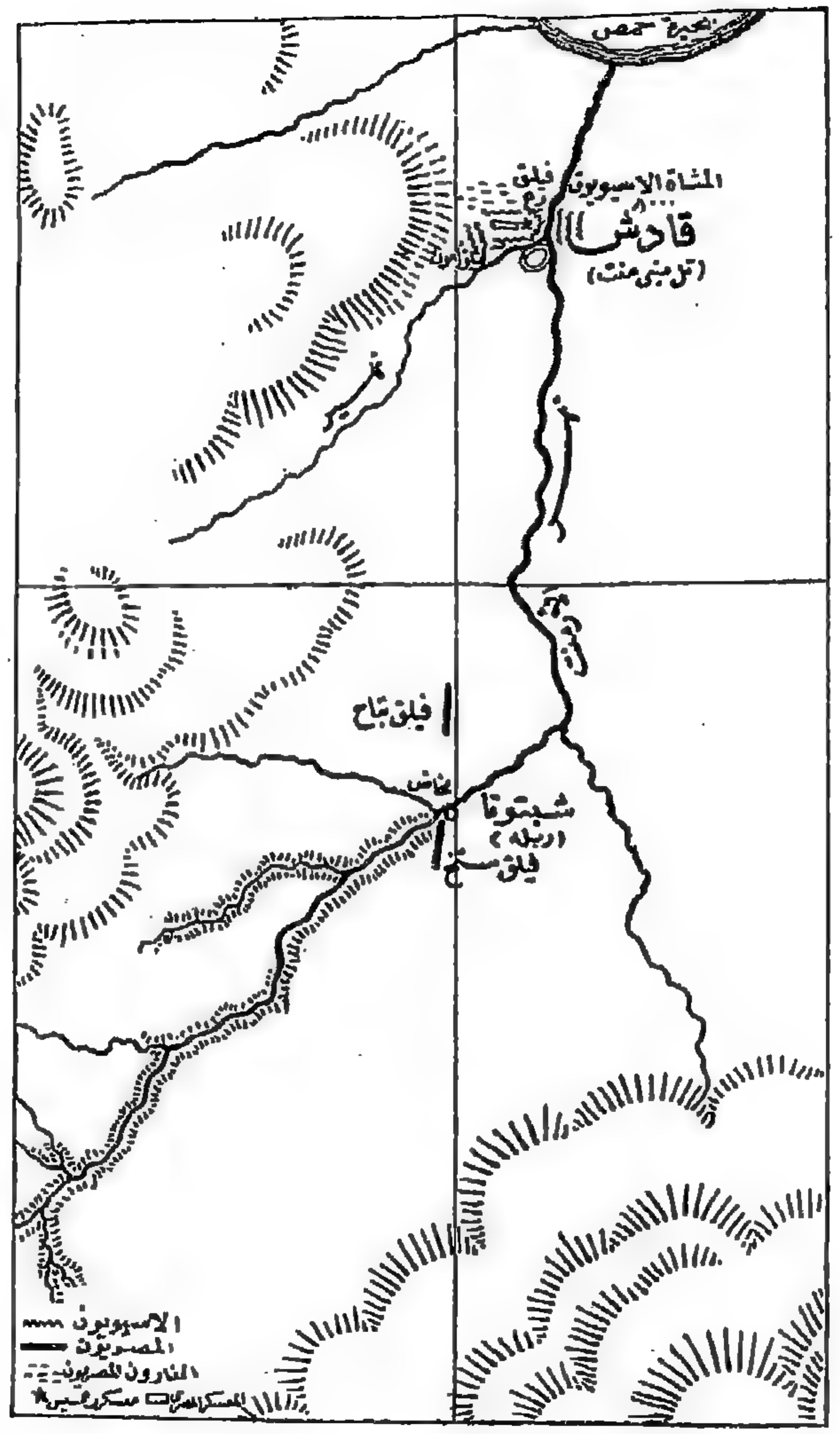
A. Varille 1942: Le hymne au Soleil des architectes d'Amenophis III Souti et Hor, BIFAO 41(1942) 25-30.
J. Vercoutter 1959: The gold of Kush. Two gold-washing stations at Faras East, Kush 7(1959) 120-153.
A. Weil 1908: Die Veziere des Pharaonenreiches, Strassburg 1908.
D. Wildung 1969: Die Rolle der ägyptischen Königs im Bewusstseiner ihrer Nachwelt, MÄS 17, Berlin 1969.
--- 1977: Imhotep und Amenhotep, Berlin 1977.
J. Wilson 1951: The burden of Egypt, Chicago 1951.
H. Winlock 1942: Excavations at Deir el Bahri 1911/13, New York 1942.
W. Wolf 1926: Die Bewaffnung des altägyptischen Heeres, Leipzig 1926.
--- 1931: Das schöne Fest von Opet, Leipzig 1931.
--- 1957: Die Kunst Ägyptens, Stuttgart 1957.
W. Wreszinski 1914-1933: Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte, Leipzig 1914-1933.
J. Zandee 1947: De hymnen aan Amon van Papyrus, Papyrus Leiden I 350, Leiden 1947.
--- 1966: An Egyptian crossword puzzle, Ex Oriente Lux, Leiden 1966.



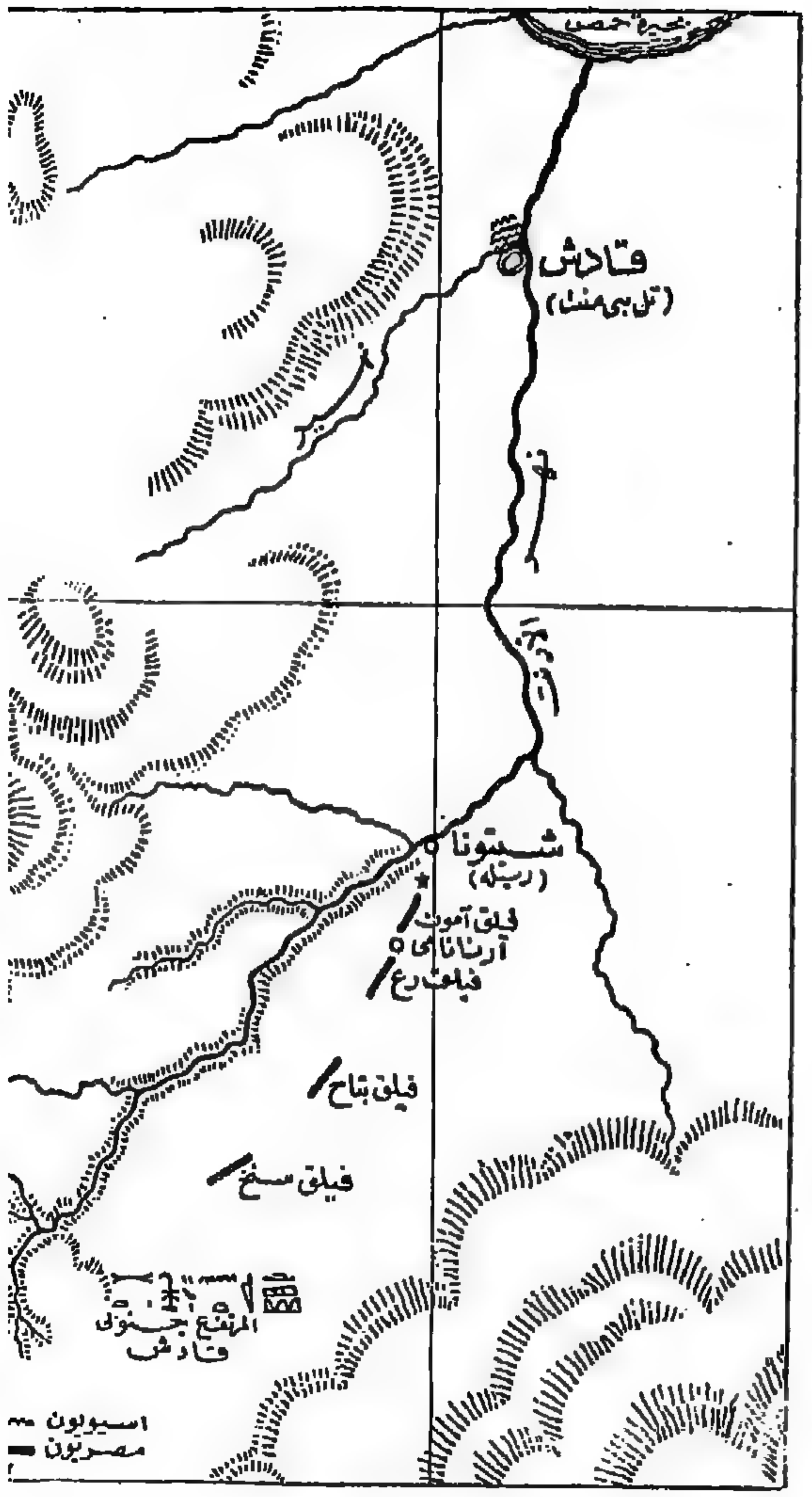
أهم المواقع الأثرية في مصر



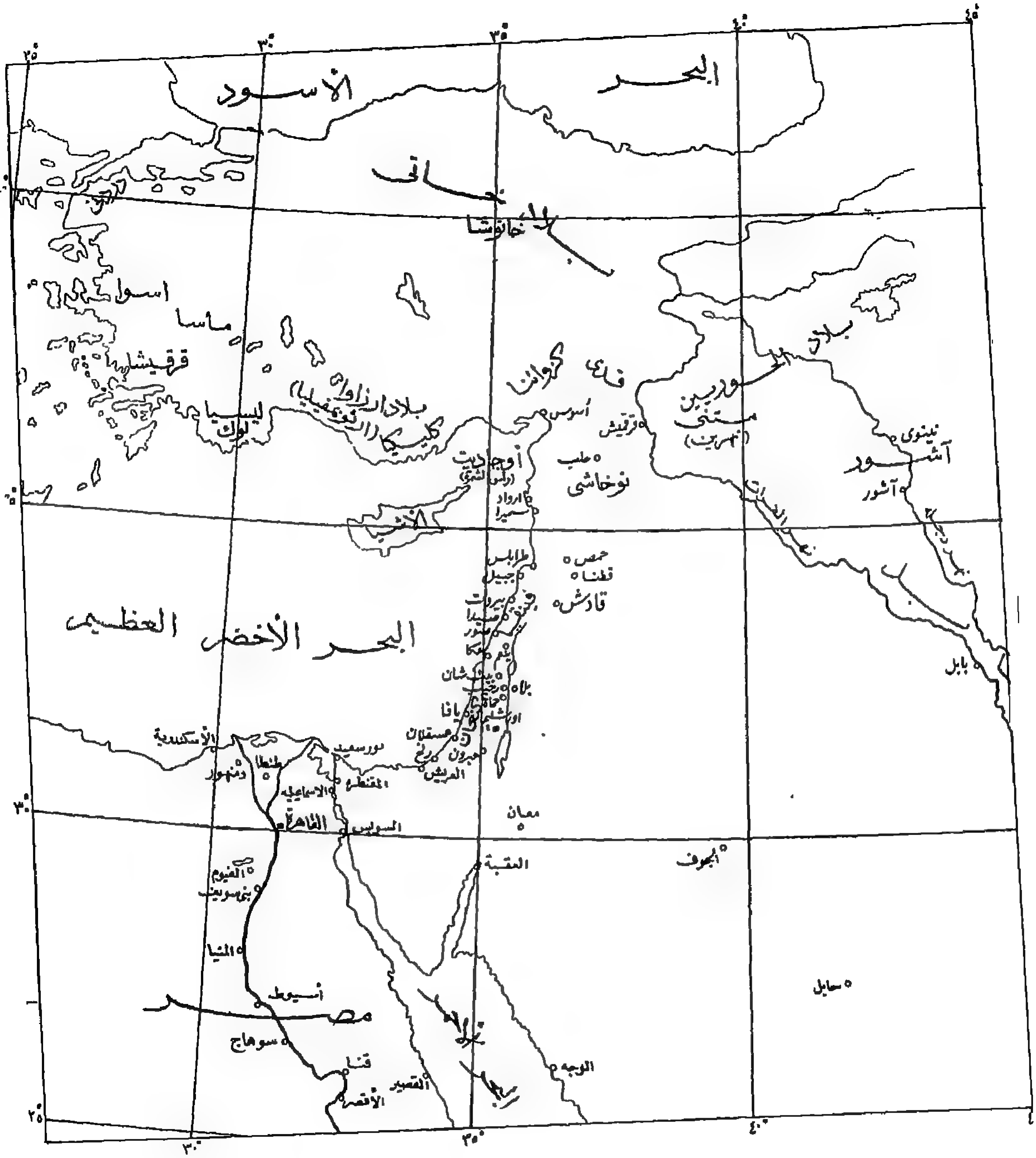
قادش
(تل نبي منت)
معسكر آمون
فيلق خيتا
المشاه
الخيالة
مخاص
نهر
رع
فرقة النجده
غابه
بتاح
نهر الأرنت
مخاص
فيلق ستخ
شبتونا
(ربلة)
سير فيلق خيتا
سير فيلق مصر
مركز الجيوش عند الهجوم



بحيرة حمص
المشاة الاسيويون
فيلق رع
قادش
(تل نبي منت)
نهر
فيلق بتاح
مخاص
شبتونا
(ربله)
فيلق ستخ
الاسيويون
المصريون

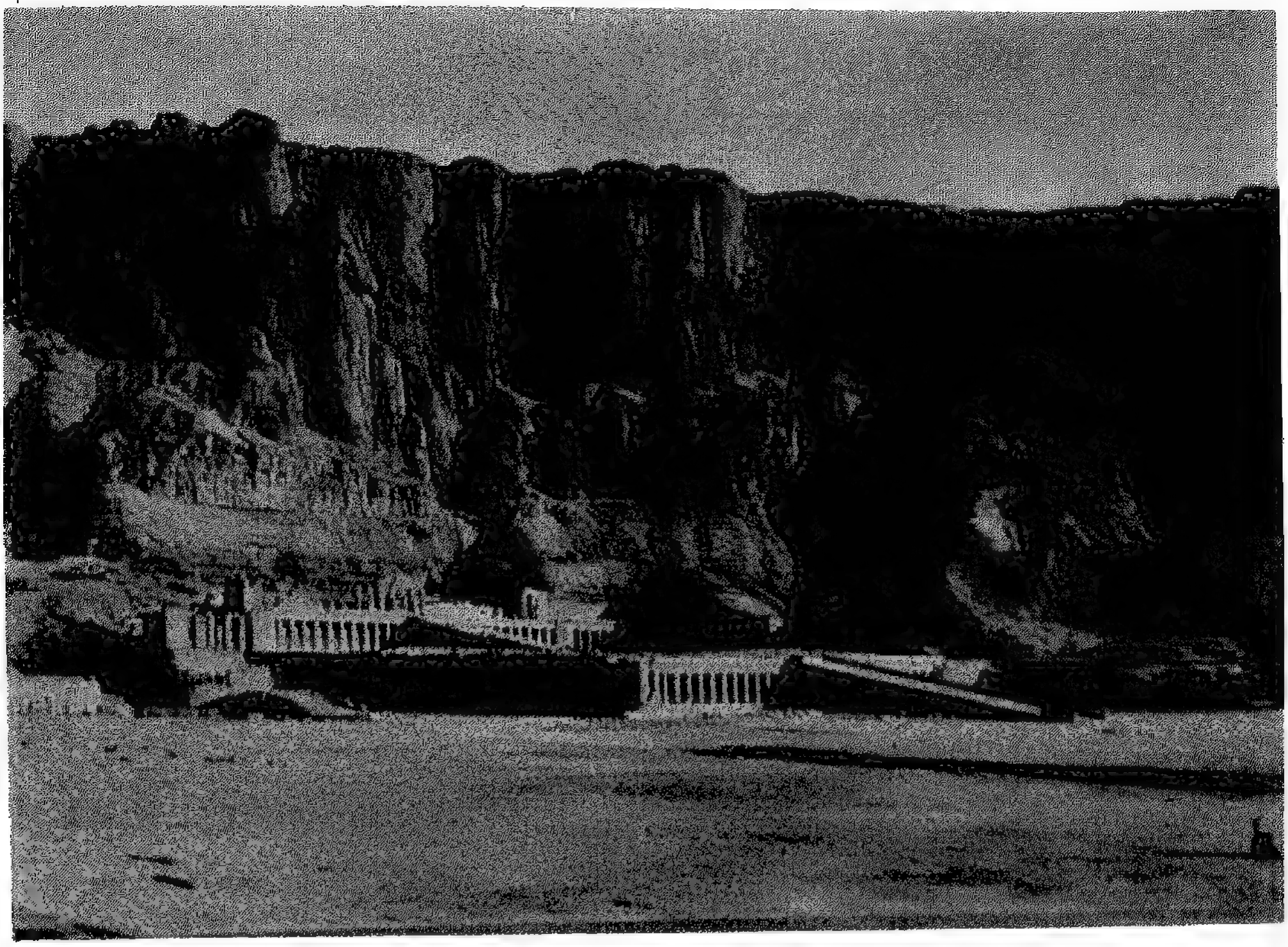


بحيرة حمص
قادش
(تل نبي منت)
نهر
شبتونا
(ربله)
فيلق آمون
فيلق رع
فيلق بتاح
فيلق ستخ
المرتفع جنوبي قادش
اسيويون
مصريون



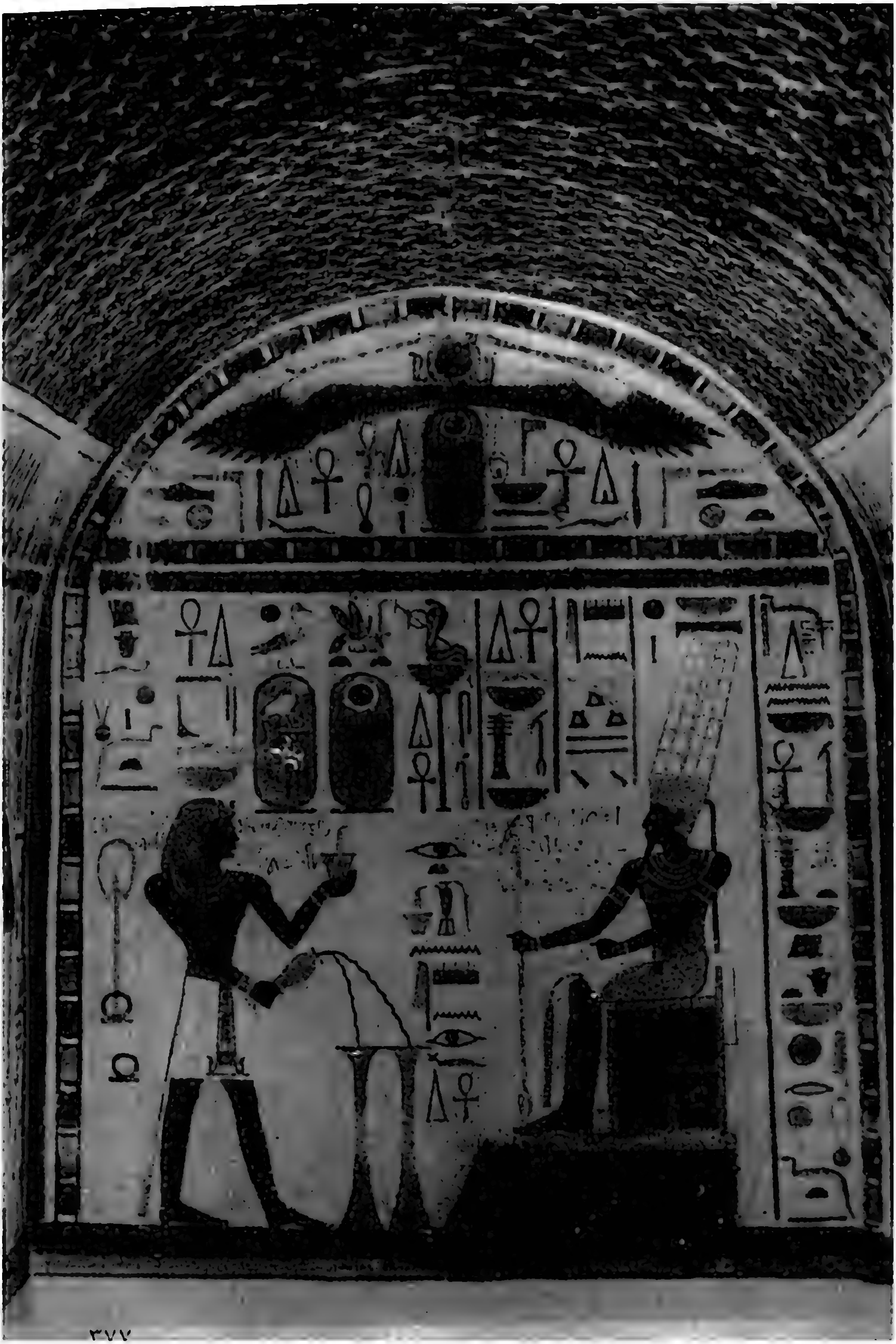
خريطة الفتوح المصرية والأمم التى حاربتها مصر فى آسيا الصغرى فى عهد «سيتى» و «رعمسيس الثانى»

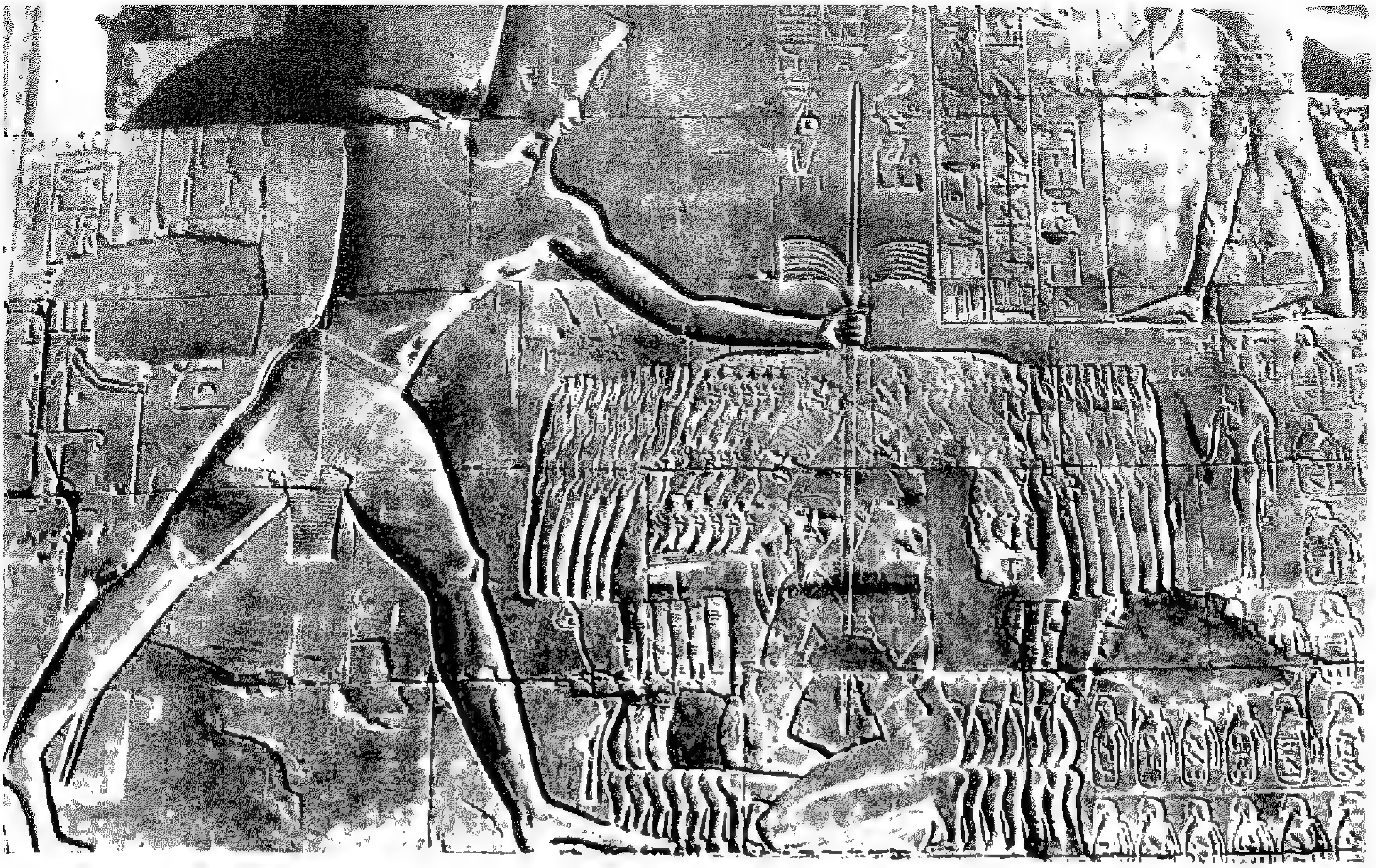
الصـــــور



[صورة ١]
معبد الدير البحرى بالبر الغربى بالأقصر للملكة حتشبسوت من تصميم وتنفيذ المهندس سننموت .

[صورة ٢]
الملك امنحتب الثانى يتعبد أمام الاله آمون ←

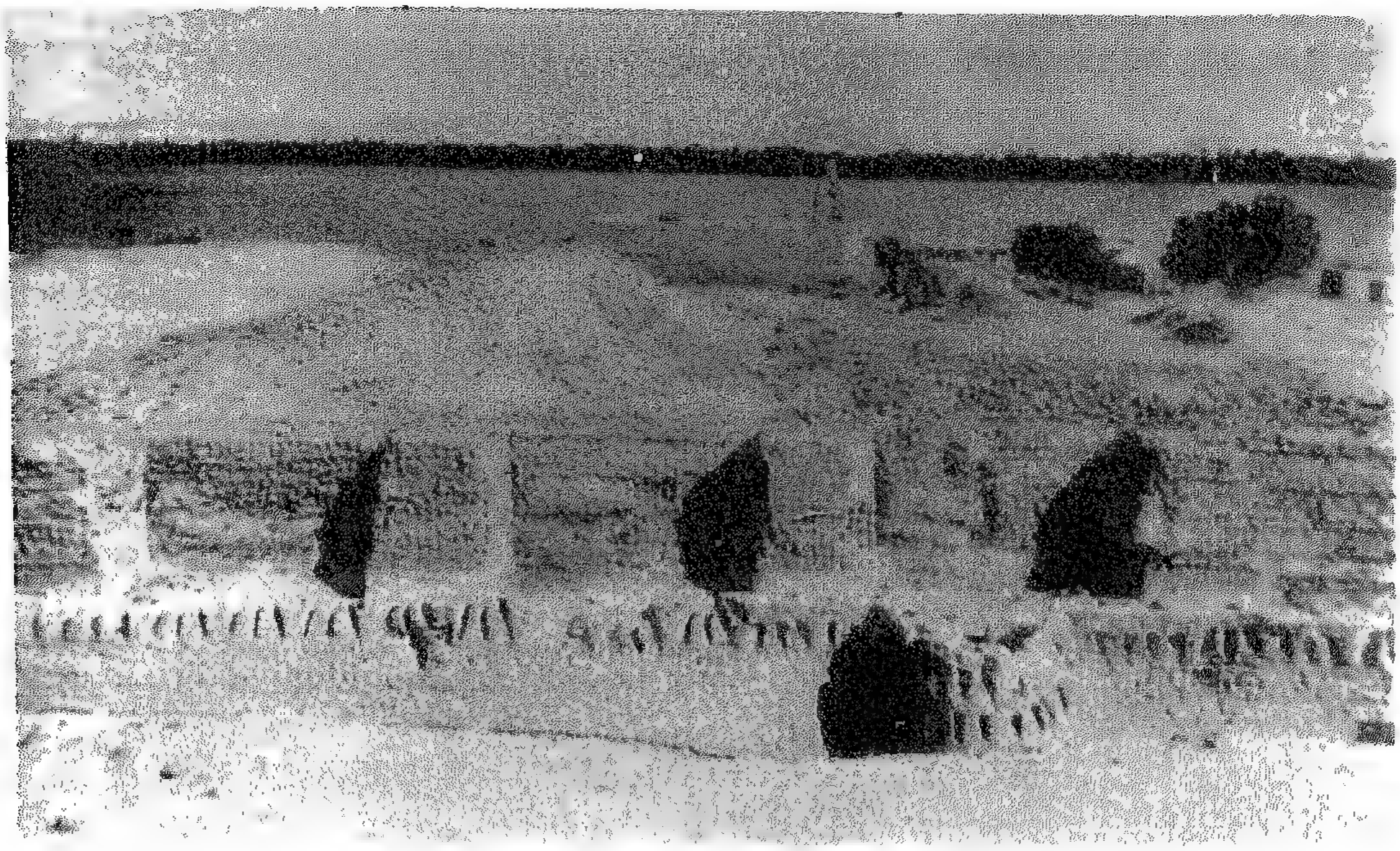




[صورة ٣]
الملك تحوتمس الثالث يقدم الأسرى قربانا للاله آمون رع .

[صورة ٤]
←
نائب الملك وحاكم النوبة «با – سر» فى عهد الملك رمسيس الثانى .





[صورة ٥]
قلعة بوهن عند الجندل الثانى شيدت فى الدولة الوسطى .

[صورة ٦] ←
مسلة الملك تحوتمس الأول بالكرنك .

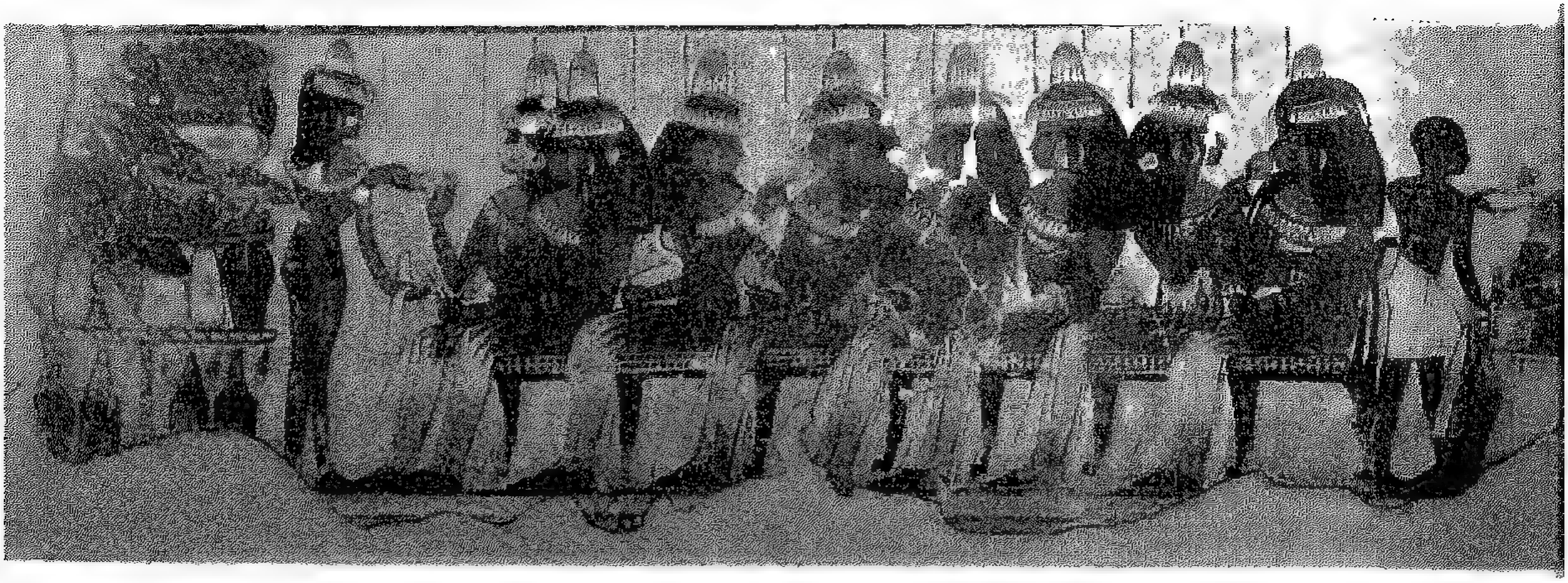




[صورة ٧]
الملك امنحتب الثانى المحارب العظيم ابن الملك تحوتمس الثالث .

[صورة ٨]
الملك امنحتب الثانى على مركبته الحربية ، يتدرب على إصابة الهدف .

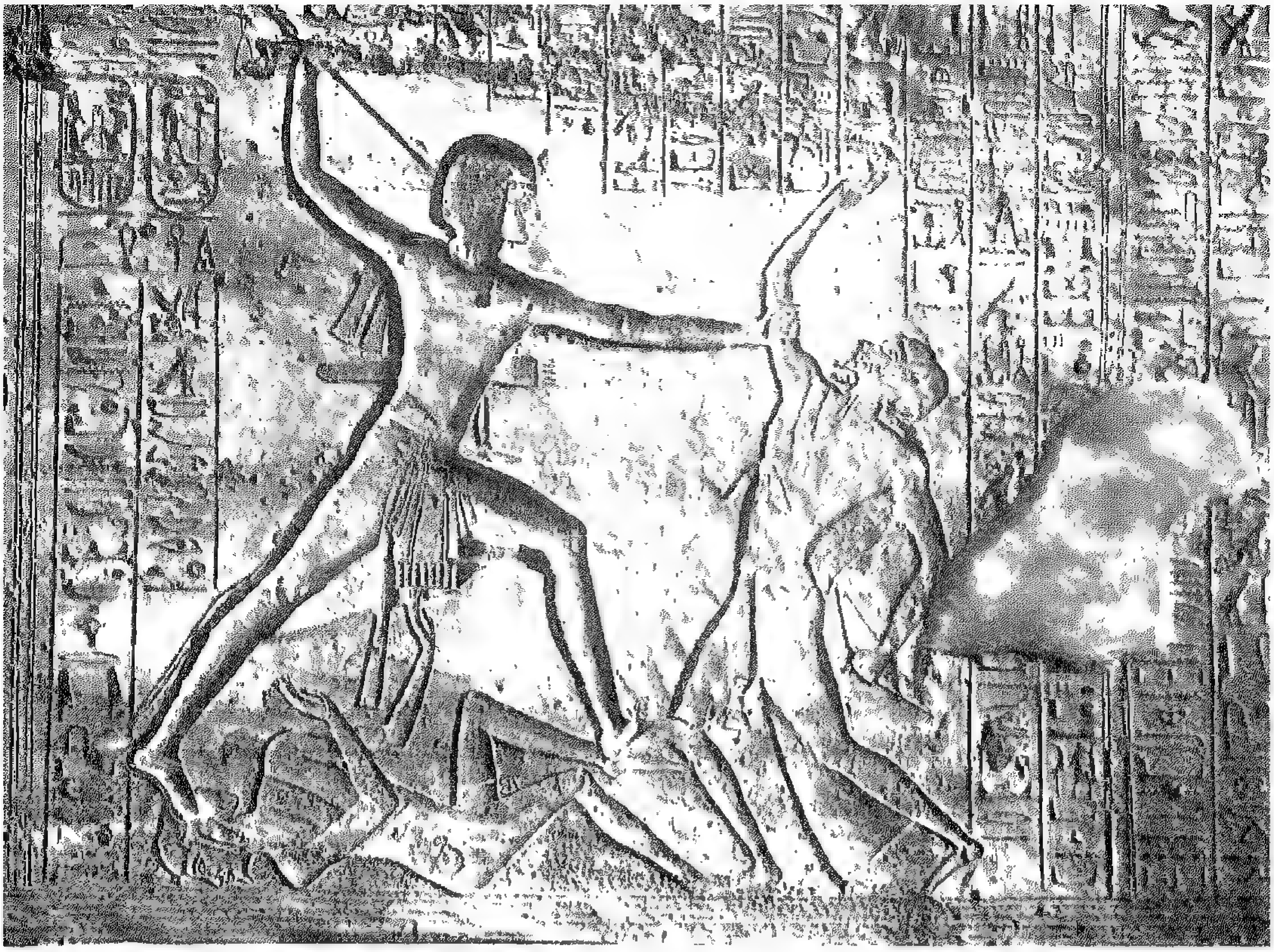




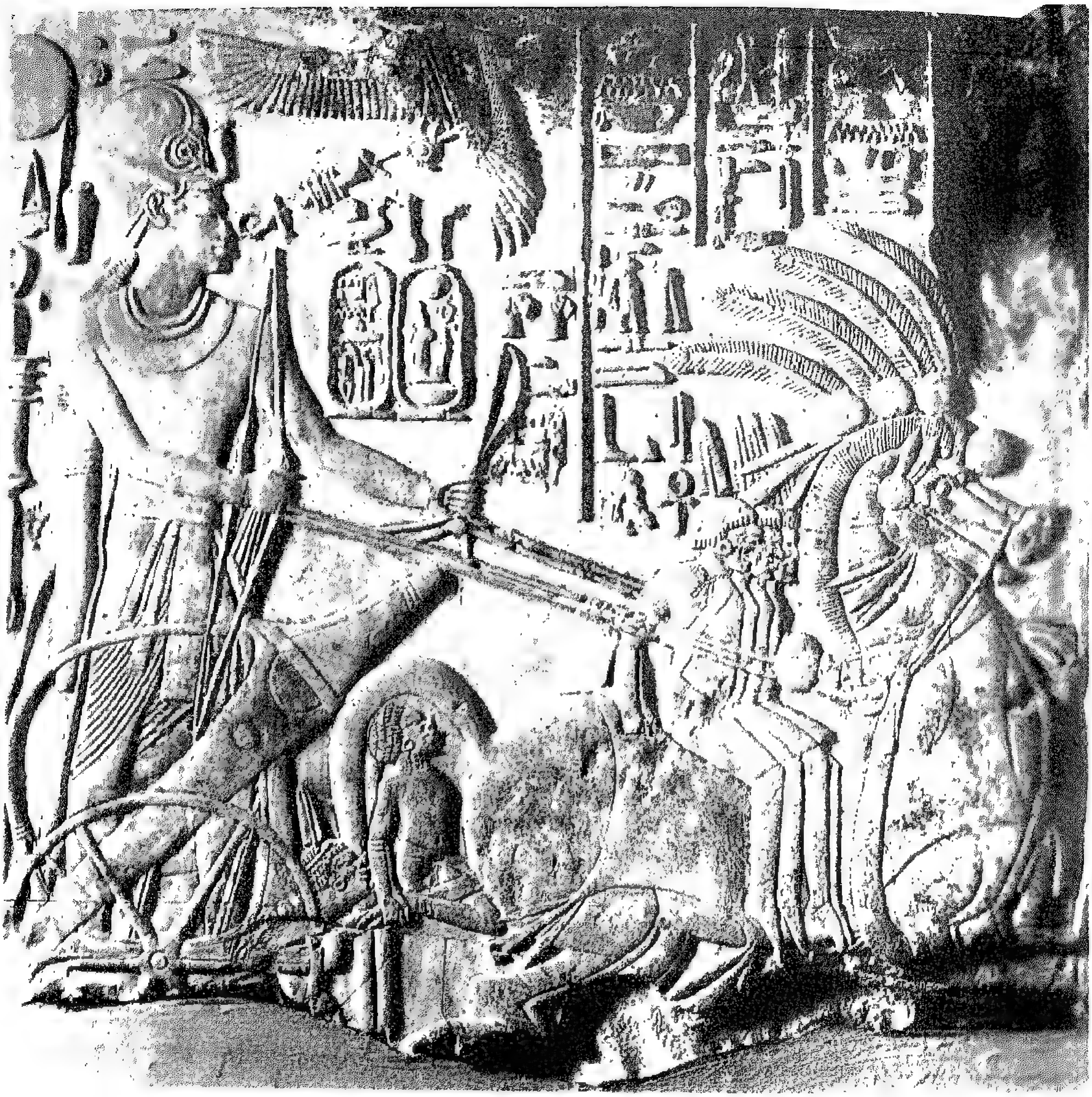
[صورة ٩]
نبيلات فى احدى الحفلات البازخة -
مقبرة نب آمون .



[صورة ١٠]
تمثال لسننموت يحمل على رجليه الأميرة
نفرو - رع .



[صورة ١١]
الملك رمسيس الثانى يؤدب الليبيين «معبد أبو سمبل الكبير» .



[صورة ١٢]

[illegible] امنحتب الثالث على مركبته الحربية ومعه أسراه من الزنوج .

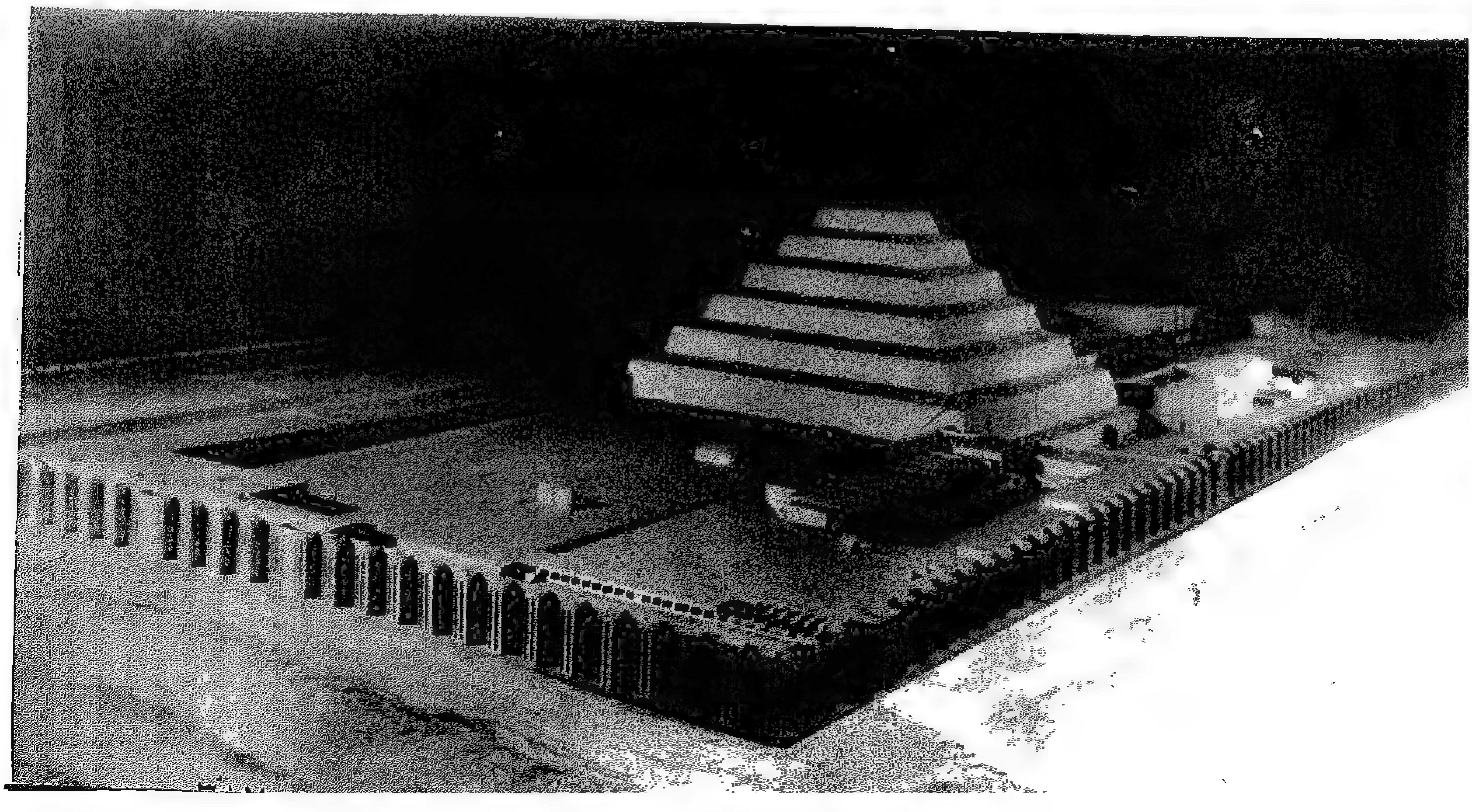


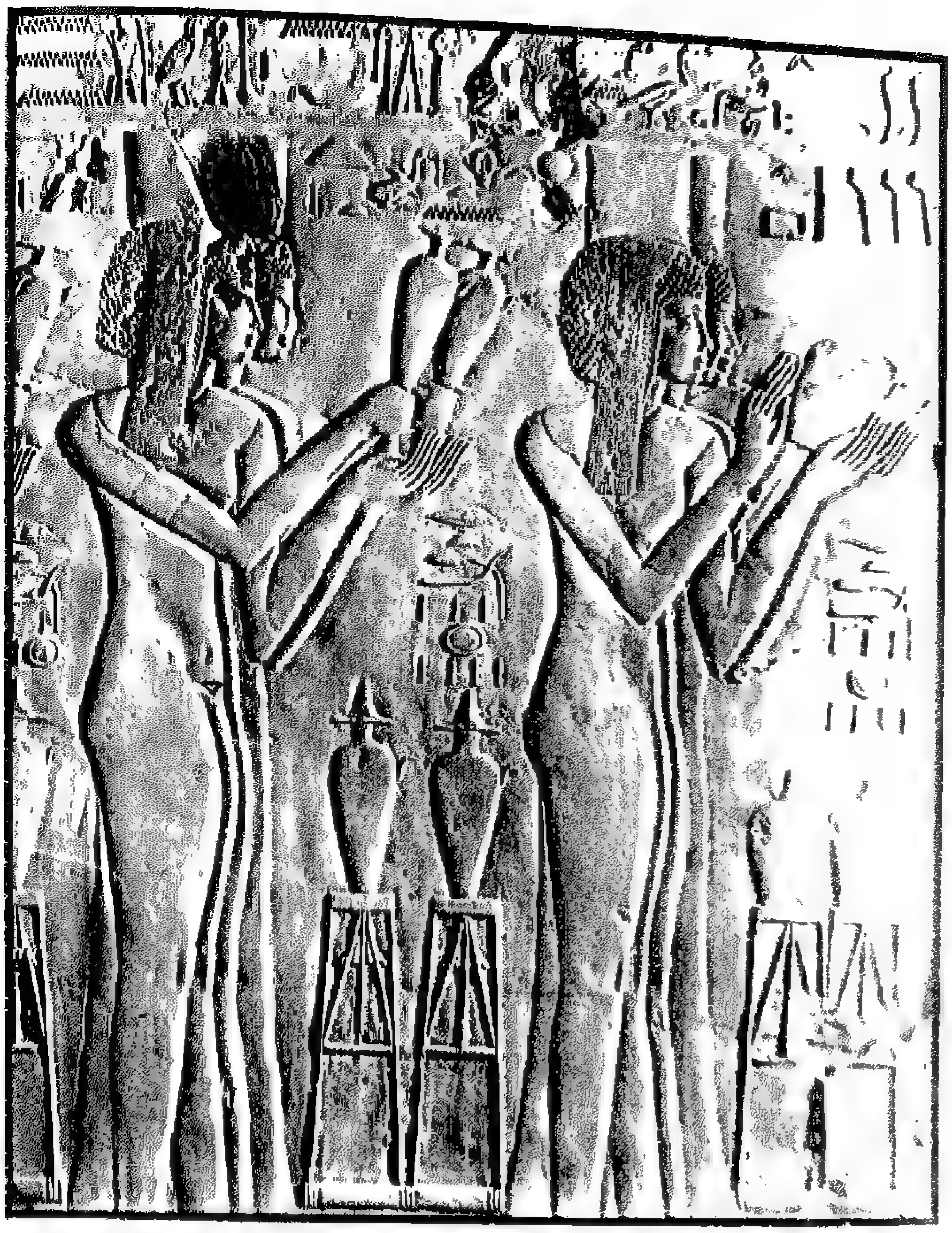
[صورة ١٣]
تمثال امحتب بن حابو في هيئة الكاتب الجالس .



[صورة ١٤]
الوزير «إمحوتب» أبو الطب والمهندس الذى صمم هرم زوسر المدرج بسقارة والذى ألهه المصريون فى العصور المتأخرة .

[صورة ١٥]
نموذج «ماكيت» لمجموعة هرم زوسر المدرج بسقارة مثلما وضعه المهندس إمحوتب .

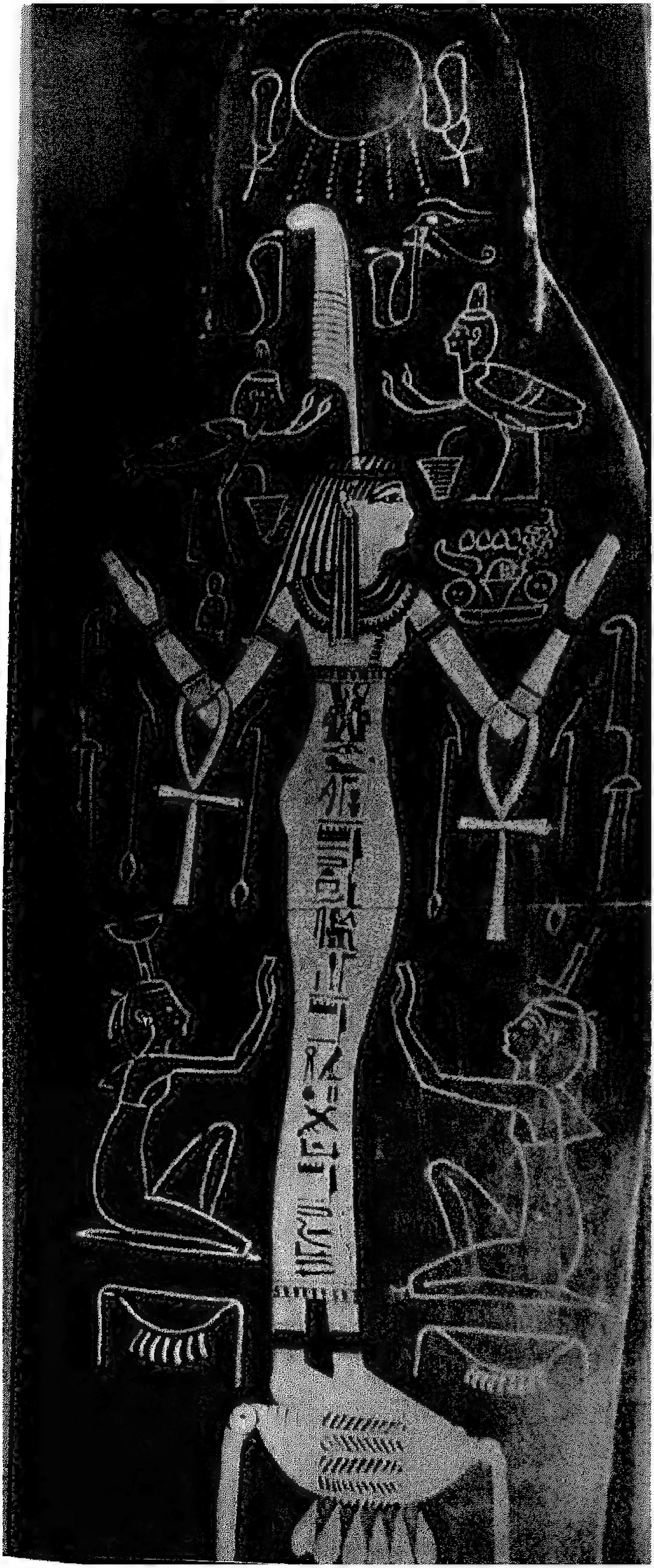




[صورة ١٦]
الأميرات بنات الملك امنحتب الثالث أثناء اشتراكهن في عيد يوبيله الثلاثيني «حب سد» – مقبرة خرو – إف .

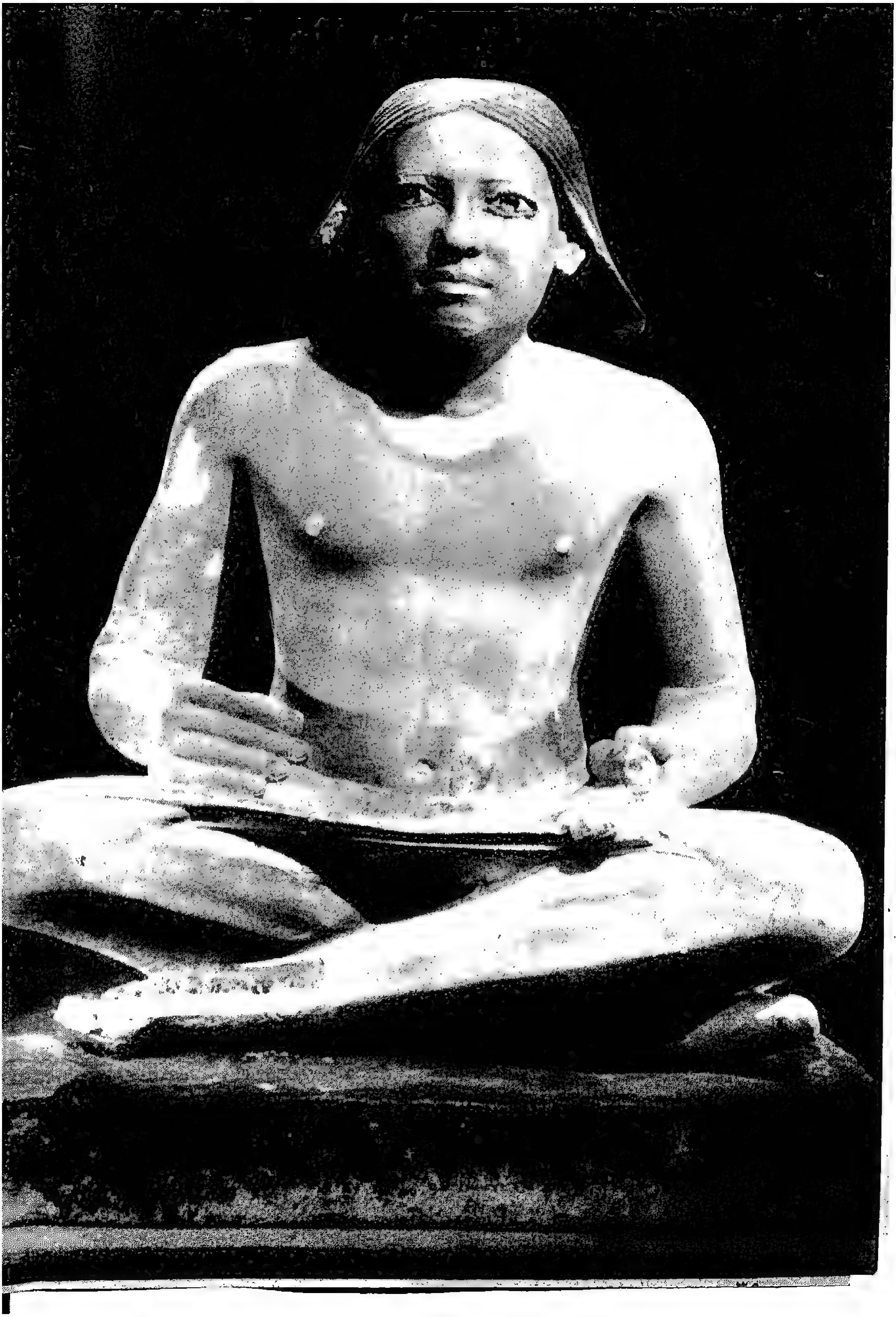


[صورة ١٧]
الكرسي الخاص بالأميرة «ست آمون» ابنة الملك امنحتب الثالث – تصميمه شديد الشبه بكرسي العرش للملك توت عنخ آمون .



[صورة ١٨]

«ماعت» الحقيقة والصدق تحمل بذراعيها علامتي «عنخ» التي ترمز إلى الحياة الأبدية .

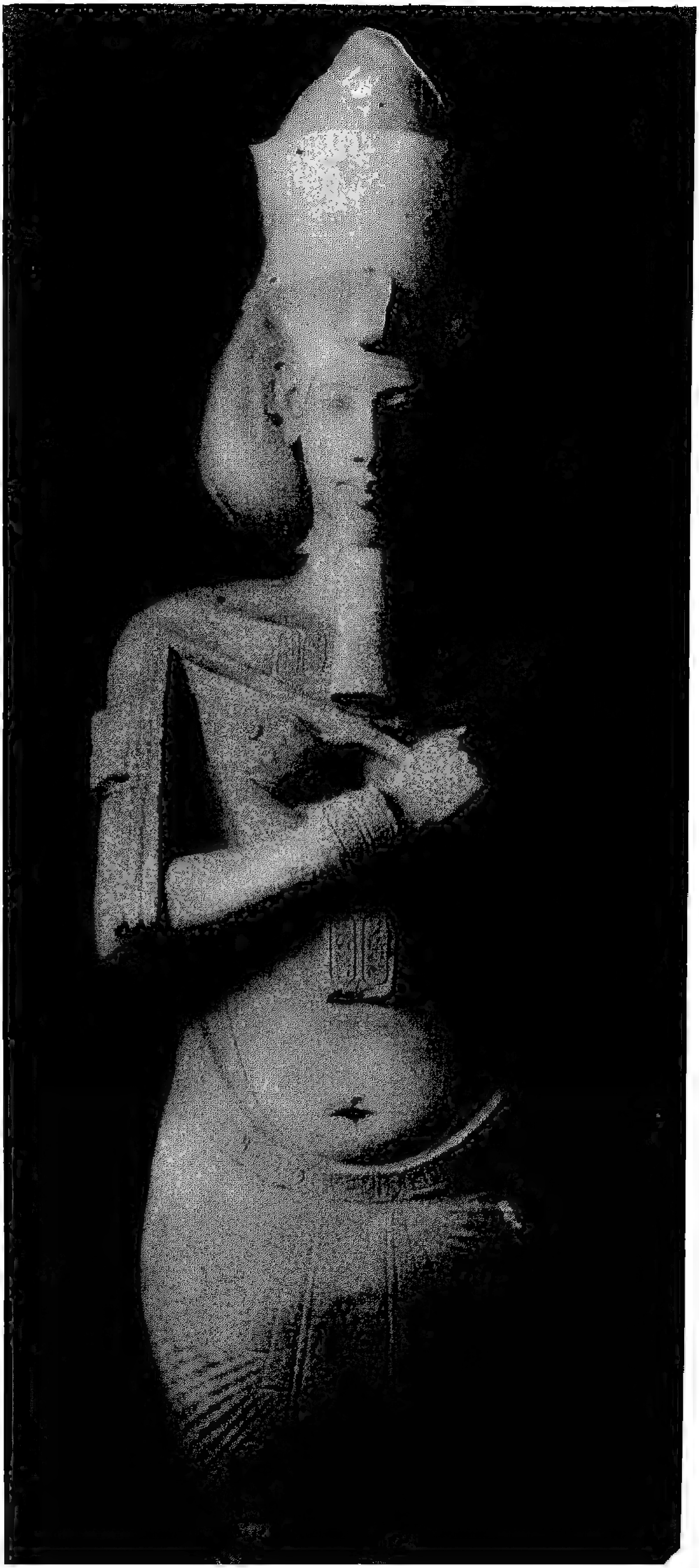


[صورة ١٩] ←
الوضع التقليدى للكاتب الجالس – تمثال بالمتحف المصرى يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الخامسة بالدولة القديمة .



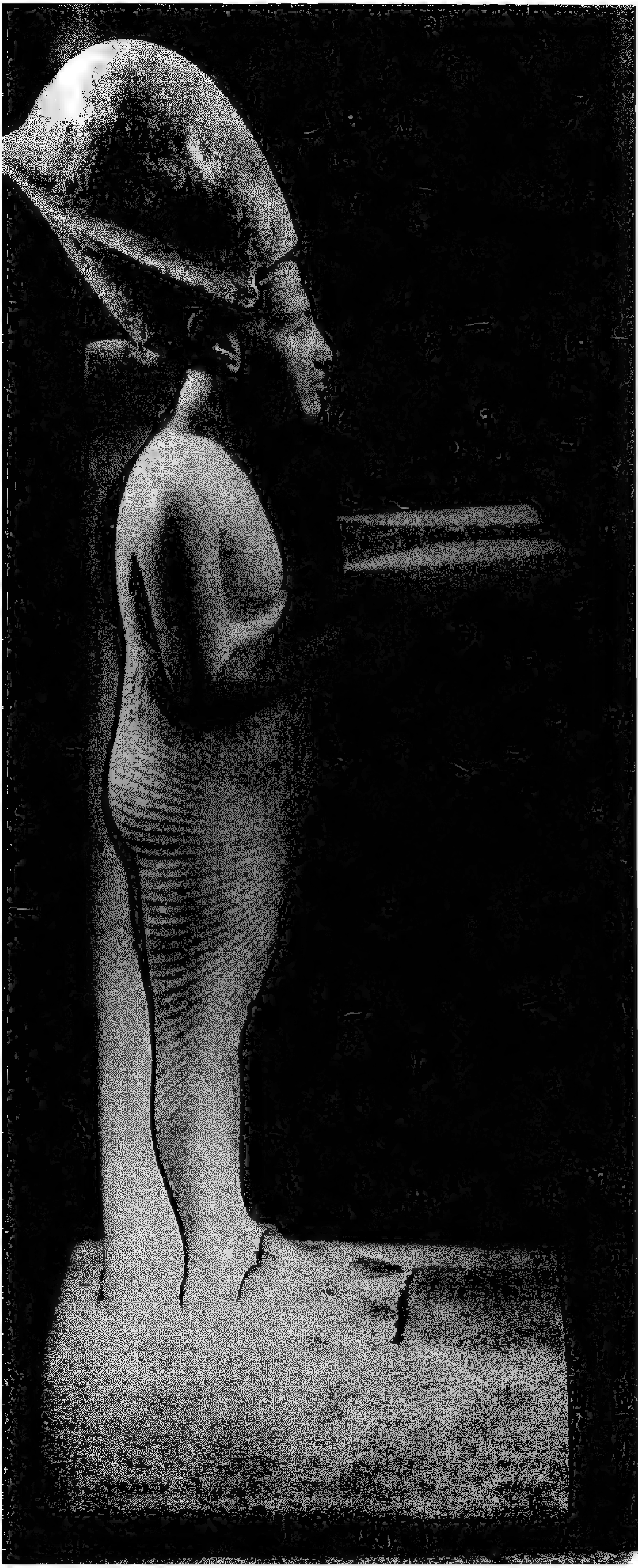
[صورة ٢٠]
أحد تماثيل الشوابتى التى عثر على نحو ٤٠٠ تمثال منها فى مقبرة الملك توت عنخ آمون ، وهو منحوت من الخشب المغطى فى بعض أجزائه بصفائح الذهب .

[صورة ٢١]
تمثال الملك أخناتون أشهر نموذج لفن النحت بالعمارنة .



[صورة ٢٢]
تمثال الملك امنحتب الثالث والملكة تى – بالمتحف المصرى بالقاهرة .

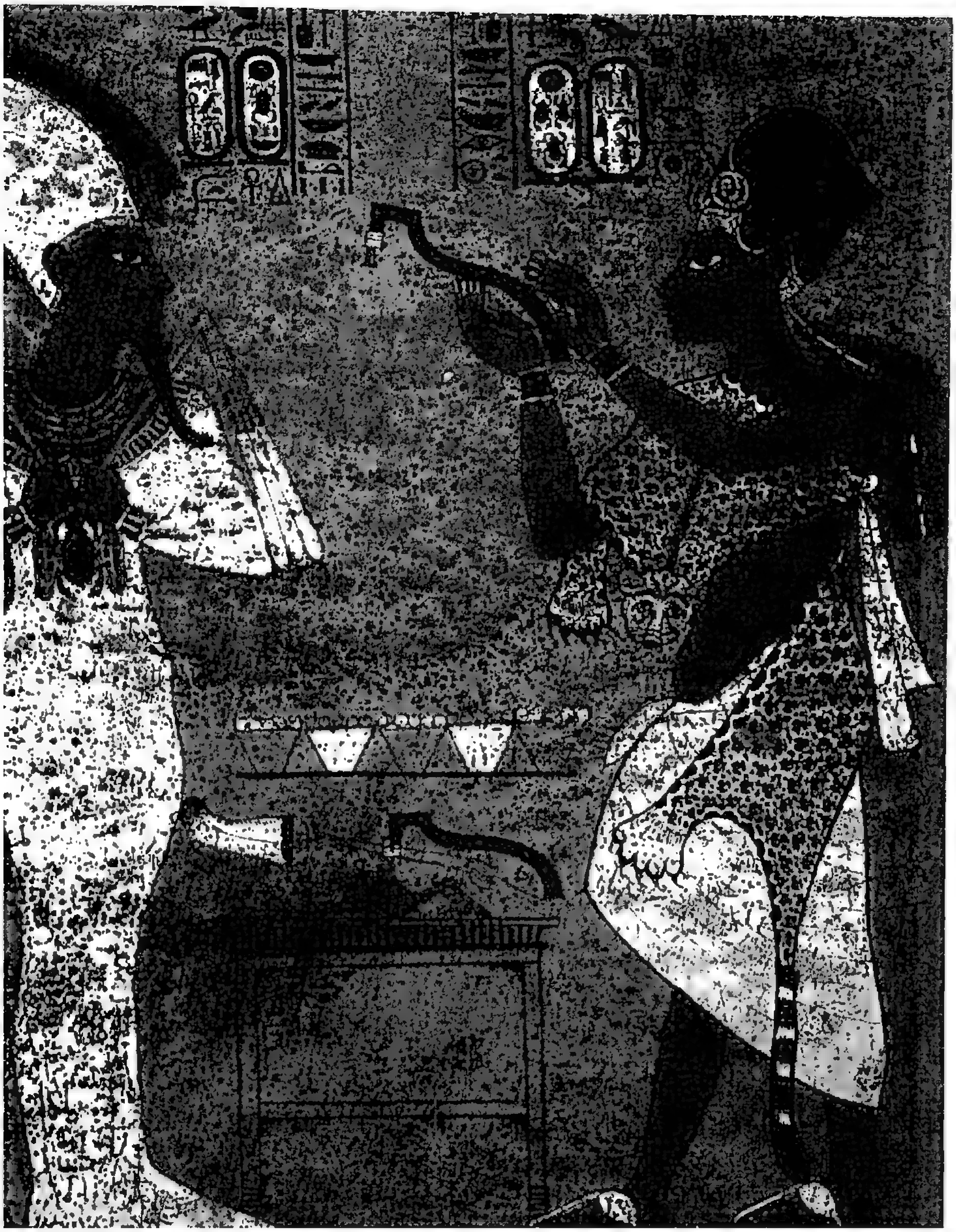




[صورة ٢٣]
تمثال صغير عثر عليه في بقايا أحد قصور العمارنة يمثل الملك أخناتون وهو يقدم القرابين وعلى رأسه تاج الحرب الأزرق .



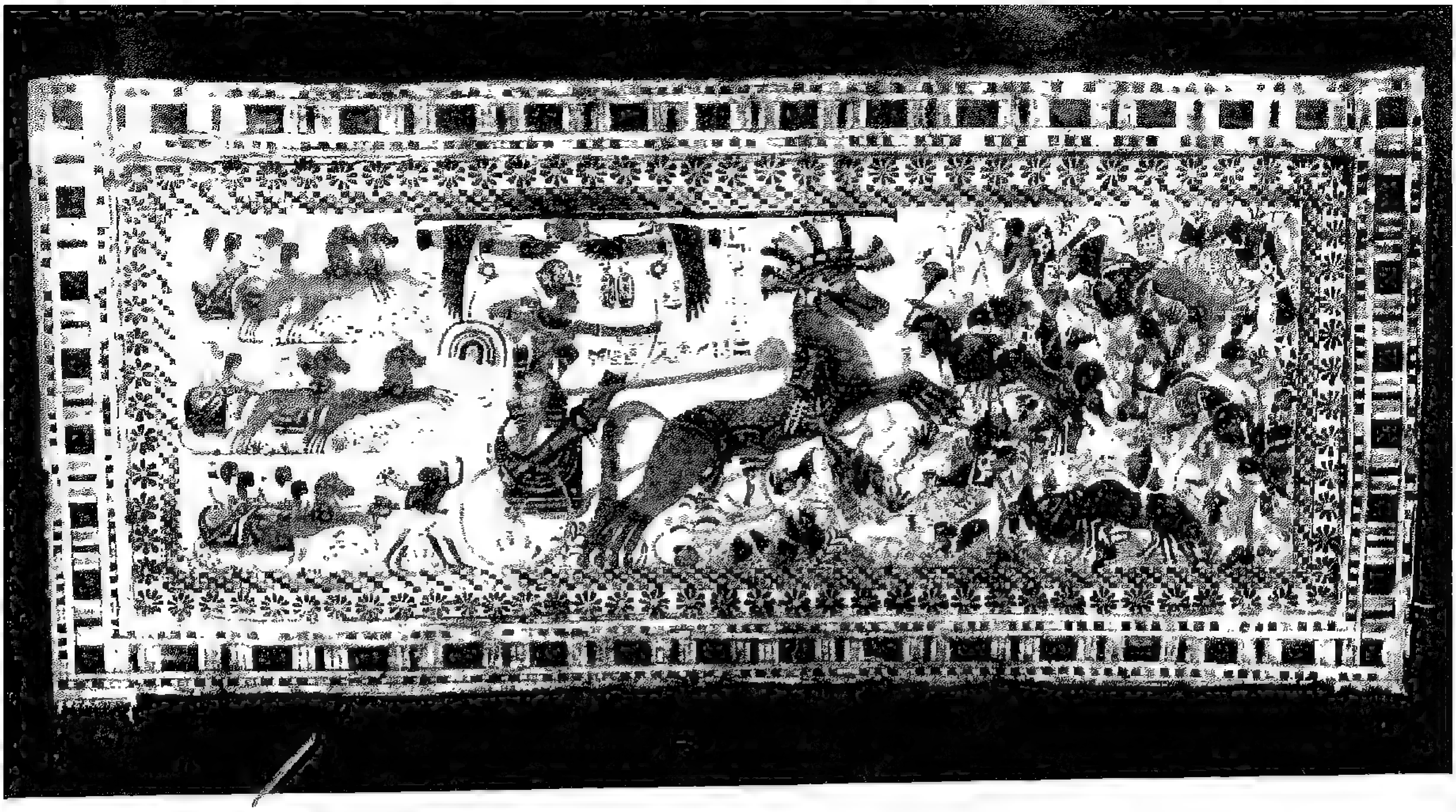
[صورة ٢٤]
تمثال صغير [illegible]
من الألـــ



[صورة ٢٥]
الملك آى – إلى اليمين – يقوم بطقوس عملية فتح الفم أمام مومياء سلفه الملك توت عنخ آمون على هيئة الاله أوزوريس .

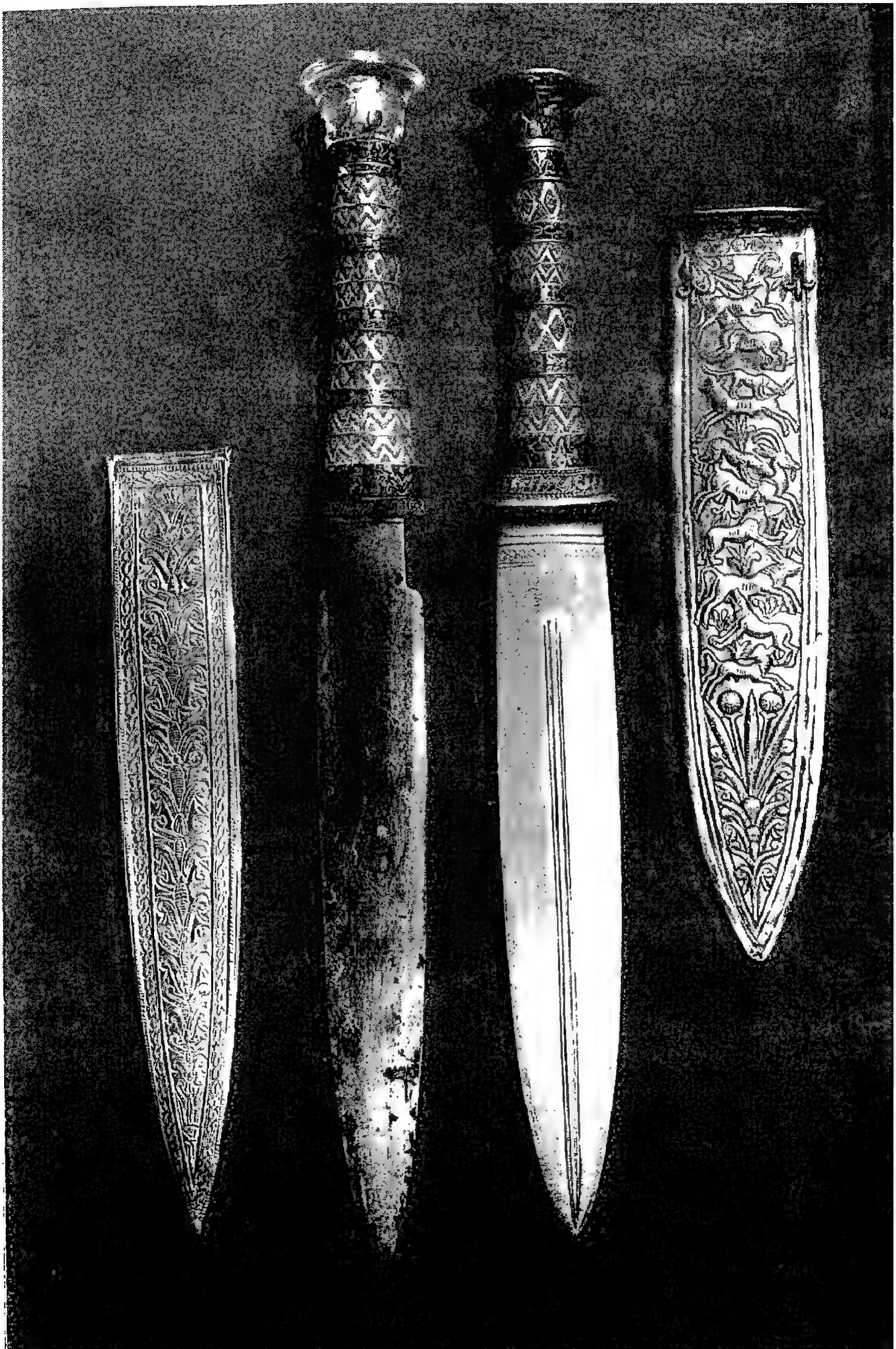


رة ٢٦]
نصفى من الخشب المنقوش لتوت
أموك .

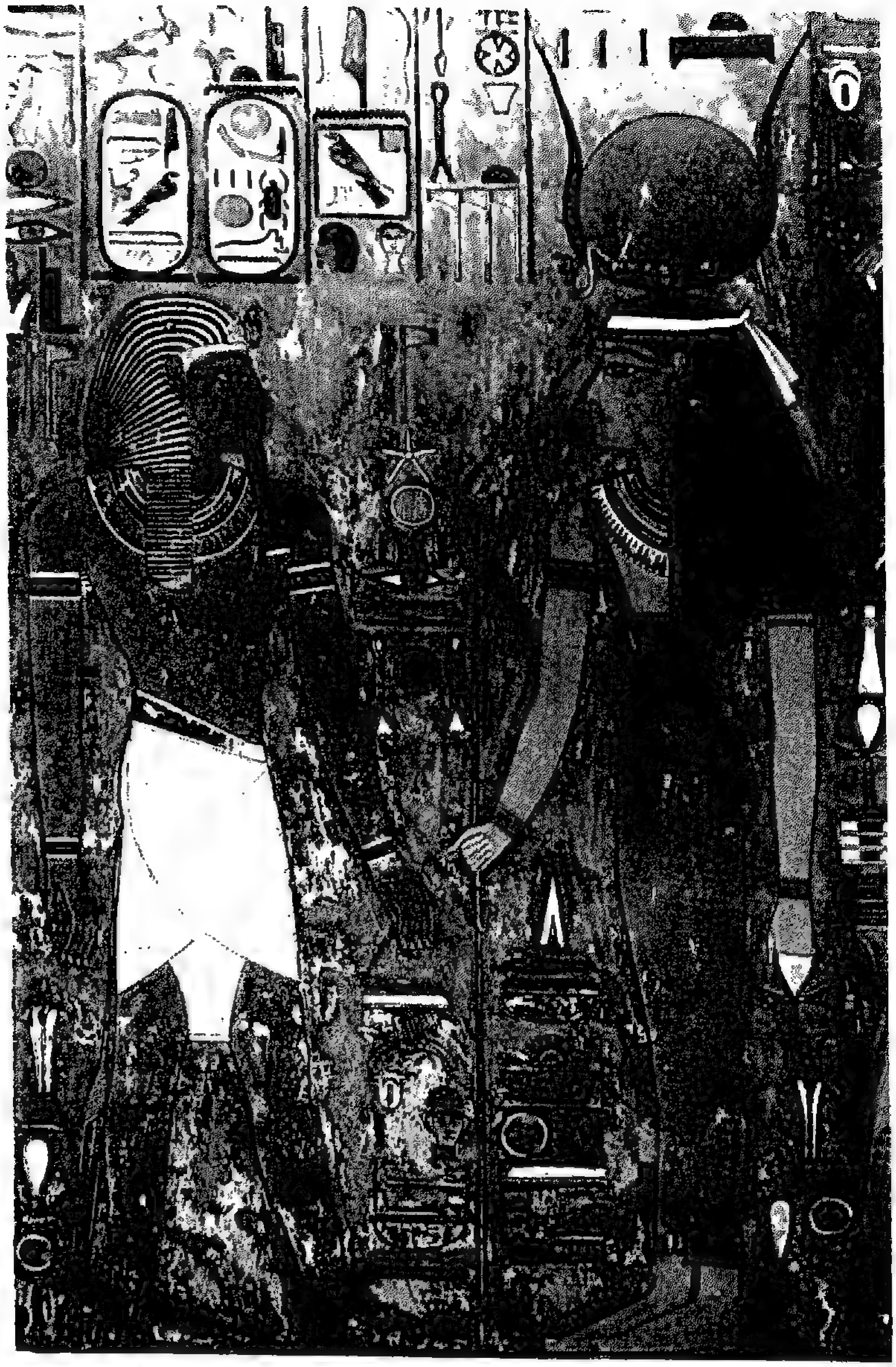


[صورة ٢٧]
رسم على أحد جوانب صندوق خشبي عثر عليه بمقبرة توت عنخ آمون يصور معركة حربية يقوم بها الملك ضد الآسيويين .

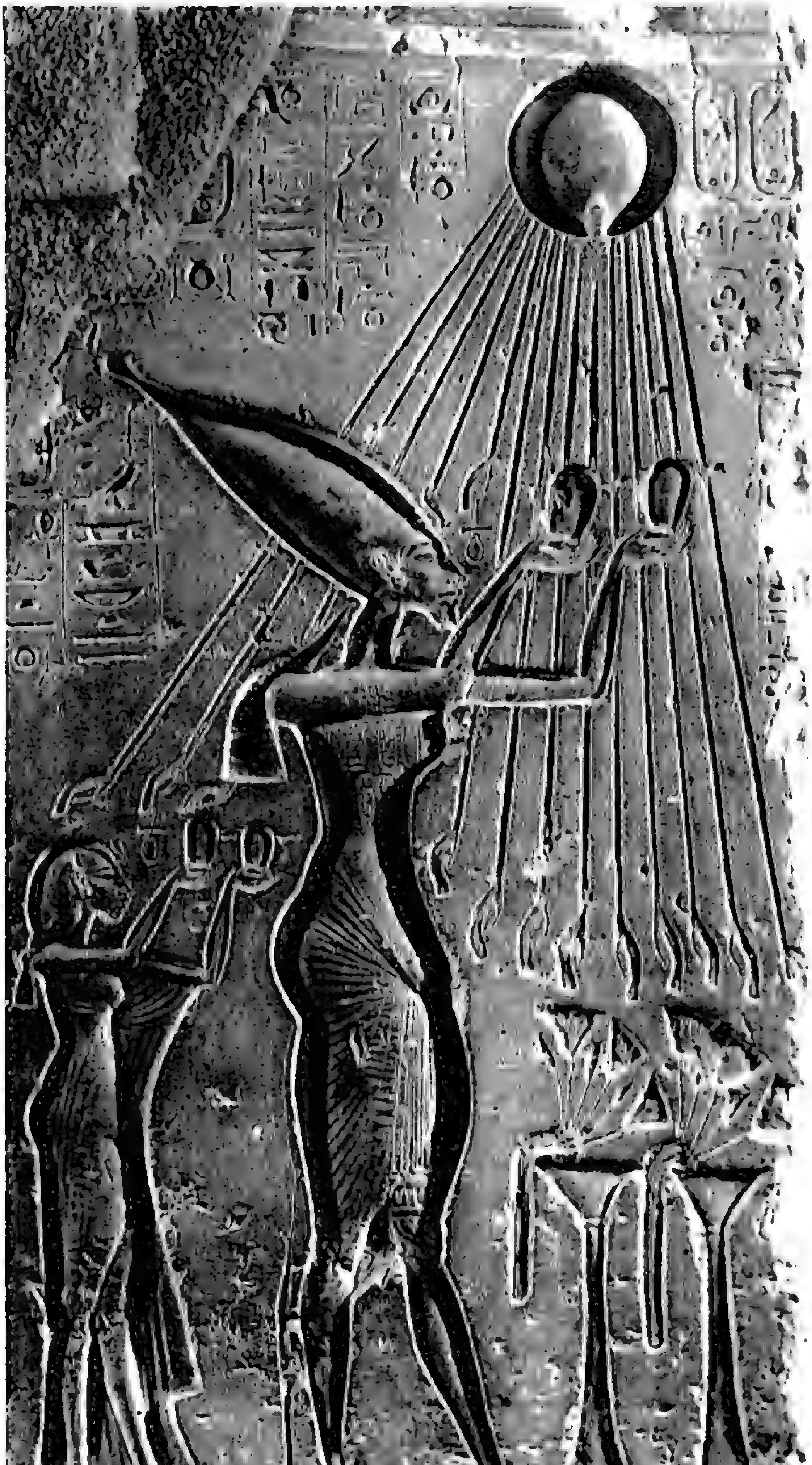
[صورة ٢٨] ←
أسلحة وخناجر للملك توت عنخ آمون .

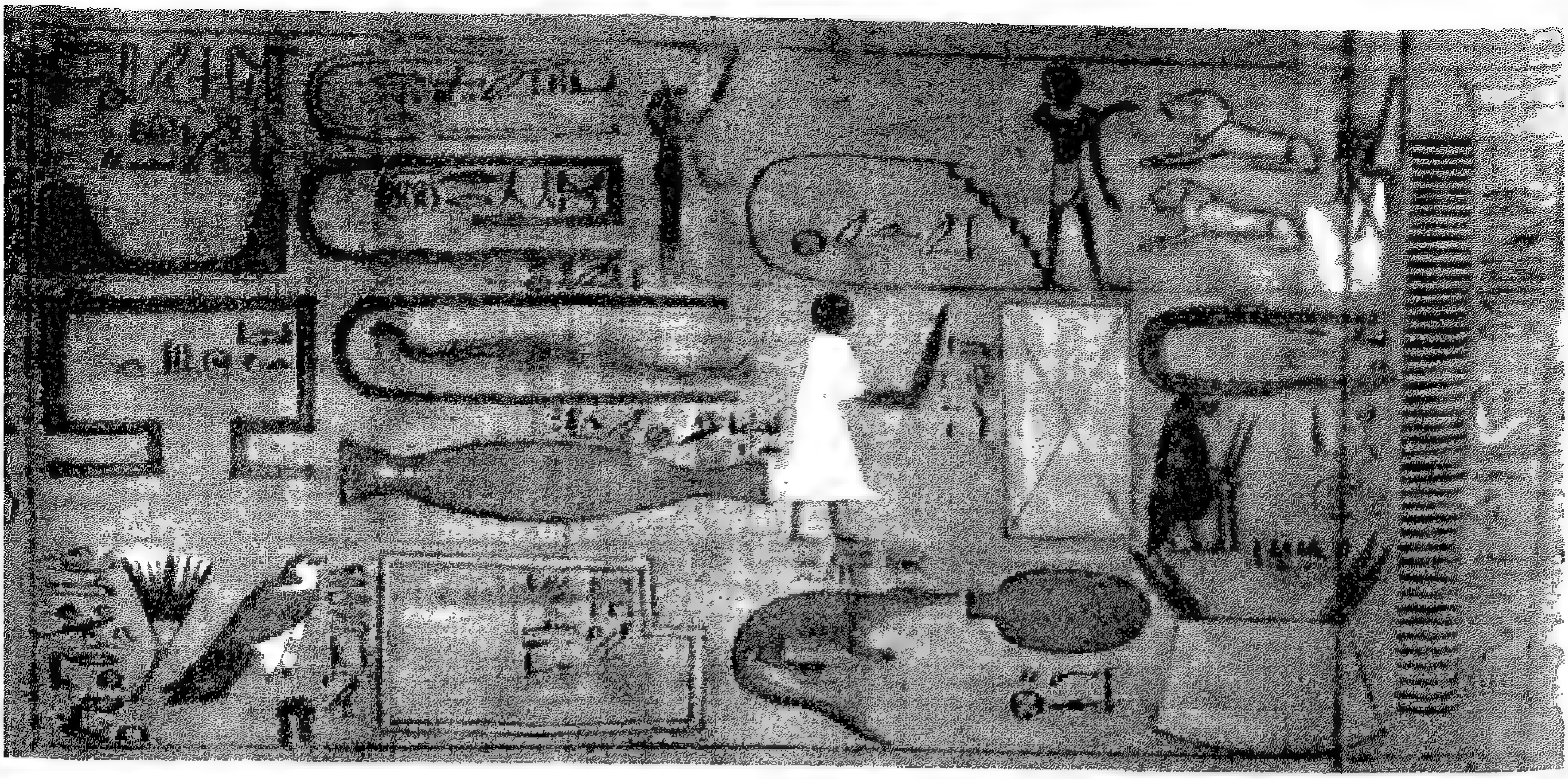


[صورة ٢٩]
الملك حور محب أمام الالهة حتحور .

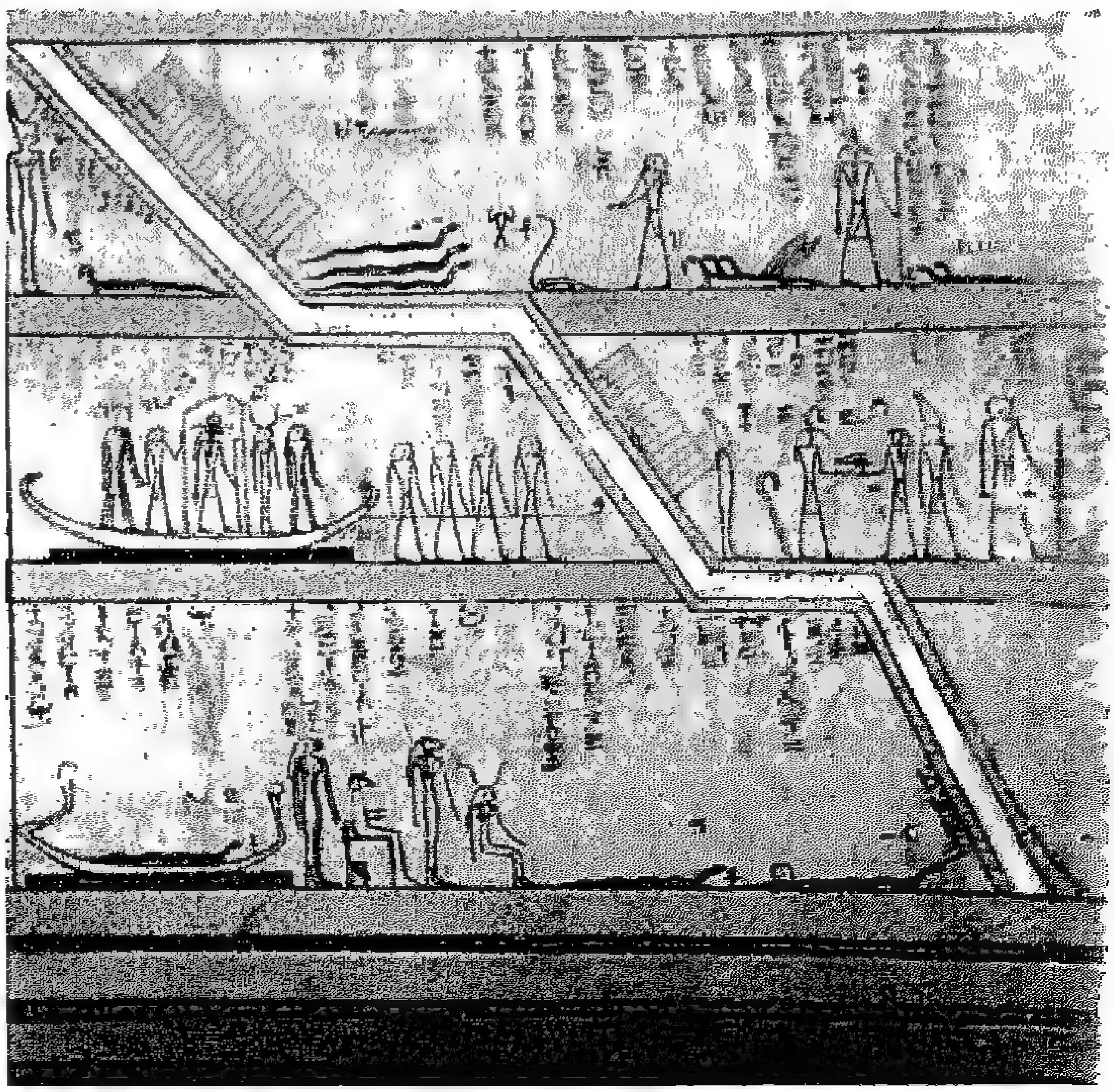


[صورة ٣٠] ←
أخناتون ونفرتيتى يتعبدان .





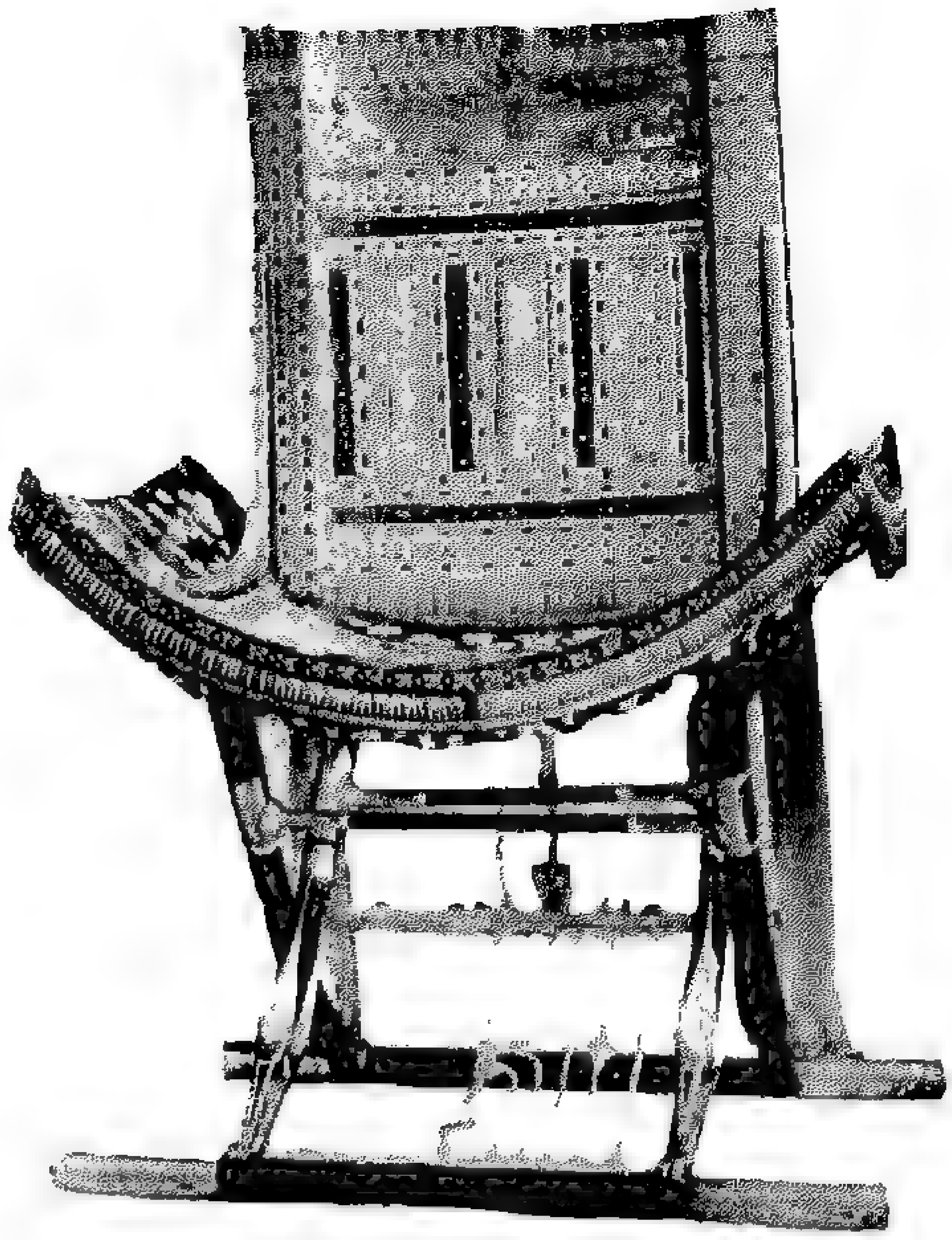
[صورة ٣١]
صفحة من كتاب الموتى .



[صورة ٣٢]
صفحة من كتاب ما يحدث فى العالم السفلى منقوشة على جدران مقبرة تحوتمس الثالث بوادى الملوك .



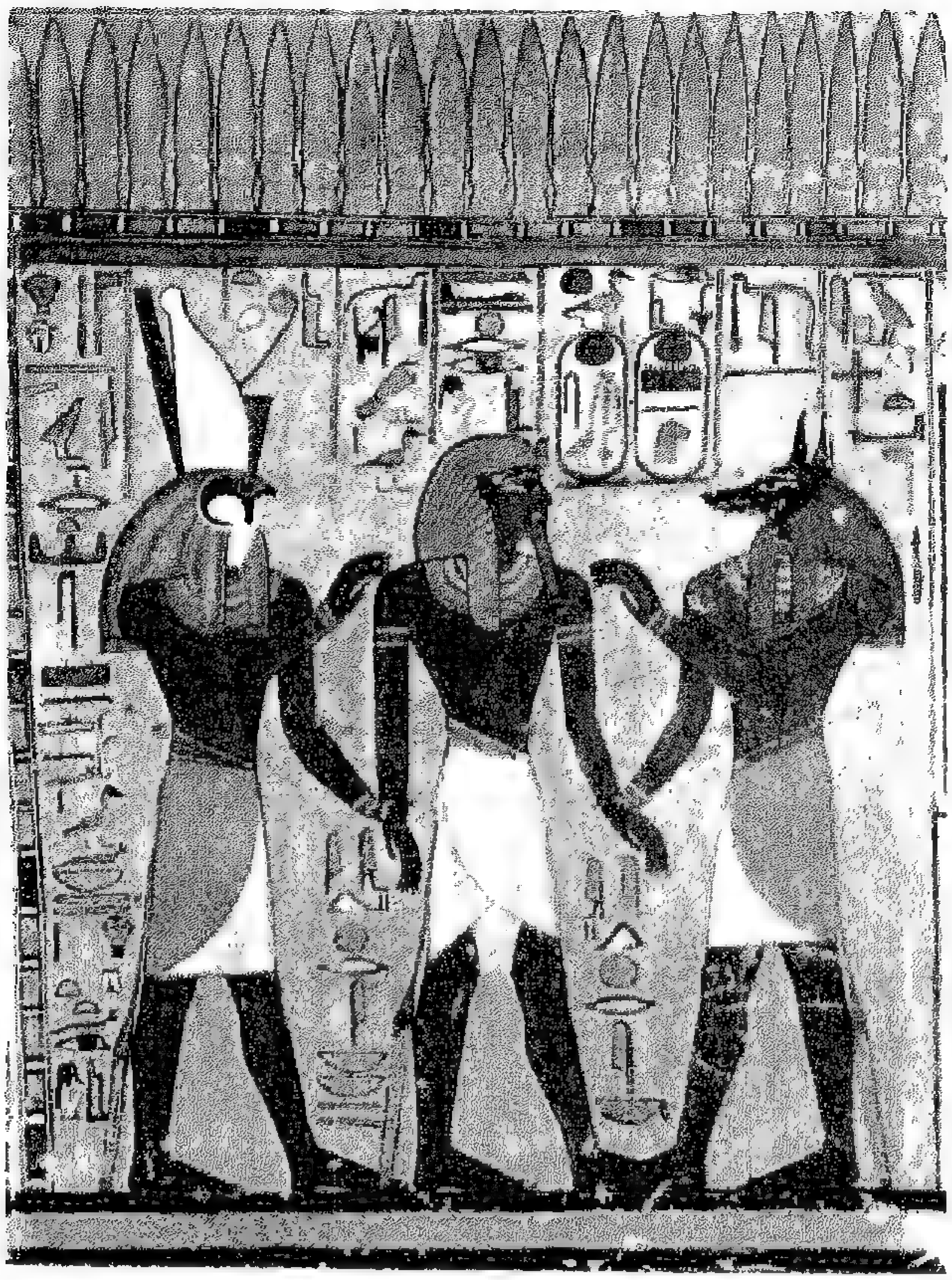
[صورة ٣٣]
تمثال لرأس نفرتيتى – من نحت الفنان تحوتمس ويعتبر تحفة بالغة الروعة يتجسم فيها فن العمارنة .



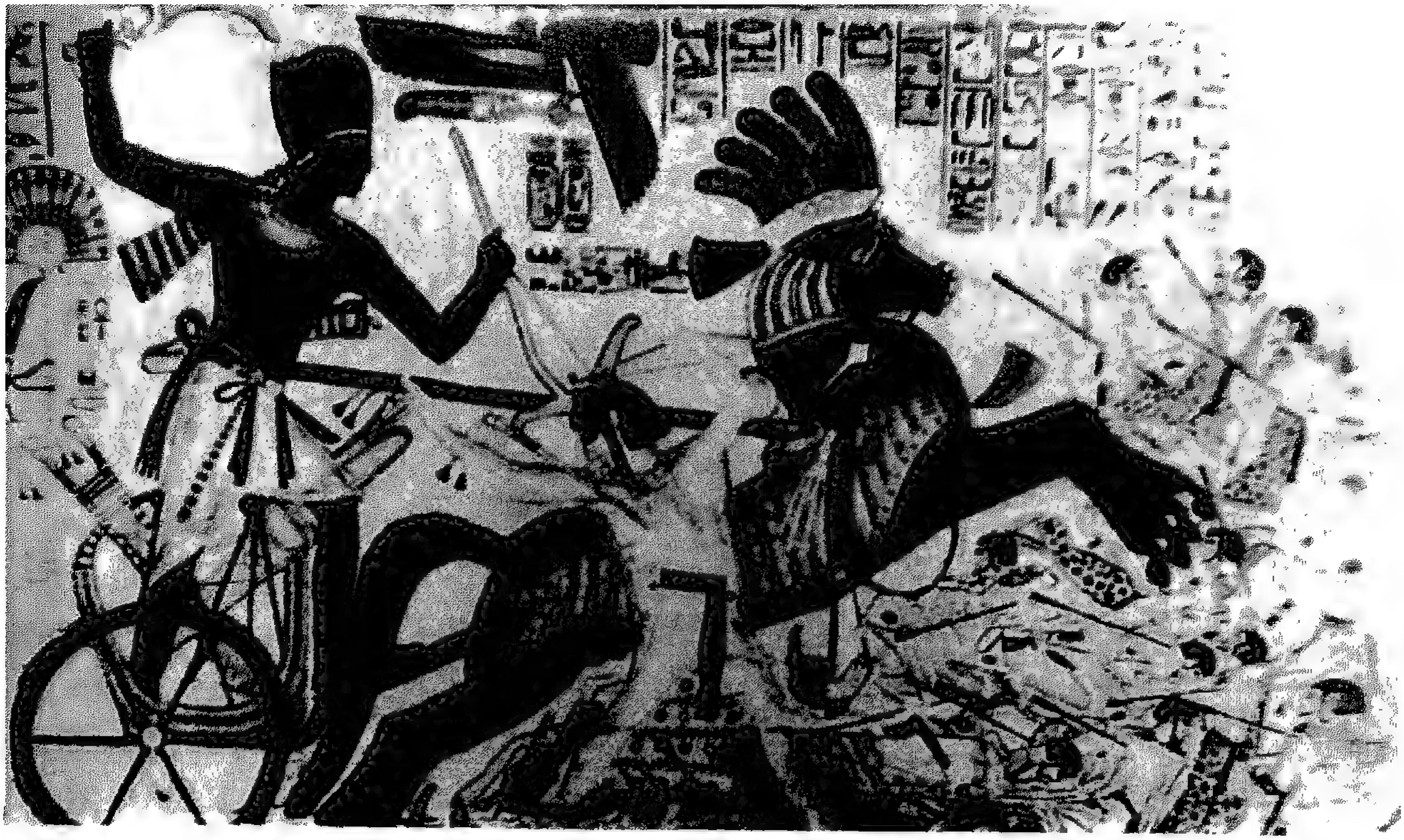
[صورة ٣٤]
كرسى لتوت عنخ آمون من خشب الأبنوس المطعم بالعاج وصفائح الذهب والزجاج الملون والأحجار شبه الكريمة . ولهذا الكرسى دلالة سياسية إذ نقش عليه اسم الملك توت عنخ آتون قبل أن يغير اسمه .



[صورة ٣٥]
الصورة التقليدية لعازف الهارب — من مقبرة نخت — عصر الأسرة ١٨ .



[صورة ٣٦]
رمسيس الأول بين الاله حورس والاله أنوبيس – من مقبرته بوادى الملوك .



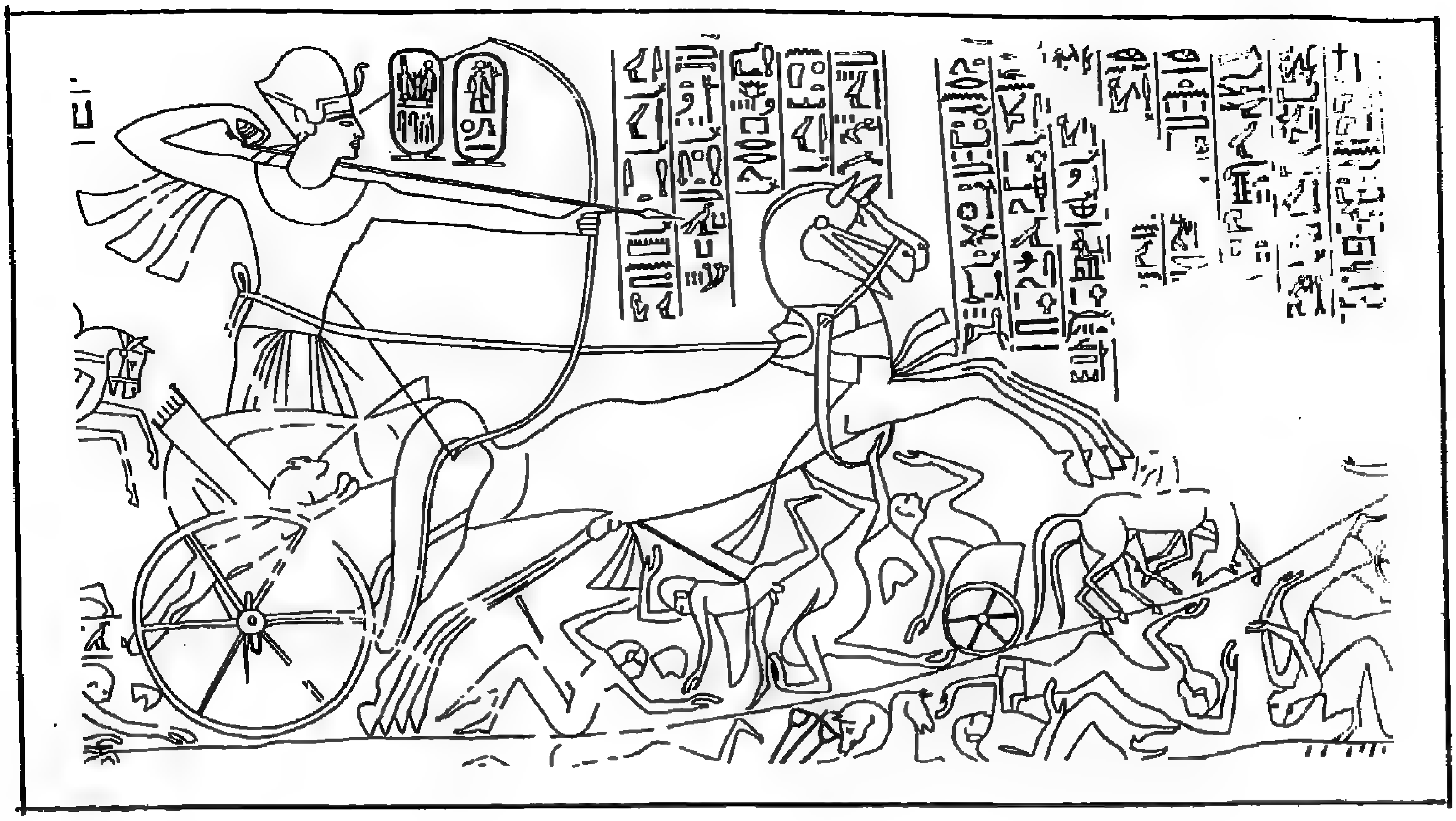
[صورة ٣٧]
الملك سيتى الأول على مركبته الحربية يحارب الليبيين .

[صورة ٣٩] ←
الروابى على ضفاف نهر العاصى قرب موقع قادش حيث دارت المعركة بين رمسيس الثانى والحيثيين .

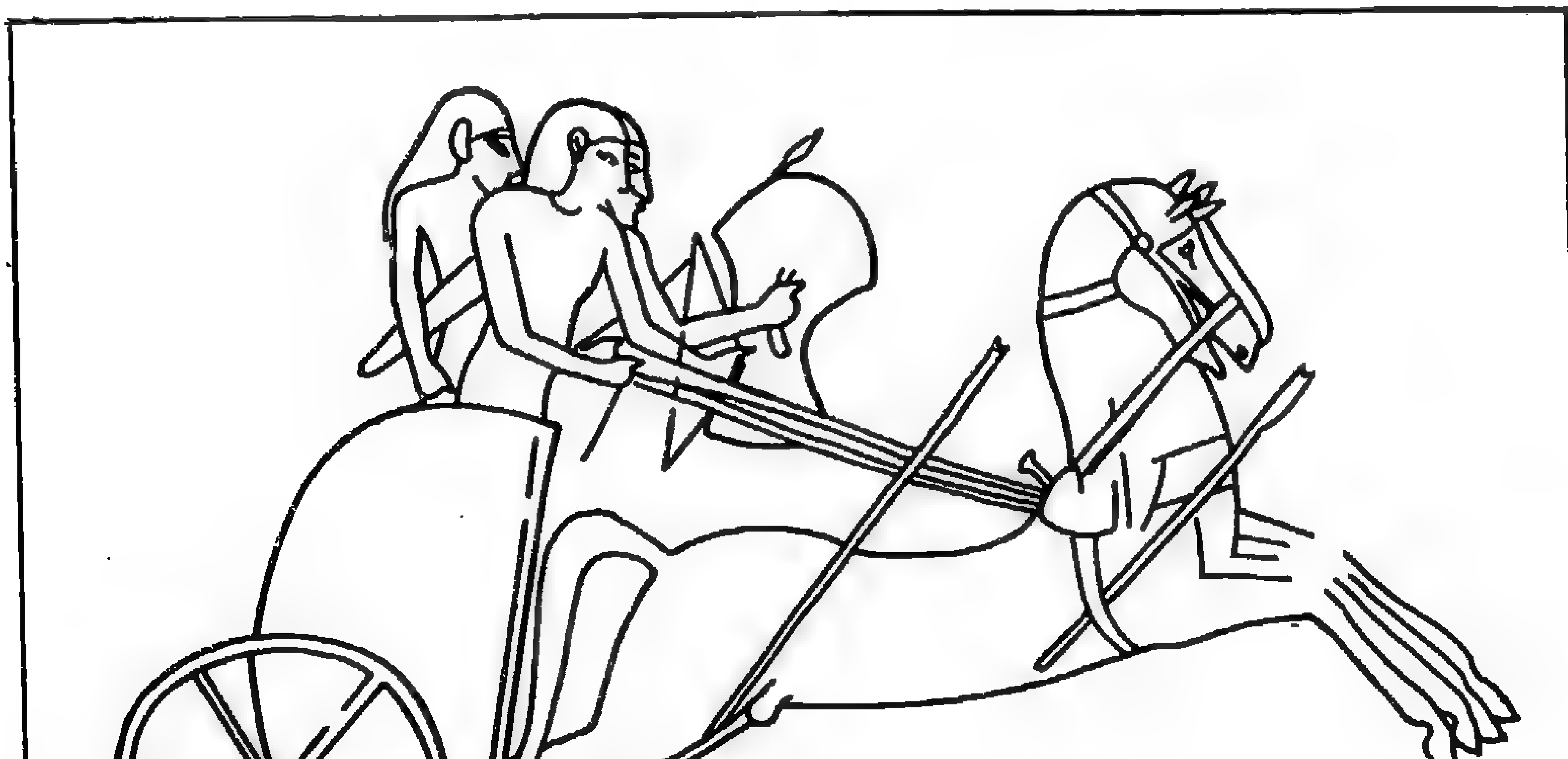


[صورة ٣٨]
الملك رمسيس الثانى يقدم الأسرى قربانا لآمون رع (الأسرى يمثلون الآسيويين والنوبيين والليبيين) .

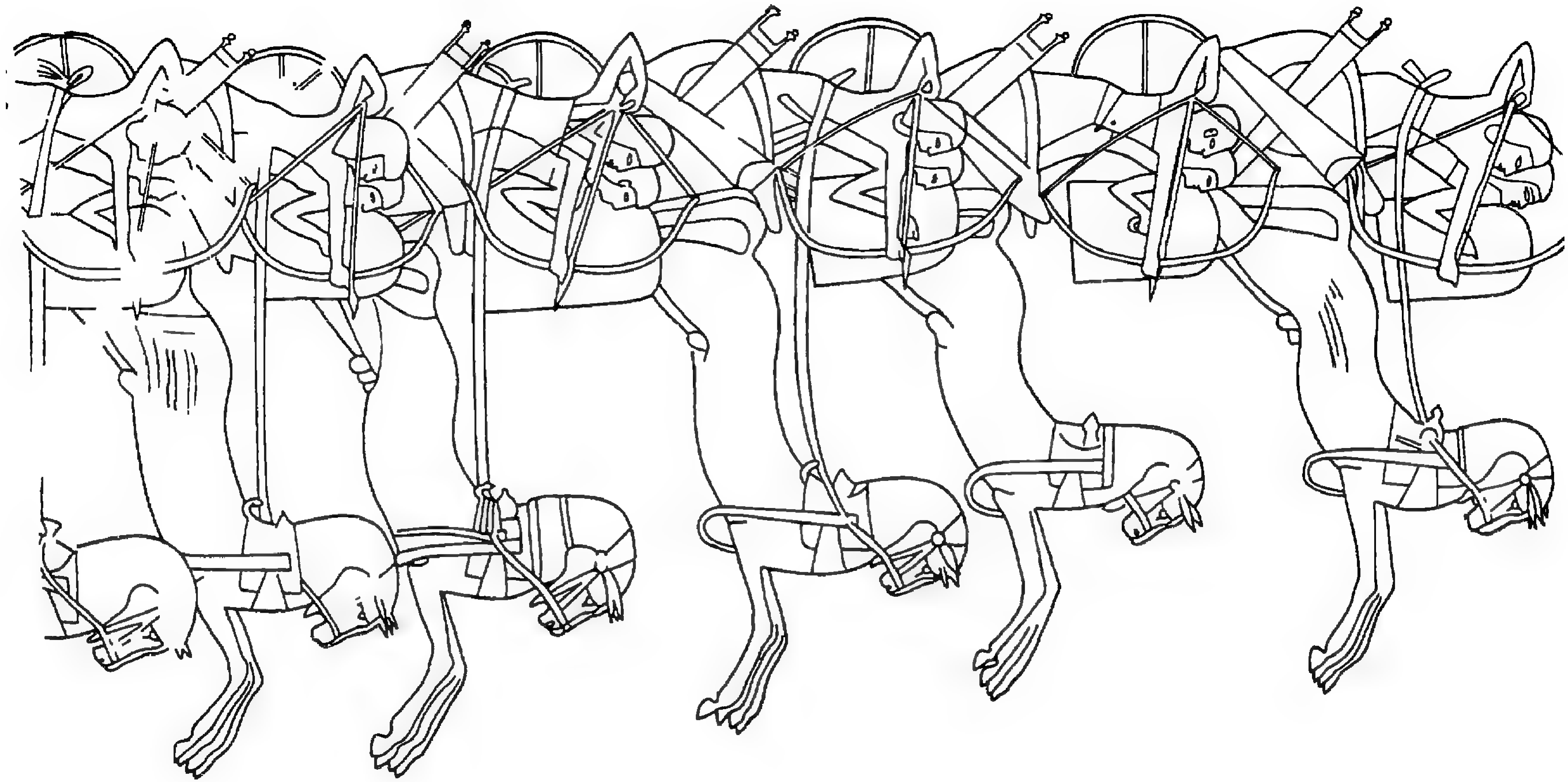




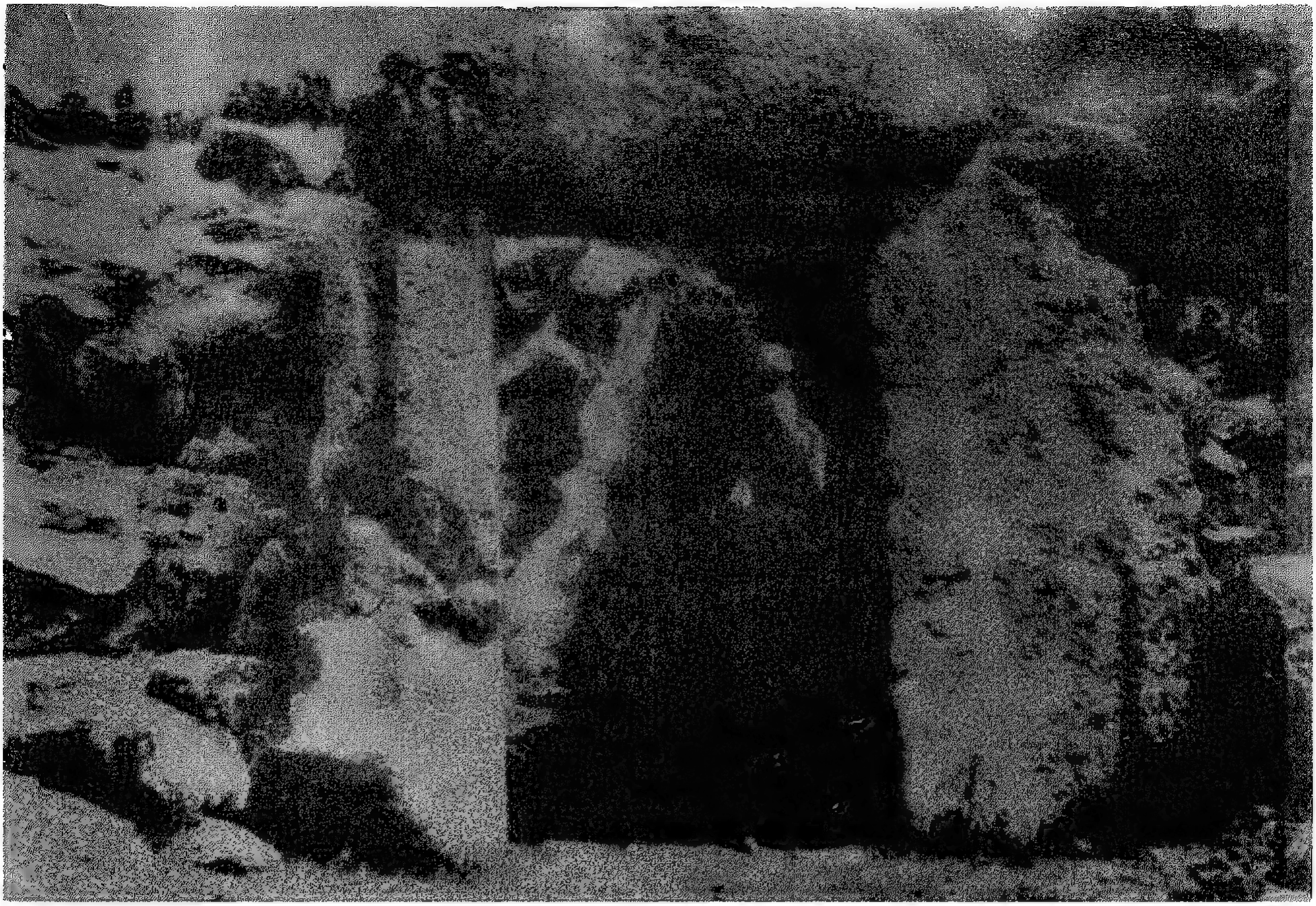
[صورة ٤٠]
رمسيس الثانى يسحق اعداءه من الحيثيين .



[صورة ٤١]
المركبات الحربية الثقيلة الحركة لجيش الحيثيين وكان يستخدمها ثلاثة من المحاربين .



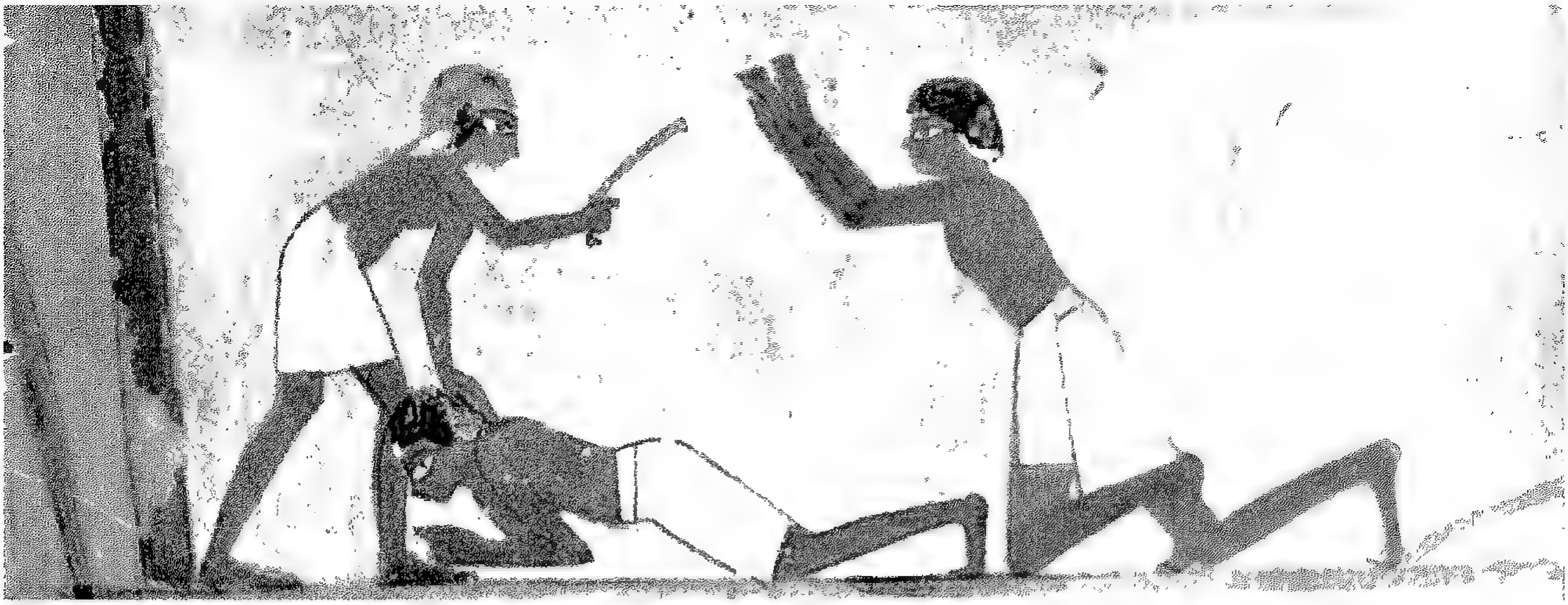
[صورة ٤٢]
المركبات الحربية المصرية الخفيفة والسريعة الحركة
وكان يستخدمها اثنان فقط من المحاربين .



[صورة ٤٣]
من آثار البوابة الجنوبية لعاصمة الحيثيين «خاتوشاش» .

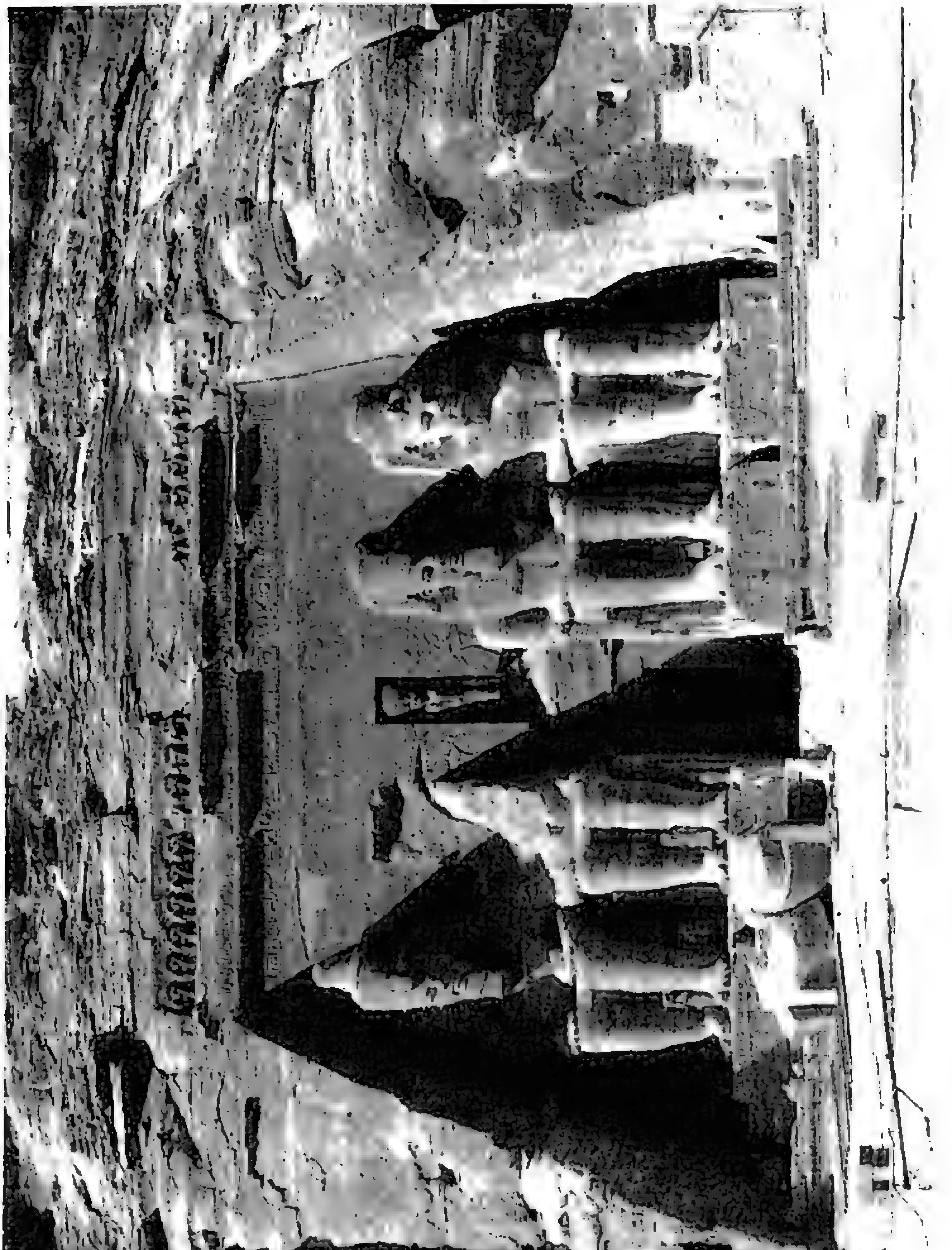


[صورة ٤٤]
تمثال للملك رمسيس الثانى وعلى رأسه تاج الحرب .

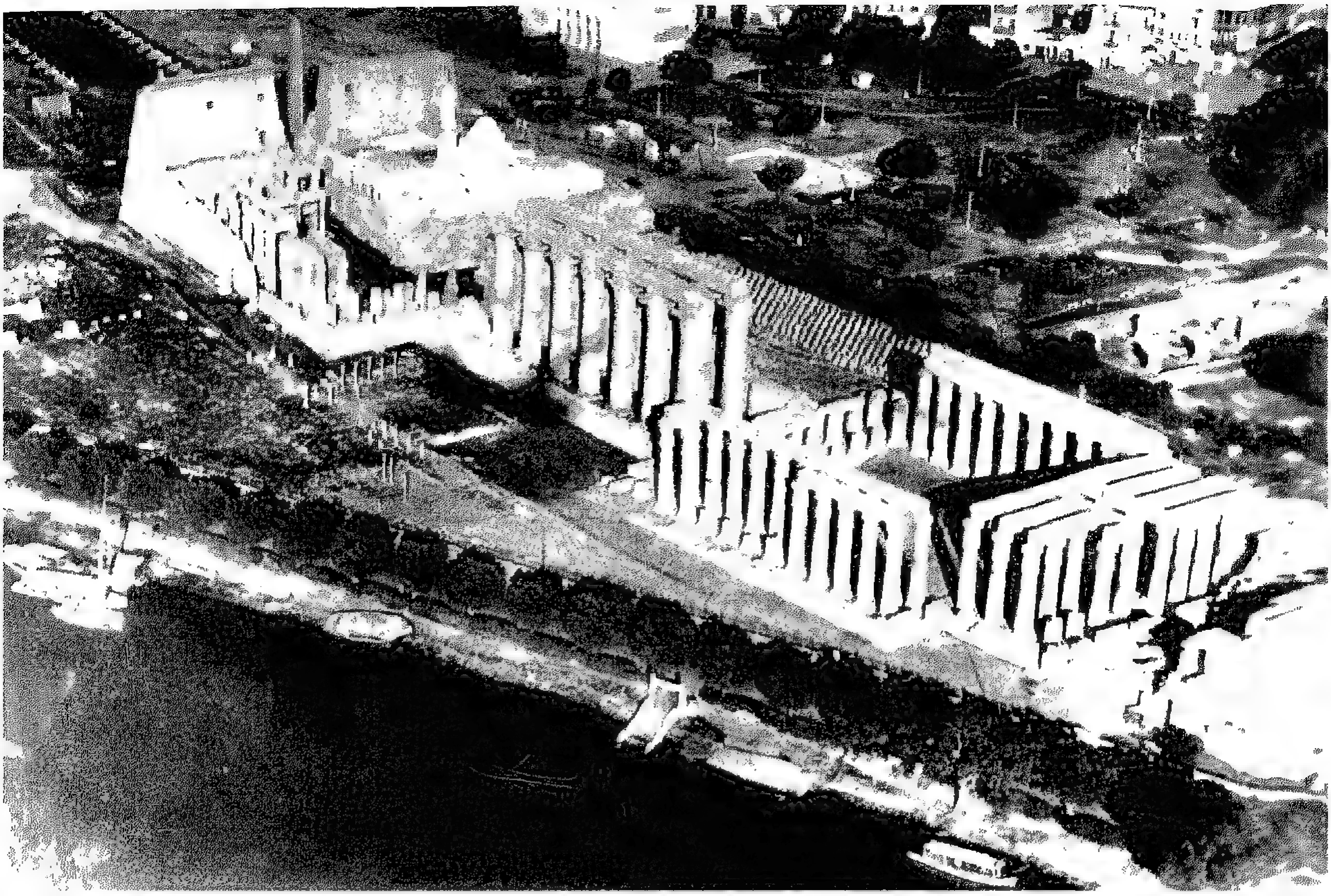


[صورة ٤٥]
تأديب الفلاح الذى لم يدفع الضرائب .
قالوا : قدم قمحا . ولكن لم يكن هناك شيء منه . ولذا فانهم ضربوه بشدة .

[صورة ٤٦]
معبد أبو سمبل - لرمسيس الثانى .







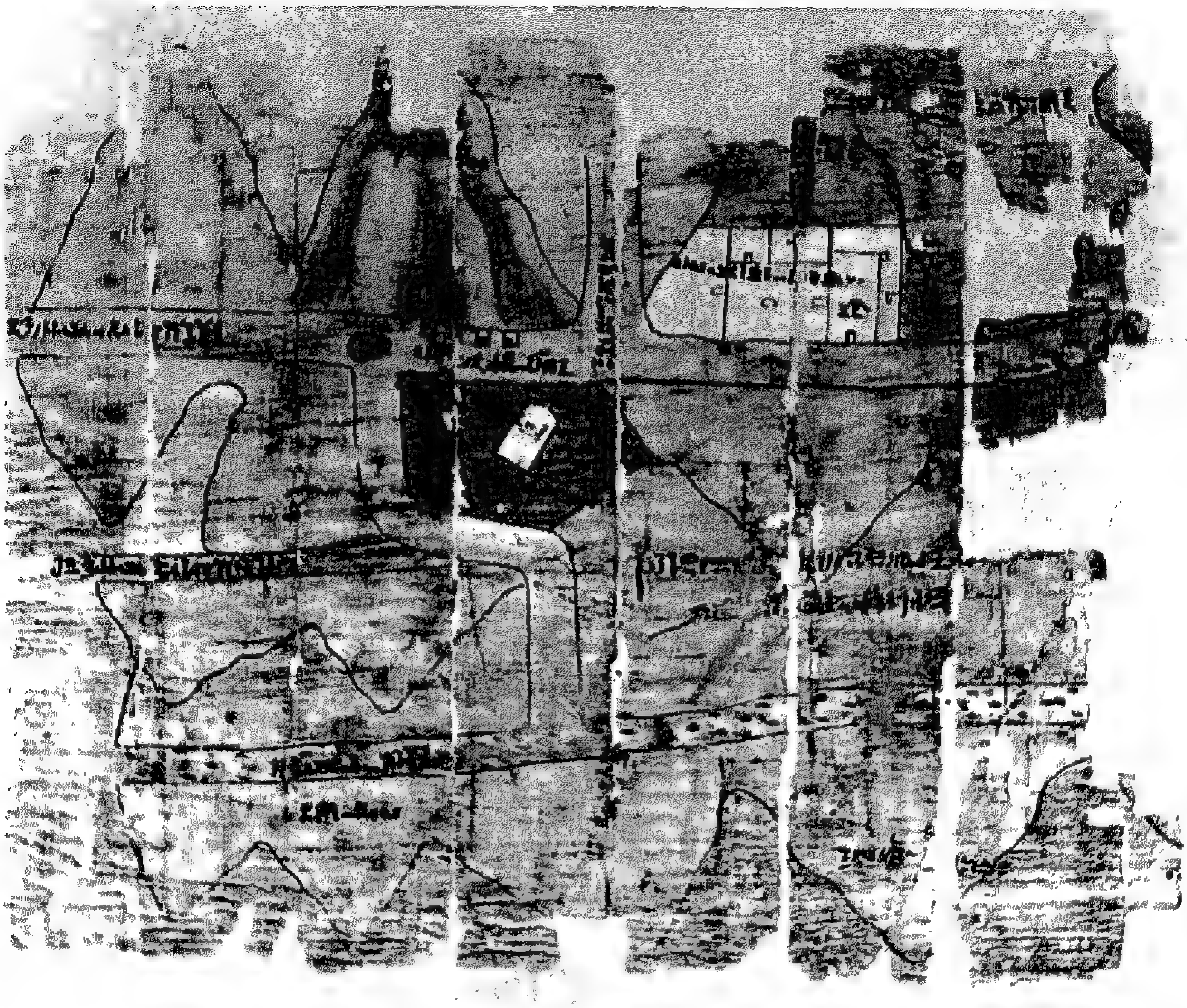
[صورة ٤٨]
منظر عام يبين ضخامة معبد الأقصر .

← [صورة ٤٧]
مسلة الملك رمسيس الثانى بمعبد الأقصر .



[صورة ٤٩]

معركة حربية ضد شعوب البحر من عصر رمسيس الثالث



[صورة ٥٠]
خريطة مرسومة على بردية يرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة تبين بعض مواقع المحاجر ومناجم الذهب .

محتويات الكتاب

الجزء الثانى : المشاكل الأيدوليجية والدينية والسياسية

بعد أزمة العمارنة ١٣٥ - ٢٣١



د . احمد قدرى

★ بكالوريوس علوم عسكرية	الكلية الحربية فبراير ١٩٥٠
★ بكالوريوس علوم جوية	الكلية الجوية يوليو ١٩٥١
★ ليسانس حقوق	جامعة القاهرة مايو ١٩٦٤
★ دبلوم دراسات عليا فى الآثار المصرية	كلية الآثار جامعة القاهرة مايو ١٩٧٣
★ دبلوم دراسات عليا فى الآثار الاسلامية	كلية الآثار جامعة القاهرة مايو ١٩٧٦
★ دكتوراه الفلسفة فى الآثار المصرية	اكاديمية العلوم المجرية مايو ١٩٧٨

- رئيس هيئة الآثار المصرية .
- عضو المجلس الأعلى للثقافة .
- عضو المجمع العلمى المصرى .
- عضو شعبة الثقافة بالمجالس القومية المتخصصة .
- عضو مقرر لجنتى الآثار المصرية والاسلامية وعضو لجنة التراث بالمجالس القومية المتخصصة .

- عضو مجلس ادارة اكاديمية الفنون وكلية الآثار جامعة القاهرة .
- عضو المراكز والمجالس العلمية التالية :

المعهد الأثرى الالمانى بالمانيا الغربية – مجلس المتاحف العالمى – مجلس الترميم العالمى – المجلس العالمى لصيانة المناطق الاثرية – جمعية الاستكشافات المصرية بالمملكة المتحدة – مركز شامبليون بباريس – المركز القومى للبحث العلمى بفرنسا .

- اشرف على مشروعات انقاذ معابد فيلة والنوبة فى المدة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٧ فى اطار الحملة الدولية لانقاذ آثار النوبة مع اليونسكو .
- خبير ادارة التراث العالمى باليونسكو لمشروعى انقاذ آثار مدينتى صنعاء باليمن الشمالية وفاس بالمملكة المغربية .
- وسام الفنون والآداب من الطبقة الأولى وأوسمة شرفية من المانيا الغربية – فرنسا – البرتغال – النمسا – النيجر .

كتب تحت الطبع

١ – **تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة**
منجزات ١٩٨٢ – ١٩٨٥
اعداد وصياغة
د. أحمد قدرى
عاطف عبد الحميد
آمال صفوت

٢ – **المسلات المصرية**
تأليف : لبيب حبشى
ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف

٣ – **تاريخ العمارة فى مصر**
تأليف : د. كمال الدين سامح

٤ – **العمارة المصرية القديمة (جزء أول)**
تأليف : د. اسكندر بدوى
ترجمة : د. محمود عبد الرازق – صلاح رمضان

٥ – **دراسات فى اللغة المصرية القديمة**
تأليف : أحمد باشا كمال

٦ – **نصوص الشرق الأدنى القديمة**
ترجمة : د. عبد الحميد زايد
مراجعة : محمد جمال الدين مختار

٧ – **الديانة المصرية القديمة**
تأليف : ياروسلاف تشرنى
ترجمة : د. أحمد قدرى
مراجعة : د. محمود ماهر

دار البستاني للنشر والتوزيع
٢٩ ش الفجالة ١١٢٧١ القاهرة
س. ت/ ٣١٤٠٠١ ـ ب. ض ١٤ ١
٣. ض: ١٩١/٢٤/١٦٦/٤، ٥ مدينة نصر

رقم الايداع ٤٦٥٥ / ١٩٨٥
مطبعة هيئة الآثار المصرية

